مجلة الحكمة اليمانية

١٩٣٨ - ١٩٤١

وحركة الإصلاح فى اليمن

دراسة ومقالات

تأليف
دكتور سيد مصطفى سالم

مع المقالات
على أحمد أبو الرجال

الطبعة الثانية
١٩٨٨

مركز البحوث والدراسات اليمنى ـ صنعاء ـ ٤

الإهداء

إلى الأجيال العربية — خاصة اليمنية — الصاعدة .

للإطلاع على بعض تراث أسلافهم .

الباحثان

مقدمة الطبعة الثانية

إن إقبال المرء على إعادة طبع كتاب من كتبه لا يعنى إلا أنه ما زال هناك حاجة إليه ، وأن نسخه قد نفدت ، وأن هذا قد أتاح الفرصة لظهور طبعة أخرى . ولا يسع المؤلف — أى مؤلف — إلا أن يُصَدِّر مقدمة الطبعة الجديدة بالشكر والامتنان إلى جميع من أقبل على قراءة الكتاب ، سواء من مدحه أو قدحه ، أو أعجب به أو ازدراه ، سواء من أبدى ملاحظاته شفاهة بالسلب أو الإيجاب ، أو من تكرم فأرسل لى ملاحظاته مكتوبة .

وقد يتوقع القارىء باستمرار فى الطبعة الجديدة أن يكون المؤلف قد غير بعض ما جاء فى الطبعة الأولى من أفكار أو آراء ، أو قد أضاف ما وجده من مادة علمية جديرة بالإضافة وربما تؤدى إلى تصحيح بعض المعلومات ، وهذه سنة من السنن المتبعة الحميدة ، غير أن العادة قد تتغلب أحياناً ، وقد تعودت أن أعيد طبع كتبى كما هى ، لأحتفظ بها أولاً وثيقة تاريخية تثبت ما سجلته لأول مرة من آراء ومعلومات وأفكار حول الموضوع ، وثانياً حتى تكون المادة التاريخية التى توفرت لدى جنباً إلى جنب الملاحظات والانتقادات ، مدخلاً إلى بحث وكتاب جديد لأن التاريخ اليمنى — كما أكرر دائماً — ما زال أرضاً بكراً يحتاج إلى الجهود الوفيرة . وثالثاً لأترك المجال مفتوحاً أمام الباحثين الجدد من الشباب ليكملوا ما نقص ، وليضيفوا ما جدّ وما كُشف فهم أصحاب المستقبل ، وعليهم تقديم الجديد والمتجدد .

ولا تعنى هذه المبررات ــ إن صح وصفها بهذا ــ أن الكتاب لا يشوبه النقص ، وأنه يتصف بالكمال ولا يحتاج إلى تعديل ، فهذا يتنافى مع أى عمل بشرى أو طبيعة بشرية ، ولا يعنى فى نفس الوقت أنه ليس لدى الجديد الذى أضيفه أو التعديلات اللازمة ، فقد آليت أن أضع هذا كله فى دراستى المقبلة حول « البريد الأدبى فى اليمن » التى أرجو الله أن يوفقنى فى دفعها قريباً إلى المطبعة ، إذ أن كل من « مجلة الحكمة » و« البريد الأدبى » نتاج مرحلة واحدة ، و يعتبر كل منهما ــ من الناحية الموضوعية ــ مكملاً للآخر.

وإنى أنتهز فرصة احتفال اليمن ــ بشطريه ــ بمرور خمسين عاماً على صدور أول عدد من أعداد مجلة الحكمة ، لأقوم بإعادة طبع كتابى هذا مساهمة ضئيلة من جانبى فى هذه الاحتفالات ، وخاصة لأن هذا الكتاب كان محاولة أولى متواضعة لدراسة أعداد المجلة جميعها وللتعريف بها .

وقد أصدرت الطبعة الأولى ضمن مطبوعات مركز الدراسات اليمنية تحت رقم ــ ٤ ــ للدفع بالمركز حينذاك وللاعلان عن وجوده ، وهأنذا أحتفظ بهذا الرقم و بعنوان المركز الجديد وهو « مركز البحوث والدراسات اليمنى » ، لحبى وتقديرى لهذه المؤسسة التى عاصرت وأسهمت فى إنشائها ، ولتمنياتى لها باستمرار النجاح .

والله ولى التوفيق

دكتور
سيد مصطفى سالم
جامعة صنعاء

القاهرة فى أغسطس ١٩٨٨

مقدمة الطبعة الأولى

من المعروف في ميدان البحث العلمي أن الباحث عندما يتناول بحثاً معيناً يبدأ في التعلق بنقاط بحثه ، ويزداد هذا التعلق كلما طالت مدة الانشغال بالبحث لطول المعايشة ، فيؤدي هذا — ربما — إلى الانحياز والخروج عن الموضوعية ... إلا من عصم ربي . وينشأ هذا التعلق عادة — بين الباحث وموضوعه — خــلال الجري وراء جمع المادة وتصنيفها ، وأخيراً عند صياغة سطور البحث . غير أني بالنسبة لهذا البحث تعلقت « بمجلة الحكمة » قبل أن أراها ، وقبل أن أبدأ الخطوات التقليدية المعروفة للكتابة عنها ، وذلك عندما سمعت عنها منذ عهد طويل ، أي منذ بدأت البحث في تاريخ اليمن الحديث في أواخر الخمسينات من هــذا القرن . وكان موضوع هذه البداية هو « اليمن تحت حكم الإمام يحيى » ، وهو الإمام الذي ظهرت في عهده « المجلة » ، فتمنيت حينذاك أن أعثر عليها لأتخذها مرجعاً — ضمن مراجع البحث — حتى ولو كانت منحازة لذلك العهد كما تخيلت ، ولكن الظروف وقتذاك لم تساعدني على العثور عليها في المكتبات الكبيرة بالقاهرة — وعلى رأسها دار الكتب المصرية — كما لم يكن من السهل حينذاك السفر إلى اليمن للبحث والتقصي .

وهنا بدأ التعلق بالمجلة والتفكير فيها يخبو رويداً رويداً مع مرور الأيام والسنين لانشغالي بموضوع آخر لنيل درجــة الدكتوراه ، ثم قيامي بالتدريس بجامعة عين شمس ، حتى فوجئت بافتتاح جامعة صنعاء — في

«الحكمة» لتساند «الايمان» فى دعم حكمه، غير أنى سمعت كثيراً — من مصادر عدة متنوعة المشارب — أنها كانت ملتقى الأحرار، وأنها عبرت — صراحة وعلنياً ومبكراً — عن الدعوات الإصلاحية فى عهد الإمام يحيى، بل وقيل عنها أنها كانت تمثل منبر المعارضة الهادىء الهادف، ذلك كله رغم أنها كانت حكومية، إذ كانت تصدر عن وزارة المعارف، وتخضع لإشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله — أحد أبناء الإمام — فزاد هذا جميعه من شوقى إلى العثور عليها .

وفجأة أخبرنى أخى وصديقى الأستاذ على أبو الرجال — محافظ لواء صنعاء، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية — بأنه عثر على أعداد مجلة «الحكمة» جميعها فى مجلد واحد لدى أحد بائعى الكتب القديمة بصنعاء فاشتراها منه، ثم قدمها لى — إعارة — للاطلاع عليها، وهكذا تحقق اللقاء أخيراً بينى وبين المجلة فتجددت الأحلام، وتلقفت المجلد بسعادة غامرة، أقلب صفحاته، وألتهم سطوره .

وكانت مفاجأة الأستاذ على أبو الرجال لى بداية نظرة جديدة إلى المجلة، ولم يعد الأمر مجرد العثور على مرجع تاريخى هام يخص عهداً معيناً، بل تطور التفكير — بعد تقليب صفحاته — إلى أن تصبح المجلة موضع بحث قائم بذاته نظراً لما عرضته من جديد حينذاك، ولما لصدورها من دلالة تاريخية فى تلك الفترة، وتبلور أيضاً هذا التفكير بعد قليل — كلما أمعنت النظر فى محتويات المجلة — فلم يقف الأمر عند الحديث عن المجلة فى حد ذاتها، بل تجاوز ذلك إلى أن تكون هى المحور لبحث تاريخى، ذلك لنحدد لها فى النهاية موضعاً معيناً فى تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

ولقد أدت هذه التطورات فى فكرة البحث إلى تطور فى المنهج، من حيث جمع المادة، ومن حيث النقاط التى يجب معالجتها، ولم يعد بالإمكان

« الحكمة » لتساند « الايمان » فى دعم حكمه ، غير أنى سمعت كثيراً — من مصادر عدة متنوعة المشارب — أنها كانت ملتقى الأحرار ، وأنها عبرت — صراحة وعلنياً ومبكراً — عن الدعوات الإصلاحية فى عهد الإمام يحيى ، بل وقيل عنها أنها كانت تمثل منبر المعارضة الهادىء الهادف ، ذلك كله رغم أنها كانت حكومية ، إذ كانت تصدر عن وزارة المعارف ، وتخضع لإشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله — أحد أبناء الإمام — فزاد هذا جميعه من شوقى إلى العثور عليها .

وفجأة أخبرنى أخى وصديقى الأستاذ على أبو الرجال — محافظ لواء صنعاء ، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية — بأنه عثر على أعداد مجلة « الحكمة » جميعها فى مجلد واحد لدى أحد بائعى الكتب القديمة بصنعاء فاشتراها منه ، ثم قدمها لى — إعارة — للاطلاع عليها ، وهكذا تحقق اللقاء أخيراً بينى وبين المجلة فتجددت الأحلام ، وتلقفت المجلد بسعادة غامرة ، أقلب صفحاته ، وألتهم سطوره .

وكانت مفاجأة الأستاذ على أبو الرجال لى بداية نظرة جديدة إلى المجلة ، ولم يعد الأمر مجرد العثور على مرجع تاريخى هام يخص عهداً معيناً ، بل تطور التفكير — بعد تقليب صفحاته — إلى أن تصبح المجلة موضع بحث قائم بذاته نظراً لما عرضته من جديد حينذاك ، ولما لصدورها من دلالة تاريخية فى تلك الفترة ، وتبلور أيضاً هذا التفكير بعد قليل — كلما أمعنت النظر فى محتويات المجلة — فلم يقف الأمر عند الحديث عن المجلة فى حد ذاتها ، بل تجاوز ذلك إلى أن تكون هى المحور لبحث تاريخى ، ذلك لنحدد لها فى النهاية موضعاً معيناً فى تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

ولقد أدت هذه التطورات فى فكرة البحث إلى تطور فى المنهج ، من حيث جمع المادة ، ومن حيث النقاط التى يجب معالجتها ، ولم يعد بالإمكان

فقط الاكتفاء بالرجوع إلى أعـــداد المجلة للتعريف بها ، ولتقديمها إلى القارىء العربي . فقد أصبح المنهج أكثر تعقيداً ، وتعترضه العديد من الصعوبات التي يتصف بها البحث العلمي في مجال التاريخ المعاصر . ولا شك أنه على رأس هذه الصعوبات — بالنسبة للتاريخ المعاصر — تلك التي تدور حول قلة المراجع بل وندرتها ، فقد لا يجد الباحث ما يلزمه من مصادر أصلية لتغطية جوانب بحثه ، وما يثور في ذهنه من تساؤلات وتفريعات حول نقاط البحث . وهذا يزيد الأمر تعقيداً ، إذ في مثل هذا البحث — المعاصر — يضيف المرء نوعاً آخر إلى أنواع المراجع التقليدية ، هو روايات ومقابلات بعض الشخصيات التي عاصرت الأحداث ، سواء ممن كانوا من صانعيها ، أو ممن كانوا قريبين منها على الأقل .

لهذا كله سارت خطوات جمع المادة العلمية اللازمة في خطوات ثلاث :

أولا : أعداد المجلة نفسها فهي تعتبر المصدر الرئيسي للمادة الأصلية .

ثانياً : النتف القليلة المتناثرة مما عثرت عليه في الكتب والمجلات .

ثالثاً : المقابلات الشخصية التي قمت بها مع بعض الشخصيات اليمنية .

وقد سارت هذه الخطوات في خطوط متوازية ، أي جنباً إلى جنب . فمن ناحية أعداد المجلة ، فقد تعمدت تمحيص محتوياتها ، بل والرجوع إليها من حين إلى آخر ، لا لاقتباس بعض العبارات — أو حتى الموضوعات — ذات الدلالة في البحث ، بل أيضاً للغوص وراء الاتجاهات والأفكار التي وردت بها ، وقد احتاج هذا إلى تدقيق ومراجعة لكل ما جاء في أعداد المجلة جميعها . وكان لا بد أن يتم هذا في روية وأناة .

ومن ناحية ما جاء في الكتب والدوريات فقد كان قليلا نادراً كما ذكرت ، وكان يحتاج إلى السعي الحثيث لجمعه من هنا وهناك ، ومن الطريف أني

لمست أن بعض هذه الكتابات تحدثت عن المجلة على استحياء أو تشير إليها إشارة سريعة خفيفة ، إما لعدم الاطلاع على أعدادها كاملة ، وإما جهلا بأهميتها فى تاريخ اليمن المعاصر ، رغم أن هذه الكتابات تناولت التطور الذى أدى إلى قيام ثورة عام ١٩٤٨ م ، التى اشترك فيها عدد ممن حرروا بمجلة « الحكمة » .

أما من ناحية المقابلات الشخصية وجمع المادة العلمية اللازمة من خلال الروايات الشفوية المختلفة ، فكان هذا يمثل قمة الصعوبات التى واجهتها . فقد توفيت الشخصيات التى لعبت الأدوار الرئيسية فى إصـــدار المجلة وتحريرها منذ أن كانت فكرة ، لكن عوض هذا وجود عدد كبير ممن عاصروها محررين وقارئين ، وكانوا على صلة وثيقة بظروف صدورها ، وبأخبار تحريرها ، طوال حياتها القصيرة . وفى البداية طرحت موضوع « الحكمة » فى جلسات تضم عددا من كبار السن الذين عاصروا المجلة مع عدد من الشباب المهتمين بالجوانب الثقافية فى اليمن . وسجلت النقاط التى أثيرت خلال هذه الجلسات ، وبعد قليل ، أعددت مجموعة محدودة من الأســـئلة حول « الموضوع » ووزعتها مطبوعة على عدد من المعاصرين المهتمين ، فتلقيت عندئذ عدداً من الإجابات بخطوط أصحابها . ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل قمت بتسجيل بعض المناقشات التى دارت مع بعض الشخصيات ، ثم نقلت هذه التسجيلات إلى أوراق .

وهكذا أصبح لدى ثلاثة أنواع من الروايات الشخصية :

(أ) ما كتبته فى حينه خلال عقد الجلسات الموسعة .

(ب) الإجابات المخطوطة على مجموعة من الأسئلة المحدودة .

(جـ) التسجيلات المنقولة إلى الورق .

أبين أسباب توقفها والعوامل التى أدت إلى هذا ، وخلال هذه الخطوط الرئيسية أكون قد تمكنت من توضيح النقاط التى يمكن أن تطرق هنا وهناك حول إحدى المحاولات الفكرية — وهى مجلة الحكمة — التى ظهرت فى فترة خاصة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

وهنا يأتى دور أخى وصديق الأستاذ على أبو الرجال ، فعند عثوره على أعداد المجلة تمنى أن تكون لديه الإمكانيات الكافية لإعادة طبع هذه الأعداد كما هى مرة أخرى ، لإعجابه بمحتوياتها ، ولتعم الفائدة ، وليطلع أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة على جزء من تراث أسلافهم الذين يعدون من المجددين الإصلاحيين ، الذين جاد تاريخ اليمن بأمثالهم بين الحين والآخر .

غير أنه لنقص الإمكانيات ، ولمثالية الفكرة ، وبعد طول الدراسة والمناقشة ، وتمحيص مقالات المجلة وتقليبها ، اتفقنا على الاكتفاء بجمع ونشر « المسلسلات » أو « الحلقات » الرئيسية لكل من :

أحمد عبد الوهاب الوريث ، أحمد بن أحمد المطاع ، وعبد الله العزب ، تلك المجموعات التى دارت حول محاور معينة ومقالات متتالية ، وليست جميع كتاباتهم بالمجلة .

والاقتصار على نشر حلقات هؤلاء الثلاثة فقط لا ترجع إلى أهمية شخصياتهم ، ولا إلى الدور الثقافى والسياسى الذى لعبوه فى حياتهم ، ولكن يرجع إلى أنهم كانوا نموذجاً لجيل من أبناء اليمن الذين اعتمدوا على تثقيف أنفسهم ذاتياً ، فدرسوا ما كان متوفراً داخل البلاد من مصادر ثقافية ، والتهموا الشتات الذى كان يصل إليهم من خارجها ، فجمعوا بذلك بين القديم والجديد ، أو بين الأصالة والمعاصرة ، اعتماداً على

أبين أسباب توقفها والعوامل التى أدت إلى هذا ، وخلال هذه الخطوط الرئيسية أكون قد تمكنت من توضيح النقاط التى يمكن أن تطرق هنا وهناك حول إحدى المحاولات الفكرية — وهى مجلة الحكمة — التى ظهرت فى فترة خاصة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

وهنا يأتى دور أخى وصديق الأستاذ على أبو الرجال ، فعند عثوره على أعداد المجلة تمنى أن تكون لديه الإمكانيات الكافية لإعادة طبع هذه الأعداد كما هى مرة أخرى ، لإعجابه بمحتوياتها ، ولتعم الفائدة ، وليطلع أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة على جزء من تراث أسلافهم الذين يعدون من المجددين الإصلاحيين ، الذين جاد تاريخ اليمن بأمثالهم بين الحين والآخر .

غير أنه لنقص الإمكانيات ، ولمثالية الفكرة ، وبعد طول الدراسة والمناقشة ، وتمحيص مقالات المجلة وتقاليبها ، اتفقنا على الاكتفاء بجمع ونشر « المسلسلات » أو « الحلقات » الرئيسية لكل من :

أحمد عبد الوهاب الوريث ، أحمد بن أحمد المطاع ، وعبد الله العزب ، تلك المجموعات التى دارت حول محاور معينة ومقالات متتالية ، وليست جميع كتاباتهم بالمجلة .

والاقتصار على نشر حلقات هؤلاء الثلاثة فقط لا ترجع إلى أهمية شخصياتهم ، ولا إلى الدور الثقافى والسياسى الذى لعبوه فى حياتهم ، ولكن يرجع إلى أنهم كانوا نموذجاً لجيل من أبناء اليمن الذين اعتمدوا على تثقيف أنفسهم ذاتياً ، فدرسوا ما كان متوفراً داخل البلاد من مصادر ثقافية ، والتهموا الشتات الذى كان يصل إليهم من خارجها ، فجمعوا بذلك بين القديم والجديد ، أو بين الأصالة والمعاصرة ، اعتماداً على

جهودهم الشخصية ، وعلى إرادتهم القوية ، إذ من المعروف أن هؤلاء الثلاثة لم يغادروا البـــلاد قط طوال حياتهم ، ورغم ذلك لفتوا أنظار معاصريهم — ومن تلاهم — إلى كتاباتهم كما سنرى .

والأخ على أبو الرجال غنى عن التعريف به وبنشاطه الجم فى المجالات المتعددة ، فهو إلى جانب نشاطه الإدارى فى محافظة صنعاء ، فهو معروف بنشاطه الثقافى العام ، كذلك بنشاطه التعاونى فى هيئة تطوير صنعاء . وبالإضافة إلى هذا وذاك ، فقد اشتهر بحرصه الشديد على أن يجمع فى مكتبته الخاصة كل ما يمس التراث اليمنى من قريب أو بعيد ، وأن يضعه تحت يد الباحثين على اختلاف مشاربهم ، حتى أطلق عليه أحد الكتاب المعاصرين فى صنعاء لقب « الوثائق اليمانى » .

أما بالنسبة للمنهج الذى اتفقنا على التمسك به عند نشر المقالات ، فهو التزام الحياد التام حيالها ، وعـــدم التدخل فيها بأى شكل من الأشكال . وانطبق هذا أيضاً على الهوامش الملصقة بها ، كذلك غريب الألفاظ التى استخدمها أصحابها ، وأيضـــاً بعض المعلومات وأسماء الأعلام التى ورد ذكرها ، ذلك جميعه حتى تظهر تلك الكتابات بالصورة التى وضعها أصحابها، حفاظاً على شكلها التاريخى وأهميتها التاريخية . وقد اقتصر التدخل على ناحية شكلية بسيطة اتخذت خلال الطبع فى القاهرة ، وهى وضع المزيد من الفواصل والنقاط والأقواس بأنواعها ، ليزداد معنى الجمل وضوحاً ، كذلك الإشارة فى الهوامش إلى أرقام وتواريخ أعداد الحكمة التى نشرت بها تلك المقالات كل منها على حدة ، مع وضع أرقام الصفحات بين قوسين داخل السطور عند بداية كل صفحة حسب ترتيب صفحات الحكمة ، وذلك حتى تكون تحت يد الباحثين كما جاءت فى أعداد المجلة نفسها .

غير أن هنـاك تقصيراً هاماً من جانبي أحب أن ألفت إليه الأنظار ، اعترافاً به ، وأملا فى ملافاته فى طبعة تالية إذا قدر الله ذلك ، رغم أنى لست المسئول الوحيد عنه إذ يشاركنى فيه بعض الإخوة اليمنيين . فقد كنت أود أن ألحق بمجموعة المقالات تراجم وافية لأصحابها ، إكمالا للفائدة ، وحتى يتمكن القـارىء من التعرف على هؤلاء حق المعرفة بعد أن يكون قد طالع كتاباتهم . غير أن الوقت والجهد لم يساعدانى على جمع معلومات وفيرة ومتساوية عن الكتاب الثلاث ، لذلك آثرت السلامة ، وتراجعت عن تقديم ما لدى من معلومات عن كل منهم لشعورى بنقص بعضها .

ومن ناحية أخرى ، رغبت أيضاً فى أن أجمع تراجم وافية لكل من أمدنى بالمعلومات اللازمة عن مجلة الحكمة — الذين أشرت إليهم فى هوامش الكتاب ، ثم ضمن مراجع البحث — ليقف القـــارىء على علاقة هؤلاء بموضوع البحث ، غير أنى لم أوفق أيضاً لظروف عديدة متنوعة خارجة عن الإرادة ، فى أن أحصل على ما أبتغيه من تراجم ، إذ لم أحصل إلا على بعض التراجم فقط ، وبخطوط أصحابها . لذلك فإنى ألتمس العذر عند ظهور أى نقص أو تقصير خلال أجزاء هذا الكتاب المتواضع .

وأخيراً فإنى أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الإخوة اليمنيين — شعباً ومسئولين — فلولا وجودى بينهم معاراً للتدريس بجامعة صنعاء ، ولولا مساعداتهم المادية والمعنوية خلال هذه المدة ، ولولا ذلك الحب والمودة والتقدير مما أتمتع به جميعاً بين ظهرانيهم ،

ما ظهر هذا البحث إلى الوجود ، ولا اتسعت آفاقه وامتدت أبعاده ، فإليهم جميعاً دون تخصيص — فالتخصيص قد يؤدى إلى التقصير — أقدم شكرى وامتنانى ، متمنياً أن أكون قد قدمت شيئاً يذكر فى مجال الدراسات اليمنية .

وعلى الله التوفيق ؟

القاهرة : سبتمبر ١٩٧٦ م .
رمضان ١٣٩٦ هـ .

دكتور
سيد مصطفى سالم

دراســـة وتحليل

التعريف بالمجلة وبنواحيها الشكلية :

ينسب عنوان المجلة إلى الحديث الشريف ، الذى يتمسك به اليمنيون كثيرا ويعتزون به والذى جاء به : «الإيمان يمان والحكمة يمانية »(١) لذلك كانت تسميتها الكاملة « الحكمة اليمانية » ، وإن كانت قد اشتهرت باسم «الحكمة» فقط ولفخر اليمنيين بهذا الحديث فقد أطلق على الجريدة الأولى — والوحيدة — التى صدرت فى عهد الإمام يحيى (١٣٢٢ — ١٣٦٧هـ = ١٩٠٤ —١٩٤٨م) عنوان « الإيمان يمان » ، واشتهرت باسم «الإيمان» .(٢)

---

(١) سبق تحقيق النص الكامل لهذا الحديث الشريف من أمهات كتب الحديث ونشره فى كتابنا « نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر » هـ ص ١٤٨٠ — ١٤٩ ، ويمكن الرجوع إليه .

(٢) صدر العـدد الأول من جريدة « الإيمان » فى جمادى الأولى عام ١٣٤٥ هـ « ١٩٢٦م » ، وكانت بمثابة الجريدة الرسمية للدولة . وهى تشبه فى ذلك جريدة « الوقائع المصرية » التى صدرت منذ عهد محمد على باشا لنشر قوانين الدولة وأخبارها . وقد صور الأخ / على أبو الرجال لى صدر « الإيمان » عن مجموعة المؤرخ المعروف المرحوم السيد محمد بن محمد زباره . . . وكانت تقع فى أربع ورقات بثمانى صفحات وأحياناً فى أربع صفحات فقط من الحجم المتوسط ، وكان إخراجها ضعيفاً ولا تهتم إلا بالتحدث عن الدولة وأخبـارها ومراسيمها ، وكانت تصدر كل شهر مرة واحدة . واستمرت هكذا برغم أنها ظلت تعلن أنها ستصدر نصف شهرية ، وأخيراً فقد استمر صدورها الى قيام الثورة فى ١٩٦٢ م . وروى لى القاضى محمد بن محمد الخالدى نقلا عن السـيد / محمد زباره المؤرخ ما يشبه النكتة للتعبير عن ضعف الجريدة ، إذ قال الأخير أنه أثناء وجوده بالقاهرة لطبع بعض كتبه ، شاهد أحد أصدقائه الظرفاء من علماء الأزهر عدداً من أعداد «الايمان» فعلق عليه بقوله « يا سيد محمد إيمانكم ضعيف » غامزاً بذلك إلى الجريدة .(انظر نهاية الكتاب) .

وبالإضافة إلى الاقتباس من هذا الحديث الشريف — الذى كان يضاف بخط صغير تحت عنوان المجلة — فقد حرص المشرفون على تحريرها على إبراز الآية الكريمة: «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا»(١) على الغلاف بين خطين طويلين تحت عنوان المجلة الضخم مباشرة وأحيانا بأعلى الغلاف .

أما إذا أردنا التعريف بالمجلة ، فليس هناك أفضل مما عرفت به نفسها بأنها «مجلة علمية جامعة شهرية» ، فقد كان هذا هو الشعار الذى وضعته على غلافها ، فحددت بهذا ماهيتها ، والتزمت به طوال حياتها القصيرة — كما سنرى فيما بعد — إذ حافظت على الجانبين : «علمية» و«جامعة» فطبعت شخصيتها بطابع خاص ميزها عن زميلتها «الإيمان» . ولم تعمر «الحكمة» طويلا كما حدث مع «الإيمان» ، ويرجع هذا إلى طبيعة ودور كل منهما كما سيتضح ، فقد صدر العدد الأول من «الحكمة» فى ذى القعدة عام ١٣٥٧هـ (ديسمبر ١٩٣٨م / يناير ١٩٣٩م) وصدر العدد الأخير منها فى صفر ١٣٦٠هـ (فبراير/ مارس ١٩٤١م) أى أنها لم تستمر إلا عامين وثلث ، لذلك كان مجموع أعدادها ثمانية وعشرين عددا فقط .

ولقد كان حجم المجلة صغيرا كما كان عمرها قصيرا ، وكان إخراجها متواضعا وإن عد متقدما بالنسبة لليمن فى ذلك الحين ، فقد كان العدد الواحد يقع فى اثنين وثلاثين صفحة من الحجم الصغير ، أى تشبه مجلة «الكاتب» التى تصدر حاليا بالقاهرة — ثم يتسلسل أرقام صفحات السنة كاملة — أى أعداد المجلد الواحد الذى يضم اثنى عشر عدداً — وهى بهذا تشبه الكثير من المجلات الشهرية العربية والأجنبية .

---

(١) الآية ٢٦٩ مدنية من سورة البقرة .

وكان طبع المجلة محليا — إذ كانت تطبع فى المطبعة الوحيدة التى كانت توجد فى اليمن حينذاك ، وهى التى خلفها الأتراك للامام يحيى عند خروجهم من البلاد فى نهاية الحرب العالمية الأولى . وكان هؤلاء يستخدمونها فى طبع أوراقهم وأوامرهم الرسمية ، كذلك فى إصدار جريدتهم التى أطلقوا عليها اسم « صنعاء » والتى كانوا ينشرون بها أخبارهم وأحوال « ولاية اليمن » فى عهدهم. وكانت بمثابة النشرة الرسمية للحكم التركى، فقد كانت تصدر فى أربع صفحات، اثنتان منها باللغة التركية ، والأخريين باللغة العربية ، أى ترجمة لنفس ما كتب بالتركية ، وكان عنوانها «صنعاء» يكتب على الجانبين — العربى والتركى.[1] وقد ظلت هذه المطبعة هى الوحيدة فى اليمن طوال عهد الإمام يحيى ولا تستخدم إلا بإذن منه ، وكانت توضع فى مدرسة الصناعة المجاورة لمدرسة الأيتام بصنعاء حينذاك[2] . ولكن يبدو أن المطبعة كانت تحت إشراف وزارة المعارف — أو بالأحرى تحت إشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله ابن الإمام يحيى — إذ كان يكتب بأسفل غلاف المجلة « طبعت بمطبعة وزارة المعارف بصنعاء » وهناك وصف لهذه المطبعة لأحد معاصريها ورد خلال وصف أوضاع اليمن فى ذلك العهد فقال : « وعلى مدى ستين سنة لم يكن فيها (فى اليمن) غير مطبعة واحدة بدائية ، تدار وترص حروفها باليد ، خلفها الأتراك للامام يحيى لاستعمالها فى أغراض حكومية ، ومع هذا كانت لها ثمرة واحدة هى جريدة « الإيمان » ثم مجلة « الحكمة » التى تمكن أفراد من إظهارها وبالتحايل ولمدة قصيرة »[3] . ورغم هذا فالجدير

---

(١) عثرنا على أحد أعدادها لدى الأخ / عبد الله الحبشى الذى ذكر أنها كانت موجودة بمكتبة الأسرة بقرية الغرفة بحضرموت وصور الأخ على أبو الرجال صدر العدد وأهدى لى نسخة منه (انظر نهاية الكتاب) .

(٢) من إجابات الصنى أحمد محبوب .

(٣) أحمد المعلمى : من مقدمته لكتاب « من الأدب اليمنى » تأليف أحمد بن محمد الشامى، ص ١٦ .

يرجع هذا إلى تقتير الإمام يحيى الذى اشتهر به ... كذلك جندت أجهزة الدولة كما كان يحدث مع جريدة الإيمان لتوزيع المجلة فى داخل البلاد ، فكانت توزع بالبريد إلى الحديدة وتعز وذمار وإب ، وفى الداخل (أى فى صنعاء) عن طريق المراسلين[1] فى الدوائر الرسمية وكانت تستقطع الاشتراكات من مرتبات الموظفين »[2] .

ويؤكد هذا ، نص البرقية — التى عثر عليها أحد الأصدقاء — المرسلة من الإمام إلى عامل « الحدا » يحثه فيها على جمع اشتراكات جريدة « الإيمان » بمناسبة انتهاء الاشتراك السنوى ، وإرسال قائمة بمن يرغب الاشتراك فى الجريدة ، بل ويأمر بإلزام كل من يبلغ مرتبه الشهرى عشرين ريالا أن يشترك فى الجريدة ، ويلاحظ أن تاريخ هذه البرقية يسبق صدور « الحكمة » بعام واحد فقط[3] .

ولنقص وسائل الإعلام والدعاية حينذاك ، قررت إدارة المجلة توزيع

---

(١) تعبير محلى ، ويطلق عليهم اسم « السعاة » فى مصر .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هو صديقى وتلميذى الأستاذ أحمد داعر ، ويشغل حالياً وظيفة مدير مكتب وزير الاقتصاد . ولطرافة البرقية ودلالتها هنا ، وللاطلاع على تعبيرات تلك الفترة نورد نصها : « من الامام إلى عامل الحدا حرسه الله ، منتها (منتهى) السنة لاشتراك جريدة الايمان إلى غايته جماد الآخر ٥٦ « هـ » فنأمركم بإرسال البدلات (الاشتراكات) مع قطفة (قائمة) أسماء المشتركين للسنة الجديدة لارسال النسخ ، وليكن الأخبار بالمتوفين والغائبين عن حصوله بوقته نبس عند تمام السنة وطلب البدل فيحصل ضياع الجرايد وتراكم البدلات فاعتمدوا هـذا ، الله الله (تعبير للحث والدفع) وكل مأمور (موظف) يبلغ معاشـه عشرين ريالا يلزم اشتراكه فى جريدة الايمان وقطع بدلها من معاشـه ، والسلام عليكم .

بتاريخه ١١ جمادى الآخرة ٥٦ (أى عام ١٠٣٦هـ) .

« ما جاء خلال النص بين قوسين تفسير لبعض الألفاظ والتعبيرات الشائعة باليمن » .

يرجع هذا إلى تقتير الإمام يحيى الذى اشتهر به ... كذلك جندت أجهزة الدولة كما كان يحدث مع جريدة الإيمان لتوزيع المجلة فى داخل البلاد ، فكانت توزع بالبريد إلى الحديدة وتعز وذمار واب ، وفى الداخل (أى فى صنعاء) عن طريق المراسلين[١] فى الدوائر الرسمية وكانت تستقطع الاشتراكات من مرتبات الموظفين »[٢] .

ويؤكد هذا ، نص البرقية — التى عثر عليها أحد الأصدقاء — المرسلة من الإمام إلى عامل « الحدا » يحثه فيها على جمع اشتراكات جريدة « الإيمان » بمناسبة انتهاء الاشتراك السنوى ، وإرسال قائمة بمن يرغب الاشتراك فى الجريدة ، بل ويأمر بإلزام كل من يبلغ مرتبه الشهرى عشرين ريالا أن يشترك فى الجريدة ، ويلاحظ أن تاريخ هذه البرقية يسبق صدور « الحكمة » بعام واحد فقط[٣] .

ولنقص وسائل الإعلام والدعاية حينذاك ، قررت إدارة المجلة توزيع

---

(١) تعبير محلى ، ويطلق عليهم اسم « السعاة » فى مصر .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هو صديقى وتلميذى الأستاذ أحمد داعر ، ويشغل حالياً وظيفة مدير مكتب وزير الاقتصاد . ولطرافة البرقية ودلالتها هنا ، وللاطلاع على تعبيرات تلك الفترة نورد نصها : « من الامام إلى عامل الحـدا حرسه الله ، منتها (منتهى) السنة لاشتراك جريدة الايمان إلى غايته جماد الآخر ٥٦ « هـ » فنأمركم بإرسال البدلات (الاشـتراكات) مع قطفة (قائمة) أسماء المشتركين للسـنة الجديدة لارسال النسخ ، وليـكن الأخبار بالمتوفين والغائبين عن حصوله بوقته نبس عند تمام السنة وطلب البدل فيحصل ضياع الجرايد وتراكم البدلات فاعتمدوا هـذا ، الله الله (تعبير للحث والدفع) وكل مأمور (موظف) يبلغ معاشـه عشرين ريالا يلزم اشتراكه فى جريدة الايمان وقطع بدلها من معاشـه ، والسلام عليـكم .

بتاريخه ١١ جمادى الآخرة ٥٦ (أى عام ١٠٣٦ هـ) .

« ما جاء خلال النص بين قوسين تفسير لبعض الألفاظ والتعبيرات الشائعة باليمن » .

العدد الأول هدية إلى بعض الشخصيات المعروفة ، وذلك كما جاء في افتتاحيته ـ وهى بقلم المرحوم أحمد عبد الوهاب الوريث الذى كان بمثابة رئيس التحرير وإن لم يحمل هذا اللقب رسمياً طوال حياته القصيرة ، فقد قال : «وقد اقترح حضرة الرئيس حفظه الله (المقصود هنا هو سيف الإسلام عبد الله) أن يرسل هذا العدد إلى كل من يصل إليه هدية لمطالعته ونشره بين إخوانه ، وكل من يظن فيه الميل إلى العــلم والأدب والاطلاع ، ومن أحب الاشتراك قدم الطلب إلى الإدارة قبل مضى العشرين من ذى الحجة الحرام مشكوراً ...»(١) .

وقد وجدت المجلة أيضاً طريقها إلى خارج اليمن ولكن لا ندرى كيف؟ هل كان ذلك عن طريق الاشتراكات ؟ أم كان عن طريق مندوبى التوزيع كما هو معروف الآن ؟ حقيقة أننا لم نعثر على مايثبت هذا أو ذاك ، ولكن المؤكد أنها عرفت طريقها إلى خارج اليمن ، وإلى أيدى بعض مثقفى العرب ـ حينذاك ـ والمرجح أن هذا كان عن طريق الجهود الفردية الذاتية ، مثل قيام بعض محرريها أو المعجبين بها فى داخل البلاد بإرسالها إلى أصدقائهم اليمنيين فى الخارج ، أو إلى أصدقائهم العرب فى العواصم العربية ، ثم يقوم هؤلاء وهؤلاء بتداول النسخ بينهم للاطلاع عليها ، كما كانت إدارة المجلة ترسل بعض أعدادها إلى دور الصحف العربية المعروفة لديها من قبيل تبادل المطبوعات معها . وقد حاولت جاهداً العثور على عدد من الحكمة ـ أو أكثر ـ ضمن مقتنيات دار الكتب المصرية بالقاهرة ففشلت ، رغم وجود عدد هائل من المجلات العربية هناك مما كان يصدر فى العواصم العربية المختلفة ـ وأيضاً فى استامبول ـ قبل صدور الحكمة بسنوات طويلة ، وربما يرجع تاريخ

---

(١) الحكمة : إفتتاحية العدد الأول ، السنة الأولى ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٥ ، ع ٢ .

بعضها إلى أواخر القرن التاسع عشر — وهذا مما يرجح عدم إرسال المجلة إلى خارج اليمن بطريقة رسمية . وفى نفس الوقت روى لى الأستاذ زيد عنان — كان بالعراق أواخر الثلاثينيات ضمن البعثة الطلابية اليمنية هناك — أن بعض العراقيين أبدوا إعجابهم بمجلة الحكمة عندما اطلعوا عليها ، وأنهم تساءلوا عن مصدر ثقافة محرريها الرفيع رغم عدم وجود جامعة باليمن (١) . كذلك يؤكد الأستاذ أحمد المرونى تسرب « الحكمة » إلى خارج اليمن ، وإنها كانت مثار اهتمام المثقفين العرب ، فيذكر أن — السيف عبد الله أطلعه على رد « مجلة الحكمة البيروتية » على مقال المرحوم أحمد عبد الوهاب الوريث الخاص بفكرة الجامعة العربية والجامعة الاسلامية وطلب منه إبداء الرأى فيما جاء بالمقالين (٢) .

وهكذا يتضح الإطار العام الذى ظهرت فيه مجلة « الحكمة » والذى حددته عدة اعتبارات هامة : مطبعة وحيدة باليمن لاتستخدم إلا بإذن الإمام ، إمكانيات وأجهزة حكومية فى مجال التمويل والتحرير والتوزيع ، العزلة والانغلاق تغلف سياسة الدولة الخارجية ، وسياسة داخلية تقوم على الحكم الفردى المطلق للإمام يحيى ، وهو إطار كفيل بالحد من ظهور المحاولات الفكرية والثقافية وتطورها فى تلك الفترة . ورغم هذا فقد نجحت « الحكمة » خلال عمرها القصير فى إثبات وجودها وفى لفت الأنظار إليها داخلياً وخارجياً ، حتى ان اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين عندما تم تكوينه ، بدأ نشاطه بإصدار مجلة أدبية علمية فى عدن أطلق عليها اسم « الحكمة »(٣) اعتبرها

---

(١) من إجابات الأستاذ زيد عنان .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هى « مجلة شهرية أدبية فكرية » كما عرفت نفسها ، تصدر فى عدن باسم السكرتارية العامة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، والذى تكون منذ عدة سنوات من أبناء اليمن عموماً شمالا وجنوباً ، والمجلة تمر الآن بسنتها السادسة ، ويقع العدد فى أكثر من مائة صفحة من الحجم الصغير وسنشير إليها فى هذا البحث بإضافة لفظ « الجديدة » للتمييز بينها وبين « الحكمة » الأم .

إمتدادا للحكمة الأم إذ كتب على غلافها عبارة: «أسسها فى صنعاء عام ١٣٥٧هـ الشهيد : أحمد عبد الوهاب الوريث» وذلك تمثلا لدورها فى تاريخ اليمن الحديث من حيث الدعوة إلى الإصلاح والتحرير والتقدم .

ولاشك أن هذا التناقض الواضح - بين الإطار والوجود - هو الذى جعل للمجلة أهميتها ، وهو الذى يثير أمامنا الكثير من التساؤلات حول : ماهية وطبيعة المجلة ، والظروف التى أحاطت صدورها ، والطريق الحذر الوعر الذى سلكه محرروها - كما سنرى - حتى وصلوا بها إلى المكانة التى اشتهرت بها .

حددت «المجلة» طبيعتها منذ الوهلة الأولى بأنها «علمية» و«جامعة» - كما أشرت فى البداية - والتزمت بهذا الشعار دائما ، فظلت مقالاتها تتسم بالجدية والعمق ، كما كانت شاملة وليست متخصصة . وقد وصفها أحد المحدثين -- مع تبرير جانب الشمولية فيها -- فقال : «منذ أعدادها الأولى اهتمت بكل مجالات الحياة بلا استثناء لأنها المجلة اليتيمة فى اليمن كله إذا استثنينا الإيمان»[1]، ورغم صحة هذا التبرير، فان ما يهمنا هنا هو الوقوف على ما قدمت به المجلة نفسها إلى القراء لنتعرف على طبيعتها وعلى السياسة التى رسمتها وسارت عليها ، فقد جاء فى افتتاحية العدد الأول : « . . . على أن تكون تلك المجلة جامعة تتناول شتى الفنون والمواضيع ، وتوافى قراءها من كل ذلك بمقالات تبحث فى الشئون الإسلامية والإصلاحية والمسائل العلمية والمباحث الأدبية والفصول التاريخية والاخبارية، وتغذيهم بلباب آراء المفكرين ، وعصارة أقوال الكاتبين ، ونتيجة مقدمات الباحثين ، وتكون

---

(١) عمر الجاوى : نشأة الصحافة اليمنية وتطورها حتى عام ١٩٤٨ ، الحكمة «الجديدة» ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ — يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

حلبة سباق تتبارى فيها أقلام بعض أدباء اليمن الناهضين ، فتشحذ هممهم ، وتصقل من أفكارهم ، وتقوى من عزائمهم ، وتنمى فيهم ملكة البيان[١] .

وكان أحمد عبد الوهاب الوريث يحفر بهذه الافتتاحية — بأسلوب هادىء عميق — الطريق الذى سارت فيه المجلة حتى توقفت عن الصدور ، وذلك أمام نفسه وأمام المسئولين حينذاك ، وأمام من حرروا بها فى شتى المجالات ، وأيضا أمام قرائها . فقد ضمت المجلة المقالات الطويلة إلى جانب الأخبار القصيرة ، وتنوعت المقالات فتناولت النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والأدبية وغير ذلك، وتنوعت الأخبار من داخلية إلى خارجية ، ومن أخبار مجردة إلى أخبار ذات التعليقات المطولة ، ومن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة — وكلها تخدم هدفا خاصا وتوحى بغايات معينة — إلى جانب النصوص الكاملة للقرارات والأوامر الحكومية حين صدورها . وإلى جانب هذا وذاك ، تميزت المجلة بالمقالات الطويلة ذات الحلقات التى تنشر بالأعداد المتتالية وكانت بهذا تشبه الكثير — حينذاك على الأقل — من الدوريات العلمية ، وربما لجأت المجلة إلى هذا الأسلوب — أى الحلقات — نظرا لطول الأبحاث المقدمة لها وجديتها مما يصعب معه نشرها فى عدد واحد وخاصة مع صغر حجم المجلة ، أو ربما كانت تهدف إلى جذب القراء إليها ليواصلوا الإقبال على قراءتها واقتنائها ، وإن كنا نرجح أن العاملين معا يفسران لجوء المجلة إلى هذا الأسلوب من أساليب النشر .

ولما كان من الصعب هنا عرض جميع محتويات المجلة — الثمان والعشرون عددا — فانه يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى أهم ملامح المحتويات فقط — نظرا

---

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث: الافتتاحية ، الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ، ع ١ .

لأننا سنقوم بتحليل هذه المحتويات فيما بعد لمعرفة أبعادها ـ وخاصة تلك « المسلسلات » التي تمثل العمود الفقري للمجلة ، بالإضافة إلى بعض الملامح الأخرى التي تكمل الحديث عن جانب المحتويات .

لقد بدأت هذه المقالات « المسلسلة » مع العدد الأول من « الحكمة » وبادر بذلك أعضاء هيئة السكرتارية للمجلة ــ وهي الهيئة التي سنتكلم عن تشكيلها فيما بعد ـ إذ بدأ أحمد عبد الوهاب الوريث مقالاته التاريخية والسياسية المشهورة بعنوان « الاصلاح » الذي نشر منها تسع حلقات ــ خلال حياته ، ونشرت العاشرة بعد وفاته ، ثم حرص زميله وخليفته ــ في الإشراف على المجلة ـ وهو أحمد المطاع ، على نفس العنوان ، وسار على نهجه ، فبلغت تلك المقالات « ثمان عشرة مقالة » . كذلك بدأ العضو الثاني من الهيئة وهو يحيى النهاري سلسلة قصيرة حول « الأخلاق » في حلقتين فقط ، وإن ظل يكتب حول هذا الموضوع مقالات متناثرة ، أو بالأحرى لقد ظلت كتاباته تدور حول التمسك بالدين القويم والأخلاق الحميدة ، أما العضو الثالث من الهيئة وهو محمد أحمد ، فقد بدأ سلسلة أخرى عن « الأدب » العربي منذ العصر الجاهلي وتطوره ، وبلغت هذه السلسلة ست حلقات .

وهكذا رسمت الهيئة المشكلة للبدء في تحرير المجلة والإشراف عليها ، أسلوب الكتابة في المجلة ومنهجه ، وكأنها بهذا دعت إلى كتابة الأبحاث الطويلة التي تتناول موضوعات شتى تتعرض لنواحي الحياة المختلفة ، وأوضحت بهذا أيضا طريقها أمام الجميع .

وقد حدثت الاستجابة بشكل سريع ، فقد بدأ عبد الله العزب ـ في العدد الثالث من السنة الأولى ـ مقالاته القيمة عن « تاريخ الأدب العربي » وحظ اليمن منه ، واستغرقت هذه تسع مقالات ، وبدأ أحمد حسن الحورش ـ في العدد السادس مباشرة ـ مقالاته العلمية حول « علم التربية » ،

استمرت ثمان حلقات ، ثم كتب أحمد عبد الواسع الواسعي في العدد التاسع مسلسلة بعنوان « الكتابة واهتمام الأمة العربية بها » في أربع حلقات ، ورغم أن محمد حسن عماد الذاري قد طرق موضوع الزراعة والمزارعين في مقالة منفردة ، فقد بدأ الأستاذ زيد عنان - بعد عودته من بعثة العراق - في العدد الحادي عشر - يكتب عن نفس الموضوع - بعمق واستفاضة - تحت عنوان « الزراعة ثروة اقتصادية » بلغ عدد حلقاتها خمس . وتبعه عبدالواسع بن يحيي الواسعي في العدد الثاني عشر ، مقالاته « حسن الإدارة والتدبير والاقتصاد » وبلغ عددها تسع ، وان اقتصر عنوانها بعد الحلقة الأولى على : « في الاقتصاد » .

وفي العام الثاني من عمر « الحكمة » حافظت المجلة على أسلوبها ومنهجها رغم وفاة قائدها - أحمد الوريث - في خلال ذلك العام ، فقد واصل أحمد المطاع مقالات صديقه الوريث - مع الاحتفاظ بعنوانها وهو « الاصلاح » - وذلك من العدد الرابع أي عقب الوفاة مباشرة ، بل وأضاف إليها من العدد السادس حلقات قيمة جديدة في منهجها بعنوان « في التاريخ اليمني » عددها ست حلقات ، أما المؤرخ اليمني المعاصر عبد الله عبد الكريم الجرافي ، فقد التزم تقريبا بتحرير باب مختارات من الشعر القديم والحديث ، وأسهم فيه بسهم وافر ، وإن شاركه أحيانا الشاعر اليمني المشهور ابراهيم الحضراني في تحرير هذا الباب . وعاد الاستاذ زيد عنان - بعد انتهاء حلقاته عن الزراعة إلى كتابة بحث جديد عن : « أمراض الحيوانات وعلاقتها بالإنسان من الناحية الاقتصادية والصحية » ، استمر في نشره ثلاث حلقات . وفي العدد العاشر كتب محي الدين العنسي الحلقة الأولى عن : « اليمن السعيد بين الماضي والحاضر » .

أما في عام المجلة الثالث الذى لم يكتمل ، إذ ظهر فيه أربعة أعداد فقط منها ، فقد ظهرت فيه أيضا أبحاث جديدة لم يقدر لها أن تستمر لتوقف

المجلة عن الصدور، فبدأ علي محمد الزرقه موضوعا فى العدد الأول بعنوان « التعاون » استمر ثلاث حلقات . وكتب محي الدين العنسي فى العدد الثالث عرضا نقديا لديوان أحد الشعراء اليمنيين المعاصرين للاعلان عن النشاط الأدبي فى اليمن ، وكان ينوى المضى فى هذا المضمار . وفى نفس العدد بدأ زيد عنان مسلسلته الثالثة بعنوان « علم البلدان وفضل العرب فيه » .

وهكذا تتضح طبيعة محتويات المجلة ، كما يظهر مدى « التنوع » و« الاغتناء » الذى حظيت به نتيجة الاتجاه إلى « الشمولية » وليس « التخصص » واتباع « نظام الحلقات » . غير أنه من الملاحظ أن الإشارة إلى هذه « المسلسلات » وعناوينها وكتابها ، لا يعني إهمال باقى الجهود التى بذلت فى مقالات منفردة خاصة ، فكما لمسنا فى المسلسلات ، فقد طرقت أيضا المقالات المنفردة موضوعات متنوعة ، لم يكن المجتمع اليمنى التقليدى حينذاك قد اعتاد معالجتها ونشرها ، ولم يكن يحدث هذا إلا بشكل خاص فى الجلسات الخاصة ، أو فى المراسلات الشخصية التى عرفت فيما بعد باسم « البريد الأدبى » كما سنوضح فيما بعد . وبالإضافة إلى هذا وذاك ، فقد أغنت « المجلة » محتوياتها بما كانت تقتبسه من مقالات ومقتطفات من المجلات العربية والإسلامية مما كان يتناسب مع سياسة « الحكمة » وأهدافها ، وذلك لربط القارىء اليمنى بالإنتاج الفكرى الخارجى ، مع نشر أسماء مؤلفى هذه الاقتباسات والجهات التى نشرت بها .

وربما يحتاج الأمر هنا — بعد الحديث السريع عن المحتويات إلى تساؤل هام ، وهو كيف كان يخرج هذا كله إلى القارىء ؟ ، وهذا يحتاج إلى إشارة موجزة إلى إخراج المجلة . لقد سبق أن أشرنا إلى أن إخراجها كان يعد متقدما — بوجه عام بالنسبة لما كان سائدا فى اليمن حينذاك . ويتضح هذا بشكل كبير بالمقارنة بين « الإيمان » و« الحكمة » ، أو بين ما كان ينشر من كتب فى هذه الفترة ، رغم ما هو معروف من فوارق بين الجريدة

والمجلة . فبالرجوع إلى أعداد « الإيمان » يتضح أنها كانت تسير على وتيرة واحدة ، وتحافظ على أسلوب تقليدى جامد يشبه الاكليشيهات المحفوظة ، وتدور فى فلك الدولة — أو بالأحرى الإمام يحيى — ولا تحيد عنه . فقد كانت تبدأ بمقالة طويلة — فى العادة تتناول موضوع الشهر ، سواء كان موقفا أو قراراً للدولة ، أو حديثا عن مناسبة أو عيداً دينياً ، ويتلو هذا فيض من الأخبار الداخلية التى تدور حول مقابلات الإمام وأبنائه سيوف الاسلام وتنقلاتهم، وتعيينات كبار وصغار الموظفين على السواء ، أو حتى استئذان هؤلاء للحصول على أجازات قصيرة . وكان الجانب الأدبى فى الجريدة - وكان موضع الاهتمام — يتمثل فى القصائد الطوال التى تلقى فى مدح الإمام وأبنائه ، أو تكون بمناسبة دينية أو وطنية معينة ، أو رثاء لإحدى الشخصيات الكبيرة، ومع الاهتمام أيضاً بجانب المدح . ورغم اهتمام رئيس تحريرها : القاضى عبد الكريم مطهر - ثم السيد عبد الكريم الأمير ، بتطويرها نسبيا ، داخل الاطار التقليدى العام المرسوم لها ، مثل إفراد صفحة خاصة بالأخبار الخارجية اقتباسا من الصحف القليلة التى تصل إلى ديوان الإمام ، فقد كانت هذه الاقتباسات تخدم أغراضاً داخلية وظل التطوير محدوداً للغاية . ولا غرابة فى أن يظل مضمون وأسلوب الجريدة يصب فى قالب واحد ، فقد كان الإمام يحرص تماما طوال حياته على أن يراجع بنفسه بروفاتها قبل صدورها ، وهذا ما أكده لى الكثير ممن كانوا مقربون إليه ، أو ممن كانوا يعملون فى ديوانه .

أما « الحكمة » فقد خرجت إلى القراء فى ثوب مختلف تماما ، وزادها التنوع والاغتناء فى محتوياتها ، جودة فى إخراجها . ولهذا فنحن نوافق - بوجه عام - على رأى أحد أبناء سكرتارية تحرير مجلة الحكمة «الجديدة»

فى وصف المجلة الأم بأنها « مجلة متوسطة الحجم مبوبة تبويباً جيداً ». [1]
ولا شك أن هذا التبويب الجيــد ، وتفوق المجلة على « الإيمان » ، يفسر بأسباب عدة: منها تنوع مادة محتوياتها كما أشرنا ، ومنها أن هذا التنوع كان يطرق موضوعات جديدة يتطلع الأهالى إلى التزود منها ، ومنها الظروف الخاصة التى أحاطت صدور الحكمة والتى سنناقشها فيما بعد ، ومنها تكتل عدد كبير من متعلمى ومتحررى اليمن وراء صدور الحكمة، ومنها أن المسئول عن إصدار « الحكمة » والإشراف عليها كان السيف عبد الله ، الذى كان يمثل وجها مشرقا متقدما بالنسبة لأبية الإمام يحيى الذى كان يشرف على « الإيمان » .
غير أن هذه العوامل كلها التى تضافرت على انجاح « الحكمة » وتحسن إخراجها لاتجعلنا ننسى الإشارة إلى شائبة ضئيلة تتصل بالاخراج ، فمن ناحية ، وربما لظروف الفترة التى صدرت بها ، لم تتمكن المجلة من وضع أبواب ثابتة تحدد ملامح العدد ، وتربط بين الأعداد المختلفة ، مما يسهل أمام القارىء الرجوع إلى مايشاء ، بل كانت « المجلة » تتصرف فى حدود ما يصلها من مادة مكتوبة وفى حدود المسموح لها فى داخل الاطار العام للدولة ، ورغم هذا فقد استعملت « الأكليشيهات » الكبيرة فى عناوين المقالات والموضوعات ، وفى الأبواب التى حاولت تثبيتها مثل « من القراء » و « من الأخبار » وغير ذلك من الأبواب المتعارف عليها . ومن ناحية أخرى لم يهتم محررو « المجلة » بوضع الفواصل والنقاط ، أو وضعها ، فى غير موضعها ، مما كان يقلل من وضوح « الجملة » وتقسيماتها . وربما كان هذا يرجع إلى نقص فى إمكانيات « المطبعة » حينذاك ، وربما يعود هذا إلى تعود سكرتارية التحرير على أسلوب كتابة المخطوطات أو نسخها مما كان سائداً حتى ذلك الوقت بين متعلمى اليمن . ويلاحظ أن هذه الأمور الشكلية فى الكتابة

---

(١) عمر الجاوى : الحكمة « الجديدة » ، العدد ٢٦ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

لم تكن معروفة متداولة بشكل واسع بل كان العكس هو الصحيح ، وكان الاهتمام ينصب على الموضوع فقط مع إهمال الشكل . ورغم هـــذا فقد عوضت « المجلة » هذا النقص بأن قسمت الكثير من صفحاتها إلى عمودين، وقسمت كل عمود إلى فقرات ، وهذا يعتبر ثورة فى مجال النشر ، فقد كان السائد هو « الاستطراد » المستمر فى الكتابة سطرا بعد آخر ، ولم يكن هناك التفات إلى مسائل « التنسيق » هـذه . ومن مظاهر تطور الاخراج أيضاً ظهور فهرس لمحتويات العدد ، وظهر هذا فى آخر صفحة من العدد الأخير ، من الأعداد التى ظهرت[1] ، وكان هذا يبشر باضطراد إدخال التحسينات إليها إذا كان قد طال بها العمر . وبالإضافة إلى هذا وذاك فقد ندرت الأخطاء المطبعية بالمجلة بشكل كبير يثير الإعجاب ، وهذا ما لفت أيضاً نظر أحد الباحثين اليمنيين المحدثين فأشار إلى ذلك صراحة فى دراسته[2].

ويتعلق بالسؤال السابق سؤال آخر لا يقل أهمية وهو : من كان ـ إذا ـ وراء تخطيط المجلة ؟ أو بالأحرى من كان وراء توزيع المحتويات ؟ وهل كانت هناك مؤثرات خارجية ؟

ولقد كان هذا التساؤل ضمن التساؤلات الأخرى التى طرحتها للمناقشة مع بعض الشخصيات اليمنية ، فكان هناك إجماع حول الرأى القائل بأن : « الذى خطط للمجلة هو رئيس تحريرها الشهير أحمد بن عبدالوهاب الوريث مع مشاركة الكاتب السيد أحمد المطاع »(٣) وأن التخطيط « كان تقليدا للمجلات العربية الأخرى »(٤). وتعددت الإشارات لتحديد هذه المجلات،

---

(١) الحكمة : العدد الرابع ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، صفر ١٣٦٠ هـ « فبراير ١٩٤١ م » ص ١٢٨ .

(٢) **Abdallh Yahia El Zine : Le Yemen et Ses Moyens D' information, Tome I, P. 98.**

(٣) من إجابات الصفى أحمد الجراف .

(٤) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

فقيل أنها كانت تتشبه بمجلة « المنار » التى كان يصدرها الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا ، كذلك بمجلة « الرسالة » ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات ، ومجلة « الفتح » ورئيس تحريرها محب الدين الخطيب، ومجلة « التمدن الإسلامى » لشكيب أرسلان ، ومجلة « الحكمة البيروتية » ، وغير ذلك من الدوريات العربية الجادة من القاهرة ودمشق وبغداد [١]

ظروف صدور المجلة :

وربما يكمل ما سبق أن تناولنا من نقاط أن نوضح الخطوات التى تمت لإصدار « المجلة » ، ونعالج الأهداف والأغراض التى رمت اليها الأطراف المختلفة من وراء هذا الإصدار ، أو بمعنى آخر كيف صدرت الحكمة ؟ ولماذا ؟ فان تناول هذا الموضوع ربما يغطى ما يكون قد فاتنا توضيحه فى النقاط السابقة جميعها ، وفى نفس الوقت فانه بداية لتحديد الاطار الذى سنضع فيه المجلة فى النهاية .

وربما كانت البداية الطبيعية للاجابة على هذا التساؤل هو الرجوع إلى ماجاء فى إفتتاحية العدد الأول، فرغم أنها كتبت بالشكل التقليدى للافتتاحيات، فانها عالجت فى دبلوماسية عميقة الكثير من المسائل ذات الدلالات المتعددة ، التى تنير لنا الطريق وتحدد الخطى ، لنصل إلى ما نبتغيه . وقد جاء فيها : « وقد أشار سموه (السيف عبد الله) عليهم بأن يكون من أنفسهم جماعة مشتركة تضطلع بإنشاء تلك المجلة وتحريرها، فتلقوا إشارته العالية تلقياً وفقاً، وعولوا على سموه الملكى فى أن يوليهم رعايته العالية وتشجيعه الأدبى حتى يتسهل لهم قطع الشوط الأول فى مهمتهم الإنشائية، فأبدى حفظه الله من العطف والتأييد ماشجعهم على تحقيق تلك الفكرة الحميدة ، وتولى بنفسه إستصدار الرخصة

---

(١) من إجابات عبد الله حمران ، احمد المعلمى ، احمد المرونى .

اللازمة باصدار المجلة بعد تقرير أهدافها وقد نالت الفكرة حسن القبول في الحضرة العلية الإمامية فتفضل صاحب الجلالة أيده الله باصدار إرادته الملكية باعطاء الرخصة المطلوبة للجماعة المشار اليها بذلك ، وهذه الجماعة المشتركة تتألف من كاتب هذه السطور (أي الوريث) والسيدين العالمين علي بن إسماعيل المؤيد ، ويحيي بن حمود النهاري، والقاضي محمد بن أحمد[1] .
وهكذا بين لنا أحمد الوريث عدة أمور خلال هذه السطور فأوضح كيف صدرت المجلة ، ودور السيف عبد الله ووساطته لإصدارها ، وموافقة الامام على صدورها « بعد تقرير أهدافها » وبيان بأسماء أعضاء هيئة التحرير أو سكرتارية التحرير ، وذكر هذا كله في إطار مشحون بالمجاملة للسلطات ، وأنها صاحبة الفضل في إصدار المجلة ، باعتبارها — على الأقل — مجلة حكومية .

غير أن سطور الوريث تتصف بأنها عامة موجزة ، تتناسب مع طبيعة عصره ومع الشكل الرسمي للافتتاحيات ، ولكنها لا تعطي كافة الأبعاد الخاصة باصدار المجلة ، ولا تجيب على مختلف التساؤلات التي تثار في ذهن الباحث والتي كانت هي نفسها — أي هذه السطور — سببا في إثارتها . فقد حاولت جاهداً العثور على نص « رخصة » أو « إمتياز » إصدار المجلة فلم أصل إلى شيء ، بما في ذلك صفحات « الإيمان » الجريدة الرسمية لذلك العهد . وأكدت الاجابات المختلفة ما كنت أتوقعه ـ وهو عدم وجود أمر « ملكي » أو « وزاري » بصدور المجلة وبتحديد أهدافها وأعضاء سكرتارية تحريرها — « فلم يكن هناك إجراءات رسمية لإصدار المجلة ، فبمجرد موافقة الإمام يحيى على إصدارها اتخذ السيف عبد الله الإجراءات والأمر لمطبعة المعارف لطبعها مع جريدة الإيمان »[2] ، وهناك أيضاً من أجاب على سؤالي بتبسيط الأمر أكثر من

---

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث : الافتتاحية ، الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ، ١٤ ، ٢ .
(٢) من اجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

ذلك فقال : « تتم مثل تلك الاجراءات بأمر يصدره وزير المعارف فى وقته السيف عبد الله » (٣) . وترجع بساطة الاجراءات حينذاك — بل وقلة صدور الأوامر والمراسيم إلى فردية حكم الإمام يحيى ، وهيمنته على جميع الأمور بشكل مطلق ، فكان يكتفى بالأوامر الشفوية المباشرة للبت فى الكثير من شئون البلاد كبيرها وصغيرها على السواء . وهذا يعنى — بالنسبة «للحكمة» أن موافقته الشفوية على رأى السيف عبد الله كانت « هى الاجراء الذى أغنى عن كل شىء » (٢) .

وإزاء هذا فقد كان من الأجدى محاولة فهم أهداف وأغراض الأطراف المختلفة من وراء إصدار « الحكمة » أكثر من محاولة البحث عن الاجراءات الرسمية التى اتخذت ، حتى نصل إلى الاجابة المطلوبة لسؤالنا : كيف صدرت الحكمة ؟ ولماذا ؟ .

من البديهى أن يكون الدافع الثقافى من الدوافع الهامة لإصدار «المجلة» أو كما قيل : « إن الدافع إلى إصدار مجلة الحكمة هو الدافع إلى نشر أية مجلة علمية أدبية تاريخية يقصد منها تنوير الأفكار وتزويدها بما تنشره من علم وأدب وتاريخ مع تشجيع للكاتب اليمنى وفتح مجال للكتابة والنشر » (٣) . غير أن هذا الرأى يتصف بالعمومية ولا يمس دوافع إصدار « الحكمة » إلا مساً خفيفاً ، فقد تنوعت الدوافع ، كما تعددت مصادرها . ولمزيد من الشرح والتفصيل يمكن تقسيم الحديث هنا إلى قسمين : قسم يتصل بدوافع المسئولين ، وقسم آخر يتصل بالمحررين بوجه عام وليس بالهيئة المعلنة فقط التى سبق الاشارة اليها فى إفتتاحية الوريث ، ففى واقع الأمر : «لقد كان وراء صدور « الحكمة » من الرجال أكثر مما ظهر فيها من أفكاره» (٤) ، كما سيتضح فيما بعد.

---

(١) من إجابات الصفى أحمد الجراف .
(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .
(٣) من إجابات الصفى أحمد الجراف .
(٤) من إجابات الأستاذ عبد الله حمران ، ومحمد عبد الله الشامى .

لقد لعب سيف الإسلام عبد الله الدور الفعال فى ظهور « الحكمة » إلى الوجود ، لا لاقتناعه فحسب - باعتباره وزيراً للمعارف حينذاك — بفكرة أحمد الوريث حول ضرورة ظهور مثل هذه المجلة ، بل ايضاً لما بذله من جهد فى إقناع والده الامام بالموافقة عليها . وقد تعددت الآراء حول تفسير هذا «الاقتناع»، وهذا « الجهد » ، فقد قيل أن اقتناعه يرجع إلى تأثير أحمد الوريث وإلى رغبته فى الظهور بالمظهر التقدمى ، فى داخل البلاد وخارجها ، فقد: «كان السيد أحمد عبد الوهاب الوريث بعد أن انتقل من ذمار إلى صنعاء — كما سيتضح فيما بعد — يكرر زياراته لسيف الاسلام عبدالله الذى كان وزيراً للمعارف ، والذى أعجب بذكاء الوريث وطلاقة لسانه وبحوثه ، وفى خلال الزيارة والحديث كان يعرض على السيف عبد الله بعض المجلات التى تأتى من بغداد ومن القاهرة ودمشق بشكل متواصل ، فقد اشترك الوريث فى بعضها ، كما كان يعرض عليه بعض إقتراحاته ونقده على بعض المقالات من تلك المجلات ، واستعداده لأن يقوم بتحرير مجلة مماثلة لتلك المجلات ، وبما أن السيف عبد الله كان يحب الظهور بالمظهر التقدمى المنطلق الخارج على الأنظمة القديمة فقد اقتنع هو على أن يقوم الوريث باصدار مجلة مماثلة لتلك المجلات لتظهر حكومة أبيه الامام بالمظهر المتحرر المحب للاصلاح والتقدم ، وإستطاع السيف عبد الله أن يقنع والده الامام يحيى لذلك ، (بذلك) الغرض فأذن الامام باصدار المجلة على ألا تصدر إلا بعد عرضها على السيف عبد الله» (١) .

ومن ناحية أخرى ، ظل موقف السيف عبدالله من المجلة: «موقف المتبنى لها ليظهر بالمظهر المتحرر أمام الأحرار والمثقفين وجرهم إلى صفة المنافس لأخيه سيف الاسلام أحمد بصورة غير واضحة»(٢). ويتأكد تفسير موقف

---

(١) ، (٢) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

المسئولين من المجلة تفسيرا أساسياً في رأي آخر، فقد قيل: «وكان إقناع الامام بضرورة صدور المجلة هو ما يترتب عليه من دعاية طيبة وسمعة سياسية حسنة لاسيما واليمن مشهورة بالحكمة والعلم والعلماء، بالاضافة إلى أن السيف عبد الله كانت له طموحات سياسية أراد أن يحققها من خلال الأدباء والمفكرين... كما كان يحاول أن يستقطب هؤلاء، وأن يظهر بأفكار عصرية، وقد جعل المجله وسيلة للقائه بالنبهاء وحملة الأفكار»(١). ويبدو أن السيف عبدالله كان مفاوضاً ذكياً أمام والده الامام، فلم يعتمد فقط في إقناعه على ضرورة إصدار «مجلة» لمواكبة العصر، وتمثلا بما يصدر في البلاد العربيه من مجلات علمية، بل اعتمد أيضاً على فكرة أن وجود مثل هذه المجلة يتيح «للسلطات» فرصة التعرف على ما يدور في أذهان الجماعات المتعلمة، فبدلا من أن يتداولوا الآراء والأفكار في جلسات خاصة مع ما في ذلك من خطورة على «الدولة» فانه يجب على الأخيرة أن تتيح مجالا ومتنفسا أمام هؤلاء لينفثوا فيه مايدور في صدورهم، فيسهل على «الحكومة» تلمس التيارات الفكرية والسياسية المختلفة. وقد مارس السيف عبد الله هذا المفهوم بنفسه، فقد كان يقرب اليه الشباب والمثقفين ويجالسهم ويتبادل معهم الآراء المختلفة، وكان هؤلاء من جانبهم — سواء مدنيين أو عسكريين — يشعرون برغبته في معرفة آرائهم وكشف ما في نفوسهم فكانوا لا يتوانون في طرح أفكارهم - أو بعضها على الأقل - ليساعدوا على دفع عجلة التطور والاصلاح»(٢). وفي نفس الوقت فلا يجب أن نقلل من الجانب الشخصي لدى السيف عبد الله، فقد أظهر نشاطاً وتفتحا - بالنسبة للاطار العام الذي رسمه الامام يحي لليمن حينذاك - عندما تولى وزارة المعارف، وهذا ما يؤكد الرأي القائل: «وكان فيما يظهر يود أن يعمل مايعتبر تقدما بالبلد، لذلك بعث البعثات إلى الخارج وطبع بعض الكتب»(٣). وأيضاً نحن لا ننكر على السيف عبد الله

---

(١)، (٢) من إجابات الاستاذ أحمد المروني.

(٣) من إجابات الصفي أحمد الجراف.

طموحه الشخصي - في داخل ذلك الإطار - فقد كان شبابه وتعيينه وزيرا للمعارف يمنيان التطلع إلى المستقبل . وكانت هذه الفترة التي صدرت فيها «المجلة» هي الفترة التي بدأ فيها الإمام يحيى يعتمد على أبنائه في تولي الوظائف الهامة، فيوليهم الوزارات المختلفة - وكانت حينذاك أسماء على غير مسميات - كذلك حكم المحافظات المختلفة. ويهمنا هنا الإشارة إلى تولي سيف الإسلام أحمد امارة لواء تعز ، وكان يشار إليه حينذاك بأنه ولي العهد والإمام المنتظر، وذلك في نفس الوقت تقريبا الذي عين فيه سيف الإسلام عبد الله وزيرا للمعارف ، لهذا كان نشاط كل ابن من أبناء الإمام ، وعمله على ابراز كيانه - داخل إطار دولة أبيه الإمام - أمرا متوقعا ، ففي الوقت الذي تحمس فيه السيف عبد الله لإصدار «الحكمة» ، والتقرب من الشباب والمثقفين في صنعاء ، كان السيف أحمد يستقطب أيضاً في تعز الأدباء والشعراء والمثقفين، الذين كانوا يجدون فيه - أو يأملون فيه على الأقل حينذاك - وجه المستقبل الأفضل ، فقد حاول هناك أن يجعل من نفسه حارسا ومشجعا للأدباء والمفكرين، فآوى إلى مقامه (أي ديوانه) الكثير من اللامعين مثل الموشكي، والحضراني ، والفسيل ، والشامي ، والأستاذ نعمان ، والزبيري ، والمعلمي ، والعنسي وغيرهم ، ولذلك لم يعارض ظهور المجلة ، بل تمنى لو صدرت بتعز[1] .

ويكمل الحديث عن موقف السلطات المسئولة من صدور المجلة ، التعرف على موقف الإمام بشيء من التفصيل ، وخاصة لما عرف عنه من التوجس والحذر الشديدين من كل جديد ، بل وبالسير البطيء بأمور دولته حتى أنه اتصف بالجمود . وكان يعرف عنه أنه إذا وافق على مشروع ما ، يظل يرقبه في يقظة وتخوف حتى لا يتعدى هذا المشروع الحدود التي رسمها في ذهنه،

---

(١) من اجابات الأستاذ أحمد المروني .

وداخل الإطار العام الذى وضعه لدولته ، لذلك نراه يوافق على صدور المجلة على « ألا تصدر إلا بعد عرضها على سيف عبد الله » — كما ذكرنا — وكما كان يفعل هو بالنسبة «للايمان» ، وهذا أيضا ما ألمح إليه أحمد الوريث فى افتتاحيته فى عبارة موجزة ذات دلالة عميقة ، فأشار إلى أن الإمام وافق على صدور المجلة « بعد تقرير أهدافها » . وقد انعكس هذا بوضوح على موقفه : « مما كان ينشر فى المجلة فكان موقف الحذر الشاخص بعينه إلى ما قد ينتج من ذلك ويتحين الفرص لأولئك المحررين ، وكانوا على حذر وخوف من سطوته إلا أنه كان ذا أناة وحكمة فهو لا يعجل ولا تستفزه العبارات أو المقالات» ، ويواصل صاحب هذا الرأى قوله : «والذى أعتقده أنه أوكل أمر المجلة إلى السيف عبد الله ونادرا ما كان يبدى ملاحظاته»[1].

ورغم الإيجاز الشديد فى عبارات هذا الرأى فانه ينطوى على الكثير من الحقائق والمواقف — كما سيتضح فيما بعد — وخاصة إذا أدركنا طبيعة أوضاع اليمن فى عهد الإمام يحيى[2] . حقيقة كان هناك إجماع على أنه فوض أمر المجلة إلى ابنه السيف عبد الله ، غير أنه فى نفس الوقت : « كان يزوده بالنصائح ، ويحاول تحذيره من أن يترك الحبل على الغارب للمحررين فى المجلة ، وكان السيف عبد الله يستبعد ما كان يحذر منه الإمام أو يخشاه ثقة منه بالنفس ، ولعدم وجود المبرر للمخاوف ، أى أنه لم يشعر بأن هناك قصدا واضحا من المقالات يهدف إلى غرض سياسى ضد الإمام وأولاده بالرغم عن بعض نفثات الوريث وغيره»[3] .

---

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٢) لمزيد من الدراسة ، يرجع إلى كتابنا « تكوين اليمن الحديث » اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ — ١٩٤٨ ، من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، طبعتان ١٩٦٣ ، ١٩٧١ .

(٣) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

وكيفما كان الأمر ، فقد وافق الإمام يحيى على ظهور « الحكمة » استجابة لرأي السيف عبد الله ، أو بمعنى أدق لما أبداه من حجج ومبررات كما ذكرنا ، ورغم هذه الموافقة فقد ظل خائفاً متوجساً منها ، بل ومحذراً لإبنه مما ينشر فيها ، حتى أتيحت الفـــرصة له فأوقفها — وإلى الأبد — بحجج مختلفة ، وذلك في خلال الحرب العالمية الثانية ، فلم تعد إلى الظهور ، وعادت «الايمان» مرة أخرى ، وهذا ما سنناقشه فيما بعد . وقد سبق أن ذكرنا أن الإمام كان يخشى « الجديد » ، وإنه إذا وافق عليه يظل يرقبه في حذر حتى يبقى في الإطار الذي يرسمه هو ، غير أن الفترة التي ظهرت فيها « الحكمة » كانت فترة حرجة بالنسبة لحكمه ، فمن ناحية فقد حدث في عام ١٩٣٤ م (١٣٥٢/١٣٥٣ هـ) هزتان عنيفتان ، هزت نظام الحكم الإمامي القائم ، أولاتهما : الهزيمة أمام انجلترا على حدوده الجنوبية ، وعقد المعاهدة في فبراير من هـــذا العام ، وثانيتهما : الهزيمة أمام المملكة العربية السعودية على حدوده الشمالية في نفس العام ، وعقد معاهدة « الطائف » معها[1] .

وقد ترتب على هذا ظهور حركة معارضة لحكم الإمام ، أو على الأقل حركة سخط وتذمر ورغبة في الإصلاح كما سنرى ، وفي نفس الوقت عمل الإمام على تولية أبنائه الوظائف الرئيسية ، كما سبق أن ذكرنا . وهكذا يتضح أن الإمام يحيى وافق على طلب ابنه السيف عبد الله نظراً لهـــذه الظروف ، وان ظل يرقب « المجلة » ويحذر ابنه مما ينشر فيها حتى توقفت ، وهذا جميعه يحتاج إلى شرح وتفصيل .

مما سبق يتضح الموقف « الحكومي » من صدور « الحكمة » وبقى

---

(١) عمر الجاوي : نشأة الصحافة اليمنية . . الحكمة (الجديدة) العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ ، وللتوسع في دراسة تلك الأحداث يرجع إلى الباب الأول من القسم الثالث من كتاب: «تكوين اليمن الحديث ، اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ — ١٩٤٨م» .

أمامنا التحدث عن الجانب « الأهلي » ، أو بتعبير آخر موقف بعض الرجال الذين حرروا بها ، والذين أعطوا لها من وقتهم وجهدهم ما أكسبها تلك الشهرة التي لفتت إليها الأنظار . . . وقد سبق أن أشرت إلى أنه كان وراء الحكمة من الرجال أكثر مما ظهر فيها من الأفكار والآراء ، ويقصد بهؤلاء تلك الجماعة التي مثلت ضغطا على الإمام وابنه السيف عبدالله حتى صدرت المجلة ، والتي كان الإثنان يعملان على كشفها ، ومعرفة آرائها كما أشرت ، والتي ظل الإمام يرقبها ويحذر ابنه منها حتى توقفت المجلة ، والتي أعدم منها البعض وسجن البعض الآخر بعد فشل ثورة عام ١٩٤٨ . لذلك صدق القول بأن بعض من كتبوا لها ، أو اشتركوا في تنسيق الجهود لإخراجها لم تظهر أسماؤهم على صفحاتها ، لأن الإمام كان يكره ظهور اسمائهم على سطح الحياة الفكرية ، فهو يشك في نواياهم ، ولأنهم خافوا على « المجلة » أن يبطش بها الإمام وخاصة في بداية عهدها(١) . ويتأكد هذا إذا تصفحنا أعداد المجلة الأولى بصفة خاصة - بالإضافة إلى غيرها من الأعداد — إذ يتضح أمامنا أن الكثير مما ورد بها كان بدون توقيع ، وأن الأسماء التي ظهرت بها كانت محدودة تكاد تكون قاصرة على بعض أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة وليس جميعهم ، ثم بدأت — تدريجياً - تظهر بعض الأسماء ، بعد وساطات ومراجعات لدى الإمام كما سيتضح بعد قليل .

ويرجع هذا إلى التناقض البين بين الموقف « الرسمي » وموقف تلك « الجماعة » من المجلة ، واختلاف وجهات النظر بين الطرفين ، فقد « كان » غرض المسئولين من إصدار « الحكمة » هو التحدث عن أعمال الحكومة ومدحها وتدعيم سياستها كما كان الحال بالنسبة « للإيمان » ، ولكن لم يحدث هذا تماماً لأن من كان يحرر بها كان من الوطنيين » .(٢) ويذهب البعض إلى أبعد

---

(١) من إجابات القاضي محمد أحمد السياغي .

(٢) من إجابات الصفي أحمد محبوب .

من هذا لإظهار التناقض واختلاف وجهتى النظر، فقد قيل: «وكان إصدار مجلة الحكمة بمبادرة من صاحب الإمتياز سيف الإسلام عبد الله ابن الإمام الذى حاول استقطاب بعض الشباب الإصلاحى لدفنهم فى مجلة مطبوعة، وأن مجلة الحكمة «كرست كل موادها فى مصب واحد هو دفع اليمن بروح وطنية إلى مواكبة العصر الحديث بكل السبل. كانت صفحات الحكمة ٣٢ صفحة، جمع الوريث وصحبه فيها باقة من المعلومات والآراء المعبرة عن روح العصر مركزين جهودهم - كما يبدو من أعداد الحكمة - لخلق طليعة قيادية لحركة الإصلاح»(١)، ورغم أن هذا الرأى يحتاج فى بعض جوانبه إلى بعض المناقشة والتوضيح — كما سيتضح خلال إكمال هذه النقطة - فإنه فى نهاية الأمر يبرز التناقض الذى نتحدث عنه.

وإزاء هذه الرغبات المتعارضة، ولحرص الإمام وابنه السيف عبد الله على السيطرة على دفة الأمور فى «المجلة»، تم تشكيل هيئة السكرتارية لها من الأشخاص الأربعة الذين سبق الاشارة إليهم، دون غيرهم، رغم أنهم لم يكونوا — باستثناء أحمد الوريث — ممن تحمسوا لهذا المشروع أى صدور «الحكمة»، بل وكانوا جميعاً - بما فى ذلك أحمد الوريث - موظفين لدى الامام، أو بالتعبير المحلى حينذاك «كتاباً» فى ديوانه أى «مقامه» أو فى وزارة المعارف، فى وقت - بالنسبة لليمن - لم تعرف فيه التخصصات والمواصفات الدقيقة للوظائف والموظفين كما هو معروف الآن، ويعنى هذا إما أنهم موضع ثقة الامام وأنهم طوع بنانه، أو أنهم خاضعون لسطوته بحكم أنهم موظفون لديه، أو بحكم طبيعة الحكم الفردى المطلق فى عهده.

فمن ناحية، لم يختر أحمد عبد الوهاب الوريث ضمن هيئة السكرتارية

---

(١) عمر الجاوى: نشـأة الصحافة اليمنية، الحكمة (الجديدة)، العدد ٢٦، ذو الحجة ١٣٩٣هـ، يناير ١٩٧٤م، ص ٦٤.

إلا لأنه صاحب فكرة إصدار هذه المجلة ، ولأنه كان صاحب نشاط جم في المجال الفكري ، يصعب معه تجاهله عند تشكيل « هيئة السكرتارية » للمجلة ، ولأنه أخيراً — لم يبد منه — حتى وقت إظهار « الحكمة » — ما يخيف السلطة منه ، وذلك على عكس بعض العناصر الأخرى التي كان من المتوقع أن تختار ضمن هذه « الهيئة » ، والتي فرضت - كما سنرى - نفسها على صفحات « الحكمة » فيما بعد . ومن ناحية أخرى ، لمعت بعض الأسماء على صفحات « المجلة » بل وتولت مسئولية السير « بالسفينة » بعد وفاة أحمد الوريث ، كذلك كانت « حجر الزاوية » في الحركة الوطنية اليمنية حتى عام ١٩٤٨م ، ورغم هذا لم يقبل الامام تعيينها ضمن « هيئة السكرتارية » المشار إليها ، مثل أحمد أحمد المطاع ، وعبد الله العزب ، وغيرهما . لذلك عمل هؤلاء - رويداً - على التسرب إلى صفحات المجلة بعد محاولات مع الجهات المسئولة ، ثم فرضت وجودها حتى سيطرت على دفتها رغم أنف الجهات المسئولة ، وهذا ما جعل هذه الجهات تتحين الفرص حتى أوقفت « الحكمة » كما سنرى . ويرجع هذا إلى أن « المطاع والعزب وأمثالهما ممن كتب في المجلة ، كانوا لا يجرءون على إبداء آرائهم في ذلك (أي في صدور الحكمة) ، لأن الامام قد حبسهم لأنهم من دعاة الأحرار الذين لا يأمن الامام آرائهم ، وبعد إصدار المجلة عدة أعداد اشترك المطاع والعزب بواسطة الوريث» [1] . ويؤيد هذا الرأي أنه لم يظهر اسم عبد الله العزب إلا في العدد الثالث ، وبمقالة عن الأدب تحت عنوان « نظرة في الأدب وكيف يكتب » ، ولم يظهر اسم أحمد المطاع إلا في العدد الرابع بموضوع أدبي أيضاً تحت عنوان « إن من الشعر لحكمة » ، وان هذا وذاك - كأمثلة واقعية - توضحان كيف بدأت الحكمة ، وكيف خطت خطواتها الأولى في هذه الظروف الخاصة التي عاشتها اليمن تحت حكم الامام يحيى .

---

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

ونتيجة ظروف الإمام السياسية حينذاك إلى جانب طبيعة نظام الحكم الخاص الذى وضعه للبلاد ، ونتيجة طموحات إبنه السيف عبدالله إلى جانب محاولاته فى تجميع الشباب المتعلم حوله ، فإنه يمكن أن نقبل الرأى القائل : « ظهرت مجلة الحكمة إستجابة لتطور الفكر فى اليمن وظهور عدد من النبهاء والأدباء »[1] ، وذلك بالإضافة إلى موقفى الإمام وابنه السيف عبد الله فقد مثل هذا التيار الفكرى الصاعد : « ضغطا كبيراً على السلطات الحاكمة ، إذا زاد حينذاك السخط والتذمر على حكم الإمام ، الذى لم يجد مفرا أمام هذا الضغط — الذى سيتضح أبعاده فيما بعد — إلا الموافقة على صدور « المجلة » مثلما وافق على غير ذلك من الخطوات[2] . وكان النظام الإمامى — أو بالأحرى الوضع القائم حينذاك — يعانى من الهزائم التى تلقاها على حدوده الشمالية والجنوبية ، ومضطرا للاستجابة لذلك السخط والتذمر الذى بدأ ينتشر فى أوساط المتعلمين والقبائل على السواء ، حتى قيل : « وعلى أثر الهزيمة بدأ الإمام يقوم ببعض الاصلاحات الطفيفة مدارس ، ورش صناعية ، إلخ »(٣) . وأدى ازدياد السخط والتذمر إلى أن الكثيرين من اليمنيين خلال سنتى التسع والثلاثين والأربعين — الذين كانوا يعارضون الفكر والتقدم بالأسلوب الأجنبى ، بدءوا يتحمسون لإدخال الإصلاحات إلى داخل البلاد ، ويرتبطون بالدوائر الساخطة الأخرى ، ضد الأمام وحكمه مثل العناصر الشافعية ، والجماعات الدينية الزيدية المتطرفة(٤) .

لهذا كله ، علينا أن نتلمس الخطوات التى مارستها « عناصر السخط » هذه

---

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٢) من إجابات القاضى محمد أحمد السياغى .

(٣) عمر الجاوى : نشأة الصحافة اليمنية ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ — يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

(٤) Wenner, M.W. : Modern Yemen, 1918 — 1936, p. 82.

للضغط على الإمام وابنه السيف عبد الله ، حتى نتعرف على الأهداف التى رموا إليها ، والتى أدت فى النهاية إلى صدور « الحكمة » .

وربما كانت من المحاولات « الفكرية » الأولى تشكيل « لجنة التاريخ اليمنى » ، وربما هدف الإمام من وراء تشكيلها إلى غرض سياسى معين — كما تفعل بعض الحكومات — عن طريق إعادة كتابة تاريخ اليمن على حسب ما يقتضيه الحال حينذاك . وقد تم تشكيل هذه اللجنة قبل صدور مجلة « الحكمة » بحوالى عام ، فقد أعلنت جريدة « الايمان » عنها بقولها : « ومن آثار هذا الاهتمام (الخاص بوزارة المعارف) البارز توجيه عنايتها المشكورة إلى تأليف لجنة قوامها كل من السيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة ، والسيد العالم الذكى الأديب أحمد بن أحمد المطاع ، والقاضى العلامة عبدالله عبد الكريم الجرافى لجمع تاريخ اليمن وتهذيبه وتنقيحه وترتيبه على أكمل صورة تناسب روح العصر ، وتفى ببيان الحقائق المطلوبة ، وخصائص هذا القطر الميمون ، ولقد أحسن حضرة صاحب السمو الملكى المولى عبد الله بن أمير المؤمنين وزير المعارف الجليل فى انتخاب أعضاء اللجنة المشار إليها ، ويسرنا أن نتحف القراء بخبر شروع اللجنة فى القيام بما عهد إليها وانتدبت لأجله(١) . وبعد قليل انضم أحمد عبد الوهاب الوريث إلى لجنة التاريخ وانتقل من مدينته « ذمار » إلى صنعاء وذلك : « بناء على ماله من الكمال استدعاه سمو المولى العلامة سيف الإسلام — وزير المعارف حفظه الله من ذمار إلى صنعاء للاشتراك مع لجنة التاريخ فى العمل فكان ربان السفينة الذى يعتصم بالخيزرانة عند اشتداد العواصف ، ولم تقف نفسه الكبيرة وآماله الطامحة عند مزاولة مشاق البحث والتنقيب عن مهام مسائل التاريخ وكفى ، بل جنح إلى بث الثقافة وخدمة الأدب وتهذيب النفوس وإنارة الأفكار وإيقاظ الهمم ومواصلة النصح من طريق الصحافة فقام بمجلة « الحكمة اليمانية » الحرة بمؤازرة عامل لواء نهضة العلم والأدب وزير المعارف الجليلة مولانا سيف

---

(١) الإيمان : العدد ١٣٦ ، السنة الثانية عشرة ، شوال ١٣٥٦ هـ ، ص٦ ، ع٢ .

سيف الإسلام عبد الله »[1] . ويبدو أن انتقال الوريث من ذمار إلى صنعاء ليس نقلا لموظف عادى إلى العاصمة مكافأة له على ما أبداه من نشاط فى وظيفته ، ولكنه «استدعاء » من السيف عبد الله ـ كما جاء فى العبارة السابقة التى نشرت تأبينا له عند وفاته ـ إما للاستفادة منه ومن نشاطه فى مجال أوسع من مجالات الحكومة المركزية فى العاصمة ، وإما ليكون قريباً من هذه «الحكومة» وتحت رقابتها . فمن المعروف والشائع : « أن أحمد الوريث ما وصل إلى صنعاء إلا بعد أن وصلتها شهرته وشغلت المقامات العليا ... وكان قــــد اشتهر وذاع صيته فى ذمار وخطب على منابرها معلنا الدعوة للإصلاح العلمى ، والتغيير الفكرى ، والاجتهاد بصوت يشبه صوت الإمام محمد عبده والامام المقبلى ، وشيخ الاسلام الشوكانى ، وبنبرة مستمدة من الهمام جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان ، وذلك ما أقلق الحكام فاستدعوه إلى صنعاء وعينوه عضوا فى « لجنة التأليف » ثم رئيساً لتحرير مجلة « الحكمة اليمانية » وظل حتى مات فى ميعة الشباب قبلة إكبار واحترام الجميع » [2] .

والحديث عن أحمد الوريث ونشأته وعلمه ودوره بل ومدينته « ذمار » ذو شجون وقد يطول ، ولكن ما يهمنا هنا هو مواصلة الحديث عن « الموقف الأهلى » من صدور « الحكمة » وتناول الأغراض والأهداف التى وراء هذا الموقف حتى يتضح « الموقفان » اللذان أديا إلى صدور «المجلة». وربما يكمل ما نحن بصدده الاشارة إلى رأى أحد المعاصرين ـ رغم التحفظ تجاه ماورد به إذ أن بعض نقاطه تحتاج إلى مناقشة وتوضيح ـ فقد جاء به : « ارتفع اسم السيد أحمد الوريث فلم يترك الإمام يحيى بذمار ، فاستقدمه إلى صنعاء ليشرف على المعارف بالتعاون مع وزير المعارف سيف الإسلام عبد الله ، وكان المطاع مستشارا للمعارف والصحافة ، وبالتقاء الوريث

(١) أحمد المطاع : دمعة محزون .. الحكمة ، العدد ٣ ، المجلد الثانى ، السنة الثانية ، محرم ١٣٥٩ هـ ، فبراير / مارس ١٩٤٠ م ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمنى ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

والمطاع فى جهاز وزارة المعارف تمكنا من الاجتماع وتبادل الأفكار فيما يتطلبه الموقف من إصلاح ، وانتهيا إلى أن خير طريق هو التوعية الهادئة والهادفة ، فاتفقا على إصدار مجلة علمية أدبية تاريخية ، وبعد مساع وافق سيف الإسلام عبـــد الله وتعين الوريث رئيساً لتحرير المجلة وبذل هو ومجموعة من الشباب جهوداً من التنوير والتوعية ، أكسب المجلة مقاما كان له أثر فى المجتمع اليمنى سيما بين الشباب »(١) . ورغم عمومية الرأى وحاجته إلى المناقشة وتوضيح بعض نقاطه كما ذكرنا ، فإنه يشير إلى التقاء عنصرين من عناصر السخط والتذمر التى نتحدث عنها ، وإلى كيفية التقائهما وتقاربهما ، نتيجة عملهما فى مكان واحد هو وزارة المعارف ، وإلى الخطة التى ارتضياها معا ، والتى كانت تسمح بها الظروف حينذاك . وكما كان الوريث قمة ثقافية بالنسبة لتلك الفترة ، فقد كان أحمد المطاع كذلك بل ويفوق الأول بنشاطه السياسى الكبير ، مما حرمه من الانضمام إلى سكرتارية « الحكمة » كما رأينا ، ومما أدى إلى أن : « يتعرض للسجن مراراً ... حتى سيق من سجن « نافع » إلى ساحة « حورة » (٢) للإعدام فى أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - ابريل ١٩٤٨ م »(٣) . وكان العنصران يتمتعان بثقل كبير بين متعلمى اليمن حينذاك لما لهما من مكانة « ثقافية » و« اجتماعية » على السواء ، وهذا ما ساعدهما على الالتقاء بالسيف عبد الله والتأثير عليه كما ذكرنا ، وخاصة لأنه كان : « للوريث أسلوب جذاب عندما كان يتحدث وعندما كان يشرح كذلك كان أحمد المطاع بالرغم من أنه كان ضابطاً فى الجيش ثم خرج منه ليتفرغ لحياة الأدب والشعر والفكر » (٤) .

---

(١) عبد الله بن عبد الوهاب الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٨٨ .

(٢) يوجد سجن نافع وساحة حورة بمدينة حجة الشهيرة ، ويشبه اليمنيون هذا السجن بسجن الباستيل فى فرنسا لرهبته وقسوته ، ولأنه كان منزلا لكثير من أحرار تلك الفترة ، كذلك شاهدت ساحة حورة — بالقرب من السجن — إعدام أغلب ثوار عام ١٩٤٨ بعد فشل الثورة ، وقد زرت هذه الأماكن لشهرتها التاريخية مع بعض الأخوة اليمنيين خلال عام ١٩٧٣ م

(٣) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمنى ، ص ١٥٨ .

(٤) من اجابات الأستاذ أحمد المروني .

وإذا كان قد ظهر من العرض السابق كيف تم اللقاء بين الجانبين «الحكومى» و «الأهلى» كما اتضحت الظروف التى تم فيها هذا اللقاء، مع الإشارة إلى الخطوات العامة لأهداف الجانب «الأهلى» مثل: «الإصلاح والتطوير» و «التنوير والتوعية» و «خلق طليعة قيادية لحركة الإصلاح» وغير ذلك مما سبق الإشارة إليه، فإنه يزيد من توضيح هذه الأهداف الرجوع إلى ما جاء بالحكمة نفسها من إشارات وعبارات مع ملاحظة الظروف القاسية حينذاك - من سياسية واجتماعية - التى ألجأتهم إلى الأساليب الخاصة المغلفة للتعبير عن أهدافهم.

لقد وضع أحمد الوريث فى البداية - فى افتتاحية العدد الأول التى سبق الاشارة إليها - التعريف بالصحافة الجادة، وإنها مدرسة لنشر العلوم المختلفة، ولرفع الوعى بين الناس، كما أنها مرآة لأوضاع الحاضر، ثم يستطرد ليوضح أمام المسئولين وأمام من يريد الكتابة بالمجلة، الخطوط العامة التى يريدها «للحكمة» حتى قال: «فيا أيها العربى عموماً واليمنى خصوصاً إليك هذه المجلة الجامعة التى نرجو أن تحقق كثيراً من رغبات المثقفين وأن تكون البغية التى وجهوا إليها قصدهم وفتشوا عنها فى طيات الوجود. إليك أيها الأديب مجلة أخذت على عاتقها السعى فى الاصلاح والدعوة إلى الخير وتهذيب الأخلاق والثقافة الحقة ونشر أخبار صحيحة وإقامة سوق عكاظية للأدب والمتأدبين وإلقاء محاضرات على قرائها تتناول المباحث العلمية العالية وتشرح النظريات الصائبة وتخرج الفصول التاريخية من زوايا الاهمال»[1]. وفى افتتاحية السنة الثانية «للمجلة» أكد أحمد الوريث «المبدأ» الذى سبق إعلانه والذى سارت عليه فى عامها الأول، والذى يجهر بالتزامه

---

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث: الحكمة، العدد ١، السنة الأولى، ذى القعدة ١٣٥٧هـ، ص ٤ — ٥.

به هو ومن معه من المحررين الأحرار رغم وجود الصعاب « فليست ضآلة النتيجة وضيق دائرة النجاح بمثنية لعزم ذوى النفوس الكبيرة والهمم العالية ولا مخففة من حماس ذوى العزمات الصادقة والارادات القوية والأرواح الوثابة نحو إسعاد الشعوب وإصلاح شئون الأمم ، فهم — ما نبض فيهم عرق — ثابتون على مبادئهم سائرون فى الطريق »[1] . ويواصل حديثه عن هذا المبدأ ، بل — ويتعمق فى شرحه بكلمات ملتهبة مدوية ، وكأنه يبث بآخر كلماته إذ توفى بعد ذلك بحوالى شهرين فقط . غير أنه وجه كلماته إلى العالم الاسلامى ، لا لاتجاهه الاسلامى فحسب كما سنذكر فيما بعد ، بل أيضاً خوفاً من بطش الامام لأن فيها ما يمس أوضاع اليمن حينذاك فى الصميم فقال : « ذلك المبدأ الذى قوامه الاصلاح الدينى والاهابة بالمسلمين إلى أسباب سعادتهم وعوامل نهوضهم ومجدهم ، ودعوتهم إلى جمع الكلمة ولم الشعث ورأب الصدع وتنظيم الصفوف وتحذيرهم من التمادى فى خوض بحار التأخر وألا يغالوا فى بيداء الخمول والاستسلام والقبوع فى زوايا الكسل والبطالة والنوم على بسط الذلة والمهانة والرضاء بالعيش الخانع والحياة المرذولة وحفزهم إلى تحطيم قيود الجهل وتمزيق غشاوة الضلال وتبديد حجب الظلام الصادة عن إدراك أشعة الشمس ... وتشريح أمراضهم الأخلاقية والسياسية وتوصيف أدوائهم الاجتماعية والعادية (المقصود العادات) المنسوبة إلى الدين جهلا وغباوة ، وتشخيص الفتكات الصارمة ... وإرشادهم إلى طرق الوقاية منها ، وكيفية تطهير المجتمع الاسلامى من أقذارها واقتلاع جذورها من جسمه العليل »[2] .

---

(١) أحمد عبدالوهاب الوريث : الحكمة ، العدد ١ ، المجلد الثانى ، ذى القعدة ١٣٥٧هـ (ديسمبر ١٩٣٩م / يناير ١٩٤٠م) ص ٢ .

(٢) نفس المصدر .

وتمسك أحمد المطاع «بالمبدأ» نفسه — لأنه كان عاماً بالأحرار وليس شخصياً خاصاً بالوريث فقط — فأكد عليه فى افتتاحية السنة الثالثة بعد أن تولى تسيير أمور المجلة بعد وفاة صديقه وزميله فى الكفاح ، أحمد الوريث . ودون الحاجة إلى أن نكرر ماذكره أحمد المطاع عن هذا «المبدأ» أو الاشارة إلى ما كان يلجأ إليه — كما كان يفعل الوريث من قبل — من شكر ومديح للامام وابنه السيف عبد الله على ما يبذلانه من جهد لرعاية المجلة ولنشر المعارف فى اليمن ، فان ما يهمنا هنا هو الوقوف عند عبارته التى أشار فيها بطرف خفى إلى الأخطار التى تحيط بالمجلة من ناحية الحكومة ، وإلى ضرورة المحافظة على «المجلة» بالوقوف أمام هذه الأخطار ، وبالاستمرار فى مدها بالمقالات التى تساند رسالتها ، فقد قال : «وقد تصرم عامان وهى تمشى فى سبيلها دراكا مترفقة فى تقدمها ، متمسكة جد التمسك بمبدئها ، وكثيراً ما تحيق الأحداث بالمشروعات الكبيرة فى مبدأ عهدها ، فتعرقل من خطوها ، وتقلل من شدوها ، وتغض من محاسنها ، وتحول دون الاستمتاع بجنى ثمارها وشذا أزهارها ، غير أن العناية قد رافقت الحكمة فى سيرها فاستمرت فى دأبها ومسعاها الصحيح واتجاهها الحكيم ، وما انفكت موضع إعجاب قرائها وتقدير روادها لما اشتملت عليه من طرائف المباحث ، ولطائف الحكم ، وغالى النصح ، وجميل الآداب[1] .. ثم يدعو العلماء والكتاب إلى تزويد المجلة بكتاباتهم . ولا غرابة فى أن ينفث أحمد المطاع حينذاك هذه الكلمات المعبرة . فقد أوقفت المجلة فى هذه السنة ولم يظهر منها بعد هذا العدد الأول إلا ثلاثة أعداد فقط . ويبدو أن الوريث والمطاع ومن معهما من المفكرين الأحرار كانوا يدركون صعوبة ظهور مجلة حرة فى تلك الفترة ،

---

(٢) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى القعدة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٤٠م) ، ص٢ ، ع١ ، ٢ .

لذلك كتب أحمد الوريث مبكراً مقالة طويلة بعنوان « تاريخ الصحافة والصحف العربية ، نشوؤها وتطورها ، واجباتها وحقوقها ، نشرها في حلقتين متتاليتين عند بداية ظهور « الحكمة » إلى الوجود . وقد نادى الوريث فيها بمبدأ تقدمي هام — وفي وقت مبكر — بالنسبة لأوضاع اليمن حينذاك على الأقل ، ألا وهو « حرية الصحافة » وديمقراطيتها ، بمعنى أن تكون من أجل الجميع ، فبعد أن تحدث عن الصحافة العربية بوجه عام أشار إلى قلة الصحف في الجزيرة العربية وطالب بضرورة الاهتمام بها ، ثم أخذ يحدد الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصحفي ، كذلك حدد مميزات الصحافة الجادة ، حتى وصل النهاية فنادى بهذا المبدأ — بأسلوب مغلف — أيضاً — فقال : « كما أن على الصحافة والصحافي واجبات فلها حقوق ، يجب على الحكومات والشعوب القيام بها ، فمن حقوق الصحافة على الحكومات إطلاق الزمام لها في حدود القانون كي تستطيع أن تؤدي واجبها من التعليم والارشاد . وتتمكن من الانتشار بين طبقات الأمة ، والدخول إلى كل بيت ، فيستوي في الانتفاع بها جميع الطبقات وتسير بين الأمة السير الذي كتب لها ، ومن حقوقها على الحكومات والشعوب معاً المساعدة لها على وجه يضمن بقاءها وانتشارها ورقيها إلى أوج الكمال لأنها فرع من فروع المعارف ، بل هي من أكبر الوسائل لنشرها وإشراب روح الأمة حبها ، ويجب على الأمة أن تتسابق إلى اقتناء صحائفها وتشجيع القائمين على شؤونها بشتى الوسائل ومختلف الصور ، وأن يغذيها أدباء الأمة ومفكروها بالمقالات الضافية والمباحث العالية »[1] .

وهكذا يتضح تضارب الموقفين من صدور الحكمة :

---

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير/مارس ١٩٣٩م) ص ٨٥ — ٨٦ .

فالحكومة ترمى من ورائها - بوجه عام - خدمة أغراضها السياسية وتدعيم حكمها كما فعلت مع جريدة « الايمان » ، كذلك نشر المقالات الدينية التى تخدم أهدافها ، وفى نفس الوقت فلا بأس لديها من أن تسمح بظهور المجلة بمظهر جديد مغاير « للايمان » تشبهاً بما يحدث فى العالم العربى ، شريطة أن يخرج هذا «الجديد» عن الاطار التقليدى العام الذى رسمه الامام لدولته ، وكان حكم الامام — رغم الهزات الخارجية التى أصابت نظامه — قوياً باطشاً فى الداخل ، يتصف بالفردية المطلقة التى تغلف بثياب دينى حتى أن مكانة الامام لدى العامة وصلت إلى حد القداسة .

ومن ناحية متعلمى اليمن ومثقفيها — أو ما أطلقنا عليه « الموقف الأهلى » — فقد كانوا يجدون فى « المجلة » فرصة للتوعية والتنوير ، ولنشر الأفكار الاصلاحية ، حتى تسير البلاد - وبخطوات أوسع - فى طريق التقدم والتطور . غير أن هؤلاء كانوا يدركون جيداً الظروف العامة المفروضة عليهم ، وأن الامام قادر - لموقفه الفكرى والسياسى - على البطش بهم ، وعلى التنكيل بمحاولتهم الفتية أى «بالمجلة» . وأيضاً يفهمون جيداً أوضاع بلادهم الاجتماعية ، وأن الأهالى لا يقبلون الأفكار الثورية والتقدمية التى قد عرفت طريقها إلى البلاد العربية الأخرى ، لذلك اتخذوا الطريق الاصلاحى المغلف بالروح الاسلامية - كما سنرى بالتفصيل - سبيلا إلى نشر أفكارهم ، وكان هذا الأسلوب « الهادىء » هو أقصى ما يمكن القيام به حينذاك للظروف السياسية والاجتماعية السائدة .

ولقد أثر هذا « التضارب » - بين الموقفين « الحكومى » و «الأهلى» - فى تشكيل محتويات «المجلة» ، لا من حيث «التنوع» الذى سبق الحديث عنه من قبل فحسب ، بل من حيث الاتجاهات أيضاً ، إذ كان يوجد بها الاتجاه الدينى ، والاتجاه الاصلاحى ، والاتجاه العلمانى ، وبالاضافة إلى ذلك فكما كان يوجد ما يخص « الحكومة » والاشادة بأعمالها وخطواتها ، كانت توجد أيضاً

المقالات العلمية المجردة التي قد تشير إلى هذه الحكومة لا من باب المديح بل من باب الحث والتوجيه . لذلك كانت المحتويات خليطاً بين عدة اتجاهات كما سنرى ، فكما كانت تستجيب « للمفروض » باعتبارها مجلة حكومية — وتقع تحت ضغط سياسي واجتماعي معين — فقد كانت تعبر عن « الممكن » في هذه الظروف الخاصة ، ورغم هذا وذاك ، فقد ظل الامام حذراً متوجساً منها حتى توقفت بعد عمر قصير كما سيتضح .

اتجاهات المجلة :

إذا أردنا أن نتتبع هذه الاتجاهات من خلال ما جاء بالمجلة ، فعلينا في البداية أن نعرف انطباعات من عاصروها ومن حرروا بها لنصل في النهاية إلى إبراز وضعها الفكري حينذاك . لقد كان الاتجاه الإسلامي - حقيقة - هو الطابع الغالب على اتجاه المجـــلة ، وخاصة في بداية عهدها تحت إشراف أحمد عبد الوهاب الوريث ، لا لميوله وثقافته فحسب ، بل أيضا للاتجاه السائد حينذاك ، وحتى تستطيع أن تثبت أقدامها لبعض الوقت . . بالإضافة إلى ذلك ، بدأ يبرز الاتجاه الإصلاحي والعلمي الحديث تدريجيا حتى بدا واضحا ، هذا إلى جانب اتجاه وطني محلي يرفع من شأن اليمن واليمنيين ، وقد لمع هذا وذاك — بصفة خاصة عندما عاد أعضاء البعثات اليمنية إلى العراق وبدأوا يحررون بالمجلة ، أو غيرهم ممن تأثروا بالاتجاهات الحديثة التي كانت قد بدأت تنتشر في البلاد العربية الأخرى .

وقد ظهر هذا في رأي أحد معاصريها فقد قال : «كان يغلب على تحرير المجلة الطابع الإسلامي بالنسبة لأغلب المقالات تمشيا مع الطابع السائد في البلاد تحت حكم الإمام يحيي ، من حيث سياسة الدولة ومن حيث المعاهد العلمية ، وأيضا لأن ثقافة أغلب المحررين يغلب عليها الثقافة الإسلامية التقليدية نظرا لنوع التعليم السائد في البلاد ، ويلاحظ أن الاتجاه الإسلامي

هو الذى أدى إلى التقارب بين الأحرار اليمنيين وبين الإخوان المسلمين فيما بعد وحتى سنة ١٩٤٨ م »(١) .

ورغم أن الجزء الأخير من هذا الرأى يحتاج إلى بحث خاص، فيمكن القول - بالإضافة إلى ماجاء به من تفسيرات - بأن بعض أصحاب هذا الاتجاه كانوا - وعلى رأسهم أحمد الوريث فى مقالاته تحت عنوان «الإصلاح» الشهيرة - يريدون « معارضة الإمام بنفس السلاح الذى رفعه وهو «الدين» ، فقد قيل : « كان (أى الوريث) بلا شك شديد الخوف من عتاب الإمام يحيى ، لهذا انتهج فى كتابته أسلوب التاريخ الإسلامى ، فكان يكتب عن عدل الخلفاء الراشدين وعن مواقف الحكم عند معاوية وعن الفتوحات فى عهد بنى أمية ، وعن تشجيع خلفاء بنى العباس للعلماء والتعليم . وكان بهذا يحارب الإمام يحيى بسلاحه « الدين » فكأنه كان يقول له أنظر كيف كانوا ، أو انه كان يقول « وأضرب لهم مثلا » . وكان أحيانا يختم بحثه بهذه الكلمة : « كان هذا شأن الإسلام ورجاله فأين نحن اليوم »(٢) . ولهذا الطابع السائد ، ولأنه كان تغليفا لأغلب محتويات المجلة ، فقد رأى أحد المعاصرين المسنين أن الجديد الذى آتت به « المجلة » كان « فى مجال التاريخ والأدب »(٣) ، وذلك لأن بعض محرريها وجدوا فى هذا المجال متنفسا لهم .

وقد عبر عن هذا أحد ناقدى حكم الامام يحيى ، والذين هاجموه على صفحات إحدى الجرائد القاهرية - وهى الصداقة - بتوقيع « يمانى حر » دون أن يذكر اسمه ، فقال : « . . . أما مواضيع المجلة فقد وجدت مجالا

---

(١) من اجابات الصفى أحمد محبوب .

(٢) عبد الله البردونى : رحلة فى الشعر اليمنى ، ص ٥٣

(٣) من اجابات الصفى أحمد الجراف .

خصبا من تاريخ العرب العام والأدب العربي . . »[1] ، فمن خلال هذا كانوا يجدون الفرصة للتعبير عن آرائهم .

وفي هذا الاطار كان اتجاه المحررين الأحرار : «هو النزوع إلى الفكر الجديد وتطوير الأساليب القديمة وجعلها تتمشى مع مقتضيات العصر ، وكان (أيضا) تتبع سير التفكير في العالم العربي والثورة الأدبية والسياسة التي قادها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وقاسم أمين والرافعي وغيرهم » . . ، وأن المجلة بهذا : « . . . جاءت بأسلوب أدبي جديد أيقظت من خلاله الوعي الوطني ، واستخدمت تحليل التاريخ وسيلة لتوجيه الفكر توجيها وطنيا وسياسيا . . »[2]. وقد تضافر هذا الاطار العام - أي الاسلامي - مع النزعة الاصلاحية في صبغ خطوات المحررين واتجاهاتهم ، فقال : « التفكير السائد لدى الكتاب هو إصلاح ماهو قائم »[3]، كما قال : « الهدف الرئيسي (لهم) هو نشر وعي ما »[4] .

وبناء على ماسبق أن عرضناه - منذ الحديث عن الموقف الحكومي والموقف الأهلي - فإنه يمكن أن نتوقع - بل وأن نؤكد - أن اتجاه « المجلة » كان إصلاحيا وليس ثوريا ، لعدم توفر ظروف قيام الثورة ، وحتى يتم خلق جيل واع مستنير . وأكد هذا رأي أحد معاصريها ، فقد قال : « كان الطابع السائد بين المحررين هو الدعوة الاصلاحية والاقتناع بها وكونها إحدى طريق إلى إيقاظ الشعور الشعبي لاخراج اليمن من عزلتها ،

---

(١) عبد الغني الرافعي : اليمن ظاهرها وباطنها » ص ٥٥

(٢) من اجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٣) من اجابات الأستاذ عبد الله عمران والأستاذ أحمد المعلمي ، والأستاذ محمد عبد الله الشامي .

(٤) من اجابات الصحفي أحمد الجراف .

وأما مصدر ثقافة محرريها فهى الكتب الإصلاحية كالعروة الوثقى وما كان ينشره السيد جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده والكواكبى وغيرهم . . (وإنها) بالنظر إلى اليمن جديدة فى آرائها ، فى معالجتها الاصلاحية ، فى أدبها الجديد العصرى »[1] . ولا شك أن « الاتجاه الاصلاحى » و « المحاولات العصرية » كانت خطوة متقدمة متطورة بالنسبة للأوضاع حينذاك — كما سنرى — حتى شعر « القراء » — وهم بلاشك قلة محدودة — أن هناك شيء جديد يخلق ، لا من حيث الموضوعات الجديدة التى تنشر فحسب ، بل من حيث المعالجة الحديثة لهذه الموضوعات أيضا ، هذا إلى جانب الاتجاهات والمفاهيم العصرية التى بدأت تبرز على صفحات المجلة . ولهذا كله مثلت المجلة شيئا جديدا بالنسبة لما كان ينشر فى تلك الفترة ، فقد قيل : « الجديد فى المجلة هو إيقاظ الوعى الوطنى عن طريق الأدب ، وتحليل التاريخ بالأسلوب العلمى ، والخروج عن الأساليب التقليدية فى الكتابة ، بل كانت نداء لتحرير الفكر من التهيب والخوف وتحرير الأقلام من السجع والتملق، كما كانت منطلقا فكريا رحبا تجاوز نهج جريدة «الإيمان» بطقوسها الرسمية السخيفة . وكان أبرز المواضيع الجديدة فيها هو إقحام العلم لحل القضايا التى كانت توكل للقضاء والقدر ، وظهور القصة لمعالجة المشاكل الاجتماعية ، كما ظهرت النظريات التربوية وعلوم الاجتماع »[2] . ومن الطريف الإشارة إلى التقريظ الذى قدمته « الإيمان » لزميلتها « الحكمة » عقب صدور عددها الأول مباشرة ، وربما كان هذا التقريظ يقصد به الإشادة بعمل « حكومى » جديد ، وأنه إسهام من جانب السيف عبد الله وزير المعارف — كما قيل — لخدمة العلم فى اليمن ، وربما كان تحايلا من هيئة تحريرها للاشادة بالمجلة ـ وخاصة أن كلمة الإيمان كانت بدون توقيع ـ والتحمس لرسالتها التى

---

(١) من اجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٢) من اجابات الأستاذ حمد المرونى .

لم تستطع الجريدة تحقيقها ، فقد جاء بهذا التقريظ : « . . . وأنا مع إعجابنا البالغ نقدر لهذه الهيئة حركتها العلمية والأدبية الاجتماعية الوطنية ونشكر أعضائها ولاسيما موجد هذه الفكرة الحسنى وزير المعارف المشكورة هماته ، المعروفة عزماته ، فى مشاريع المعارف والصنايع وسائر المشروعات ، كهذه العزيمة الصادقة التى أوجدها إلى حيز العرفان ، بعد أن كانت داخلة فى حيز عدم الإمكان زاده الله اقداما واهتماما . وها أن جريدتنا تبدى بعد هذا فكرتها فى إنعاش هذه المجلة الاصلاحية الاجتماعية العلمية الوطنية ، وما به استمرار انتشارها . . (١) ، وهكذا تواصل « الجريدة » تقديمها « للمجلة » ، ولكن ما يهمنا فى هذا الصدد هو الوقوف عند التعريف الذى قدمت به « الإيمان » زميلتها بأنها مجلة : « اصلاحية اجتماعية علمية وطنية » ، وأن هذا التعريف هو الذى شاع عن المجلة ، وأنه هو الذى حرصت عليه المجلة طوال عهدها القصير .

وهنا يجب التعرض لمحتويات « الأعداد » حتى نقف على حقيقة الناحية الموضوعية للمجلة ـ بعد أن تعرضنا لناحيتها الشكلية من قبل ـ وحتى نتبين ما شاع عنها وما حرصت على تحقيقه . وقد سبق أن ذكرنا عن محتويات ـ « المجلة » أنها تضمنت شتى المواضيع والمجالات أى تميزت « بالتنوع » وليس « بالتخصص » ، وأنها احتوت على المقالة إلى جانب الخبر ، وأنها تغلبت على صغر حجمها باتباع طريقة الحلقات والمسلسلات ، وأنها لجأت إلى ذلك كله باعتبارها المجلة « اليتيمة » فى اليمن ؛ فقامت « بدور الصحيفة والجريدة والمجلة والكتاب فى نفس الوقت » . (٢) وقد تحدثنا فى هذا العرض السريع إلى إنقسام المحتويات إلى دين وسياسة وأدب وتاريخ

---

(١) الإيمان : العدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشر ، ذى القعدة ١٣٥٧ ج ٠ ، ص ٣ ، ع ١ ، ٢ .

(٢) عمر الجاوى : نشأة وتطور الصحافة اليمنية .. الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذى الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

واقتصاد وغير ذلك ، ولكن ما نرمى إلى دراسته هنا هو إبراز « الاتجاه » أو « التيار » أو « الجديد » ـ من خلال هذه المحتويات ـ مما أعطى للمجلة شهرتها وثقلها .

ومن الصعب أن نبرز هذا كله عن طريق عرض محتويات المجلة ، العدد بعد الآخر حتى نصل إلى آخرها ، إذ يدخلنا هذا المنهج فى متاهات وتفاصيل لاحصر لها قد لاتؤدى إلى الوصول إلى الهدف المنشود . ولهذا فقد رأينا أن يكون العمود الفقرى لهذا العرض التحليلى الموضوعى للمحتويات هو تتبع « الاتجاه العصرى » و « التيار الجديد » الذى أظهرته « المجلة » فى المجالات المختلفة ، دون التقيد بتوالى الأعداد أو بتوالى الموضوعات حسب ظهورها . ويعترض هذا المنهج أيضا صعوبات شتى ، فربما يؤدى بنا إلى التخبط بين مواد المجلة المختلفة بحثا عما نبتغيه دون أن ـ يكون هناك خيط رفيع يربط خطواتنا إلى بعضها البعض . ومن ناحية أخرى فكما كان علينا تحديد الاتجاهات التى أتت بها المجلة بين طياتها ، فعلينا أيضا تتبع تطور هذه الاتجاهات صعودا أو هبوطا . لذلك وضعنا نصب أعيننا أن يكون الخيط الذى يربط نقاط العرض هو تحرى « الجديد » فى أنحاء المجلة ، وأن يكون هذا التحرى داخل الموضوعات المتشابهة كل منها على حدة ، أى نتلمس ـ على سبيل المثال ـ الجديد فى الجانب التاريخى ، بعد أن نجمع كل ما كتب عنه إلى بعضه البعض ، ونلقى عليه نظرة إجمالية شاملة لتحقيق هذا التحرى ، وهكذا مع باقى العلوم والفنون المختلفة ، حتى نصل فى النهاية إلى كشف الروافد المختلفة للتيار الرئيسى للمجلة ، وهو التيار الاصلاحى العصرى الجديد .

جانب الأدب :

ويمكن فى البداية أن نتحدث عن « الأدب » فى المجلة باعتباره رافدا هاما من الروافد التى أشرنا اليها ، وذلك لا لأنه احتل مساحة كبيرة من صفحات المجلة فحسب ، ولأنه شغل جزءا كبيرا من تفكير المحررين على اختلاف مشاربهم ، بل أيضاً لأهمية «موضوع الأدب »فى حد ذاته بالنسبة لمختلف اللغات ، وللثقافة السائدة فى اليمن حينذاك ، فمن المعروف أن الدراسة التقليدية تعتنى بالنواحى الأدبية كما تعتنى بالتراث العربى والإسلامى بوجه عام . ولقد تعددت صور اهتمام المجلة « بالأدب » ، فالى جانب المقالات الطويلة ذات المقدمات المستفيضة عن تاريخ الأدب العربى منذ أقدم العصور حتى الأزمنة الحديثة ، مع إبراز الجانب اليمنى خلال هذا التطور الطويل ، فقد أفردت أبوابا خاصة أدبية مثل : « مختارات الحكمة من الشعر القديم والحديث » وغيره . ولا يهمنا هنا كثيراً تتبع النشاط الأدبى فى المجلة بقدر ما يهمنا تتبع المفاهيم الجديدة للأدب وتطوراتها ، فقد كان النشاط الأدبى بها — بوجه عام — صفة غالبة ، وكان المحررون — فى مختلف المواضيع — يتبارون فى العناية بأسلوبهم وبالمحسنات اللفظية المختلفة ، نتيجة طبيعة العصر ، والثقافة السائدة .

وقد ظهر الاهتمام بالأدب وبتطوره منذ اللحظة الأولى لظهور المجلة ، فمنذ العدد الأول منها بدأ تناول موضوع الأدب وتاريخه ، ثم تطور هذا الاهتمام مع تطور المجلة . وتميز هذا كله بأمرين هامين : فمن ناحية ، المزج بين الأدب والتاريخ لابراز دور اليمن واليمنيين ، وإسهامهم فى إثراء الأدب العربى بوجه عام . ومن ناحية أخرى التركيز على النشاط الأدبى الوطنى - أى المحلى - لإعلاء صوت اليمن فى المجال العربى والإسلامى ، ولإثبات وجودهم فى هذين المجالين ، وللتعريف بنشاطهم ، نظراً للعزلة التى فرضها الامام يحيى على البلاد فى تلك الفترة .

وكانت البداية عند محمد بن أحمد ـ أحد أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة السابق الإشارة اليهم ـ فقد نشر فى العدد الأول من المجلة كلمة قصيرة تحت عنوان « مقدمة » ، وكانت بداية لسلسلة طويلة من المقالات ـ بلغت السبع ـ عن تاريخ الأدب العربى ، وكانت كل منها تأخذ عنوانا خاصا ، وكان عنوان ـ الأخيرة منها ـ التى وقعها باسمه كاملا [١] ـ : « الأدب فى القرن الأول الإسلامى وتطوراته العظيمة » وكانت البداية طيبة دون شك من جانب صاحبها ، فقد حاول ـ فى خلال مقالاته ـ أن يعرف الأدب ويتحدث عنه ، ولكنه خلط بينه وبين باقى العلوم والفنون ، كما حاول أن يتناول الخط الأدبى ولكن خلط بينه وبين المؤثرات الإسلامية على الأدب العربى. وهكذا ظلت المحاولة الأولى تهتز بين المعالجة التاريخية للأدب وبين التأثير الدينى على تطور الأدب. وربما يرجع هذا إلى قرب الكاتب من الامام وخوفه منه ، أو يرجع هذا إلى الثقافة السائدة وفهم المؤلف للموضوع الذى يتناوله ، وإلى أن محاولاته هذه كانت المبادرة الأولى فى هذا المجال . ورغم هذا كله ، فقد وضع محمد بن أحمد البذرة الأولى ـ للتحدث عن الأدب اليمنى فى حد ذاته داخل إطار الأدب العام ، وفتح المجال أمام الآخرين لا كمال ما قد فاته ، فقد قال : « ولما كان السياق هذا مسوقاً لتمحيص حقيقة الأدب والأدباء ونشر عرفانهم وآثارهم

---

(١) وقع خلاف فى البداية حول تحقيق شخصية محمد بن أحمد ، فقد ظهر اسمه هكذا فقط عند تشكيل هيئة سكرتارية المجلة ، وحافظ على هذا التوقيع عند نشر مقالاته . وذهب الأستاذ على أبو الرجال الى أنه محمد بن أحمد المطاع اعتماداً على بعض الروايات ولشهرته بالأدب والعلم حينذاك ، وذهب الأستاذ أحمد المرونى الى أنه محمد بن أحمد عبد الرحمن الشامى ، ولكن أكد لى آخرون أن الأخير كان صغيراً ولم يكن قد بدأ نشاطه الأدبى بعد عند ظهور الحكمة . والمرجح أنه محمد بن أحمد مطهر أحد كتاب « المقام » أى ديوان الإمام ، فقد ظهر الإسم كاملا بعد الحلقة الأخيرة من دراسته ، كما كان أحد أفراد أسرة المطهر التى اشتغلت بالكتابة لدى الإمام ، فكان الأخ الأكبر وهو عبد الكريم مطهر بمثابة الكاتب الأول فى مقام الإمام ، كما تولى رئاسة تحرير جريدة الايمان فترة من الزمن ثم تلاه فى رئاستها السيد عبد الكريم الأمير .

من الماضين والغابرين والمعاصرين من نال درجة يستأهل بها إمرار شخصيته ونشر آثاره الأدبية ، وكان هذا القطر اليماني الوحيد فى عزلة عن الأمم والشعوب وأدباؤه فى غاية التفوق فى هذا الميدان إلا أن آثارهم عافية فى سائر الأقطار بل وأسمائهم ، ولم تظهر نجوم سماء الأدب اليماني فى قبة آداب البلاد الاسلامية الآخرة ، أردنا أن نفتتح باباً واسعاً فى آداب اليمن وأدبائه العظام نبحث فيه عن تطور الأدب اليماني فى القرون والأجيال ، وما وصل اليه من الحالات فى الأزمنة الطوال ، فلذلك ولجنا هذا الباب مبتدئين بنبذة وافية فى الأدب ومعناه ومراميه ومراتبه وتاريخه وهويته وأقسامه ومراتبه على وجه التفصيل ، ونستمر فى النشر فى المجلة الجليلة هذه مطلقين عنان القلم فى هذا المضمار ، ولا سيما فى البحوث الأدبية اليمانية ، ونشر الثقافة الأدبية اليمانية فى سائر الأقطار بهذه الوسيلة ، ليكون أخواننا المسلمون على بصيرة من أمر أدبنا وأدبائنا ، والله الموفق لما فيه الخير والهداية ، [1] .

وهكذا حددت المحاولة الأولى الغرض من الكتابة عن الأدب ـ العربى وتطوراته وان جانب هذه المحاولة الصواب ، فلم يصل كاتبها خلال مقالاته العديدة إلى ما يصبو اليه نظرا لخلطه بين الأدب والدين . وقد التقط هذه المحاولة « عبدالله العزب » ـ عندما سمح له بالكتابة ـ فأوصلها إلى قمتها وغايتها وبدأ بالتعريف بمعنى « الأدب » وبتطور المعنى على مر العصور ، ثم أخذ يتحدث عن الأدب العربى وتطوراته ، وعن الأدب اليمنى وكيفية معالجته وأنه يحتاج إلى من يخلص له ولكتابته ، حتى يلم بشتاته : « ثم يضع الكل فى الميزان ، ويحلل ويوازن ويخرج للناس صورة تبهج الناظر ، وترفع مستوى البلاد الأدبى ، وما هذا بعزيز على من يضطلع بهذا العمل الخالد ، برا بالأدب

---

(١) محمد بن أحمد : مقدمة ، الحكمة ، العدد الأول ، السنة الاولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧هـ ، ص١٢ — ١٣ .

وإكراما لأهله ، وخدمة للشعب العزيز » . [1] ويكمل هـذا المنهج وهذا الإخلاص ، الفهم الدقيق لدور الأدب فى العصور المختلفة ، فقد وصل « العزب » إلى دقة الفهم لما تناوله ، وإلى قمة الروعة فى المعالجة ، عند ما ربط الأدب بالحياة الاجتماعية ، وجعل هذا الربط هو المجرى الذى حفره لتيار الأدب اليمنى عبر العصور . وقد وضع هذا المنهج خلال الحلقة الأولى التى بدأ بها مقالاته المطولة التى بلغ عددها تسع ، فقال : « حقاً أن الأدب بهذا المعنى الأخير، هو ظل الحياة الاجتماعية يمتد بامتدادها ، و يتلقص بتقلصها ، وعلاقتها كعلاقة الروح بالجسد ، والنور بالشمس ، وإنك إذا أردت أن تشاهد أصدق صورة للحياة الاجتماعية فعليك بإرسال الطرف إلى طروس الأدب وصفحاته ، فهنالك ترى الحياة بألوانها وخادعها ، وجدها وهزلها ، ومساوئها ومحاسنها ، هنالك ترى القلوب وعزماتها ، والنفوس ورغباتها ، والعقول وآياتها ، والأفكار ومجالاتها ، هنالك ترى ضوضاء الحياة ، وصخب الاجتماع ، وكفاح المجدين ، وعبث اللاعبين ، وصرخات المنكوبين ، وأنات المهضومين . وتعلات الآمل ، ومرارة اليأس ، وشكاوى المحبين وصلف المحبوبين [2] .

ولا شك أن عبد الله العزب — بتقديمه لهذا المنهج — كان يقدم شيئاً جديداً بالنسبة لمعاصريه فى اليمن ، وكان يريد أن يحررهم من الالتزام بالمنهج التقليدى الذى يدور حول نشر بعض النصوص الأدبية القديمة مع التغنى بمحاسنها - وهو ما ظل قائما فى نفس الوقت على صفحات المجلة وغيرها - ويطالبهم بالأخذ بمنهج حديث يغوص وراء تحليل وتفسير هذه النصوص باعتبار الأدب مرآة للواقع الاجتماعى . وقد ظهرت رغبة « العزب » هذه فى العنوان الذى وضعه للحلقة الأولى من مقالاته وهو : « نظرة فى الأدب وكيف يكتب » وكأنه بذلك أراد أن يضع درساً أو بالأحرى تحديا لما هو سائد . أما

---

(١) عبد الله العزب : نظرة فى الأدب وكيف يكتب ، الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير/ مارس ١٩٣٩م) ص ٨٢ .

(٢) نفس المرجع : ص ٨٠ .

العنوان الثابت الذى اتخذه لباقى الحلقات فهو : « نظرة فى الأدب العربى القديم وحظ اليمن منه » ، فهو لا يوضح فحسب الغرض من كتابة هذه المقالات ، بل يدل أيضاً على عقلية علمية واعية ، فلفظ « نظرة » لا يدل على التواضع المطلوب من العلماء فقط ، بل يدل أيضا على أن مقالاته هذه إنما هى محاولة فحسب ، يرجو أن يتلوها محاولات أخرى لمن يريد إلى ذلك سبيلا .

وقد ظل «العزب» يضع منهجه نصب عينيه لا يحيد عنه ، وظل ملتزما به طوال مقالاته ، ففى بداية حلقته الثانية مباشرة رسم الظروف الجغرافية للجزيرة العربية ، واختلاف البيئات الطبيعية والبشرية بها ؛ أى أنه ربط بين الواقع المادى والحياة الاجتماعية ، وأظهر مدى التأثر والتأثير بينهما ؛ فوضع يده بذلك على عامل هام من العوامل المؤثرة على التراث الأدبى فى الجزيرة الذى يتعرض له بالدراسة ، حتى قال : « وقد كان لهذا التفاوت فى الطبيعة والعمران أثره الذى لا يجهل ، ونتيجته التى لا تتخلف فى الأخلاق والمواهب ، ومن له دراية بعلم السنن ، وإلمامه بطبائع العمران ، يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين بين منازع الفريقين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم[1] » . ثم أخذ يضرب الأمثال من الشعر والحكم وغير ذلك ليبرهن على صدق رؤيته .

وانتقل من التعميم - فى مقالاته التالية - إلى التخصيص ، فركز حديثه على بيئة اليمن الطبيعية ، وأنها ذات ثروات كثيرة ، وأن هذا قد أدى إلى ظهور عدد من الحضارات والدول بها . وكان يدعم عرضه دائما بأقوال الأقدمين وبأبحاث المستشرقين المحدثين ، مما يدل على سعة إطلاعه وامتداد أفقه ومن حين إلى آخر ، كان يقف قليلا فى عرضه وضرب أمثلته ليناقش نفسه

---

(١) عبد الله العزب : نظرة فى الأدب العربى القديم وحظ اليمن منه ، الحكمة ، العدد ٥ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الأول ١٣٥٨ هـ (أبريل / مايو ١٩٣٩م) ص ١٤٧ .

ويحاسبها ، وليؤكد منهجه حتى يظل موضوعه مترابطا متماسكا ، وهذه قدرة علمية بالغة قد لا تتوافر لكثير من الكتاب الباحثين المعاصرين . وقد لمس العزب — كما يلمس غيره — نقص المادة اللازمة لاجلاء جوانب التاريخ اليمنى القديم ، وأن هذا النقص يؤثر على بحثه الأدبى : « والكلام على الأدب يضطرنا إلى الإلمام بكثير من المباحث التاريخية التى يستبين بها كثير من مظاهر الحياة ومجاليها ، إذ الكلام على الأدب لا يتم على الصفة الكاملة إلا بالتعرض لما يتصل به ويلابسه لنعرف عوامل رقيه وانحطاطه ويتبين وجه الارتباط والالتحام بين الأدب والحياة » ... ثم يواصل حديثه عن المؤثرات المادية والاجتماعية على الأديب حتى يصل - مبكرا - إلى إقرار حقيقة أصبحت من مستلزمات الدراسات الأدبية الحديثة ، مستعملا فى ذلك التعبيرات العلمية الدقيقة التى لم تنتشر فى اليمن إلا بعد ذلك بسنوات طوال ، فقد قال ... « وهذا لا يعرف جد المعرفة إلا بالتعريج على كثير من زوايا « التاريخ الاجتماعى » ودراسة كل ما له علاقة بالأدب دراسة عميقة .. » .
وهو لا يقف عند هذا الحد ، بل يرسم لنفسه منهجا - على ضوء ما وصل إليه ليحدد خطواته فى مقالاته التالية ، فقال : « وسنلم بخلاصة وجيزة (تاريخية) لنتمكن بها من فهم الأدب وتطوره ، وننتقل بعد ذلك إلى إثبات بعض ما وصل إلينا من أدب العرب فى اليمن قبل الإسلام ، مع التعرض لما يحيط بالأدب ويتصل به ويؤثر فيه ، متوخين قصد الطريق المثلا ، ننكب الحقيقة فى ما نطلب ونروم ، ونلتمس معذرة الناظرين فى ما نكتب ، فذلك مبلغ ما لدينا ، وحسب المقل أن يجود بما عنده »[1] .

وقد صدق « العزب » مع نفسه ومع منهجه ، وعمل على الالتزام بالخطوات التى رسمها لنفسه ، كما حاول أن يستخدم ماوقع فى يده من أمهات

---

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨هـ (أغسطس / سيتمبر ١٩٣٩م) ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

المراجع استخداما حسنا ، فأجاد الاستشهاد والتدليل، بالإضافة إلى التفسير والتحليل ، فبعد أن تعرض لنقص وغموض الكثير من جوانب التاريخ اليمنى القديم، وصل إلى نتيجة استنتاجية هامة، مازال يرددها كثير من الأخوة اليمنيين إلى الآن ، وهى ضرورة : القيام بالعديد من الحفريات والكشوف للعثور على مزيد من النقوش حتى يتمكن من إثبات صحة ما وصل إليه . وقد حاول تطبيقا للمنهج الذى التزم به — والذى يدور حول ارتباط الأدب بالحياة الاجتماعية - أن يصل من الملموس الموجود إلى الضائع المفقود، فقال : «ومن ينظر نظرة واحدة إلى ما يبدو بين آونة وأخرى فى الخرائب الحميرية من رسوم وتماثيل ، يعرف جد المعرفة أن تلك الأمة كانت قد بلغت مستوى عاليا فى العلوم والآداب ، فانه وإن كان أدبهم الناطق قد ضاع وأخذت عليه الليالى ، فأدبهم الصامت وهو الرسوم الساحرة والتماثيل الدقيقة باق ينطق بما كان هنالك من ذوق وفن ، وليس الشعر إلا تصويرا ناطقا ، كما أن التصوير شعر صامت . على أنه يمكننا تدعيم ماذهبنا إليه بأنه ليس من المعقول أن يعج سيل الحضارة فى البلاد ولا يكون لها أدب عال مشرق الديباجة يصور عواطفها ، وجلال صدور أبنائها ، وينطق بما كان للقوم من حصافة عقل ، وجودة رأى ، وصدق إدراك ...»[1] .

ونقطة أخيرة يجدر الإشارة إليها فى ختام الحديث عن «العزب» ، لفتت انظارنا فتعجبنا لها وأعجبنا بها، نظرا لجرأته وشجاعته فيما طرقه من موضوع حساس . ففى بداية الحلقة السابعة من مقالاته استطرد طويلا حول أثر الدين على الأدب ، باعتباره من العوامل الهامة المؤثرة على الأدب « فى صبغته ولونه » ، وباعتبار الدين أحد نقاط « التاريخ الاجتماعى التى لها مساس بالأدب وله بها اتصال وارتباط »، وذلك كما قال فى نهاية استطراده معتذرا

---

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٣٩ م) ص ٣٠٢ .

عن الاطالة . ووجه الغرابة هنا أنه تحدث عن الأديان الوثنية القديمة حديثا علميا موضوعيا لا حديث هجوم أو احتقار كما هو متوقع حينذاك ، بل ونكاد نلمس في حديثه تعاطفا مع من عبدوا : « المظاهر العظمى والآيات الكبرى زمن بساطة العقول وسذاجتها » مثل الشمس وغيرها ، لولا سياق الحديث الذي يفهم منه نظرته الموضوعية لتطور الأديان . ولقد تعجبنا من أن ينشر هذا الرأي في مجلة حكومية في عهد الإمام يحيي الذي جعل « الإسلام » الدعامة الأساسية لحكمه ، فصبغه بصبغة خاصة لخدمة هذا الحكم ، مما كان يتعذر معه طرح الأفكار المتحررة أو الموضوعية عن الأديان القديمة . ويبدو أن « العزب » بطرقه لهذا الموضوع - وبهذه الطريقة - لم يرد أن يبث « جديدا » في المجلة وفي الأوساط المتعلمة حوله ، بل أراد أن « يثور » على جمود هذه الأوساط وعلى رتابتها الذهنية ، فنظر في دراسته إلى الأديان نظرة متساوية ، ولم ينظر إليها من وجهة نظر رجال الدين المتزمتين من معاصريه ، لذلك قال « ... وكيفما كان الدين فانه يمد الأدب ويغذيه ، إذ الأدب إنما يعول على الخوالج النفسية والنزعات الفكرية والعواطف الملتهبة ، ولا شيء مثل الدين في إثارة هذه العوامل وتقويتها »[1] ، أي أنه كان يقصد بالدين هنا « العقيدة » مهما كانت .

وهكذا استطاع العزب أن يكون أحد العلامات البارزة في الحكمة ، والتي رفعتها إلى سماء الفكر العربي ، فبالإضافة إلى المنهج العلمي الذي اتبعه ، فقد أخذ يغوص وراء النصوص الأدبية الرائعة في مصادرها الأصلية ، يحللها بنظرة نقدية حديثة ، مما يحتاج إلى جهد أحد المشتغلين بالدراسات الأدبية لإبراز أهميتها .

---

(١) عبدالله العزب : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، صفر ١٣٥٩هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ، ص ١٠٢ .

ولم يقف ما أتت به الحكمة من « جديد » فى المجال الأدبى عند حد دراسة « تاريخ الأدب » كما فعل محمد بن أحمد مطهر وعبد الله العزب ، بل ظهرت صور أدبية أخرى ، زادت من قيمة «المجلة» وأهميتها ، إذ اتصفت هذه الصور بأنها كانت « جديدة » فى اليمن . فمن ناحية فقد بدأ محيى الدين العنسى محاولة جديدة لعرض أحد دواوين الشعر عرضا نقديا حديثا ، وهو ديوان الشاعر اليمنى المعاصر - حينذاك - أحمد بن عبد الله بن عثمان السالمى . ومن ناحيه أخرى ، ظهرت « القصة القصيرة » باعتبارها فناً أدبيا حديثا يدخل اليمن لأول مرة ، إذ من المعروف أن القصة القصيرة — ببنائها الفنى الحديث - تختلف عن « الحدوتة » - بالتعبير الشعبى الدارج - التى عرفت فى الشرق العربى منذ أقدم العصور .

فمن ناحية محاولة العنسى - التى لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور — فقد كانت أدبية بحتة لم تختلط بالتاريخ ، لذلك فهى تعتبر تطورا متقدما بالنسبة لما ظهر على صفحات « الحكمة » فى المجال الأدبى . وقد كان الغرض الأساسى من وراء هذه المحاولة هو التعريف بالنشاط الأدبى فى اليمن واعلاء شأن الأدباء والشعراء اليمنيين ، ولكن هذا لا ينفى الجانب الفنى فى عرض الديوان ، فقد التزم بالمنهج النقدى الحديث فى المقدمة التى نشرها، والتى عرفنا فيها بالشاعر وظروفه وشعره ، كما وعد بأن يتعرض فى مقالة تالية لنماذج من شعره فى الأغراض المختلفة مع تحليل لها حتى يقف على مذهبه الشعرى ، غير أن هذا الوعد لم ير النور لتوقف المجلة عن الصدور كما أشرنا . ولا غرابة فى أن يبدأ هذا النوع من الدراسة على يد محيى الدين العنسى ، فقد كان رئيسا لاول بعثة يمنية ذهبت إلى العراق الدراسة عام ١٩٣٥م ، وفى أثناء دراسته العسكرية هناك ، انتسب إلى كلية الحقوق مستمعا ، كما كان كثير الاطلاع تواقا إلى التغيير والإصلاح ، فأدى هذا إلى سجنه أكثر من مرة ، كما فر

إلى القاهرة وأقام بها مدة ، ثم أعدم فى حجه بعد فشل ثورة ١٩٤٨م . وقد بدأ العنسى مقالته بمقدمة طويلة نسبيا، يوضح الغرض من المقالة ، مما يوحى - كما سنرى - بعمق الحس الوطنى ، وهو الشعور الذى ساد بين أغلب محررى الحكمة ووجه كتاباتهم ونشاطهم ، لذلك فيجدر الإشارة إليها لنتعرف على أحد العوامل التى كانت تحرك أقلام هؤلاء المحررين ، ويدفعهم إلى بذل الجهود الكثيرة لتحرير المجلة ،فقد بدأها بقوله : « لماذا لم يكن لكم فى اليمن أدباء وشعراء؟ هذا هو السؤال الذى طال ماسمعته من كثير من أدباء العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد،وطال ما أجبت عليه بأن لنا فى اليمن أدباء وشعراء يعدون بين فحول الطبقة الأولى . وكثيرا ما كان يعوزنى البرهان ، لذلك كنت أقدم بين يدى السائل بعض أعداد مجلة الحكمة اليمانية ليقف على نماذج من الأدب الحديث فى اليمن كدليل على ما تنتجه قرائح بعض أدباء شبابنا المثقف ، وكنت أجد من الجميع استحسانا وإعجابا بما يكتبه القاضى عبد الله العزب ، والأديب الفقيد السيد أحمد الوريث ، والأديب الضليع السيد أحمد المطاع ، حتى أن أحد الأدباء النقادين قال عن أدبائنا هؤلاء الثلاثة بأنه لابد وأنهم قد تخرجوا من المعاهد المصرية لأن المطالع يجد فى أدبهم قوة وحيوية ويلمس فيه تجديدا بينا ، ولكننى أفهمته بأنهم لم يبرحوا اليمن قط ، وإنما هم — فوق ما هم عليه من ثقافة أدبية واسعة — قد اتصلوا بالأدب الحديث عن طريق مطالعة الكتب والمجلات وتذوقوا ما فيه من متعة وطرافة ، فأخذهم بما فيه من روعة وجمال وغزر مادة ، وتأثرت أساليبهم بأساليبه ، فانتهجوا فى إنتاجهم الأدبى نهجه ، وسلكوا سبيله فى الغرض والأسلوب والصنعة حتى أبدعوا كالذى فيما أحسنوا ، وأحسنوا فيما أبدعوا . وكنت أتمنى لو أن لدى مجموعة من شعر شعرائنا المعاصرين ، أو أن وسائل النشر متوفرة لدينا لتطلع أدباء

العربية من إخواننا فى مصر والشام والعراق وغيرها من البلدان العربية على نواة نهضتنا الأدبية واتجاهها الحديث ما دام أدب كل أمة مرآة حياتها كما يقولون . وقد بقيت تلك الأمنية حسرة فى نفسى حتى وقع فى يدى اليوم ديوان السالمى فتصفحته وإذا بى أمام شاعر مطبوع من شعرائنا الذين ننتظر أن تتألق نجومهم فى سماء الأدب العربى . ونرجو أن نفاخر بهم فى يوم من الأيام ولعله غير بعيد ...»[1] . وهكذا عبر العنسى بهذه القصيدة المتحمسة الملتهبة عن الألم الكامن فى نفوس هذا الجيل من أبناء اليمن ، فإنتاجهم العلمى والأدبى مجهول لدى إخوانهم العرب ، لانغلاق بلادهم وعزلتها ، ولقلة وسائل النشر بها ، كذلك لعدم وجود معاهد علمية حديثة تساعد على صقل مواهبهم وإبرازها بل كانت جهودهم ذاتية لتثقيف أنفسهم .

أما الشكل الأدبى الآخر الذى قدمته « الحكمة » لقرائها لأول مرة فهو القصة القصيرة كما سبق أن أشرنا ، وقد اتضحت أبعادها إلى حد ما فى المجلة على يد أحمد البراق الذى كان أيضاً أحد الأحرار الوطنيين ، ومن لقوا حتفهم فى عام ١٩٤٨ م بعد فشل الثورة . ولا شك أن محاولة « البراق » تعتبر مبادرة من جانبه فى هذا الوقت المبكر بالنسبة لليمن ، تحتاج إلى أحد المتخصصين لدراسة تطور فن القصة اليمنية القصيرة ، وخاصة بعد أن ظهرت الآن مجموعات مطبوعة خاصة بها[2] . وقد ظهرت القصة فى « الحكمة » ضعيفة — وعلى استحياء — من حيث البناء الذى يجيد الحديث عنه المتخصصون . وكانت القصة الأولى بعنوان « أنا سعيد » عبارة عن حوار بين شخصين ، وهو حوار مباشر صريح ، ليس فيها « الحبكة » أو « التشويق » كما يقول أهل

---

(١) محيى الدين العنسى : ديوان السالمى ، فى الأدب المعاصر ، دراسة وتحليل (١)، الحكمة ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، محرم ١٣٦٠هـ (يناير / فبراير ١٩٤١ م) ص ٧٣ — ٧٤ .

(٢) مثل مجموعة زيد مطيع دماج القصصية .

هذا الفن ، ومحور القصة أخلاقى يحث على خدمة المجتمع فى أى موقع . ومن أى موقع وقف فيه الإنسان مهما كانت وظيفته أو مكانته الاجتماعية .
وتتساوى فى ذلك قصته الثانية وهى بعنوان « اللصان الشقيقان » فقد كانت أخلاقية ذات حوار مباشر ، تعالج مشكلة اجتماعية ، وهى تبديد الورثة لتركة الآباء ، فى الترف والملذات ، مما يضطرهما ـ أى « اللصان الشقيقان » ـ إلى سرقة ابن عمهما ، ولكن القصة لم تكتمل لتوقف « الحكمة » عن الصدور . وقد انتهت القصة الأولى بجملة إنشائية بعيدة عن الفن القصصى ، وهى : « وفى اليوم الثانى ، قابلت صديقى ، وبعد أن تبادلنا التحية الأخوية ، تعاهدنا على أن نعمل سوية لصالح المجتمع ونسعى فى الخير قدر استطاعتنا والله ولى التوفيق »[1] .
ومن الطريف الإشارة إلى أنه كان يوضع بعد عنوان القصتين مباشرة عبارة « قصة موضوعية » ، وكأن هيئة التحرير كانت تخشى أن يفهم غير ذلك ، أو لأن القصة القصيرة كانت فناً جديداً فى اليمن ، وهذا وذاك يدلان على طبيعة العصر ، وعلى أن أحمد البراق ومعه « الحكمة » كانا يقدمان « جديداً » بالنسبة لما هو سائد فى اليمن ، وهو الذى تهدف إلى إبرازه .

ولقد كانت هناك محاولتان سبقتا محاولة « أحمد البراق » وكأنهما تمهيد لما ظهر فى الحكمة فيما بعد . الأولى بقلم يحيى بن حمود النهارى ، وهى بعنوان « كيف يدافع الفلسطينيون عن وطنهم ، تضحية نادرة » ، وكما يفهم من عنوانها فقد بدأها وختمها بحديث عن القضية الفلسطينية ، أما القصة نفسها فجاءت كمثال للعظة والإرشاد ، إذ تدور حول قيام أم عجوز بإبلاغ الثوار عن خيانة ابنها الوحيد للثورة — نتيجة حاجته الشديدة للمال — حتى أعدم برصاص

---

(١) أحمد البراق : الحكمة ، العدد ١٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شوال ١٣٥٩هـ (نوفمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٧٨ .

الثوار أمام عينها[1] . أما القصة الثانية فهي بقلم : زيد بن علي عنان ، بعد أن عاد من بعثته من العراق وحصل على دبلوم المعلمين ، وهي بعنوان : ماذا نخلد من الأعمال ؟ ، وهي ضرب من الحوار المباشر الصريح بين شخصين للتعبير عما في النفس من المبادىء والأخلاق المثالية لبناء الوطن وتقدم العرب[2] .

جانب التاريخ :

وما أشبه التاريخ بالأدب ، فقد كان هو الآخر مجالا « للتجديد » الذي تهتم به الحكمة ، واحتل أيضاً مساحة واسعة من صفحات المجلة ، لا من حيث الموضوعات التاريخية المجردة ، بل لاستخدام التاريخ أيضاً في موضوعات مختلفة ، فمن المعروف أن التاريخ وعاء لكثير من العلوم الإنسانية . ولا يهمنا هنا كثيراً تتبع الملامح التاريخية في أنحاء المجلة فليس هذا ما نسعى إليه ، ولكن ما يهمنا هنا هو البحث عن « الجديد » في معالجة الموضوعات التاريخية من ناحية المنهج والأسلوب وغير ذلك . ومن يرجع إلى الكتابات التاريخية في اليمن — سواء ما ظهر منها مطبوعاً أو ما زال مخطوطاً — التي وضعت إلى زمن « الحكمة » ، أو بعد ذلك إلى وقتنا الحالي ، يلمس بوضوح سيطرة المنهج القديم على هذه الكتابات ، فتجدها خضعت لأسلوب الحوليات والسير والتراجم ، والاهتمام بجمع أكبر قدر ممكن من الحوادث والتفاصيل ، أكثر من الاهتمام بترتيبها أو تمحيصها وتحليلها . وهنا يبرز دور « الحكمة » ، وما ظهر فيها من كتابات تاريخية ، فقد كانت تمثل الومضة التي لمعت بعض الوقت ثم انطفأت ، إذ لم تجد لهـــا صدى أو أثراً فيما كتب حينذاك أو بعد

---

(١) يحيى النهاري : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ص ١١٦ — ١١٩ .

(٢) زيد عنان : الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٠هـ (أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٣٤٣ — ٣٤٧ .

ذلك ، بل وحتى ما ظهر فى « الحكمة » اندثر فى طى النسيـــان عقب اختفاء المجلة .

حقاً لقد ظهرت المعالجة الجديدة والمنهج الجديد فيما كتب فى « الحكمة » سواء عند استخدام التاريخ لخدمة موضوعات أخرى ، كما ظهر فى مقالات « الإصلاح » لأحمد عبد الوهاب الوريث أو فى بحث محيي الدين العنسى والذى لم يظهر منه إلا حلقة واحدة ، والذى كان بعنوان : « اليمن السعيدة بين الماضى والحاضر » ، أو عند كتابة الأبحاث التاريخية الخاصة كما فعل أحمد المطاع . فقد ظهر فى النوع الأول المعرفة الجيدة لمفهوم التاريخ ، والمعالجة المبسطة للقضايا التاريخية ، والاستخدام الطيب للمراجع مع الإشارة إليها فى هوامش البحث دون أن يزدحم بها المتن كما كانت عادة معاصريهم . ويظهر هذا لدى الوريث عندما تتبع تاريخ العرب قبل الإسلام ، ثم ظهور الدعوة الإسلامية وانتشارها عن طريق الفتوحات وغيرها فى ربوع العالم ، ثم إنحطاط أمر المسلمين وإنكماش إمبراطوريتهم حتى الأزمنة الحديثة ، فقد عالج هذا كله فى حلقاته الأولى فى سهولة ويسر ، فلا يشعر القارىء بالملل لازدحامها بالمعلومات ، ولا يلمس ـ فى نفس الوقت ـ وجود هفوات لضعف المـادة التاريخية ، كذلك يشهد المرء بذلك فى مقدمة محيي الدين العنسى .

أما النوع الثانى من الكتابات التاريخية ، فهى التى سنقف عندها طويلا لمـا ظهر فيها من « جـديد » حقاً ، لا بالنسبة لزمن « الحكمة » فحسب ، بل أيضاً إلى زمننا الحالى ، إذ لا غرابة أن نصف ما ظهر فى « المجلة » بأنه كان ملامح مدرسة جديدة فى اليمن ولكن لم يكتب لها الحياة لأنها ظهرت ـ ربما ـ فى غير موعدها . ورغم أن التجربة الناضجة التى نريد الوقوف أمامها هى تجربة أحمد المطاع ، فقد سبقتها تجربة أخرى لأحمد عبد الوهاب الوريث ينبغى التأمل فيها قليلا ، وإن كانت لم تكتمل لوفاته ، ولم يظهر منها إلا حلقتان

فقط . وقد وضع الوريث عنوانا ثابتاً لمقالتيه هو : « من صور التاريخ اليمني » ولكن حدد الغرض من هذه الصور في الجزء التالي من العنوان وهو : « نظرة إجمالية في الأحوال الدينية والعلمية في اليمن » ، أي أنه حدد زاوية خاصة من زوايا التاريخ اليمني ليقوم بدراسته . ولم يقتصر الوريث على ذلك بل أوضح المنهج الذي اختاره ، ووضعه في مقدمته ليكون أمام المجتمع ، فكانت الحلقة الأولى بعنوان . « مقدمات لا بد منها » ، والحلقة الثانية بعنوان : «تمهيد» . وقد ظهر منهجه العلمي بوضوح منذ البداية ، إذ بدأ بالتحدث عن جوانب « التاريخ » المختلفة وأنها لا تقتصر على الجانب السياسي وحده : « خلافاً لما يسود بعض الأفكار من أن التاريخ قصر على الأحوال السياسية فحسب ، وهذا الوهم جرثومة من جراثيم الماضي المظلم الذي كان لا يرى غير المواقع الحربية والمآسي العالمية وتنازع الأقطار والتكالب على السلطة ... لا يرى غير ذلك جديرا بالذكر ولا أهلا لشيء من العناية والاهتمام »[1] ، ثم يستطرد في شرح مفهومه ليؤكد إتجاهه مرة أخرى ، فيهاجم المؤرخ الذي يقف عند جانب معين من التاريخ ، فقال : « وهو يعتقد التاريخ وقفاً على ذكر تلك الأحوال - أي الصراع السياسي - أما غيرها من الحالات العلمية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية ، وكل ماهو بمجموع الأمة الصق ، فليس - في اعتقاده - من التاريخ في شيء ، لأن الأمة عنده أهون من أن يعني بشأنها ، وأرذل من أن ينظر في حالها »[2] . وهكذا يواصل شرحه للمفاهيم المختلفة حتى ينتهي إلى القول بأنه اختار الكتابة عن الجانبين - الديني والعلمي - تاركا الجانب السياسي لمحاولة أخرى أو لغيره من الكتاب . ومرة أخرى يشير الوريث اعجابنا ، فهو لا يقدم هذه المفاهيم جزافا ، أو باعتبارها مقدمات إنشائية

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد الأول ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ذي القعدة ١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ٩ — ١٠ .

(٢) نفس المرجع : ص ١٠ .

لبحثه ، ولكنه قدمها عن فهم عميق لما هو مقدم عليه فقال : « ونحن موقنون بأن أعظم العقبات التي تعترض الباحث يجدها عند أن يتناول بحثه الأحوال الفكرية والنواحي العقلية لغموض مؤثراتها وأسباب تطورها وصعوبة إدراك مظاهرها التي تتجلى فيها جميع أدوارها»[1]. وهو يدرك أيضاً أن هذه الصعوبة إنما تتعلق بتاريخ أية أمة مما تتوفر فيها المراجع التاريخية ، أما إذا لم تتوفر هذه المـــراجع كما هو الحال بالنسبة لتاريخ اليمن فإن الأمر يزداد صعوبة وتعقيدا . والقى بعد ذلك نظرة عاجلة على مراجع التاريخ اليمنى ، ولكنها كانت نظرة نقدية فاحصة أشار فيها إلى تناقض بعض رواياتها فقال : « ... ويسترسل الباحث فى الاستغراب عندما يجد نفسه أمام متناقضات يرتكبها مؤرخ واحد فى كتاب واحد بل قبل أن يمر عليه بضع صفحات ، فكأنه لذلك الصنيع الغريب لا يعقل ما يكتب ، ولا يفهم ماذا يؤرخ ، فبينما هو يقرر أمرا ويجزم بقضية ، إذ به بعد وريقات يناقض نفسه على خط مستقيم ويهدم بيده ما بنى قبل أن يقوم من مقامه ... »[2] .

ويواصل الوريث نقده للمراجع ، فيشير إلى اختلافها فيما بينها حول الأحداث الكبرى التى وقعت فى اليمن فضلا عن الأحداث الأقل أهمية ، ويشير إلى أن أحد أسباب هذه التناقضات هو التعصب المذهبى والسياسى ، وخضوع المؤرخين لأهوائهم أى إبتعادهم عن الموضوعية . وهو بهذه النظرة النقدية الفاحصة قد وضع يده على قاعدة هامة من قواعد منهج البحث التاريخى الحديث ـ وهى نقد مراجع البحث ومعرفة كنهها وإتجاهاتها ـ وإن كان بعض مؤرخينا إلى الآن يتجاهلون هذه القاعدة ، وينقلون من المراجع القديمة الروايات الطويلة على علاتها دون فحص أو تمحيص وبناء

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد الأول ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى القعدة ١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ١١ .

(٢) نفس المرجع : ص ١٢ .

على منهج الوريث فقد رأى أن يحدد بداية دراسته من القرن الثانى الهجرى لتوفر المراجع بالنسبة لما قبله ، غير أنه لايمانه بأن الظواهر التاريخية ـ ومنها الفكرية ـ لاتنبثق من فراغ ، فقد خصص حلقته الثانية ـ تحت عنوان « تمهيد » ـ للتحدث عن الأوضاع التى سبقت الفترة التى حددها لدراسته ، أما الدراسة نفسها ـ للأسف ـ فلم يقدر لها الظهور لوفاته سريعاً .

ونتقل الآن إلى تجربة أحمد المطاع لمعرفة أبعادها وملامح نضجها ، وإن كنا نعتبره هو والوريث أبناء مدرسة واحدة ، هى مدرسة التجديد والعصرية فى اليمن بوجه عام ، أما فى التاريخ فقد وضعا أمام معاصريهم المنهج العلمى الحديث للبحث التاريخى . وقد بلغت مقالات المطاع ست حلقات دون أن تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور ، ولكنه استطاع بهذا القدر فقط أن يكون علامة بارزة فى تاريخ الفكر اليمنى الحديث وقدوضع المطاع عنوانا ثابتاً لمقالاته هو : « فى التاريخ اليمنى » وتحته « اليمن فى مدارج التاريخ » ، وإن كان يضع أحياناً لكل حلقة عناوين فرعية اشبه ما تكون بالعناوين الجانبية ، فكانت الحلقة الأولى على سبيل المثال تحت عنوان : « تمهيد ، التاريخ وفوائده » . وأطنب وأسهب حقاً فى فائدة التاريخ بالنسبة للأمم والشعوب ، وبالنسبة للأفراد مهما اختلفت وظائفهم واتجاهاتهم ، حتى أن القارىء يشعر أن المطاع كاد يضع التاريخ فى مصاف « الماء والهواء » من ناحية حاجة الإنسان إليهما ، وهذا أمر طبيعى من جانبه ، فقد اشتهر كما قرأت وسمعت عنه ـ بأنه كان شجاعا جريئاً يتحمس لكل مايؤمن به ويعتقد فيه سواء فى الجانب الفكرى أو فى النشاط السياسى . وإلى جانب التحمس للتاريخ وفوائده ارتفع المطاع بالقارىء اليمنى من البداية إلى مستوى « العصر » ولم ينطلق به من مستوى اليمن المغلق المنعزل كما كان حينذاك ، فقد بدأ مقالاته بقوله : « من القضايا المسلمة تقدم العلوم والمعارف فى هذا العصر وارتقاء العقـــل البشرى إلى غاية قصر عن التحليق فيها الآباء منذ أجيال قديمة ، ومن الفنون التى بلغت أقصى مايتصوره العقل من العناية

والاتقان فن التاريخ ومعرفة أحوال الأمم . .»[1] ، ثم وضع هامشا أسفل الصفحة ليشرح مفهومه للعلوم الحديثة المتعلقة « بالتاريخ » فقال : « التاريخ ومتعلقاته كعلم الاجتماع والاقتصاد والجغرافية وعلم الكتابات والعادات القديمة والنقوش والآثار وعلم السجلات والإحصاء والنقد والمسكوكات وغير ذلك من العلوم التي كانت مجهولة كلها أو بعضها عند العرب ». وأهمية هذا الهامش هنا أنه يؤكد أن مدرسة « الحكمة » هذه كانت جديدة حقا بالنسبة لما هو سائد في اليمن حينذاك ، فمن المعروف أن العلوم التي أشار إليها ذاتها هي التي يطلق عليها حاليا في داخل أقسام التاريخ بالجامعات اسم « العلوم المساعده » ويشار إليها بهذا التعبير في قاعات الدرس ضمن دروس « مناهج البحث » ، وأنه من الضروري على المؤرخ أن يلم بها لفهم الأحداث والروايات التاريخية فهما سليما ، وليتمكن من تحليلها وتفسيرها .

وإلى جانب المنهج الحديث الذي سنتناوله بالعرض ، فاننا نلمس منذ البداية أيضا عمق الإحساس الوطني لدى أحمد المطاع ، ونشعر بهذا طوال حلقاته المختلفة ، إلا أنه في « التمهيد » أشار إلى هذا « الحس » إشارة عامة أخذت تتضح وتنمو مع تعدد الحلقات - ولكن دون أن يخـــل بالمنهج أو يخرج عليه - فقال : « فدراسة التاريخ إذا من ضروريات البقاء ، ومعرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الإرتقاء ، ولاسيما إذا كان في تاريخ الأمة من أعمال المجد والعظمة ما يثير الفتوة ، ويبعث النشاط والقوة في شرايين الأجسام المنحلة ، ويدفع بالأبناء إلى ترسم آثار الآباء . . » ، وبعد أن ذكر عمق إهتمام الغرب بالتاريخ قال : « ومن التواريخ التي أصبحت اليوم تدرس في جامعات الغرب كفن مستقل تاريخ اليمن القـــديم وما به من النقوش

---

(١) أحمد المطاع : في التاريخ اليمني ، اليمن في مدارج التاريخ ، الحكمة ، العدد ٦ ، السـنة الثـانية ، المجلد الثاني ، ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠ م) ، ص ١٧٥ .

والآثار والعاديات وما خلفه آباء اليمنيين من آداب وثقافة صقلت العقل الإنسانى وازدانت بها حضارة البشر فى أيامهم . . »[١] .

بدأ المطاع التحدث عن المنهج الذى التزم به من الحلقة الثانية ، ووضع له عنوانا خاصا هو « التاريخ لغة وإصطلاحا وكيف يجب أن يكتب » . وكانت بدايته رائعة مشوقة ، إذ أخذ يتقصى معنى كلمة « التاريخ » ، وأصلها عند العرب ، وكيف كانوا يؤرخون بالحوادث الكبار قبل الهجرة النبوية ، وأن المفهوم الذى ساد لديهم هو أن « التاريخ » يعنى « التوقيت » ، وأن هذا ترك أثره على كتاباتهم التاريخية حتى انتهى إلى قوله : « يلوح مما تقدم من مدلول كلمة تاريخ أن معناها التوقيت ، هذا ما يظهر جليا فى كتب المتقدمين فإنه قل أن يجد القارىء فيما دونه القدماء فى فن التاريخ شيئا فى تعليل الحوادث وتحليلها والنظر فى أسبابها وعواقبها واستخلاص النتائج منها ، كما أنهم لم يحوموا حول بيان الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكيفية سير العلوم والمعارف وسير الأدب وعوامل العمران وكل ما له علاقة بالأمة ... ولعل ذلك الداء سرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التى معناها التوقيت ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) (كذا) ومعناها الرواية والتحقيق لكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان »[٢] .

واستطرد بعد ذلك فى عرض أخطاء المؤرخين مستشهدا ببعض أقوال المفكرين مثل محمد كرد على وابن خلدون ، حتى وصل إلى شرح وجهة نظره فى كتابة التاريخ فقال : « فلابد لكاتب التاريخ إذا تحرى الحقائق وتمحيص الأخبار والابتعاد عن كل ما يشوه وجه الحقيقة من زيادة

---

(١) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ربيع الثانى ١٣٥٩ هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠ م) ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) أحمد المطاع : فى التاريخ اليمنى ، الحكمة ، العدد ٧ السنة الثانية ، المجلد الثانى جمادى الأولى ١٣٥٩هـ ، (يونيه / يوليه ١٩٤٠م) ص ٢٠٨ .

أو نقصان ومجانبة الهوى ونزعات النفوس وأن يحكم العقل لا العاطفة ، مع ملاحظة الحالة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية وكل ماله صلة بحياة الأمة، وفى ذلك من المشاق والمتاعب ما لا يفى الكلام بوصفه ، ولا يدرك كنهه إلا من خاض لجج هذه الأبحاث[1] » .

وقد أجاد المطاع فى ترتيب خطواته فيما بعد ، فبعد أن تحدث عن معنى التاريخ وعرض وجهة نظره هو فى كتابته ، بدأ يتعرض للمراجع التاريخية العامة ـ مثل كتب الطبرى وابن الأثير والمسعودى وابن خلدون ـ بالنقد والتحليل ، وذلك قبل أن يتناول أحداث تاريخ اليمن ذاتها ، مما يدل على وضوح رؤيته للطريق الذى سلكه . وقد نظر إلى هذه المراجع نظرة فاحصة فأشاد بمحاسنها وأشار إلى نقصانصها فقال : « . . . ولكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتواثبين من الأمراء والملوك وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافلة بالمعنى المراد من التاريخ لأنهم لم يفوا « المشكلة التاريخية » حقها . ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الاطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير ولكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها ، وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث وما جرى فى السنين من الأحداث ، فجمعوا فى مؤلفاتهم الكثير من الطيب ممزوجا بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر

---

(١) أحمد المطاع : فى التاريخ اليمنى ، الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، جمادى الأولى ١٣٥٩هـ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

المتنوعة »[1] وأبدى المطاع إعجابه الشديد « بمقدمة » ابن خلدون الشهيرة حتى أنه قال عنه : « ومن المؤسف أن هذا الفيلسوف الاجتماعي العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ لتأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية وظلت آثاره آنفاً لم يمط عنها اللثام إلى ان شرع الغرب في النهوض »[2] .

وهكذا يواصل المطاع نقده للمؤرخين القدماء ، وأشار إلى أن بعضهم « قد تأثر بالنزعات الدينية والعصبية القومية والمذاهب السياسية » ، كما أن بعضهم : « لم يتورع عن خدمة الأغراض السياسية والمقاصد الشخصية وجعل البحث التاريخي شبكة لصيده ومطية لنزوات روحه ، ولا سيما أيام كانت السياسة تركض وراء الألسنة القوية والأقلام السليطة لتستفيد من نصرتها وتعتز بشهرتها ليتم لها احتكار السلطة في أشخاص القائمين بها ، وصرف البلاد والعباد عن التفكير المثمر والعمل النافع إلى ما يعود بالمجد الأجوف والخير المزعــــوم . وقد سجل التاريخ من أعمال الفريقين ما يندى منه الجبين »[3] ، إلا أنه قد أشاد بتقدم العرب في « فن التراجم » لاعتماده على النقد والتمحيص ، كذلك عرج إلى جهود العرب في علم الجغرافيا وأوضح جهودهم فيه .

وبعد أن ألقى تلك النظرة على المراجع التاريخية العامة بدأ يخصص الحديث عن تاريخ اليمن ، وصعوباته الجمة ، لأنه مبعثر هنا وهناك ، والكثير

---

(١) أحمد المطاع : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩هـ (أغسطس/ سبتمبر ١٩٤٠م) ص ٢٦٥ .

(٢) نفس المرجع : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ٩ السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩هـ ، ص ٢٦٦ ، ع ١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة : ع ٢ .

من نقاطه غامضة مبهمة مما يحتاج إلى الجهود المضاعفة ، حتى أنه ناشد القارىء بقوله : «لا شك أنه يعذر الكاتب في تقصيره ، ويرضى منه بميسوره ، ويوسعه العذر ، ويقابله بمزيد الشكر ... ففي سبيل الله ما يلاقي الباحث في تاريخ اليمن»[1]. وفي نفس الوقت، فبالإضافة إلى ماذكره عن واجبات المؤرخ بوجه عام - كما سبق أن أشرنا - فإنه هنا أكد ما التزم به هو من منهج تجاه تاريخ اليمن ، وخاصة لانشغاله به منذ الطفولة ، فقال : «أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذلت الوسع واستفرغت الجهد في جمع الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستقراء النصوص ، وتتبع الأدلة حسب الإمكان . وقد راعيت أمانة النقل وواجب العلم فيما احتججت به من كلام الغير ، وأبحت للقراء من عقلي ونفسي ما أبحتهم من عقول ونفوس من نقلت عنهم ، فلم أكتف بنقل ماقالوه وجادت به عقولهم من دون أن أبدي رأيي ولا سيما فيما تضاربت عنده الأفكار، واختلفت فيه الروايات ، فإني لم أقف هنالك وقوف المشدود الحيران ، بل نقدت ومحصت بقدر ما أستطيع (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) ومن الله استمد التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل»[2] .

بهذا العزم والتصميم ، وعلى ضوء ما رسمه لنفسه من منهج يلتزم به ، بدأ المطاع دراسته التاريخية ، واتضح بها منذ البداية أمران هامان : فمن ناحية ظهر تحمسه لليمن وتاريخها كما سبق أن أشرنا ، حتى نخال أنه أصبح منحازاً لتاريخ بلاده خارجاً عن الموضوعية التي وعد بالتمسك بها ، لكن أنقذه من هذا وضوح المنهج العلمي أمام عينيه كما نلمس من حين إلى آخر ، فانتصر الحماس على الجانب الأدبي الإنشائي ، ولم يتأثر الجانب العلمي الموضوعي .

---

(١) أحمد المطاع : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شعبان ١٣٥٩هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٢٩٦ ، ع ٢ .

(٢) أحمد المطاع : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شعبان ١٣٥٩هـ ، ص ٢٩٧ .

حقيقة كان يحاول أن يرفع من شأن الحضارة اليمنية القديمة وأثرها على باقى الحضارات المعاصرة، ولكن كان هذا يتناسب مع الغرض الذى يرمى إليه رجال «الحكمة» وهو دفع معاصريهم للإهتمام بالتاريخ اليمنى وإعادة كتابته كتابة جيدة، كما أن طريقة عرض المطاع لموضوعه، واعتماده على المناقشة والتحليل جعلت دراسته مشوقة جذابة، تجعل القارىء لا يشعر بالملل كما كان يحدث بالنسبة للكتابات الأخرى حينذاك.

ومن ناحية الأمر الآخر، فاننا نلمس فى دراسة المطاع العمق وإتساع الأفق، نتيجة اعتماده على المراجع الأصلية القديمة منها والحديثة، مما كنا نستغرب معه وصولها إليه، ومتى اطلع عليها، وكيف وصل إلى هذا المستوى الممتاز فى إستخدامها من حيث الاقتباس ومناقشة ما جاء بها من آراء، ومن حيث الاحالة إلى المصادر وكتابة الهوامش. كذلك تأثر أسلوبه بأسلوب مؤلفات العلماء الذين جاء ذكرهم فى دراسته، أو بمعنى آخر استعمل الأسلوب المناسب للدراسات التاريخية القديمة، الذى يعتمد على الاستنتاج واستقراء النقوش والنصوص، أكثر مما يعتمد على الاقتباس والاستطراد، لذلك فهو لم يقف عند النصوص يعرضها ويناقشها، بل رجع إلى الظروف الطبيعية والبشرية العامة لليمن ليستخرج منها مايشاء من نتائج تؤيد اتجاهه، وقدم لذلك بقوله: «وقد علل بعض الباحثين وجود المدنيات بعلل شتى منها طيب المناخ وكثرة المياه أو المعادن، ومنهم من يعزوها إلى غرائز اختصت بها بعض الأجناس البشرية، وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض، وكل ذلك متوفر فى هذه البلاد وأهلها» .(١)

وفى ختام التحدث عن دراسة المطاع التاريخية - التى لم تكتمل كما

---

(١) أحمد المطاع : فى التاريخ اليمنى، الحكمة، العدد ١١، السنة الثانية، المجلد الثانى، رمضان ١٣٥٩هـ (أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٣٣٢ .

أشرنا لتوقف الحكمة عن الصدور ـ يجدر الإشارة إلى النداء الذى أطلقه مبكراً فى تلك الفترة للإهتمام بالآثار اليمنية والكشف عنها لتوضيح جوانب التاريخ القديم . وخليق هنا نشر نص النداء لعله يجد من يستجيب ، ولنرى كيف كان يفكر المطاع حينذاك ، ولندرك مدى أهمية المجلة فى تلك الفترة ، فقد قال : « وبالرغم على مادونه الهمدانى وغيره وما عثر عليه المستشرقون من النقوش وكشفوه من الآثار ووجدوه من المسكوكات ، فان تاريخ أولئك الأقوام لايزال فى رحلته الأولى . وطريق الدراسة مهما أمعن فيها المتوغل ، وتقليب الصفحات وإن استغرقت أيام الحياة لاتسد الحاجة، ولا تروى الغلة ، لما هنالك من مجاهل لاتهتدى الأفكار إلى مهيمها . والحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار والتفهم لأسرارها ، وأظن الوقت قد حان للفوز بهذا الفخر العظيم ، فمن الخليق بتاج ذلك المجد الباهر ياترى ؟ الأمل وطيد فى همم رجال الجد ذوى الغايات البعيدة والمراتب الكبيرة والنفوس العالية والضمائر الحية وما ذلك عليهم بعزيز» . وبعد أن ذكر أهمية دراسة الماضى لفهم الحاضر عاد ليقول : « وهنا يقول القلم وهو يكاد يتعثر خجلا ، ليس أمامك أيها الباحث غير ما كتبه المستشرقون عن هذه البلاد ، وذلك المجد الضارب أطنابه بالنجوم ، وبقية مادونه أولئك الآباء الأمجاد ، ولا أقول أنه من العار نقل ما كتبه المستشرقون (فالحكمة ضالة المؤمن) ولكن من العار الجمود عليه والوقوف عندما رسموه ، وأن نبقى عالة عليهم حتى فى معرفة بلادنا ، ومهد آبائنا ، ومدافن أجدادنا »[1] .

حقاً لقد آن الأوان أن تستجيب حكومة الجمهورية العربية اليمنية لنداء أحد أبناء الوطن الذى أطلق مبكراً منذ حوالى أربعين عاماً .

العلم والمفهوم الجديد :

ولن نقف طويلا عند مقالات أحمد المطاع عن التاريخ اليمنى ، إذ أن جهوده بالمجلة لا تقف عند هذا الحد ، بل نشط هو والوريث والعزب فى مجالات عدة فى الحكمة كما سنرى ، ولكن مقالاته فى التاريخ هذه تؤكد أن الحكمة قد حملت لواء « التجديد » ، وأنه قد نجح فى أن يبسط أمام معاصريه المنهج العلمى الحديث لكتابة التاريخ — على قدر استطاعته — كما قال ، غير أن ما يهمنا هنا هو تتبع « الجديد » ودلائل « المعاصرة » التى ظهرت على صفحات المجلة ، مما كان يختلف عن «التقليدى» السائد سواء كان فى جريدة «الإيمان» أو فى الكتب والكتيبات المدرسية التى كانت وزارة المعارف تقوم بطبعها حينذاك .

ويظهر هذا وذاك — أى الجديد والمعاصرة — إذا تتبعنا أمرين هامين : الأمر الأول هو ما طرح من موضوعات جديدة لم يكن من المعتاد طرحها حينذاك فى مجالات النشر المختلفة فى اليمن ، والأمر الثانى هو ما برز على صفحات المجلة من اتجاهات وتيارات حديثة .

فمن ناحية الأمر الأول فقد ظهر بشكل واضح فى مجالات عديدة فى أنحاء المجلة ، وظهر هذا بصورة كبيرة بأقلام أعضاء البعثات اليمنية إلى العراق ، أو ممن درسوا فى الخارج ، أو حتى ممن تأثروا بما كان يصل إلى اليمن من كتب ومجلات عربية . وأول ما يلفت النظر فى هذا الأمر هو طرح معنى « العلم » بالتفسير الحديث ، وأنه — أى العلم — لا يقتصر على العلوم الدينية الفقهية . وقد ظهر هذا فى كتابات شتى سواء عند التحدث عن التعليم وفتح المدارس وواجبات المعلم ، أو فى مقالات خاصة بالعلم والحث عليه . فقد

نشر القاضي[١] عبد الولي بن علي السماوي مقالة بعنوان : « العلم » تحدث فيها عن أهمية العلم والتعليم بوجه عام دون أن يحدد نوعه ، مع الإشادة باهتمام الحكومة بفتح المدارس[٢] . غير أن محمد بن حسن العماد الذاري كان أكثر جرأة ووضوحاً في تفسير العلم بالمعنى الحديث ، واختار عنواناً كأنه يرد به على المقال الأول وهو : « العلم النافع » ، فقد بنى مقالته على الحث على الأخذ بالعلوم العلمية الحديثة ، وأسهب في الحديث عن نهضة اليابان الحديثة ، وأنها أصبحت دولة كبرى بعد أن كانت مطمعاً للاستعمار الغربي منذ فترة وجيزة ، وذلك بفضل اهتمامها بالتقدم العلمي . ويشد العماد انتباه القارىء منذ البداية ، فقد أوضح الفرق بين ما هو سائد وبين ما يجب الإقبال عليه ، فقال : « وإنه ليروقنا أن نرى المعارف قد أخذت تتألق بدورها في سماء بلادنا فرأينا فيها المنشئين البلغاء ، ومصاقع الخطباء ، والعلماء والمحققين ، والشعراء المفلقين ، وأرباب الصحافة النابغين ، والمؤلفين المدققين ، غير أننا مع ما عرفنا به من الذكاء الفطري لم نقو حتى اليوم على مجاراة الأمم الراقية التي حلقت في سماء الاختراعات ، فأحدثت فيها كل غريبة مدهشة ، بل كل معجزة تقف الأذهان عندها حيارى .. »[٣] ، ثم أخذ يعدد هذه الاختراعات وأهميتها ، وينادي قادة الشعب بالأخذ بالعلم الحديث ونشره ، وبالاعتماد على النفس في ترقية الوطن ، ثم بدأ في التحدث على نهضة اليابان العلمية بعد أن ذكر قول القائل :

وإنمـــا رجل الدنيا وواحدها　　　من لا يعول في الدنيا على رجل

---

(١) لفظ القاضي في اليمن ذات مفهوم خاص ، وهو لقب أكثر منه وظيفة كما هو شائع في مصر وهو بمعنى الفقيه أو العالم أو الأستاذ .

(٢) عبد الولي بن علي السماوي : العلم ، الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ، ص ٨٦ — ٨٨ .

(٣) محمد بن حسن العماد الذاري : العلم النافع ، الحكمة العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٣٩م) ص ٢٧٢ .

وأكمل أحمد البراق هذا المعنى الحديث « للعلم » فى مقالة تالية ، فأطنب فى أهميته لنهضة الأمم والشعوب ، وجعله مقياساً لحيويتها وتقدمها حتى قال : « بالعلم تحافظ الأمم على كيانها واستقلالها وعظمتها وسؤددها ، بالعلم توصل الإنسان إلى التغلب على الطبيعة ، فاخترع اللاسلكى وأوصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب ، واخترع ما نراه من العجائب والغرائب الخارقة للعادة والتى هى فوق ما تتصوره عقول البسطاء ....»[1]. واستطرد البراق بعد ذلك ـ لإثارة الهمم ـ فى الإشادة بالتقدم العلمى عند العرب فى الأزمنة السابقة ، وأنهم كانوا قادة العالم فى هذا المجال ، واستشهد على ذلك بأقوال كثيرة من العلماء وعلى رأسهم الكاتب الإنجليزى المعروف « ولز » .

وواصلت المجلة رسالتها فى هذا المجال ، فنشرت قصيدة للقاضى محمد بن أحمد السياغى يحث فيها أبناء الوطن على الإقبال على المدارس مهما كانت مناهجها للتزود من العلم ، وقد جاء فيها :

من المدارس نور العلم ينفجر	وبالمعارف يغنى البدو والحضر
الله أكبر كم بالعلم قد نهضت	من نومها أمم قد خانها الخور
فأصبحت فى مصاف الطير راكبة	متن الهواء وبموج اليم تستتر
هى المدارس تهدى الناشئين بها	لثروة العقل ثم النور ينتشر
وثروة المال فى الأوطان يبعثها	حفظ العلوم كما بالجهل تندثر
بنى اليمان هلموا من مراقدكم	إلى المدارس قد جاءتكم النذر
بنى اليمان هلموا لا يغركم	عجز ولا كسل حتى م تنتظر
إلى المدارس مهما كان منهجها	فأول الغيث قطر ثم ينهمر[2]

(١) أحمد البراق: العلم ، الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رمضان ١٣٥٨هـ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٣٩م) ص ٣٣٧ .

(٢) محمد بن أحمد السياغى : قصيدة ، الحكمة ، نفس العدد ، ص ٣٥٢ .

وكما عرّفت «المجلة» بالعلم الحديث، وأحثت على الإقبال على المدارس، فقد نشرت أيضاً مقالة بقلم أحمد البراق بعنوان «المعلم»، يشرح فيها واجباته، وأنه أساس كيان الأمم وباني مجدها، ويختتمها بمناشدته بالإخلاص في عمله: «وإلا فاعلم أنك الجاني على الأمة إذا انتشر في أبنائها أي خلق ذميم، وأنت المسئول أمام الله إذا ظهر الفساد في البلاد، وأنت المخاطب من كل إنسان إذا أهملت العناية التامة والرعاية الفائقة في وظيفتك التي هي أس السعادة والعمـران»[1].

المجلة والعلوم الحديثة :

ولا شك أن اهتمام المجلة بالعلم والتعليم كان يدل عـلى اهتمامها بنشر ما يصلها من موضوعات علمية حديثـة لتنهض برسالتها، ولتقوم بدورها باعتبارها «جريدة ومجلة وكتاب في وقت واحد» كما سبق أن أشرنا، فقد تناولت الموضوعات الزراعية إلى جانب التربوية، وطوقت الجـوانب الاقتصادية إلى جانب الصحية والرياضية وهـكذا.

وإذا أخذنا الحـديث عن «الزراعة» في المجلة نموذجا لما تناولته من موضوعات حديثة نجـد أن محمد بن حسن العماد الذاري هو أول من طرق هذا الموضوع بأسلوبه الجـاد الجريء، ثم تبعه الأستاذ زيد عنان بحلقاته المتتالية ــ بعد عودته من بعثته إلى العراق ــ فتحدث عنها وعن مشاكلها وآفاقها وطرق تطويرها حديثاً مفصلا عميقاً. وكانت مقالة العماد بعنوان «الزراعة حياة الوطن»، وهي تدور حول أهمية الزراعة وضرورة الاهتمام بها من جانب الشعب والحـكومة معا، وهاجم فيها كل من يحقر من شأن

---

(١) أحمد البراق : المعلم، الحكمة، العدد ٨، السنة الثانية، المجلد الثاني، جمادى الآخرة ١٣٥٩هـ (يوليه / أغسطس ١٩٤٠م) ص ٢٤٩ .

هذه المهنة الشريفة أو يزدرى الفأس والمحراث ، وهذا جميعه لابراز الأهمية الاقتصادية « للزراعة » بالنسبة للأمم المختلفة . وقد استهل مقالته برفع شأن الزراعة فقال : « ما من نكير أن الزراعة هى من أرفع المهن وأجدرها إذ عليها يتوقف نجاح الأمم وبدونها لايكون لأمة حياة ، فمهما اتسع نطاق التجارة ومهما بلغت الصناعة من التقدم والإحكام ، فاذا لم يكن للزراعة شأن ولا نصيب من العناية بأمرها أفضت الحال إلى التأخر عاجلا أو آجلا .. » .
وبعد استطراد حول هذا المعنى ناشد الزراع بعدم هجرة أراضيهم ، وهى مشكلة مازالت اليمن تعانى منها إلى الآن ، فقال : « ويا أيها الشباب الأحباء إن الصحف تنددنا وتعيرنا بخروجكم من أراضيكم التى لاتزال حتى اليوم بيوتها خربة وحقولها جرداء .. فاقلعوا عن مهاجرة أراضيكم وأحرثوا بقاعكم تكفيكم مؤنة الهجرة المرة ، فأين الصبر الذى عُرف به الشعب اليمنى وأين الهمة التى رافقت آباءنا وأجدادنا حتى نقروا الصخور وحفروا الجبال وجعلوا من تلك الأراضى الصلدة حقولا خصيبة .. » ، ثم وجه حديثه بعد ذلك إلى الحكومة والأغنياء لمساعدة الزراع بمدهم بالأموال لتزداد ثروة البلاد الزراعية[1] . والجدير بالذكر أنه من المعروف أن « العماد » لم يغادر اليمن قط إلى الخارج ، وأنه لم يتلق إلا العلوم التقليدية الأولية فى الكتاتيب والمساجد ، وأنه كان يشغل وظيفة بسيطة إذ كان وكيلا أو مشرفاً على أملاك الإمام يحيى فى المناطق الجنوبية[2] . وقد علقت « الحكمة » على هذا المقال بضرورة الاهتمام بالزراعة لأهميتها فى بناء إقتصاد الأمم ، ثم اقترحت

---

(١) محمد حسن العماد الذارى : الزراعة حياة الوطن ، الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثانى ١٣٥٨ هـ (مايو / يونيه ١٩٣٩ م) ، ص ١٨٠ — ١٨٢ .

(٢) من إجابات القاضى محمد بن محمد الخالدى .

وسيلة للنهوض بالزراعة مازالت تراود كثيراً من مفكرى اليمن واقتصادييها إلى الآن وهى : « هذا وإن مما يأخذ بيد الزراعة إلى الرقى والتقدم تأسيس شركات زراعية غايتها مساعدة الفلاحين على احياء الأرض باعانتهم بالآلات والأدوات والإرشادات اللازمة بمقابل قسط من حاصلات الأرض .. »[١].
وتلقف زيد عنان موضوع الزراعة ليعمقه ويفصله كما أشرنا فى حلقات متعددة تحت عنوان : الزراعة ثروة اقتصادية مهمة فى بناء حياة الشعوب ».
وكان الغرض من هذه الحلقات واضحاً أمام « عنان » منذ البداية فى الحلقة الأولى منها .. « وبالرغم مما ذكر كله أصبح من المحتم علينا الأخذ بفن الزراعة الحديث لنجنى الثمرة المطلوبة . وبهذه المناسبة وقياماً بالواجب سنواصل السعى فى إرشاد الزارع اليمانى وتقديم أسهل الطرق وأحدثها »[٢] وبدأ بعد ذلك فى عرض تفاصيله الفنية المفيدة بالتحدث عن « مرض العنب » لأهمية هذه الزراعة فى اليمن . وقد أكمل هذه الحلقات العلمية المستفيضة بحلقات أخرى لاتقل عنها أهمية خصصها عن الثروة الحيوانية ، وهى بعنوان « أمراض الحيوانات وعلاقاتها بالإنسان من الناحية الاقتصادية والصحية».
وهنا أيضاً كان الهدف من هذه المقالات واضحاً أمام « عنان » الا وهو نشر ثقافة عامة علمية فى هذا الصدد ، لذلك قال : « وسنقصر كلامنا هنا على الجهود التى صرفت فى هذا العصر لتحسين منتوجات هذه الحيوانات وتربيتها تربية حديثة درت على أهلها أموالا كثيرة جعلتهم يتسابقون سباق الجياد إلى أن فتحت المعامل الكثيرة لصناعة الألبان ، وحفظ اللحوم ، ونسج الصوف ، وغير ذلك .. »[٣] .

---

(١) محمد حسن العماد الذارى : الحكمة ، العدد ٦٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ربيع الثانى ١٣٥٨ هـ (مايو / يونيه ١٩٣٩ م) ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٢) زيد بن على عنان : الزراعة ثروة اقتصادية ، الحكمة ، العدد ٣٠ ، السنة الأولى المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٣٩م) ص ٣٤٣ .

(٣) زيد على عنان : أمراض الحيوانات ، الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رجب ١٣٥٩هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤٠م) ص ٢٨٢ .

ولم تقتصر جهود « الحكمة » فى المجال الاقتصادى على الجانب الزراعى فقط بل تعدته إلى الجوانب الأخرى مما يصعب حصره أو متابعته ، ورغم ذلك يجدر الوقوف عند تجربتين هامتين عن « الاقتصاد » ، باعتباره تعبيراً ومفهوماً حديثاً ، بدأت « المجلة » تعمل على نشره وتعميق معناه بين المعاصرين حينذاك . فقد اهتمت « الحكمة » بنشر قرار الإمام بإنشاء وزارة الاقتصاد نقلا عن جريدة الإيمان ، حتى تنتهز الفرصة للحث على الاهتمام بالجانب الاقتصادى فى البلاد ، ولعرض إحدى القضايا الاقتصادية الهامة . وقد نمت المقدمة التى سبقت نص القرار على فهم عميق لدور الاقتصاد فى كيان الأمم ، إذ جاء فى مستهلها : « التفات الحكومات إلى اقتصاديات بلادها هو الذى أحلته فى الرتبة الأولى من عنايتها واهتمامها ، ولا غرابة فى ذلك فلم تزل اقتصاديات الشعوب على مرور الزمن منذ أن عرف مسمى الحضارة والتمدن دعامة الرخاء والقوة فى الشعوب وبالتالى فى حكوماتها ، وإذا كان الاستقلال السياسى هو الذى تتوجه نحوه القلوب بكليتها ، ولا ترى للحياة طيباً بدونه ، فالاستقلال الاقتصادى هو الركن والأساس لبناء الاستقلال السياسى وهو سابق عليه طبعاً فى الوجود ولا يتحقق معناه الكامل بدونه »[1] . وهذه العبارة توضح أن « هؤلاء » قد فهموا العلاقة الجدلية بين الاقتصاد والسياسة ، وأن الأولى أسبق من الثانية ، وأن هذا الفهم دون شك يعتبر جديداً بالنسبة لتلك الفترة وفى نفس الوقت — أى بعد نشر نص قرار الإمام بتشكيل وزارة الاقتصاد مباشرة - أثارت الحكمة قضيه اقتصادية وطنية هامة هى خلط البن اليمنى بغيره على يد بعض التجار الأجانب مما يقلل من قيمته وسعره ، وناشدت المسئولين المحافظة على هذه الثروة فقيل : « والذى نرجوه من سمو الوزير الجليل (سيف الإسلام على)

---

(١) بدون توقيع : تشكيل وزارة الاقتصاد ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩م) ص ١٠٦ .

بذل العناية فى هذا السبيل بإيجاد طريقة لتصدير البن اليمنى تكفل بصونه عن الخلط وعن تمكن المتاجرين به فى الخارج من عرضه فى الأسواق العالمية مخلوطاً بغيره مع الغش على المشترى بأنه من البن اليمنى المحض الخالص ، للمحافظة على أبقاء ماله من المميزات التى بها فاق على غيره من أنواع البن الأخرى[1] ».

أما التجربة الثانية فى مجال الحديث عن « الاقتصاد » فهى حلقات القاضى عبد الواسع بن يحيى الواسعى - المؤرخ اليمنى المعروف - التى بلغت التسع دون أن تكتمل لتوقف المجلة عن الظهور ، فقد بدأها بعنوان موسع هو : « حسن الإدارة والتدبير والاقتصاد » ولكنه اختصره فيما بعد فأصبح « فى الاقتصاد » . وهذه الحلقات تدل على « الاجتهاد » أكثر مما تدل على « التخصص » ، فصاحبها من أصحاب التعليم التقليدى الذى لم يغادر اليمن قط ، ورغم ذلك فهى تشير إلى الإطار العلمى الحديث الذى فرضته « الحكمة » على كتابها وقرائها على السواء . فقد خلط « الواسعى » بين الاقتصاد وبين الأخلاق والدين والاقتصاد بالمعنى الدارج وهو عدم التبذير ، وهاجم إقبال اليمنيين على « القات والتتن » (أى الدخان) وأنها مضيعة للمال والوقت والصحة ، ورغم هذا كله فقد جاء فى ثنايا الحلقات مايشير إلى « الاجتهاد » والاطلاع الخاص كما ذكرنا دون « التخصص » ، فقد ورد : « ولما ذكرنا الاقتصاد والحث على العمل به نذكر حده » (أى معناه) فنقول: هو علم يبحث فيه عن الثروة للأموال ونموها طلباً للسعادة والرفاهية ، و « فائدته » غناء الفقراء والمساكين ... وموضوع الاقتصاد رأس المال سواء كان نقداً أو غيره ، « رأس المال » هو جزء من الثروة وهو المنتج

---

(١) بدون توقيع : تشكيل وزارة الاقتصاد ، الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ، ص ١٠٨ .

للإيراد أو أسبابه : زراعة أو صناعة أو تجارة ، وستمر بك عن هذه الثلاثة أبحاث قيمة ، ورأس المال هو نتيجة العمل . . »[1] وأهمية هذه العبارات هنا أنها - رغم اهتزازها وخلوها من المصطلحات والتعبيرات العلمية الحديثة - سطرت بقلم أحد أصحاب الثقافة التقليدية فى اليمن .

ويكمل هذه الحلقة « الاقتصادية » ماذكره على محمد الزرقة فى مقالاته - التى لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور - والتى كانت بعنوان « التعاون » . ولم تكن هذه الحلقات - الثلاث - إلا تعبيراً عن الأساس الدينى الذى يدور حول « التعاون » ، ويرجع هذا بطبيعة الحال إلى ثقافة الكاتب التقليدية - وكان يشغل أيضا رئيسا لأحد أقسام المطبعة الإمامية حينذاك - وإلى الثقافة الدينية الإسلامية السائدة فى تلك الفترة ، لذلك كان من الصعب أن ننتظر منه أن يتعرض « للتعاون » بالمعنى العلمى الحديث الذى أصبح شائعا متداولا فى وقتنا الحالى ، ولكن يكفى أنه قدّم هذا التعبير إلى القارىء اليمنى فى هذا الوقت المبكر لأول مرة .

وإذا انتقلنا من مجال « الاقتصاد » إلى مجالات أخرى مما نشر فى « الحكمة » ودل على ما أتته من « جديد » ، نجد أن أحمد حسن الحورش يشد التفاتنا إليه ، بمقالاته التى نشرها بعنوان : « علم التربية والتعليم » ، والتى بلغت حلقاتها ثمان . وقد بدأت هذه الحلقات - وظلت - متخصصة عميقة ، ولكنها بدأت بطرف خفى فى حلقاتها الأخيرة تمس الأوضاع السائدة من تعليمية وتربوية وإدارية بصفة خاصة ، وإن كانت - أى الحلقات - لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور ، أو لأسباب أخرى كما سنرى ، فمن المعروف أن الحورش من

---

(١) عبد الواسع بن يحيى الواسعى : فى الاقتصاد ، الحكمة ، العدد ٢ السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م) ص ٥٠

لقوا حتفهم بعد فشل ثورة عام ١٩٤٨م لنشاطه الوطنى الكبير ، وذلك بعد رحلة كفاح طويلة بدأها بعد أن تخرج من مدرسة الأيتام بصنعاء ، كما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الثانية إلى العراق ، حيث حصل على شهادة « دار المعلمين » ببغداد عام ١٩٣٨م . (١) وكان من هناك قد بدأ بإرسال مقالاته هذه ، ثم واصلها بعد عودته إلى اليمن ، ولذلك كان يضع فى البداية إلى جانب توقيعه عبارة : « من طلبة البعثة اليمنية بالعراق » . ولن ننساق طويلا وراء « الحورش » فى أبحاثه عن التربية والعناية بالطفل — كما بدأ مقالاته — إذ كان أسلوبه مشرقا وعرضه عتما يتسم بالعمق والحداثة فى نفس الوقت ، ولكننا نريد أن ننتقل معه - بقفزات سريعة - لنتحسس هدفه الأخير من هذه الحلقات التى لم تكتمل ، بالإضافة إلى أنه إبراز لموضـــوع جديد كما سبق أن ذكرنا .

وقد أطنب الحورش فى تشريح نفسية الطفل ، وفى تناول ما يجب اتباعه لتربيته حتى انتهى إلى قوله : « فالتربية الصحيحة إذا هى ما كانت غايتها ترقية كل القوى العقلية والطبيعية والأدبية معاً ، والغرض الذى يرمى إليه المربى هو إنماء بدن الولد ، وتنشيط شعوره ، وتنبيه وجدانه ، وتهذيب إرادته ، وتقوية عقله ، وتربية ذوقه ، لكى يصير بعد سنوات قليلة سيد نفسه ، والمدبر الحكيم لشئون حياته كلها » . (٢) وأخذ يعدد فى حلقاته المختلفة العوامل التى تؤثر فى نفسية الطفل مثل الأم والمدرسة والظروف الطبيعية والظروف الاجتماعية ، وهكذا حتى وصل الحديث عن « المسجد » و « الحكومة » باعتبارهما عاملين هامين فى حياة الإنسان فقال : « ومن المؤسسات الاجتماعية التى تؤثر فى حياة المجتمع المعاهد الدينية والحكومية ، فالمسجد الذى يجتمع

---

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٢) أحمد الحورش : علم التربية والتعليم : الحكمة ، العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ربيع الثانى ١٣٥٩هـ (مايو / يونيه ١٩٥٠م) ص ١٦٠ .

فيه الصغير والكبير ورجال العلم يؤثر فى تكوين أخلاق الإنسان إذ يسيطر عليه حب الخير والفضيلة ، وهذا ناشىء من الخشوع والرهبة اللذين يكتسبهما المرء من عبادة الله تعالى . أما الفكرة الجوهرية التى ترتكز عليها الحكومة فهى العدل ويراد بها مساواة المواطنين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم أمام العدالة ، تلك القوة الحاكمة المتصفة بعدم المحاباة التى تنصف المظلوم وتعاقب الظالم ، فهى ذلك القاضى النزيه الذى ينظر بعين الحق فى شئون الناس فيكافىء من يحترم الشرائع العامة وينزل العقاب بمن يجترىء على العبث بالأنظمة وحقوق الأفراد والجماعات »(١) ، ثم يقارن بين هذه الجماعات التى تعيش تحت أنظمة حكومية ، وبين تلك الجماعات التى تعيش تحت أنظمة قبلية متخلفة ، وبهذا انتقل الحورش - فى سلاسة ويسر - من تشريح نفسية الطفل إلى تشريح المجتمع حاثا على الاهتمام بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة حتى يتم بناء المجتمع على أساس سليم .

وقد طرقت «الحكمة» غير ذلك الكثير من الموضوعات الصحية والرياضية والتعليمية وغيرها مما يؤكد أنها حاولت أن تكون مدرسة « للجديد » و « المعاصرة » فى تلك الفترة ، ولا تقف جامدة حائرة أمام الحياة الفكرية والثقافة الشائعة السائدة حينذاك ، ولكن يكفى ما عرضناه من الموضوعات الأخرى للدلالة على ماذهبنا إليه .

الجانب الوطنى :

أما الأمر الثانى الذى نريد أن نتلمسه بين صفحات المجلة كما سبق أن ذكرنا ، فهو تتبع الاتجاهات والتيارات التى برزت فيها ، أو بالأحرى تحديد الدوائر المختلفة التى أهتمت بها ، وهى الدوائر : الوطنية ، والعربية ، والاسلامية ، والدولية ، لنوضح أطرها الرئيسية ، ولنعرف موقف المجلة منها .

---

(١) أحمد الحورش : علم التربية والتعليم ، الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رجب ١٣٥٩هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤٠م) ص ٢٨٨ .

ففى المجال الوطنى ، أى الاهتمام بالوطن والوطنية ، فإننا لا نغالى إذا قلنا أن هذا المجال كان غالباً مسيطراً على مواد المجلة بشكل عام ، إلى الحد الذى يمكن معه أن نقول أن المجلة ـ بكليتها ـ كانت لسان حال الشعور الوطنى النامى فى اليمن حينذاك ، والمعبرة عن الروح الوطنية ـ المحلية ـ التى بدأت تنبثق على يد جماعات المتعلمين والمثقفين ـ أى الانتلجنسيا ـ والتى بدأت تتضح على يد أبناء الطبقة المتوسطة ، إذا جاز استعمال هذا التعبير هنا كما سيتضح فيما بعد . وقد ظهر هذا جيداً فى مجال الأدب والتاريخ كما أشرنا ، كذلك ظهر فى الموضوعات المختلفة المتعددة التى كانت المجلة تحرص على الإشارة فى ثناياها إلى الوطن وضرورة البذل والتضحية من أجله ، والإشادة بتراثه وأمجاده وأعمال رجاله العظام .

غير أننا هنا ، سنعمل على تتبع ذلك الشعور الوطنى ، الذى عبر عنه بشكل مباشر ، أو ذلك الذى ظهر فى مجالات شتى كما سنرى . وقد بدأت « الحكمة » تتحدث عن الوطن والوطنية صراحة منذ عددها الأول ، فقد نشرت مقالا بعنوان : « الوطن وواجبات المرء نحوه » ، وهو بدون توقيع ، أى أنه من قبل هيئة التحرير ، وإن كنا نرجح أنه بقلم أحمد عبد الوهاب الوريث لأنه يتسم بأسلوبه وروحه . وتضمن المقال التعريف بالوطن وحقوقه على أبنائه وواجبات المواطنين نحوه ، وجاءت عباراته تحمل الروح المثالية الخطابية ، التى تذكرنا بأقوال الزعيم المصرى الشاب مصطفى كامل الذى ألهب الروح الوطنية فى مصر فى مستهل هذا القرن . ومما جاء فيها : « الوطن ويالها من كلمة تبعث فى الروح الحياة ، وتوحى بجزالتها إلى النفس السرور ، وتلعب بشجى ألحانها أوتار القلوب ، ويستهون المرء فى سبيلها الغالى والرخيص ، والغث والثمين ، ويستهوى الموت حرمة لها ، ودفاعا عنها ، وإعلاء لشأنها ، ورفعا لكلمتها ، وصوناً لها . الوطن كلمة ضمت جميع معانى الحياة ، وحوت عموم أنواع المسرات ، وحلق فوقها طائر البشر ، ورفرفت

عليها رايات السعادة والها (والنهى) ، الوطن منشأ العزة ، ومبعث الرفعة ، ومصدر الشرف ، ومحط الأمل ، وموطن الرغد والرفاهية ، ومكان الفخر والمباهاة ... »[١] . وهكذا تسير المقالة ، ثم تنتقل إلى فضل الوطن على أبنائه وواجباتهم نحوه ، وفى نفس الوقت كانت المجلة - من حين إلى آخر - تضع بعض المأثورات - فى نهايات المقالات أو الصفحات - الخاصة بالوطن والوطنية ، وذلك على اختلاف أعداد المجلة . ففى أحد الأعداد ذكرت فى نهاية الصفحة عبارة لعلوبة باشا أحد الساسة المصريين فى النصف الأول من القرن العشرين هى: « الوطنية: إحساس فى النفس يدفع الإنسان إلى التضحية براحته وبماله لمصلحة المجموع وكل إنسان فقد إحساس التضحية بشخصه لمصلحة المجموع هو إنسان فاقد الوطنية »[٢] : كذلك تحت عنوان « حب الوطن » ذكرت فى نهاية إحدى الصفحات بيتاً من الشعر لأحمد شوقى وآخر لابن الرومى ، والأول هو :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أما الثانى فهو :

ولى وطن آليت ألا أبيعه   وألا أرى غيرى له الدهر مالكا[٣]

أما الموضوعات الأخرى التى كانت المجلة تستغل الفرصة لتتحدث فيها عن الوطن والوطنية فهى كثيرة كما سبق أن أشرنا ، ولكن يجدر إعطاء بعض الأمثلة . فقد نقلت « الحكمة » عن جريدة « ألف باء » الدمشقية فقرة

---

(١) بدون توقيع : الوطن وواجبات المرء نحوه ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الاولى المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٢٢ .

(٢) علوبة باشا : الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رمضان ١٣٥٩ هـ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٣٦ .

(٣) الحكمة : العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رمضان ١٣٥٩ هـ ص ٣٤٢ .

من مقال بعنوان «ابن العروبة البكر» تشيد فيها باستقلال اليمن وأنها «وطن العرب الحقيقي» ، ثم علقت على هذه الفقرة بقولها : «فيجب على كل وطني مخلص السعي فيما يرفع كيان أمته ويزيدها مكانة وفخراً ، وأن يبذل نفسه ونفيسه في سبيل الدفاع عن وحدتها واستقلالها ، وفي خدمتها كل على مرتبته وحرفته ووظيفته بالتعاون والتناصح والاتحاد والسعي في كل صالح ، والجد في التقدم والاستعداد بكل ممكن بصورة حثيثة لتتم النعمة وتنمو الثروات وتعيش الأمة سعيدة موفورة الكرامة مهابة الجانب ، ويتم استقلالهـــا الاقتصادي كاستقلالها السياسي ...»[1] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت المجلة ترحب بنشر بعض القصائد التي تدور حول الموضوع نفسه مثل القصيدة المعروفة لشاعر اليمن الشهير إبراهيم ابن أحمد الحضراني ، التي نشرتها ضمن أحد أبوابها الثابتة وهو «مختارات الحكمة من الشعر القديم والحديث» ، وقد جاء فيها :

فاز من شب على ما   ينفع الشعب وشابا
أيها القائم بالأمـــــر الذي يرضى الكتابا
دم لليل الجهل في الأمـــــة بدار لن يغابا
لا تظن السعي والإخـــــلاص لا يفتح بابا
سوف تجني من ثمار الـ   ـجد ما لذ وطاب
وترى من عقول القـ   ـوم ما أضحى يبابا
إنمـــا الماجد من لم   يأل للمجد طلابا
ويرى ما خالف الحـ   ـق وإن جل سرابا

---

(١) الحكمة : العدد ٥ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الأول ١٣٥٨ هـ (أبريل/ مايو ١٩٣٩م) ص ١٥٧ .

فهو لا يخشى إذا ما قال بالحـــق عقابا
إنه لا يمتطى المجـــــد فتى ذل وهابا
قل ولا تخشى فما فا ز إمرء دارى وحابا(١)

وكان البعض يلجأ إلى التاريخ لحث الهمم وإثارة الروح الوطنية بالتذكير بأمجاد الماضى ، وذلك كما فعل الملازم أول — حينذاك — أحمد حسين المرونى — بعد عودته من بعثته بالعراق — فكتب مقالة بعنوان : « صفحة من تاريخنا المجيد ، أيها العربى المسلم : هل تعلم ... ؟ » ، استمرت أغلب فقراتها تبدأ بعبارة «هل تعلم» ليشير إلى ماضى العرب المجيد ، وليدفعه إلى الجد والاجتهاد لبناء وطنه ، وليحذره من أساليب الاستعمار فقال : « ... لما كان يجسر الغربى أن يمد يده الملوثة الدنسة للعبث بكرامة فلسطين العربية الدامية ، أو يطمع فى طرابلس الشهيدة ، أو تسول له نفسه شراً بالجزيرة العربية ، أو يزين له شيطانه غزو البلاد الإسلامية ... » ، ثم أخذ يعدد نقاط الضعف فى الأمة العربية ، ويطالب الضمائر بالعمل على رفع شأن الوطن ، والاستهانة بالموت من أجله ، حتى ختمها بقوله : «أيها العربى المسلم أناديك بقلب عامر بالإيمان ونفس مملوءة بالأمل ، فاعمل لوطنك وقومك ما يرتاح له ضميرك ويرضى به قلبك ...»(٢). ويبدو أنه كان يريد بعد ذلك أن يرسم خطوات النهوض بالوطن والمواطنين ، فكتب مقالا آخر بعنوان : «الجد سلم الارتقاء،توطئة» ، وأبرز فى هذا التمهيد حالة مواطنيه وما استكانوا له من كسل وخمول واستسلامهم للجهل ، ثم ناشد أهل القلم بقوله : «فيجب على حملة الأقلام أن يكونوا فى المقدمة أثناء السير ، رافعين فى أيديهم مشاعل

---

(١) لإبراهيم الحضرانى : قصيدة ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ذى القعدة ١٣٥٨هـ (ديسمبر ١٩٣٩م / يناير ١٩٤٠م) ص ١٨ .

(٢) أحمد حسين المرونى : الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى الحجة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٣٩م / يناير ١٩٤٠م) ص ١٨ .

الهداية ومصابيح الرشاد يرسلون بين الفينة والفينة كلماتهم المؤثرة التي تخترق الآذان، وتصل إلى أعماق القلوب وقرارة النفس، فتوقظ الهمم والعزائم، وتنبه الأرواح ... »(١) ، ولكن لم يسعدنا الحظ بمعرفة تفكير رجالات هذه الفترة في كيفية بناء الوطن ، وفي وضع خطوات المسيرة ، إذ نشرت هذه « التوطئة » في آخر أعداد المجلة التي توقفت بعده مباشرة ، رغم أنه جاء في نهايتها لفظ « يتبع » الذي كان يشير إلى استمرار الحلقات .

وإلى جانب هذا وذاك ، فكما كانت « الحكمة » تشيد بأمجاد اليمن وحاضره، فقد نشرت في نهاية إحدى الصفحات ثلاث أبيات للشاعر العراقي المعروف عبد الهادي الجواهري يمتدح فيها صنعاء — بعد زيارتها — تحت توقيع « السائح العراقي » بجوار اسمه قال :

صنعاء يا دار الحضارة والعلى	ومقام كل خليفـــة ومليك
باريس دونك في الجمال ولندن	وعواصم الرومان والأمريك
فجمال تلك مزخرف متكلف	وجمالك المطبوع من باريك(٢)

وبالإضافة إلى تلك الكتابات السابقة التي تتحدث مباشرة عن الوطن والوطنية وحقوق وواجبات المواطنين ، فقد تشعبت الكتابات وتعددت حول طرق الموضوعات التي تؤدي إلى الإصلاح ، والنهوض بمرافق الحياة في البلاد ، أو بالأحرى حول البناء الوطني في كافة المجالات ، مثل بناء جيش وطني قوي ، وإصلاح الإدارة ، والاهتمام بالتعليم ، وغير ذلك مما يعني ترجمة الشعور الوطني إلى عمل للنهوض بالوطن وأبنائه .

---

(١) أحمد حسين المروني : الجد سلم الارتقاء ، توطئة ، الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، صفر ١٣٦٠هـ (فبراير / مارس ١٩٤١م) ص ١٢١ .

(٢) عبد الهادي الجواهري : الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذي الحجة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٤٠ / يناير ١٩٤١م) ص ٦١ .

وكان الجيش والاعتناء به من أبرز النواحي التي اهتم بها أبناء «الحكمة» ، فمن ناحية كان الجيش وتقويته موضع اهتمام الإمام يحيى ولو بطريقته التقليدية التدريجية ، منذ خروج الأتراك من اليمن ، ومحاولته بناء دولته . ومن ناحية أخرى كانت « الحكمة » تنتهز الفرصة من حين إلى آخر للتعبير عن رغبتها الأكيدة في بناء جيش قوى حديث يصد عن البلاد ماحاق بها من هزائم على حدودها الشمالية والجنوبية في عام ١٩٣٤م، وكأنها بذلك تحث الحكومة على بذل المزيد من أجل الاهتمام بالجيش .

وقد برز هذا الاهتمام سواء عند نشر الأخبار المتعلقة بالجيش ، أو في مقالات خاصة كما سنرى ، كذلك ظهر الاهتمام منذ ظهور المجلة ، أي في عددها الأول . فقد انتهز أحمد عبد الوهاب الوريث الفرصة عند مشاهدته إحدى مناورات الجيش الدفاعي الذي كان قد تكون قبل ذلك بقليل ، ليتحدث عن الجندي اليمني وشجاعته وذكائه ووطنيته ، وليبث آماله في إيجاد جيش قوى موحد ، أي يعبر عن وحدة البلاد ، ولا يمثل انقسامها إلى جهات وقبائل . فبعد أن عبر عن إعجابه بالتدريبات العسكرية ، وعن استيعاب الجندي اليمني لما هو حديث ، أبدى طيب خاطره لما رآه ـ وكأنه يعبر بطرف خفي عن آماله ـ فقال : « ترى هذا الجندي المؤلف من مختلف القبائل ومتعدد المناطق قد صار كتلة واحدة ، يشعر بشعور واحد ، ويرمى إلى غرض واحد ، ويسير تحت لواء واحد، وهو صورة مصغرة لكل الشعب اليمني المتضامن»(١) . وفي نفس العدد نشرت الحكمة خبرا آخرا عن مناورة بالمدافع الحديثة التي وصلت اليمن ، وحسن استعمال الجندي اليمني لها ، ثم خبرا باقامة احتفال كبير لترقية بعض الضباط ، ويحف الخبران الإشادة بخطوات الإمام يحيى وأبنائه سيوف الإسلام وفي نفس الوقت إبداء السرور للاهتمام بتقدم الجيش .

---

(١) أحمد الوريث : ساعة في ميدان الجيش الدفاعي ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي القعده ١٣٥٧هـ ، ص ١٤ .

أما النوع الثانى من مظاهر الاهتمام بالجيش ، فقد اتضح فى المقالات الخاصة التى نشرها بعض الضباط الصغار وخاصة من أبناء البعثات اليمنية إلى العراق مثل مقالتى ملازم محمد صالح العلفى ، وملازم حمود الجائفى . فقد نشر الأول مقالا بعنوان : « الجيش سور الوطن » تكلم فيه عن أهمية الجيش بالنسبة للمحافظة على استقلال البلاد وشرفها ، ثم يناشد الشباب بالانخراط فى هذه المهنة الشريفة ألا وهى الجندية : « فكيف تتأخر أيها الجندى اليمانى وأنت عسكرى من الفطرة ، مخلص ومطيع وغيور ، لحافظ على فطرتك ، وتمم ما أنت به من نقص ، وتمرن على الأعمال العسكرية لتصبح مثلا أعلى ».(١) أما مقالة حمود الجائفى فلم تقتصر على العبارات العامة أو مناشدة الضمائر ، بل اتسمت بالعمق والدقة ، فقد تناولت جانبا معينا من جوانب خلق الجيوش ، وهى الجانب المعنوى وضرورة الاهتمام ببثه فى قلوب الجنود والضباط على السواء ، وأخذ يوضح كيفية نشر هذه الروح بين أفراد الجيش حتى نشعر وكأننا أمام أستاذ متخصص يرسم الخطوات والمنهج . ومن ناحية أخرى ، فأهمية هذه المقالة تتضح فيما طرحه من شعار حديث للجيش وهو الاخلاص لله والإمام والوطن،(٢) وليس للامام وحده . وقد صرح بذلك فى دبلوماسية ومهارة نظرا للظروف السائدة حينذاك ، إذ كان النداء الذى كان يردده الجند فى طوابيرهم خاص بالامام فقط ، وهو – كما قيل – « الله يحفظ الامام » .

وواصلت « الحكمة » اهتمامها بالجيش وأخباره حتى أواخر أعدادها ، وخاصة بعد وصـــول البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن وقيامها بتحديث

---

(١) محمد صالح العلفى : الحكمة ، العـدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩م) ص ١١٣ ، ع٤ ، ٢ .

(٢) حمود الجائفى : القوة الأدبية (المعنوية) وتأثيرها فى الجيش ، الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م) ص ٤٧ .

الجيش اليمنى ، فقـــد نشرت خبراً عن مناورة — بالقرب من صنعاء — بالمدافع الحديثة ويبدو أنها كانت مدافع « الهاون » المعروفة كما يفهم من الخبر نفسه . ولكن ما يهمنا هو ما جاء بها من الإشادة بمهارة الجندى اليمنى والشكر المقدم للمدرب العراقى الذى أصبح له شأن كبير فى تاريخ اليمن فيما بعد وهو الرئيس جمال جميل الذى أصبح القائد العسكرى لثورة عام١٩٤٨، والذى لقى حتفه — فى اليمن — بعد فشل هذه الثورة ، فقد قيل : « وأنه قد دل (أى هذا التدريب) فيما دل عليه على أن الجندى اليمانى وهو المشهود بذكائه وقابليته الحربية لا يقل مهارة عن أى جندى فى أرقى جيوش العالم اليوم ، كما أنه سجل لمعلم المدفعية اليمانية الرئيس (جمال جميل) عضو البعثة العسكرية يداً بيضاء محمودة ، فرحى مرحى لمدفعيتنا النشيطة ، وشكراً شكراً لمعلمها القدير المحترم »[1] .

وعلى هذا المنوال ، ومن هـــذه الزاوية ، كانت « الحكمة » تتخير الأخبار التى تنشرها وتعلق عليها ، إذ كانت تختار من أخبـار « الدولة » ما تعتبره من الأعمال النافعة للبـلاد ، فتنشره مع تعليق يطول أو يقصر ، تبارك فيه خطوة الحكومة ، وتدعوها إلى المزيد من مثل هذه الأعمـال ، وتطالب ببعض التطوير لعمل منها ، أو تقترح إضافة لما قامت به الحكومة، وهكذا مما أسميناه من قبل — عند الإشـارة إلى تنوع محتويات المجلة — باسم « الأخبار ذات التعليق » . وكان غرض « الحكمة » من وراء الاهتمام بنشر خطوات الحكومة المفيدة هو خدمة هدفها الأساسى الذى يدور حول بنـاء الوطن والنهوض به فى شتى المجالات والنواحى ، وذلك بالإضافة إلى أنهـا مجلة حكومية ، أى أنها لا تستطيع أن تغفل الجانب « الإعلامى » من رسالتها .

---

(١) الحكمة : مدفعية الجيش ورميها الفنى ، العدد ٣ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، محرم ١٣٦٠هـ (يناير / فبراير ١٩٤١م) ص ٧٧ .

وكان هذا الغرض واضحاً أمام « الحكمة » منذ البداية ، وظهر هذا فى أول أعدادها ، فتحت عنوان « قدوم » نشرت المجلة خبر عودة أمير الجيش الشريف عبد الله الضمين إلى العاصمة بعد عدة أشهر قضاها فى تعبيد الطريق إلى « الجوف » لمرور السيارات إليها : « وقد أكمل ذلك على أحسن حال ، حيى الله الهمم المبذولة فى مثل هذه الأعمال الجليلة النافعة ... »[1]. وفى نفس العدد طورت « الخبر » إلى ما يعرف عند أهل الصحافة باسم « الريبورتاج » فقد نشرت مقالا مطولا محلى بالصور عن تأسيس «مدرسة الصناعة» بصنعاء، واستقدام أحد الخبراء المصريين للعمـــل بها ، وشراء الآلات اليدوية والميكانيكية لها. وقد استهلت هذا الريبورتاج بالحديث عن ازدهار الصناعة فى اليمن قديماً ، ثم عن أهمية الصناعة فى ازدهار الأمم ورقيها ، وذلك قبل الحديث عن المدرسة وتأسيسها وأقسامها، وشكر الإمام ونجله السيف عبد الله لتأسيس هذه المدرسة . وكان حديث المجلة عن أهمية الصناعة هو بيت القصيد ، إذ تعمدت الإيحاء بأهميتها ودورها حتى تلفت الأنظار إليها فقالت : « ومما لا يقبل الشك والارتياب أهمية الصناعة واحتياج المجتمع إلى ترقيتها ، وكونها من أمهات المسائل الاقتصادية ، وأكبر وسائل الثروة وأولاها بالعناية ، وإنك لترى أعظم الأمم ثراء وأوسعها فى العالم نفوذاً هى أرقاها صناعة وأشدها اهتماماً بها . وقد قرر الباحثون تأثير الصناعة فى الأخلاق وتربية الروح القومية وإصلاح الشئون الاجتماعية كتأثيرها فى فى الماديات، كما سنشرحه لقراء الحكمة اليمانية فى عدد مستقل إن شاء الله »[2]. كذلك اهتمت بنشر خبر قدوم الأستاذ المصرى لهذه المدرسة فور وصوله فقالت : « وفى يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ فى الشهر الجارى (صفر ١٣٥٩ هـ)

---

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) نفس العدد : ص ٢٠ — ٢١ .

وصل العاصمة حضرة الأستاذ المحترم عبد القادر علام المصرى المنتدب للتعليم فى المدرسة الصناعية العلمية والنظرية ، لكفاءته التامة ورسوخ قدمه فى الصناعات، فنرحب بقدومه ونتمنى له الفوز[١] ، وذلك ضمن أخبار أخرى عن « قدوم » بعض الشخصيات اليمنية والعربية الكبيرة إلى صنعاء . وإلى جانب هذا وذاك، فكان بعض المحررين يدس متعمداً بعض الأخبار الخاصة بخطوات « الدولة » وأعمالها خلال مقالات ، ليربط بين ما كان قائماً فى اليمن فى الماضى وبين ما تتخذه الحكومة حينذاك ، وليحثها بطرف خفى — إلى اتخاذ المزيد من الخطوات ، رغم أنه كان يعبر عن هذا الحث فى إطار المدح لهذه الخطوات والإشادة بها . وقد فعل هذا محي الدين العنسى فى حلقاته التى بدأت فقط دون أن تستمر أو تكتمل — لظروف خاصة ولتوقف المجلة عن الصدور — فبعد أن تحدث عن ماضى اليمن واهتمامها بالزراعة ، وعن ازدهار الحضارة بها قديماً وتأثيرها على جيرانها وخاصة مصر وبلاد الرافدين ، مع الاستشهاد بأقوال بعض المراجع الأجنبية ، تدرج الهوينا إلى الإجراءات الحكومية حينذاك فقال : « وقد اهتمت حكومتنا الجليلة فى الأيام الأخيرة بإدخال الأساليب الحديثة لتحسين الزراعة فى اليمن فاستقدمت الخبراء الفنيين من مصر وسوريا والعراق لدرس زراعة اليمن وطرق إنعاشها ، وأدخلت أنواع البذور الجديدة ، وغرست آلاف الفصائل الزراعية التى استقدمتها من الخارج ، ودلت التجارب على نجاح أكثرها نجاحاً باهراً . وأنشأت أخيراً مديرية (أى إدارة) للزراعة وألحقتها بوزارة الاقتصاد التى أنشأت(انشئت) معها فى العام الماضى . وتعمل الآن وزارة الاقتصاد على توسيع أعمال مديرية الزراعة هذه وتزويدها

---

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ص ١٢٣ .

بالخبراء الفنيين من أبناء الأقطار العربية الشقيقة[١] .

وهكذا تعددت صور الأخبار التي نشرتها المجلة ، والتي كانت تنتقيها لخدمة أغراضها الوطنية ، كما كانت ما تنتقيه لا يقف عند جانب معين ، بل اهتمت بنشر الأخبار عن كافة مرافق البلاد وشتى مجالات الحياة ، طالما كانت هذه الأخبار تعنى التطور وتتناول نهضة الوطن ، مما يصعب حصره في هذا المجال . غير أن « المجلة » تجاوزت هذا النوع من النشر والكتابة الذي ترمى من ورائه الإشادة بأعمال الحكومة الإصلاحية وحثها على القيام بالمزيد منها ، أو لفت نظارها إلى العناية بجانب معين ، تجاوزت هذا إلى أن أفردت المقالات المطولة التي تدعو إلى الإصلاح وتطوير البلاد بوجه عام في مختلف النواحي والمجالات .

وتعتبر حلقات أحمد عبد الوهاب الوريث الشهيرة بعنوان « الإصلاح» هي أبرز كتابات هذا النوع من المقالات التي دعت إلى الإصلاح والتطوير . وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الحلقات قد بدأت مع العدد الأول من أعداد المجلة ، وأن الوريث قد نشر تسع منها في حياته ، ونشرت العاشرة بعد وفاته ، وأن أحمد المطاع واصل الكتابة تحت نفس العنوان حتى بلغ عددها ثمان عشرة ، ولكنها لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور . ورغم أن الوريث قد أدار مقالاته حول محور معين هو : « ماضى المسلمين وحاضرهم ، كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى » — كما جاء في عناوينها بعد لفظ الإصلاح — وإنه قد تحدث فيها عن العالم الإسلامي — « ماضيه وحاضره » — مستعيناً في ذلك بالتاريخ الإسلامي — وعاملا على تشريح

---

(١) محيى الدين العنسى : اليمن السعيدة بين الماضى والحاضر ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شعبان ١٣٥٩هـ ، (سبتمبر / أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٣١١ .

أوضاع المسلمين ليقف على « عوامل انحطاطهم بعد العلو » ، رغم هذا كله يجدر الإشارة إليها هنا ، أى أثناء الحديث عن الاتجاه الوطنى بالمجلة ، لما جاء فيها من إشارات وتلميحات خفيـــة غير مباشرة تمس الأوضاع السائدة فى اليمن حينذاك كما سبق أن ذكرنا . وقد استغرقت الحلقات الثلاث الأولى الحديث عن أثر الإسلام فى إنهاض العرب وتأسيسهم امبراطورية مترامية الأطراف ، ثم انحدارهم إلى الضعف تدريجياً حتى وقعوا تحت براثن الاستعمار . وقد غلب السرد التاريخى على هذه الحلقات ، ولكنه أنهى هذا الجزء بحث أبناء وطنه على النهوض به وتطويره للوقوف فى وجه الأطماع الاستعمارية ، فقال : « تلك أحوال العالم الإسلامى سردتها فى هذا المقام وإن كانت إلى التاريخ أميـــل وبه ألصق ، ليعرف القراء الكرام وبالخصوص إخواننا اليمانيون ، ما انتهت إليه حال المسلمين من الذل والهوان والتشتت والتفرق ، وما أصيبوا به من فظائع الاستعمار وأهواله ، وليرجع القارىء الطرف إلى أحوال المسلمين فى صدر الإسلام ، وما كان لهم من عز باذخ وكلمـــة نافذة وسطوة مرهوبة ، ويقارن بينها وبين الأحوال الحاضرة ، وليحافظ الذين منّ الله عليهم ببقاء استقلالهم على بلادهم وأمتهم ، ويحذروا من نشوب مخالب المستعمر الظالم فى البلاد بأساليبه المعروفة ، ويعملوا على جمع كلمة الأمة والتآلف بين طوائفها ، وقطع دابر الاختلاف ، وتنمية ثروة البلاد بشتى مصادرها ، ومحاربة موجبات الفقر وأسباب التعاسة والشقاء ، ومطاردة الجهالة الضاربة أطنابها كى تكون الأمة كتلة واحدة عارفة بواجبها مشمرة بمنافعها ومضارها ، قوية تقدر على القيام فى وجه المستعمر الجشع وتتمكن من دحره وطرده إذا سولت له نفسه الأمارة بالسوء مهاجمة وطنها المستقل ، وتمثيل الرواية الاستعمارية فيه كما مثلها فى تلك الأقطار المستعمرة المظلومة ، وليقوموا بواجبهم نحو إخوانهم الواقعين فى شرك الاستعمار

ونحله ، ويمدوا إليهم يد المساعدة والتعاون»[١] .

وانتقل الوريث بعد ذلك إلى الجزء الثانى من حلقاته ، وهو الذى يدور حول تشريح المجتمع الإسلامى للكشف عن أسباب انحطاطه حتى يستطيع فى النهاية أن يرسم طريق الإصلاح والنهوض . وقد أجمل فى البداية أسباب انحطاط شأن المسلمين فى انصرافهم عن الدين الصحيح وروحه ، وتمسكهم بالمظاهر والقشور ، مما يؤكد أن تفكيره كان امتداد للدعوة الإصلاحية السلفية التى برزت فى بداية هذا القرن على يد جمال الدين الأفغانى ثم الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا . واستطرد الوريث عندئذ فى الحديث عن دور العلماء على مر التاريخ وإنهم ورثة الأنبياء فى المحافظة على الدين ، ثم صب عليهم جام غضبه لانصرافهم عن واجبهم طمعاً فى المال والجاه ، فكانوا سبباً فى ضعف المسلمين وانهيار بلادهم . وقد حدد أمراض للعلماء فى نقط أربع ، وضع كل منها تحت عنوان خاص هى : « العلماء وتهافتهم على المال والجاه » ، و « العلماء والمداجاة » . و « العلماء والجمود » ، و « العلماء وتفريق الكلمة » . ورغم أنه ليس هنا مجال الحديث عن هذه النقاط بالتفصيل ، فإننا نلمس فيها بوضوح ما يمس بعض العلماء فى اليمن ، وكأنه يوجه إليهم الحديث مباشرة رغم أن حديثه كان عاماً يتناول أوضاع المسلمين كافة .

وتابع الوريث نقده للمجتمع الإسلامى عامة — بعد أن خصصه من قبل عن العلماء — فلخص نقده فى عدة نقاط استغرقت عدة حلقات أكد فيها اتجاهه وتفكيره ، وهى تحت العناوين الآتية :

١ — الإعراض عن الكتاب والسنة وإدخال ماليس من الدين فيه .

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٧هـ ، (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٦٩ .

٢ - جهل روح الدين .

٣ — تصدع وحدة العقائد وظهور الاختلاف المذهبى .

٤ — إهمال مبدأ التضحية بالنفس والمال .

٥ — التخاذل وموت الشعور الأخوى .

٦ — ضعف الأخلاق وفسادها .

٧ — نزع السلطة الإدارية والعسكرية من أيدى العرب وقبض العناصر الغريبة على زمامها أيضاً .

ولقد عرض الوريث حقاً هذه الموضوعات فى سهولة وعمق فى آن واحد، وجمع فيها بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وبين الثقافة الدينية والدراسات التاريخية ، وبين الثقافة الحديثة والأفكار العصرية ، وربط بين العرض التقليدى والإقناع المنطقى ، وبين الأسلوب الخطابى أحياناً وبين السرد القصصى أحياناً أخرى ، وذلك كله دون أن يشعر القارىء بملل أو تفكك فى الموضوع ، إلا إذا استثنينا ميله إلى بعض المحسنات اللفظية . وسنتعرض فيما بعد لما جاء فى هذه النقاط من آراء وأفكار هامة ، إذ استطاع بنجاح أن ينقد كثيراً من الأوضاع القائمة حوله فى خلال إطار تاريخى فضفاض يتناول عصور تأخر المسلمين فى القرون الوسطى .

وكان الوريث قد استكمل عرض هذه النقاط فى حلقته التاسعة التى توفى بعدها بقليل ، وكأنها كانت نهاية لدوره النقدى للأوضاع السائدة ، فقد بدأ فى الحلقة العاشرة الجزء الثالث — أو بالأحرى الموضوع الثالث — من مقالاته ، وهو حاضر العالم الإسلامى وبوادر النهضة فى أنحائه . ولم يمهله القدر ليعرض آرائه النقدية ووجهات نظره فى أوضاع الحاضر ، كما فعل بالنسبة لأوضاع الماضى ، ولكنه وضع فى هذه المقالة — التى نشرت بعد

وفاته — والتي نعتبرها تمهيداً لهذا الجزء — وضع منهجه وبعض أفكاره واتجاهاته كما يتضح من العنوان الخاص بها — الذي وضعه بعد العنوان التقليدي لمقالاته — وهو : « نهضة الإسلام الحاضرة ، مناشئها وعواملها وأقوال علماء الغرب فيها ورأينا في ذلك » . وقد لخص في مستهل هذه الحلقة الصور القائمة المتخلفة التي كان عليها العالم الإسلامي في عصور التأخر ، والتي سبق أن عرضها بالتفصيل في الحلقات السابقة ، ثم انتقل إلى تلمس مظاهر النهضة في هذا العالم ، فنرى وكأنه يبث آماله عن الحاضر والمستقبل جنباً إلى جنب مع حديثه عن مظاهر النهضة التي بدأت تنبعث هنا وهناك في أنحاء العالم الإسلامي ، فقال : « نعم ، كان المجتمع الإسلامي آنئذ كما ذكرنا ولكنه أصبح اليوم بحال غيرها ، أصبح يحس بآلامه وآماله ، ويتلمس موضع الداء من جسمه ويرتاد الدواء الآسي في منتجعاته . أصبح يعمل على تحرير العقل وتحطيم القيود التي أوثقته تلك العصور المتطاولة ، وينفض عنه غبار الجمود ، ويكسح منه أدران التخريف والجهل . أصبح يقدر العلم النافع قدره ، ويعتقد الفوز والنجح معقودين على الأخذ بأوفر نصيب منه . أصبح يشعر بحقوقه المسلوبة ، ومقدساته المغصوبة ، وحرماته المنتهكة ، وبلاده المستعمرة ، ويؤنب نفسه على تقصيرها في واجباتها ، وتهاونها بحقوقها ، وتأخرها عن الجري في مضمار الحياة ، وتقاعسها عن مزاحمة الأمم الراقية في ميادين العز والفلاح . أصبح ينظر إلى كل ناحية من نواحي حياته ويفكر في إصلاحها والعمل لما يرفعها إلى المستوى اللائق بها ، فهو بهذا وما شاكله قد انتقل من طور إلى آخر انتقل من طور الجمود والغفلة ، والكسل والبطالة ، والجهل والتخريف ، والاستسلام والتبلد ، والتقليد والخنوع ، والذلة والمهانة ، والاستعباد والتقديس — إلى طور — لا أقول أنه يغايره تماماً ولكنه يخالفه شيئاً ما ، ففيه شيء من التحرر العقلي والإصلاح الديني ، والنهوض العلمي ، والرقي الأدبي ، والنشاط العلمي ، والتقدم الاقتصادي ، والنظام

السياسي ، والشعور القومي ، والاعتزاز الوطني»[١] .

ويلاحظ أن من يدقق النظر في أعداد المجلة ، يجد أن هـذا النوع من المقالات التي نحن بصددها ــ أي ذات الاتجاه الوطني ــ إنما كانت تعالج النقاط هذه التي أشار إليها الورتيث في عبارته السابقة ، وكأنه يلفت نظر معاصريه من قراء وكتاب ومسئولين إلى أهمية هـذه النواحي ، ويطالبهم بضرورة الاهتمام بها لمواكبة العصر ، أو على الأقل للحاق بمظاهر النهضة الحديثة التي بدأ ظهورها في أنحاء العالم الإسلامي حينذاك .

وقد أكمل مقالته بوضع تساؤل هام حول : ما هي أسباب هذه النهضة؟ وقبـــل أن يجيب أخـذ يناقش الآراء التي أطلقها الغربيون مثل تفسير النهضة بأنها ترجع إلى تصريح ولسون عقب الحرب العالمية الأولى الذي ينص على حق تقرير المصير ، أو مثل القسـوة والغلظة التي اتبعها الاستعمار مع الشعوب المقهورة ، وأن هذا أدى إلى يقظة تلك الشعوب . وقد رفض الورتيث هذه التفسيرات واعتبرها جزءاً من ادعاءات الغرب التي يريد بها تضليل الشعوب وتمييع قضاياهم ، حتى انتهى إلى قوله : «ولو أنهم أنصفوا التاريخ وعدلوا في الحـكم لعلموا أن للنهضة الإسلامية ـ وبالأحرى كل ناحية من نواحيها ـ أسباباً طبيعية أدت إليها واتصلت بها اتصال الوسيلة بالغاية ، وارتبطت بها ارتباط المقـدمة بالنتيجة كما هو شأن النهضات العالمية»[٢] ، غير أن القدر لم يمهل الورتيث كما ذكرنا ليقدم لنا تفسيراته هو حول النهضة الاسـلامية الحديثـة .

وإذا كنا قد وقفنا هنا عند آخر كلمات الورتيث، فإن لنا عودة إليها في مناسبات أخرى ، فقد طرق شتى المجالات والموضوعات نظراً لحيويته ونشاطه وثقافته

---

(١) أحمد الورتيث : الاصـلاح ، الحكمة ، العدد ٥ ، السـنة الثانية ، المجلد الثاني ربيع الأول ١٣٥٩هـ (أبريل / مايو ١٩٤٠م) ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) أحمد الورتيث : الإصلاح ، نفس المرجع ، ص ١٤١ .

يستحق التسجيل والمتابعة . غير أننا هنا نريد أن ننتقل إلى صورة أخرى من الصور التي مست الجانب الوطني وخاصة الناحية السياسية منه ، فقد نقلت « الحكمة » مقال الأمير شكيب أرسلان بعنوان : « اليمن سعيد بحوله تعالى وباتحاد أهله » التي نشرتها جريدة (العلم المصرية القاهرية) ، والتي دافع فيها عن حكام اليمن حينذاك ضد ما تنشره الجريدة من شكاوى بعض اليمنيين ، مشيدا فيها بعدالة الإمام وبمحافظته على استقلال البلاد . ومن المعروف أن الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود كانا لهما مكانة خاصة في أعين العرب لأن بلديهما كانا البلدين الوحيدين اللذين لم يقعا تحت النفوذ الأجنبي في تلك الفترة من بين البلاد العربية جميعها . وقد نقلت الحكمة أيضا مقتطفات من تعليق جريدة « العلم المصري » على مقالة شكيب أرسلان ، ثم علقت هي في النهاية على المقالتين ورغم أن الكلمات الثلاث تتسم بالتعاطف مع حكومة اليمن والإمام يحيى كما نتوقع ، فان حرص الحكمة على نشرها كان بغرض الإيحاء إلى الحكومة بما سنشير إليه ، كذلك الإيحاء إلى القراء داخل اليمن بما يدور حول بلادهم في الخارج . فقد جاء في مقال ـ شكيب أرسلان ـ ضمن نقاط أخرى ـ حض للحكومة اليمنية على الدخول مع البلاد العربية في علاقات وطيدة ترفع شأن الجميع ، ومن المعروف أنه كان قد اشتهر عن الإمام يحيى أنه يميل إلى سياسة العزلة والانكماش حتى بالنسبة للبلاد العربية ، كما أن التفكير في إنشاء اتحاد أو تحالف بين تلك البلاد كان قد بدأ يلوح في الأفق ولو همسا بين المفكرين والزعماء العرب ، لذلك فن الضروري تهيئة نفسية الإمام لهذه الخطوة ، لهذا قال . « إن الطريق الوحيد لنجاة اليمن ولاصلاح اليمن ولسعادة اليمن هي الوحدة العربية ، وهي التي تجعل من اليمن عضوا عاملا من أعضاء هذا الجسم العربي الذي يقوى بالاتحاد ويضعف ويتفكك بالانفصال ، فاعتمدوا في توطيد كيانكم السياسي والاجتماعي ، وانبعاثكم الثقافي والأدبي ، ونشاطكم العسكري والاقتصادي ، وإصلاحكم الإداري والمدني على مصر والبلاد العربية المستقلة ، فهي وحدها التي يمكنها

أن تنفعكم، وهى وحدها التى تقدرون أن تركنوا إليها وتعولوا عليها، وهى جديرة بأن تقوى بكم وبأن تقويكم والمرء كثير بأخيه..»[١]. أما ماجاء فى تعليق الجريدة المصرية فكان يمس الأوضاع اليمنية الداخلية بشكل أكثر وضوحاً وعمقاً مما لا تستطيع الحكمة أن تقوله هى مباشرة، فلجأت إلى هذه المقتطفات تذكر منها ما يروق لها ويخدم قضيتها. وقد بدأ تعليق الجريدة بالإشادة بالإمام يحيى وأنه «بطل استقلال اليمن»، ثم جاء به بعد قليل — للدفاع عن نفسها وعما تنشره من شكايات اليمنيين التى تصلها — قولها: «وأما الذى ننشره فهو أنباء مظالم الشعب من بعض الحكام، فهل نشر المظالمات يمس جلالة الإمام المعظم؟ ... فلماذا إذن يغضب حكام اليمن من نشر مظالمات الشعب فى الجرائد ويوهمون الناس أن جلالة الإمام يغضب من النشر ...». ومن المقتطفات أيضاً: «وإننا نشكر لعطوفة الأمير توصيته اليمن بالتمسك بالوحدة العربية، ولكن هذه التوصية وحدها لا تكفى بل إن اليمن يكون عبئاً على الأمم العربية أن تظل كما هو دون الأمم العربية الأخرى مدنية وحضارة ...»، ومنها كذلك: «إنما ينشر عن اليمن يدخل فى شقين أولها التشكى بالحكام والآخر إدخال ما تحتاجه اليمن فى حياتها، وأن إرسال البعثات إلى العراق لا يكفى، فلايزال العراق عالة على أوربا، فكيف يظل اليمن عالة على الغير. ». وانتهت هذه المقتطفات بمهاجمة سياسة العزلة التى يتخذها الإمام فجاء بها: «وإن قيل أن جلالة الإمام لا يثق بالغرباء نقول أن عدم الثقة بالغرباء الأجانب أمر معقول أما عدم الثقة بالمسلم العربى فهذا غير جائز بل لا بقى اليمن حيث هو فى أخريات الأمم وفى ذلك مايعرضه للضياع بأقل هجمة كما ضاعت الحبشة من أهلها»[٢]. ويلاحظ أن الشعور

---

(١) شكيب أرسلان: اليمن سعيد بحوله تعالى وباتحاد أهله، الحكمة، العدد ٨ السنة الأولى، المجلد الأول، جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ (يوليه / أغسطس ١٩٣٩م) ص ٢٤٥.

(٢) من جريدة العلم المصرى: الحكمة، نفس العدد، ص ٢٤٦ — ٢٤٧.

العام الذى كان يراود اليمنيين والعرب على السواء حينذاك هو الخوف من أن يكون الاستيلاء على اليمن هو الخطوة التالية لايطاليا بعد استيلائها على الحبشة . أما تعليق « الحكمة » ذاتها فقد غلب عليه الطابع الإعلامى باعتبارها مجلة حكومية ، نتيجة للظروف السائدة التى تعيشها ، فقد بدأت بتمجيد الإمام والإشادة بخطواته من أجل تقدم البلاد ، كما أنتهت بمهاجمة الذين يتهمون الإمام بالتقصير والتخلف ، واتهامهم بخدمة الأجانب وتفريق كلمة الأمة ، غير أن المجلة استطاعت أن تعبر عن رأيها الاصلاحى فى خلال هذا كله ، فقد جاء فى أواسط التعليق : « وإذا قلنا هكذا فلسنا نريد أن تبقى اليمن على حالتها بل نحن من دعاة التقدم فى كل شىء يلزم لليمن : علمى ودفاعى واقتصادى وعمرانى بخطى ثابته لا سبيل للفشل إليها ، وعلى سنة التدرج وتقديم الأهم فالأهم على حسب مساعدة الثروة بلا استقراض من أجنبى أو تمكين شركات أجنبية أو امتيازات لها وقيد اليمن بسلسلة من ذهب ، مع أنها لا تنكر (أى المجلة) مساعى الحكومة الجليلة وأعمالها فى الاصلاح والتقدم المستمرين »[1] .

ومن البديهى أن نتوقع أنه كان محظوراً على « الحكمة » التطرق إلى الناحية السياسية من الجانب الوطنى الذى نحن بصدده ، أو تناول نظم الحكم القائمة بالنقد والتعديل ، لا لإعتبارها مجلة حكومية فحسب ، بل أيضا لطبيعة حكم الإمام يحيى الفردى وسيطرته على مقدرات الأمور فى البلاد . لذلك كانت تلجأ أحيانا إلى مثل هذه الصورة السابقة التى تعرضنا لها ، وأحيانا أخرى تنتهز المناسبات والموضوعات المختلفة لتبث فيها آراءها وأفكارها السياسية . وغالبا كان يظهر هذا فى حذر شديد ، وفى ثوب مغلف ليزداد التستر ، إما بين أبيات قصيدة مليئة بالثناء والمديح للامام يحيى وأبنائه سيوف الاسلام ، وإما فى إطار تاريخى فضفاض يتناول أوضاع المسلمين الأول .

(١) الحكمة : العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ ، (يوليه / أغسطس ١٩٣٩م) ، ص ٢٤٨ .

وقد ظهر مثل هذا فى قصيدة زيد الموشكى الذى رحب فيها بعودة الإمام يحيى إلى صنعاء بعد قضاء عدة أيام للراحة فى « الروضة » و « وادى السر » ، فبعد أن رحب بالإمام ومدح خطواته للتقدم بالبلاد ، حضه على اتباع أعمال السلف الصالح، والتمسك بالقرآن والسنة ، وطالبه باتخاذهما «دستوراً» له ، فكان هذا أول استخدام لهذا اللفظ ، وكان يعنى وضع قواعد ونظم محددة تلتزم بها الأمة حكومة وشعباً . ومن المعروف أن زيد الموشكى كان شديد التدين ، جريئاً على الإمام وابنه سيف الإسلام أحمد ، شجاعاً فى الحق ، كما أن أول اثنين أمر الإمام أحمد بإعدامهما — هو وعبد الله الوزير — بعد فشل ثورة ١٩٤٨[١] ، أما البيت المشار إليه فهو :

ضلت ملوك ترى الدستور غيرهما رأى تقدمه فى السر والعلن[٢]

وفى مجال آخر نشرت الحكمة قصيدة بعنوان « تحية العصر الجديد » بتوقيع مجهول هو « الشاعر الخاص »[٣] ، يحث فيها الشاعر الشاب على الخروج من الجمود والخمول والعمل على الأخذ بالعلم والتقدم بالبلاد ، وفى نفس الوقت بث ما فى صدره من ناحية نظم الحكم الفردية المستبدة ، فقد جاء فيها :

معشر النشىء إننا قد دخلنا عصر جد وذلك العصر بادا
فانبذوا عنكم الجمود وذودوا عن حمانا وقوموا المنآدا[٤]

---

(١) على بن على صبره : الملحمة الشعبية ، الدم وأغصان الزيتون ، ص ١٣٧ .

(٢) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨هـ (سبتمبر/أكتوبر ١٩٣٩م) ، ص ٣١٩ .

(٣) ذكر الأستاذ أحمد المرونى أن « الشاعر الخاص » هو أحمد عبد الوهاب الوريث .

(٤) المنآد تعنى المعوج .

لا رعى الله من تعامى عن الحـــق ويبغى لشعبه الاضطهادا[١]

أما فى مجال استخدام التاريخ للتعبير عما فى الصدور ، فقد نجح أحمد الوريث فى ذلك نجاحاً كبيراً ، فعند حديثه عن النقطة السادسة من نقاط أسباب تأخر المسلمين ـ وهى بعنوان « ضعف الأخلاق وفسادها » ـ أشار إلى متانة أخلاق السلف الصالح احتجاجاً على تخلى المسلمين فى عصور التأخر عن هذه الأخلاق الحميدة ، وأن ذلك كان سبباً فى ضعف بلادهم ، فجاء بها : « فالأمراء والقادة كانوا مثلا علياً فى (١) الشورية ومبادلة أهل الحل والعقد للآراء ، (٢) وفى الإخلاص للمصلحة المشتركة واعتقاد إنما ألقى على عاتقه من الولاية هو لإقامة شريعة الله وإعلاء كلمته وتنفيذ أوامره وإصلاح شئون عباده ، (٣) وفى الشعور بالمسئولية الكبرى حتى يقول أحدهم : لو ذهبت المسلمين شاة على شاطىء الفرات لكنت المسئول عنها ، (٤) وفى التواضع وسماحة الأخلاق ودماثتها والتحلى بالديمقراطية الخالصة والبعد عن مظاهر الكبرياء والانقياد للنصيحة الغالية والرجوع إلى الحق ... (٥) العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه فيستوى فى نظر الأمير الشريف والوضيع والقوى والضعيف ... (٦) اليقظة الشديدة والعناية بأمر الرعية ... (٧) وضع الأموال العامة فى موضعها وترجيح الصالح العام على غيره (٨) تشجيع العلماء على تحصيل العلم ونفع الناس به ونشره بينهم واقتناء كتبه وتشجيع كل صناعة نافعة ... (٩) إقامة الأحكام الشرعية والسير على السنن الأقوم ... »[٢].

وهكذا ترفع ـ وتنشر ـ الحكمة شعارات الشورى والديمقراطية والعدل والمحافظة على الأموال العامة وحسن تصريفها وغير ذلك مما كان يتناقله أحرار

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٤٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م) ، ص ٥٦ .

(٢) الحكمة ، العدد ١٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول شوال ١٣٥٨ هـ ، (نوفمبر / ديسمبر ١٩٣٩ م) ، ص ٣٥٦ — ٣٥٨ .

تلك الفترة فيما بينهم ، والتي أعلن عنها فيما بعد خلال ثورة ١٩٤٨م في «الميثاق الوطني المقدس» .

كذلك لجأت الحكمة إلى نشر كلمات قصيرة — في باب «من رسائل القراء» — تدور حول الحث على بعض النواحي الأخلاقية والتربوية ، أي لا تدعو إلى آراء وأفكار سياسية محدودة ، بل تدفع إلى كسر الجمود ، والتحلي بالعلم ، والتمسك بالدين والخلق الحميدة ، وغير ذلك مما امتلأت به المجلة ، والذي أشرنا إليه من قبل بأنه يمثل الجانب الأخلاقي أو مجموعة الأخلاقيات . وقد نشر محمد بن قاسم أبو طالب كلمة من هذا النوع تحت عنوان «الشجاعة» ، أوضح فيها معنى الشجاعة وإنها مرتبطة بالإيمان وأن الجبن من صفات المنافق كما جاء في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأن على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يجاهر بذلك دون أن يخاف لومة لائم، حتى قال : «من هذا تعلم أنه لا يتم عمل ولا ينجح مشروع إلا بالشجاعة الحقة المستقيمة ، حتى المتكلم لا يستغنى عن الشجاعة، فمن فقدها فأنّا له أن يدعو إلى النهي عن المنكر أو يزجر التائه أو ينبه الغافل أو يزجر الظالم أو يحث على التشويق لمخاصمة الخداع ، ثم يهاجم بعد ذلك من يدعو إلى الاستكانة والسكوت عن الحق فقال : «وإوالعجب أن كثيراً من ذوي التمييز والتبريز إذا بلغهم جزء من المفاخر الدينية والطباع الكريمة كالبسالة والمفاداة يعدونه نقصاً وعاراً وحماقة وجنوناً لأنهم لا يجدون ذلك في مزاجهم، ولا يعرفون خدمات دينهم والإخلاص لأمتهم، فيجاهرون بكراهة الجهاد والإرشاد ، ويعدون الإقدام والشجاعة مرضاً من الأمراض»[1].
ومن الملاحظ أن «الشجاعة» هذه كانت أهم سمات الداعي لها ، أي محمد

---

(١) محمد قاسم أبو طالب : الشجاعة ، الحكمة ، العدد ٧ ، المجلد الثاني ، السنة الثانية ، جمادى الأول ١٣٥٩ هـ (يونيه / يوليه ١٩٤٠ م) ، ص ٢١٤ — ٢١٥ .

قاسم أبو طالب الذى اشتهر « بالخطيب » لما كان يلقيه من خطب رنانة فى المساجد ، أو « الواعظ » كما ذكرت الحكمة إلى جانب توقيعه . ومن المعروف أيضاً أن هذه « الشجاعة » — وهذه « الخطابة » — قد أودت بصاحبها إلى السجن بعد قليل من كتابة هذه « الرسالة » التى أشرنا إليها ، فقد : « كان السيد محمد أبو طالب « الخطيب » يلهب المشاعر بخطبه فى الجوامع فآزره الزبيرى ، وعندما منع الإمام يحيى السيد الخطيب من الكلام والكف عن الخطابة قام بالنيابة عنه بعد صلاة الجمعة فى الجامع الكبير الأستاذ الزبيرى ، وألقى خطبته المشهورة « يا رسول الله » فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م) وهى التى سببت اعتقاله مع الخطيب ونفيهما إلى « الأهنوم » ، واعتقال الكثير من الأحرار والعلماء مثل محمد الخالدى وأحمد محبوب وأحمد المرونى وعبد الله السلال ومحيى الدين العنسى وأحمد الحورش ... » (٢) .

وفى نهاية الحديث عن الجانب الوطنى يجدر الإشارة إلى موقف « الحكمة » من قضية الوحدة اليمنية ، سواء كانت وحدة عناصر الشعب المختلفة ، أو وحدة البلاد الإقليمية . فمن الناحية الأولى تعددت الكلمات والمقالات — فى أعداد المجلة المختلفة - التى تعالج جوانبها العديدة ، فكانت تنشر من حين إلى آخر ما يدعو إلى نبذ الطائفية والمذهبية والقبلية وغير ذلك مما يؤدى إلى التناحر والبغضاء بين أبناء الشعب ، وتحث على الاتحاد والتآخى باسم الوحدة الوطنية ، وتلبية لنداء المبادىء الإسلامية . وتنوعت هذه الصور من كلمات قصيرة إلى مقالات مطولة ، ومن قصائد إلى أبيات مختارة أو مأثورات معروفة ، وكانت أغلبها تنضوى تحت مجموعة « الأخلاقيات » التى كانت موضع اهتمام المجلة كما أشرنا . ومن هذا النوع مقالة قصيرة بعنوان « مساوىء التنافس فى الأديان » بتوقيع « نزار » (١)

---

(١) كان الأستاذ عبد النافع الجندى هو صاحب هذا التوقيع ، وكان يوقع أحياناً « أبو وائل » ، وقد أقام مدة طويلة فى اليمن يعمل مدرساً بمدارسها ، وهو سورى الجنسية وقد نشر مقالات كثيرة يغلب عليها الجانب الأخلاقى ذات الطابع العام .

دعت صراحة إلى الوحدة ونبذ الفرقة — وإن كانت قد لجأت إلى التعميم والتحدث عن المسلمين عموماً — فقد جاء بها « ليس من مصلحة الاسلام والمسلمين إيجاد النفور والبغضاء فيما بينهم ، والتفريق بين بعضهم باسم سني وشيعي وشافعي وحنفي وحنبلي ومالكي وزيدي وغير ذلك من أسماء لم تخرج بشيء عن حقيقة الاسلام ، ولا تعدت ما جاء به كتاب الله وعمله ورسوله . ليس من مصلحة الاسلام والمسلمين اتخاذ المذاهب وسيلة للطعن وأداة للتباعد وعاملا للتناحر والتراشق بقوارص الكلم والاعتقاد بأسوأ الظنون مادام الجميع بوحدانية الله يؤمنون وبرسالة نبيه يدينون »[١]

أما الناحية الأخرى من قضية الوحدة اليمنية وهي وحدة البلاد الاقليمية فقد اهتمت بها المجلة منذ عددها الأول ، فقد سطرت هيئة التحرير — أي بدون توقيع — مقالة طويلة بعنوان : « انكلترا لا تعترف بحقوق العرب » ، أشارت فيها إلى خديعة انكلترا للعرب وعدم التزامها بوعودها التي قطعتها لهم خلال الحرب العالمية الأولى ، كما حدث بالنسبة لثورة الشريف حسين ، ومثل ما حدث في فلسطين عندما فتحت باب الهجرة أمام اليهود . وقد نشرت « المجلة » هذه المقالة بمناسبة دعوة بريطانيا لعقد مؤتمر الدائرة المستديرة بلندن لحل المشكلة الفلسطينية ، وعرضت رأيها في هذه الدعوة مما سنتعرض له فيما بعد ، ولكن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن المجلة ربطت في مهارة بين سياسة بريطانيا في كل من شمال الوطن العربي أي فلسطين وجنوبه أي اليمن ، للتدليل على أطماع انجلترا في المنطقة ، وسعيها إلى تفتيتها إلى أجزاء : « لتحول بين العرب وآمالهم ، وتشغل كل جماعة بما يلهيها عن الاهتمام بشئون الأخرى ، وصدها عن التفكير في توحيد المساعي ، وتوطيد العلاقات ،

---

(٢) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي الحجة ١٣٥٧ هـ ، ص ٥١ .

والسير فى طرق التقدم »[١] . وقد تعرضت المقالة بعد ذلك إلى العلاقات اليمنية الانجليزية منذ عقد معاهدة ١٩٣٤ المعروفة بين الامام يحيى والحكومة البريطانية[٢] ، وأوضحت أن انجلترا لم تكن حسنة النية تجاه المعاهدة التى تنص على إبقاء الأوضاع فى جنوب اليمن كما هى دون تدخـــل الطرفين المتعاقدين — مدة سريان المعاهدة وهى أربعين عاماً — حتى يتم التفاوض بشأنها خلال هـذه المدة . غير أن انجلترا أخلت بالتزاماتها ، فأخذت تقيم المنشآت والمطارات الحربية ، وتعمل على التفريق بين الأهالى بعضهم البعض ، وبينهم وبين باقى الشعب اليمنى فى الشمال . واستطردت المجلة فى مهاجمة خطوات انجلترا التوسعية على الحدود حتى أنها تحاول أن تتعدى الحدود التى كانت قد وضعتها مع الحكومة العثمانية عام (١٩١٤ م) والتى تحتج بها لدى الامام وتجاه العالم الخارجى ، حتى قال : « ثم ما زالت الحكومة البريطانية تتمادى فى سبيل عدم احترام المواعيد والمواثيق إلى أن مدت يدها إلى قبيلتى « بالعبيد » و « الكرب » التى من قراها «شبوة» ، وقبيلة « الصيعر » التى من قراها «العبر» ، تحاول السيطرة عليها من دون أن تحسب للحق أى حساب وتتخذ التفرقة وصلة لها لبسط نفوذها على تلك الربوع ، وتجبر بعض الرؤساء على إمضاء بعض أوراق لا صحة لها ، وهى تعلم حق العلم أنه لا حق لها فى ذلك . وعلاوة على ما ذكرنا فهى خارجة عن الخط المعروف « بالنقشة » فى أطراف تلك الأراضى الذى كانت تجعله الحكومة البريطانية المؤيد لدعواها ، وهو ما اتفقت عليه مع بعض ضباط العثمانية .. »[٣] .

---

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٨ .

(٢) راجع نص المعاهـدة بين ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث » اليمن والإمام يحيى ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ .

(٣) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٩ .

وواصلت « الحكمة » اهتمامها بهذه القضية الوطنية ، فنشرت في صدر أحد أعدادها — وتحت عنوان ضخم هو : « شبوة والعبر عضوان من بدن اليمن ، ولا بد من إرجاعهما مطلقاً » — نشرت نص الاحتجاج الرسمي الذي أرسله الامام يحيى إلى ملك انجلترا الامبراطور جورج السادس بخصوص اعتداء القوات الانجليزية على هاتين المنطقتين وضمهما للجنوب »(١) . ولم يقف الأمر عند نشر هذا الاحتجاج ، فقد نشر أحمد عبد الوهاب الوريث رداً عنيفاً على المزاعم التي يدسها وينشرها الانجليز وعملاؤهم بأن « شبوة » من حضرموت وليست من اليمن . وقد اتسم هذا الرد بالهجوم اللاذع والتهكم على مروجي هذه الأقاويل ، وبالحماس الوطني الملتهب المتدفق ، ذلك إلى جانب العرض التاريخي العميق لأوضاع المنطقة منذ أقدم العصور حتى ذلك الحين ، فقد جاء فيها : « إن من الحق البين والسفه الواضح أن يسأل كاتب غيره أو يتساءل : أشبوة من اليمن أم من حضرموت ، وأن يظن أن اليمن شيء وحضرموت شيء آخر ، فالله جعل لليمن حدودا طبيعية لا يدخلها لبس ولا يعتريها غموض ، إذ أحاطه بالبحر من غربه وجنوبه وشرقه ، وكل ما شملته هذه الحدود إلى أطراف الحجاز الجنوبية فهو اليمن ، فهل رأى حضرموت جزيرة منقطعة في أوساط بحر الهند حتى يسوغ له أن يقول : شبوة من حضرموت لا من اليمن أو من اليمن وليست من حضرموت »(١) .

---

(١) الحكمة : العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى ، ١٣٥٨ هـ (يونيه / يوليه ١٩٣٩م) ص ١٩٣ — ١٩٦ . ويلاحظ أن تاريخ إرسال هذا الاحتجاج هو ١١ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ الموافق ٢٩ يونيه ١٩٣٩م .

(٢) أحمد الوريث : شبوة وحضرموت اليمنيتان ، مهازل بعض الكتاب ، اليمن يستميت في الدفاع عن كل قطعة منه ، الحكمة ، العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادي الآخرة ١٣٥٨هـ ، (يوليه / أغسطس ١٩٤٠م) ص ٢٣٩ .

وهكذا عبرت الحكمة عن الجانب الوطني خير تعبير، فطرقت نواحيه المختلفة، وشاركت في قضاياه المتعددة. فقد تحدثت عن الوطن والوطنية بصورة مثالية مجردة، واعتمت بتقوية الجيش باعتباره دعامة وطنية، وتتبعت خطوات الحكومة في تطوير مرافق الحياة في البلاد لتشيد بها ولتحث على المزيد منها، ودعت إلى الإصلاح في شتى المجالات وفي مختلف المناسبات وخاصة كما جاء في مقالات الوريث، وتعرضت للناحية السياسية بقدر استطاعتها — وبحذر — لتنادي بالدستور والشورى والديمقراطية والعدل وحسن التصرف بأموال العامة أي باعلان ميزانية للبلاد ودافعت عن الوحدة الوطنية — بجانبيها — بكل ما تملكه من حماس واندفاع.

الجانب العربي والإسلامي :

ولا يعني اهتمام «الحكمة» بالجانب الوطني هذا الاهتمام الزائد أنها أهملت الجوانب الخارجية التي سبق أن أشرنا إليها وهي: العربية والإسلامية والدولية. فمن ناحية الجانب العربي، فقد اتضح اهتمام المجلة به بشكل كبير، ومن ناحية تتبع القضايا العربية والاهتمام بها والتحمس لها، ومن ناحية فكرة القومية — والوحدة — العربية التي كانت قد بزغت في أنحاء العالم العربي — وخاصة في الأجزاء الشمالية منه — وبدأت تتسرب إلى داخل اليمن، وإن كانت قد بدت في تلك الفترة — كما سنرى — ممزوجة مختلطة بالفكرة الإسلامية.

ويلاحظ أنه من ناحية تتبع القضايا العربية، فقد كان ذلك لا يتم عن طريق تتبع الأخبار ونشرها أولا بأول، إذ كان ينقصها الإمكانيات اللازمة من ناحية، فقد كانت تقف على تلك الأخبار عند وصول بعض الجرائد والمجلات العربية إليها أو إلى ديوان الإمام، ومن ناحية أخرى فقد كانت — نظرا لطبيعتها — مجلة «رأي» وليست مجلة «أخبار» كما يقال في عالم

الصحافة ، لهذا فقد كانت تنشر ما يصلها من الأخبار مغلفة بالتعليق عليها ، وأحيانا فى داخل مقالات قصيرة تتضمن الخبر والتعليق والرأى معا .

وظهر الاهتمام بالقضايا العربية وتتبع أخبارها من العدد الأول من المجلة ، وكانت قضية الساعة هى « الاستعمار » ووقوع البلدان العربية تحت النفوذ الغربى عقب الحرب العالمية الأولى ، بما فى ذلك المشكلة الفلسطينية ، فأدلت بدلوها فى هذا كله إلى جانب تتبعها للعلاقات الثنائية بين بعض البلدان العربية . وقد تعرضنا للمقالة التى نشرتها فى عددها الأول بعنوان : « انجلترا لا تعترف بحقوق العرب » ، التى ربطت فيها بين سياسة انجلترا فى فلسطين وبين تصرفاتها فى جنوب اليمن ، وذلك بمناسبة دعوة انجلترا للعرب واليهود إلى مؤتمر لندن الذى عقد فى عام ١٩٣٩م . وإلى جانب هذا فقد نشرت خبر الافراج عن الزعماء الفلسطينيين الذين كانت بريطانيا قد نفتهم إلى جزيرة سيشل بعض الوقت ، ثم وصفت مظاهر الحفاوة التى استقبلتهم بها المنظمات الوطنية فى عدن والقاهرة أثناء توجههم إلى لبنان لمقابلة مفتى فلسطين هناك . وفى نفس العدد نشرت خبرين عن سوريا ، الأول بعنوان : « دسائس الاستعمار وأعماله الغريبة فى سوريا » والآخر بعنوان : « أحوال الشام » ، عبرت فيهما عما تثيره فرنسا من دسائس وعراقيل أمام الحكم الوطنى هناك ، وقيام المظاهرات الوطنية فى المدن السورية المختلفة احتجاجا على مراوغة فرنسا وعدم تصديقها على المعاهدة السورية الفرنسية . وواصلت الحكمة اهتمامها بأخبار سوريا نظرا لظروفها السيئة وعلاقاتها المعقدة مع فرنسا وخاصة عند بداية الحرب العالمية الثانية ، فقد ذكرت أن الحكومة السورية قد استقالت وأن فرنسا قد تسلمت زمام الأمور مباشرة ، وأعلنت بعض الأحكام الجائرة التى أدت إلى ثورة الأهالى فى بعض مناطق سوريا[1] ، ومن

---

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٩٢ .

المعروف أن فرنسا لجأت إلى هذه الخطوة لقرب اشتعال الحرب . وفى نفس العدد نشرت خبرا عن قيام إنقلاب فاشل فى العراق بزعامة حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارة العراقية ، وأنه تم القبض عليه هو وأربعة آخرين وحكمت عليهم محكمة عسكرية بالإعدام، ولكن تخفف الحكم إلى السجن لمدة خمس سنوات . وكذلك اهتمت المجلة بتتبع أخبار العلاقات الثنائية بين بعض البلاد العربية كما ذكرنا ، فقد أشارت تحت عنوان : « عقد اتفاقية » إلى تلك التى عقدت بين « الحكومة المصرية والحكومة السعودية العربية لإنشاء مشروعات فى الحجاز من طرف الحكومة المصرية وذلك فى إصلاح طرقات السيارات ما بين جدة والمدينة وما بين جدة ومكة المكرمة وما بينها ومنى وما بين منى وعرفات ، وإيجاد وسائل للمياه فى مكة المكرمة وإنارتها بالكهرباء ، وإنا نرجو أن تنجح هذه الاتفاقية بأسرع ما يمكن لما فيها من الفوائد للمسلمين عموما وللبلاد الشقيقة خصوصا[1] .

وقد أولت المجلة « القضية الفلسطينية » كل اهتمام كما فعلت زميلتها «الإيمان» فى واقع الأمر ، فمنذ عددها الأول — كما أشرنا — شحنت صفحاتها القليلة بأخبار فلسطين ، من ناحية الدعوة إلى عقد مؤتمر لندن ، ومن ناحية الإفراج عن المسجونين السياسيين فى « سيشل » ، وقد تابعت أخبار مؤتمر لندن هذا باهتمام زائد لموقفها العربى وحماستها من أجل فلسطين ، ولاشتراك سيف الإسلام الحسين نجل الإمام فى هذا المؤتمر ضمن مندوبى البلاد العربية . ولم تتفاءل الحكمة فى حقيقة الأمر كثيرا بالنسبة لهذا المؤتمر لما ارتكبته انجلترا من قبل من خداع للعرب ، ومن عدم التزامها بالعهود معهم ، وملأت مقالاتها بفظائع الانجليز فى فلسطين من أجل فتح باب الهجرة أمام اليهود . ورغم تفاؤلها فقد كانت ترى فى عقد هذا المؤتمر فرصة أمام انجلترا لتثبت حسن نيتها تجاه العرب فقالت : « . . . هذه النغمة هى دعوة العرب لعقد مؤتمر يقام فى لندن للمفاوضة

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ٣٨ / يناير ١٩٣٩م) ص ٣٠ — ٣١ .

لحل مسألة فلسطين التي تفاءلنا بها ، واعتقدنا حسن نية الحكومة البريطانية بعد أن أطلقت سراح المنفيين في سيشل من أبناء فلسطين ، وظن الكل أن فلسطين ستهدأ فيها الأحوال وتعود فيها المياه إلى مجاريها ، على أنه لا مانع من الاعتراف بحسن صنيع بريطانيا إذا رأيناها تنصف العرب في فلسطين ، وتجعل هذا المؤتمر الذي تدعو إليه سببا يضمن تحقيق رغباتهم المعقولة وإعطائهم حقوقهم المقدسة التي يقضي بها كل عاقل على وجه البسيطة، وسننظر ما يكون»[١] . . وفي نفس العدد نشرت خبر سفر السيف الحسين إلى القاهرة لحضور المؤتمر التمهيدي بها ، الذي سيعقده المندوبون العرب فيما بينهم قبل سفرهم إلى لندن . وفي العدد التالي مباشرة ساقت خبراً ضافيا عن إنعقاد المؤتمر ، وما دار في جلسته الافتتاحية من كلمات ، مع عرض واف لكلمة مندوب اليمن ، كذلك مندوب فلسطين جمال الحسيني رئيس الوفد . وقد استمر الاهتمام بتغطية تطورات المؤتمر إلى عددها الثالث ، وعبرت عن أسفها لفشله بقولها : « . . . وقد انتهى بذلك مؤتمر فلسطين الذي دام ستة أسابيع بفشل مؤسف خلافا لما كان يؤمل من وصول المفاوضة إلى نتيجة حسنة تكفل حقوق العرب وتعطي اليهود نتيجة معقولة ، فخابت الآمال . وقد سافر بعض مندوبي العرب إلى بلادهم وقد عم الاستياء كل الأوساط الإسلامية ، ولا ندري ما ستأتي به الأيام . وقد أفادت الأخبار أخيراً أن الحكومة البريطانية قررت نشر كتاب يبين فيه سياستها التي ستجريها في فلسطين وتنفذها بالقوة وانها ستقمع الثورة بكل شدة»[٢] .

ولم يقف اهتمام « الحكمة » بالقضية الفلسطينية عند حد نشر أخبارها

---

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ ، (ديسمبر ١٩٣٨م / يناير ١٩٣٩م) ص ١٦ .

(٢) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير / مارس ١٩٣٨م) ص ٩٢ .

والتعليق عليها والحماس لها ، بل اتضح الاهتمام بالقضية فى الجانب الأدبى « بالمجلة » . وقد سبق أن أشرنا إلى ما قـــدمه يحيى النهارى عن تضحية أم فلسطينية عجوز بابنها الوحيد من أجل الثورة أثناء الحديث عن محاولات كتابة القصة القصيرة فى المجلة . كذلك نشر عبدالله بن أحمد الاريانى كلمة تتلوها قصيدة حماسية تحت عنوان: « نداء » وجهه إلى الأمة الإسلامية عامة ، يدعوها إلى اليقظة والإنتباه والتقدم والتمسك بالدين والترابط فيما بينها ، حتى تصد أطماع الاستعمار عنها ، وحتى لا تقع فريسة فى مخالبه ، مستشهدا بمـا يجرى فى فلسطين ، وقد جاء فى القصيدة ما يلى :

فأفيقوا واسلكوا سبل الهدى	وانيبوا ياذوى الدين الأغـر
واستعيدوا مجدكم واستدركوا	ما تبقى قبـل أن يمحى الأثر
وانظروا ما فى فلسطين جرى	فهو لا ريب لـكم إحدى العبر
وعد بلفور الذى ينكـــره	كل ذى سمـــع ولب وبصر
انـكلترى حاولت ايفاءه	وهى لم توف مواعيد أخر
بل رأت سلب الأعزاء عزهم	للأذلاء جرية أهـل الصغر
فاحفظوا الأوطان والإسلام بها	أمة الضاد وأرباب الغـير(١)

أما من ناحية ظهور فـكرة القومية - والوحدة - العربية فى « الحـكمة » فيمكن القول بوجه عام أنها ظهرت مهزوزة مختلطة بفكرة الوحدة الإسلامية . وقد سبق أن ذكرنا أن الفـكر الإسلامى كان هو الفـكر السائد فى المجلة ، فـكان الـكثير من المقالات والـكلمات والقصائد تتناول الحديث عن الإسلام والمسلمين كافة ، ويدعو المسلمين إلى التمسك بالإسلام والزود عنه ، ويحثهم على الترابط والاتحاد . غير أننا لو تعمقنا قليلا فيما ظهر فى « الحـكمة » من

---

(١) عبد الله بن أحمد الأريانى : نداء ، الحـكمة ، العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثانى ١٣٥٨ هـ ، (مايو / يونيه ١٩٣٩ م) ص ١٧٩ — ١٨٠ .

كتابات ، فاننا نلمس وضوح الشعور ـ والاتجاه ـ العربي ولو بدرجات متباينة ، أي أن هذه الكتابات تتفاوت فيما بينها في الالتفات إلى الفكرة العربية . ويمكن القول مسبقا أنه ليس هناك مقالات متخصصة تتحدث عن الفكر القومي بشكل مستقل باستثناء مقالة لأحمد عبد الوهاب الوريث التي مست هذه الناحية مساً مباشراً، وأدلى فيها برأيه صراحة ، والتي سنشير إليها بعد قليل .

وكيفما كان الأمر ، فقد كان البعض يركز حديثه عن الإسلام والمسلمين بوجه عام ، ويرى أن العالم الإسلامي هو الأحق بالاهتمام والمعالجة ، لا لشيء إلا لأنه يرى أن « القومية » تعني ـ من وجهة نظره ـ التعصب والعنصرية ، ويخشى الانزلاق إليهما لأنهما مما نهى الإسلام عنه . وفي نفس الوقت ، نجد البعض يشيد بالعرب وأمجادهم ، لا لشيء أيضا إلا لأنهم أساس الإسلام ، فبلغتهم نزل القرآن ، وعلى أكتافهم انتشرت الدعوة الإسلامية . كذلك نرى أن الحديث عن العرب والعروبة جاء متستراً في الكتابات الأدبية والتاريخية دون أن يجاهر أحد بالدعوة إلى الفكر القومي أو يعمل على نشره ، لاتجاه الإمام يحيى الإسلامي ، ولاعتماده ـ في بناء دولته ـ على الفكر الإسلامي ، وللأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة في البلاد التي لا تساعد على انتشار الفكر القومي بوجه عام .

وفي ضوء هذا كله ، يجدر الإشارة أن نتتبع ما جاء في الحكمة عن فكرة القومية العربية لنحدد موقفها في النهاية . وقد سبق أن أشرنا أن أحمد الوريث قد أشار في إحدى مقالات « الاصلاح » المعروفة ـ التي دارت حول الإسلام والعالم الإسلامي ـ إلى أن العامل السابع والأخير من إنحطاط المسلمين هو : « نزع السلطة الادارية والعسكرية من أيدي العرب وقبض العناصر الغريبة على زمامها أيضاً » ، وتتبع فيه انتزاع العنصر الفارسي ثم العنصر التركي السلطة من أيدي العنصر العربي منذ قيام الدولة العباسية ، مما أدى

إلى ضعف الروح المعنوية لدى العرب وأدى بالتالى إلى ضعف أخلاقياتهم ولغتهم وأدبهم ، ثم أنهى شرح هذا العامل بما يبين وجهة نظره فى العرب والإسلام معا ، فقال : « ان العرب حماة الإسلام وسادته القوية ، إذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت العرب ذل الإسلام . فلا ضعف الإسلام ولا انكمش ظله من اليوم الذى أذلت فيه العرب ، ولا نهوض للمسلمين بل ولا للشرق الأدنى والمتوسط فى الحال الحاضر إلا إذا رأينا الأمم العربية تتضامن وتنهض كتلة واحدة للدفاع عن كيانها ومجدها ، وتعمل جادة على الأخذ بوسائل الرقى السريع ومجاراة الأمم الناهضة ، وتكافح فى سبيل إحياء الجامعة الإسلامية كما كانت أولا ، تنصرف إلى تطبيق تعاليم الإسلام فى جميـــع مناحى حياتها وبذلك تضمن مصلحتها ومصلحة المسلمين بل وبنى الإنسانية أجمعين »[1]. وأكد ما ذهب إليه مرة أخرى فى المقالة المتخصصة التى سبق الإشارة إليها ، والتى نشرها تحت عنوان طويل هو « الجامعة الإسلامية أقوى رابطة بين الأمم ، انبناؤها على الوحدة العربية » . ويحق لنا أن نقف طويلا أمام هذه المقالة ، حتى نغوص فى جنباتها لنتلمس ما جاء بها ، لا لأنها لأحمد الوريث فحسب الذى نعتبره من أهم من كتب بالحكمة من المفكرين والكتاب ، والذى نعده مؤسس المجلة وصاحب فكرتها ورئيس تحريرها رغم أنه لم يحمل هذا اللقب طوال عمره القصير كما سبق أن أشرنا ، بل أيضا لأنها المقالة الوحيدة بالمجلة التى تعرضت لهذا الموضوع بشكل مباشر صريح . وقد بدأ الوريث مقالته بمقدمات طويلة كعادته ، فرأى أن الأمم المختلفة الجنس المتباعدة الأوطان لا يمكن أن تتوحد أو تلتف حول لواء واحد : « إلا إذا كان هناك عامل قوى مؤثر يعمل على نبذ الفوارق ويقضى على أسباب التباعد ، ولا يوجد بين تلك الأمم جامعة

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى ١٣٥٨هـ (يونيه / يوليه ١٩٣٩م) ص ١٩٨ — ١٩٩ .

كبرى ورابطة عظيمة تصل بعضها ببعض . . » ، ثم وصل إلى أن هذا المؤثر هو « الإسلام » وذلك بعد أن استطرد فى عرض ما جاء به من نظام وقواعد مدلا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التى تحض على إتحاد المسلمين ووحدتهم بل والتى ترسم لهم الطريق إلى ذلك . وقد انتهى من هذا العرض الطويل إلى قوله : « . . كل هذا يدلنا على مقدار الرابطة التى شرعها الإسلام لأبنائه وجعلها جامعة بين شتيت الأمم ، تقوم مقام الرابطة الوطنية ، وتحل محل العصبية القومية ، لا بل تفوقها فى توثيق الصلات ، وقوة الربط والدفع بأبنائها إلى التضحية فى سبيل حفظ مصالحهم المشتركة ، وحياطة أوطانهم المفداه ، والذود عن كيانهم ومجدهم »[1] . . ويواصل الوريث فكرته فى هذه المقالة الطويلة ، ويكرر أن جامعة الإسلام : « فوق الفوارق الجنسية والتحزبات الوطنية والتقسيمات الجغرافية ، ولا جرم كانت تلك الفواصل ملغاة فى نظره فلا جنسية فى الإسلام ولا قومية فى نظر الدين الحنيف ، وإنما أبناؤه المنضوون تحت رايته كالأسرة الواحدة من أى جنس كانوا ، وفى أى بلدة قطنوا ، فقد جعلوا لهم محيطاً جامعاً توحدت فيه العقائد والأخلاق والمبادىء والغايات وجميع الأنظمة السياسية والمالية والإدارية ، وتساوت فيه الحقوق والواجبات ، وأقام لهم من هذا المحيط وطناً خاصاً يجب عليهم القيام بشئونه وحماية ثغوره ، ومنع المعتدى على أى حد من حدوده ، وبذلك كانت حدود الإسلام هى حدود الوطن . . . » وزيادة على ذلك ذهب إلى أن مجد المسلمين لن يعود إليهم إلا باحياء الجامعة الإسلامية » ، هذه الجامعة التى لا يرجى لمسلمى القرن الرابع عشر (أى العشرين الميلادى) خير ، ولا يتفاءل لهم بمستقبل منير ولا يعلق بهم أمل فى سيادة إلا إذا أحيوها بينهم ، وربوا عليها نشأهم وأحلوها المحل الأعلى فى قلوبهم . . . » . ورغم أن

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى ١٣٥٨هـ (يونيه / يوليه ١٩٣٩م) ص ١٩٨ — ١٩٩ .

الوريث قد أكمل هذه النقطة بالدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة والتابعون، إلا أنه كان يعى تماما روح الدين الإسلامى وروح العصر الحاضر معاً ، فدعى إلى : « فهم الدين الإسلامى على الوجه الذى جاء به رسول الله (ص) وتطبيقه على أحوال العصر الحاضر»[١] .

ان المتتبع لأفكار الوريث فى الجزء السابق من مقالته الذى تعرضنا له، يرى أنه كان مفكراً إسلامياً ، يدعو إلى الجامعة الإسلامية ، ويدافع عنها ، غير أنه فى الجزء الباقى من المقالة نراه يخلط بين الجامعة الإسلامية والوحدة العربية . فمن ناحية فقد رأى أنه لا يمكن إقامة الجامعة الإسلامية بلا تدرج ودون أن يوضع الحجر الأساسى ، وأن هذا الأساس هو : « تحقق الوحدة العربية الصادقة » ، ومن ناحية أخرى فإنه يعود إلى رأيه السابق وهو : « إذا ذل العرب ذل الاسلام وإذا عز العرب عز الاسلام » وأن هذه القضية : « قضية ثابته يشهد لها التاريخ ويصدقها الوقوع (أى الواقع) والتجربة المتواليه ... »، وبعد أن يعمل على إثباتها يتحول إلى مهاجمة الاستعمار والمستعمرين ، ويتهمهم بأنهم هم الدين عملوا على تفتيت العالم العربى ، فيقول: « تلك الفوارق الوهمية والتجزئات للوطن العربى الأكبر قام بها الاستعمار ، وصوت لها ببوقه ، وسعى جهده لنشرها بين العرب ، وطبعها فى نفوسهم ليتمكن من تنفيذ خططه ، وليفرق بين العرب كى يسود » ... وهنا يعود إلى دعوة المسلمين إلى القضاء على : « الفوارق بين أجزاء الوطن العربى» إذا أرادوا أحياء جامعتهم .

وأخيرا فقد أنهى الوريث مقالته بما يؤكد ما ذهبنا إليه ، وهو أنه كان هناك خلط بين الفكر الاسلامى والفكر القومى ، وأن هذا الخلط

---

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى ، ١٣٥٨ هـ ، (يونيه / يوليه ١٩٣٩ م) ص ٢٠١ .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٠٢ .

وهذا الاهتزاز قد اتضح – على الأقل – عند الوريث الذى قال : « نحن من دعاة الوحدة العربية ونصرائها، ولكن لا باعتبارها نزعة قومية وعصبية جنسية تستقل بنفسها ضمن أسوارها، وتقصر جهودها على العرب وبلاد العرب، رافضة لغير العرب من المسلمين، فهذا أمر يحاربه الاسلام وينكره القرآن وتأباه الجامعة الاسلامية التى ليس لها وطن محدود، ولا عصبية قومية كما أسلفناه . بل ندعو إليها من حيث أنها الأساس الوحيد لبناء صرح مجد المسلمين، وباعتبار أن عز الإسلام مرهون بعز العرب، بصفتها الوسيلة الطبيعية الفذة إلى تحقيق الجامعة الاسلامية، وبذلك نتمكن من الجمع بين تطبيق المبدأ الاسلامى العام وإعادة وحدة العرب دعاة الاسلام وأبطاله، ومؤسسى مجده الأثيل، لنا عودة إلى الكلام على مقومات الوحدة العربية فى المستقبل إن شاء الله تعالى »[١]، غير أن القدر لم يمهله ليحدد لنا مقومات هذه الوحدة – من وجهة نظره – فقد توفى بعد نشر هذه المقالة بقليل .

وهكذا يتضح أن الوريث كان مفكراً إسلامياً وداعياً إلى الجامعة الإسلامية، أكثر من أن يكون ذا فكر قومى بحت أو مؤمناً بالقومية العربية فى حد ذاتها . فقد رأى فى هذه القومية وسيلة وأداة لتوحيد العالم العربى، الذى سيعمل بدوره على إحياء الجامعة الإسلامية . ولقد كان الوريث بذلك أقرب إلى تفكير جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده من تفكير رجالات القومية العربية التى مثلها أعضاء جمعية « العهد » وجمعية « العربية الفتاة » فى أوائل قرننا هذا .

ويأتى هنا دور أحمد المطاع الذى خلف الوريث فى الاشراف على الحكمة دون أن يحمل لقب رئيس التحرير أيضا، فقد رأى كذلك : « أن العروبة والإسلام صنوان لا يفترقان، حياة أحدهما مرتهنة بحياة الآخر،

---

(١) احمد الوريث : الحكمة، العدد ٧، السنة الأولى، المجلد الأول، جمادى الأولى، ١٣٥٨ هـ (يونيه /يوليه ١٩٣٩ م)، ص ٢٠٤ .

لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة ، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام، فهما كجناحى الطائر إذا هيض أحدهما انخفض الآخر ... » ثم أكمل عبارته بالإشادة بدور العرب فى خدمة الإسلام ، فقال : « ... فكانوا مبعث النور، وحملة الرسالة، وناشروا أعلام الحضارة فى العالم بأسره ، وكل مسلم مدين لهم ومحسوب عليهم »(١) . ورغم هذا الاتفاق فى الرأى بينه وبين الوريث ، فقد كان الفكر القومى العلمانى لدى المطاع أكثر وضوحا ، كذلك ميله إلى العروبة، وإن كان هذا لا يقلل من قوة عاطفته الدينية واتجاهه الاسلامى .

وقد سبق أن ذكرنا أن المطاع قد أكمل مقالات الوريث التى بعنوان « الاصلاح » ، وأنه رغم حرصه على إبقاء العنوان — لغرض فى نفسه كما قال — فقد نحى بالمقالات منحاً خاصا ، إذ استطرد فى الحديث عن اللغة العربية وتطورها ليفسر ما مر بها من ضعف نتيجة إبعاد العرب عن السلطة منذ العصر العباسى كما ذكرنا، وهى النقطة التى توقفت عندها مقالات الوريث قبيل وفاته . ودلّ حديث « المطاع » عن اللغة — الذى استغرق عدة مقالات — على ميله — بل وعلى تعصبه — للعرب والعروبة ، بالإضافة إلى عمق ثقافته ، واتساع أفقه ، ووضوح رؤيته . وقد بدأ موضوعه بتساؤل وجهه إلى نفسه وأجاب عليه يؤكد ما ذهبنا إليه عن شخصيته ، فقد قال : « وهل يصح أن نقول أن تلك الأمراض الفتاكة انتشرت أوبئتها من تمكن العجم واستيلائهم على مناصب الحكم وقيادة الجيوش أيام الحكومة العباسية فما بعدها كما أشرنا إليه أول هذا المقال ؟ أم نقول أن اللغة مثل الحياة ، ومن لازم الحياة الحركة والتغيير ، وأن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل الألسنة والأقلام كان لها أثرها فى التصحيف والتغيير

---

(١) أحمد المطاع : فى سبيل الإصلاح ، الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ؛ صفر ١٣٥٩هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠م) ص ٩٨ .

والتبديل والتحريف والعجمة واللكنة، وأن هذه العوامل والمؤثرات لم تكن وليدة العهد العباسي أو ما بعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والاستيلاء على ممالك العجم في صدر الاسلام . وهنا لا بد لنا من إلقاء نظرة إلى الحركة الفكرية المتصلة بتاريخ لغتنا العربية من قبل الاسلام إلى أن طغت عناصر الفساد عليها وأحدثت فيها ما تقدم آنفا[١]. وهنا يشرع في الغوص في بحث لغوى أدبى تاريخى طويل لا قبل لنا به، لعمقه وحاجته إلى متخصصين في دراسات اللغة وتاريخها ، ولبعده عما نحن بصدده من ناحية القومية . غير أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى وضوح الاتجاه العربي لدى المطاع كما ذكرنا دون أن يتطرق إلى الجانب القومى حتى نهاية مقالاته التي لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور ، والتي وصلت في تعرضها لمراحل اللغة إلى العصر الأموى فقط .

من العرض السابق يتضح أنه نظرا لاتجاه الإمام الإسلامى ، وللثقافة الأسلامية السائدة حينذاك ، وللأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، فقد كان الاتجاه الغالب في المجلة هو الاتجاه الاسلامى والوحدة الاسلامية، ويأتى الاتجاه القومى العربي في المرتبة الثانية ، كما كان ينظر إلى الوحدة العربية باعتبارها وسيلة لغاية أكبر منها هي الجامعة الاسلامية ، غير أن هذا لا يقلل من عمق إيمان جماعة « الحكمة » وغيرهم من معاصريهم بالوحدة العربية ، فقد كان لهؤلاء جميعا دور كبير في دفع الإمام يحيى إلى الانضمام إلى جامعة الدول العربية فيما بعد . وما ذهبنا إليه يجعلنا لا نتفق مع الرأى القائل : « وطرحت الحكمة أيضا قضايا العصر في العالم العربي ... فحين كان المد السائد يدعو إلى جامعة إسلامية لجميع المسلمين ، دحضت الحكمة هذه الدعوة في إفتتاحية صريحة للعدد السابع يدعو فيها أولا إلى وحدة العرب

---

(١) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، صفر ١٣٥٩هـ (مارس / ابريل ١٩٤٠ م) ص ١٠٠ .

باعتبارهم أمة واحدة تربطها وشائج أكثر من الدين[1] . فمن ناحية لم تكن المقالة المشار إليها «افتتاحية صريحة» للعدد ، بل هى المقالة الثانية به من ناحية الترتيب وهى للوريث التى سبق أن تعرضنا لها بالعرض والتحليل من قبل ، ومن ناحية ثانية ، كان المد السائد حقا حينذاك هو الاتجاه الوطنى القومى لانشغال الأقطار العربية فى مدافعة الاستعمار بشتى صوره ، ومحاولاتها الحصول على الاستقلال ، ومن ناحية ثالثة ، لم يمهل القدر الوريث كما ذكرنا ليوضح لنا وجهة نظره فى : «مقومات القومية العربية» كما وعد فى نهاية هذه المقالة ، وفى نفس الوقت ربط بقوة بين الوحدة العربية والجامعة الاسلامية، واشترط أن تكون الأولى وسيلة لتحقيق الثانية، وأنه يدعو للأولى لا باعتبارها نزعة قومية وعصبية جنسية إلى آخر ما سبق أن عرضناه .

أما من ناحية الجانب الاسلامى فى المجلة ، فقد سبق أن ذكرنا أنه كان الطابع الغالب فيها . ويرجع هذا لا إلى ما أشرنا إليه فحسب من أن هذا الجانب كان موضع اهتمام السلطة الحاكمة ، وأنه كان دعامة نظامها ، وأن المجلة كانت فى نهاية الأمر مجلة حكومية لا تستطيع أن تحيد كثيرا عن الخط العام الذى رسمته الحكومة لنفسها ، بل أيضا لأن الثقافة السائدة بين المحـــررين ومن عاصرهم من متعلمى ومثقفى تلك الفترة ـ كما هو معروف وملموس ـ كانت هى الثقافة التقليدية ذات الطابع الدينى . وقد سبق أيضا أن اتضح أمامنا فى أكثر من موضع ـ وفى مناسبات عـدة ـ كيف تغلب هذا الطابع بين مواد المجلة ، من ناحية ما نشر بها من مقالات وموضوعات ، ومن ناحية أيضا الاتجاهات التى رسمتها لنفسها والتزمت بها مثل الاتجاه الاصلاحى والعصرى والوطنى والعربى .

---

(١) عمر الجاوى : تطور الصحافة اليمنية ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ذو الحجة ١٣٩٣هـ - يناير ١٩٧٤م ، ص ٦٥ — ٦٦ .

غير أن هذا لا يعني أن هذه الاتجاهات لم تبرز في المجلة ، وأنها لم تكن تعتبر قضايا قائمة بذاتها تتحمس لها « الحكمة » وتدافع عنها بكل ما استطاعته من قوة وجرأة ، وبقدر ما سمحت لها ظروف النشر في تلك الفـــترة ، بل كان الأمر عكس ذلك ، إذ تعالت أصوات الحكمة تعبر عن الاتجاهات جميعا في سيمفونية جميلة النغم ، دون أن يتضح بين هذه الأصوات تعارض أو نشوز. ويرجع هذا التآلف والتداخل بين اتجاهات المجلة إلى أنها تعرضت للإسلام من زاوية سلفية اصلاحية ، فقد أشادت بأعمال السلف الصالح ودعت إلى الرجوع إليها والتمثل بها ، وفي نفس الوقت هاجمت بعنف رجال الدين المتأخرين الذين تمسكوا بالمظاهر والقشور وأهملوا فهم روح الدين ، فأدت مواقفهم منه إلى جموده وتأخره ، حتى تصوره البعض ـ من المعاصرين ـ أنه مصدر التخلف وملجأ الرجعية في البلدان الاسلامية. وبتعبير آخر أبرزت الحكمة الجوانب المشرقة المضيئة في الفروض والعبادات والمعاملات والعلاقات وغير ذلك من جوانب الحياة ، أي غاصت وراء جوهر هذه النواحي وتناولتها بروح عصرية حديثة ، وعملت على تحطيم ما تراكم في التراث الديني من خرافات وخزعبلات ، مما شوه وجه الدين وأبعده ، عن متطلبات الحياة . لهذا كله لم يكن هناك تعارض بين الجانب الاسلامي وبين باقي الجوانب التي تحدثنا عنها من قبل ، ذلك التعارض الذي قد يبدو للوهلة الأولى لمن ألقى نظرة عابرة على محتويات المجـــلة ، دون أن يتعمق وراء ما نبضت به هذه المحتويات من معاني وأهداف .

ويلاحظ أنه عندما قلنا أن الطابع الاسلامي هو الطابع الغالب على أعداد المجلة ، فان هذا لا يعني تغلبه من ناحية المساحة التي احتلها خلال تلك الأعداد ، بل كان العكس هو الصحيح ، فان ما مس الاسلام بالمجلة مسا مباشرا ـ أي بالأحرى ما يمكن تسميته « بالاسلاميات » ـ كان لا يتعدى الكلمات والمقالات القصيرة باستثناء مقالات الوريث التي بعنوان « الاصلاح » ،

فقد كانت هذه الكلمات من ناحية الكم لا تزيد عما جاء بالمجلة خاصا بالنواحي والجوانب الأخرى ، ولكن التغلب هنا يرجع إلى طبيعة روح المحررين والكتاب وثقافتهم مما كان يعكس نفسه على مواد المجلة المختلفة .

ويمكن أن نقسم هذه « الاسلاميات » الخاصة المباشرة إلى :

— الفرائض والعبادات والحث عليها، وعرض فوائدها النفسية والصحية عرضاً مشوقاً للتمسك بها والإقبال عليها .

— الاخلاقيات العامة - مثل الصدق والأمانة - التي حض عليها الاسلام، مع ذكر النصوص الدينية الدالة على ذلك .

— المبادىء العامة التي حرص عليها الإسلام ونادى بها مثل الاتحاد والاخاء والتضامن ووحدة العالم الإسلامي وغير ذلك .

وتأكيدا لما ذهبنا إليه من ناحية الكم ومن ناحية طبيعة هذه الإسلاميات، نجد أنه لم يظهر في العدد الأول من المجلة إلا مقالتين قصيرتين إحداهما ليحيى النهاري - أحد أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة - بعنوان « الأخلاق أساس كل فضيلة » أظهر فيها أهمية الأخلاق وتفضيلها عن العلم والمال ، ثم حض في نهايتها على التمسك بها اتباعا لما جاء به الإسلام . والثانية بعنوان « تعصب الإنكليز ضد الدين الإسلامي» بقلم آنسة انجليزية اعتنقت الإسلام، ونشرت ماعانته من مواطنيها ، ونقلت المجلة هذه المقالة عن إحدى الجرائد العربية ونشرتها في حلقتين متتاليتين . وفي العدد الثاني حافظت المجلة على النسبة ذاتها بين موادها ، فلم تنشر الا تكملة مقال يحيى النهاري عن الأخلاق وكذلك تكملة مقالة الانجليزية التي أسلمت ، بالإضافة إلى كلمة قصيرة عن « مساوىء التنافس في الأديان » باسم مستعار هو نزار ، الذي كان يوقع به الأستاذ السوري عبد النافع الجندي الذي سبق أن أشرنا إليه . وقد نشر « نزار » أيضا مقالة في العدد الثالث بعنوان « الاخلاص » ، كانت هي الوحيدة التي ظهرت

فى هذا العدد مما يعد من الإسلاميات . وكانت المجلة تلجأ أحيانا إلى نقل بعض المقالات عن المجلات العربية ذات الاتجاه الاسلامى مما كان يخدم اتجاهها هى ، فنقلت فى عددها الرابع مقالة عن مجلة « الهداية الإسلامية » التونسية عنوانها « من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » بقلم سماحة العلامة السيد محمد الطاهر ابن عاشور ، شيخ الإسلام المالكى بتونس ، ونشرت إلى جانبها تعليق قصير لمحمد على ريحان حول موضوع الانجليزية التى أسلمت يدور حول إبراز وضع المرأة فى الإسلام ، ومدى احترامه لانسانيتها على عكس ما يشيعه الغرب عن امتهانها فى الدين الإسلامى. أما فى العدد الخامس فلم تظهر إلا مقالة واحدة ليحيى النهارى بعنوان « الواجبات الدينية وحكمة شرعيتها » ، ثم أعقبها فى العدد السابع بمقالة عنوانها : « أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . وفى نفس العدد نقلت المجلة عن جريدة الشباب جزء من بحث الأمير شكيب أرسلان الذى نشره تحت عنوان « لماذا تأخر المسلمون » ، وهذا الجزء خاص بضرورة ثقة المسلمين فى أنفسهم ، ودعوة إلى الدفاع عن أوطانهم . واستمرت المجلة كما لاحظنا فى اتباع سياسة التوازن بين الجوانب المختلفة عند نشر موادها ، فلم تدع جانبا يطغى على جانب آخر ، إذ لم تنشر فى كل عدد إلا مقالا أو اثنين فقط من «الإسلاميات » ، وظلت هكذا حتى عددها الأخير ، فلم يظهر به إلا مقالة قصيرة واحدة لمحمد بن محمد الخالدى بعنوان « مهمة الدين الإسلامى : الاتحاد ، الأخاء ، التضامن » .

وهكذا نلاحظ أن تغلب الطابع الإسلامى على محتويات المجلة لم يكن من ناحية الكم ، بل كان من ناحية تغلب هذا الطابع على روح وثقافة من حرروا بها ، مما كان ينعكس على الجوانب المختلفة فى المجلة ، فكانت الموضوعات الاصلاحية والوطنية والعربية وغيرها تطعم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالإضافة إلى التراث الدينى الطويل ، وهذا يؤكد طبيعة الثقافة السائدة حينذاك كما سبق أن ذكرنا .

الجانب الدولى :

وقد أدلت المجلة كذلك بدلوها فى الشئون الدولية ولو متأخرا ، فلم تظهر بها مقال يعالج هذا الجانب إلا عقب نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل ، أو بالتحديد بعد مرور عام كامل من صدورها ، إذ لم تنشر هذه المعالجة إلا فى العدد الثانى من سنتها الثانية . ويرجع تأخر اهتمام الحكمة بالشئون العالمية إلى عدة أمور : منها ما كانت تعانيه من نقص فى الإمكانيات التى تساعدها على تتبع الأخبار الخارجية ، ومنها إنشغال محرريها بالمشاكل الداخلية العديدة ، هذا بالإضافة إلى سياسة العزلة التى فرضها الامام على البلاد مما كان يعكس آثاره على ثقافة المحررين واهتماماتهم . غير أن اشتعال الحرب وفظاعة أحداثها شد انتباه الجميع داخل اليمن وخارجها ، فبدأ أبناء الحكمة يتناولون جوانبها بقدر ما تسمح به إمكانياتهم فى متابعة أخبار الحرب ، وبقدر ما تسمح به ظروف النشر حينذاك ، ويلاحظ أن تناول « الحكمة » لأخبار الحرب والتعليق عليها كان من بين أسباب توقف المجلة عن الصدور كما سنوضح فيما بعد .

وأول ما نشرته المجلة فى هذا الصدد هى مقالة طويلة وضعتها فى باب « من الأخبار » وعنوانها « روسيا ودول البلطيق » ، أشارت فى بدايتها إلى ضم روسيا للدويلات الصغيرة على شاطىء البلطيق إليها ، وهى لتفيا ولتوانيا واستونيا ، ثم هجومها على فنلندا . أما باقى المقالة فهو خاص بتتبع تاريخ الاتحاد السوفيتى منذ قيام الثورة عام ١٩١٧م إلى دخوله الحرب . أما المقالة الثانية فهى بعنوان : « فنلندا : تاريخها ، دفاعها وانتصارها » ، وقد تتبعت فيها المجلة تاريخ فنلندا منذ عدة قرون إلى هجوم الاتحاد السوفيتى عليها ، حتى انتهت إلى الإشادة ببسالة فنلندا واستماتتها فى الدفاع عن نفسها فقالت : « هذه هى فنلندا الأمة الصغيرة الباسلة التى تناضل اليوم وتستميت فى سبيل

حفظ استقلالها وعزها وشرفها، وتقاوم دولة كبرى كثيرة العدد وافرة العدد شاكية السلاح[١] . ويلاحظ أن المقالة الأولى كانت بتوقيع « المحرر » والمقالة الثانية بتوقيع « قلم التحرير » ـ وهما متتاليتان فى عدد واحد ـ ولكننا نرجح أن كاتبهما هو أحمد عبد الوهاب الوريث. ويلاحظ أن هاتين المقالتين قد لفتتا نظر أحد أبناء الحكمة (الجديدة) فاتخذهما دليلا على تأثر المجلة بدعايات الغرب فقال : « على أن الحكمة قد تأثرت كغيرها من الصحف والمجلات الوطنية فى العالم العربى آنذاك بالدعاية الاستعمارية والامبريالية ، ونظرت إلى القضايا الدولية نظرة ليبرالية، وانحازت إلى مواقف عدائية للبلدان الاشتراكية فى بداية الحرب العالمية الثانية خاصة ابان الحرب السوفياتية الفنلندية . وكان لها موقفا طيبا ضد الفاشية أثناء احتلال إيطاليا للحبشة رغم العلاقات التى كانت تربط الامام بايطاليا بعد توقيع اتفاقية التعاون فى عام ١٩٢٦م »[٢] . حقيقة كانت الحكمة تستقى معلوماتها مما يصلها من الجرائد والمجلات العربية التى تصل إليها وإلى « مقام » الامام نظراً لضعف إمكانياتها كما سبق أن ذكرنا ، ولكننا نرى أن موقفها من الحرب الروسية الفنلندية يرجع أساساً إلى تعاطفها مع الدول الصغيرة وحقها فى الدفاع عن استقلالها أكثر مما كان موقفا عدائيا من الاتحاد السوفيتى ، فهى لم تسب الاشتراكية أو البلدان الاشتراكية ـ بالسباب التقليدية المعروفة ـ كما فعلت ـ وما تزال ـ بعض الصحف العربية اليمينية أو غيرها ذات الاتجاه الاسلامى ، وكل ما جاء فى المقالتين من هجوم هو أنها أشارت فى البداية الأولى إلى أن سبب نشوب الحرب العالمية الثانية هو المطامع الاستعمارية ـ وهذه حقيقة تاريخية ـ وأنها عبرت عن هجوم السوفيت على فنلندا بأنه اعتداء دولة كبرى

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ؛ السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٥٨هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠م) ص ٦٤ .

(٢) عمر الجاوى : الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٢هـ — يناير ١٩٧٤م ، ص ٦٦ .

على سيادة دولة صغرى، وهو نفس الموقف الذى وقفته من احتلال إيطاليا للحبشة - كما أشار الكاتب نفسه - بغض النظر عن أنه كان هناك معاهدة مبرمة أيضا بين الإمام والاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٢٨م[١] .

ويؤكد ما ذهبنا إليه ما نعرفه عن انتشار الخوف والهلع بين مفكرى ومثقفى اليمن - ممن عاصروا الحكمة - من تزايد نفوذ إيطاليا لدى الإمام يحيى ، وأنهم كانوا يرتجفون ذعرا كلما لمسوا مظاهر النشاط الايطالى فى اليمن وخاصة بعد استيلاء إيطاليا على الحبشة عام ١٩٣٤م ، لأنهم كانوا يرون أن إيطاليا ستعمل حتما - باعتبارها دولة كبرى تطمع فى التوسع والاستعمار حينذاك - على أن تمد قدمها الثانية إلى بلادهم لغلق البحر أمام بريطانيا ، وأنه لولا هزيمتها فى تلك الحرب لكان لها مصير آخر مع اليمن[٢]. وقد أوردلنا الأستاذ أحمد المعلمى - فى مقدمته لكتاب « من الأدب اليمنى » - نموذجا من شعر أستاذه القاضى على بن يحيى الأريانى الذى قيل فى تلك الفترة ، والذى يعد من « النصح المهذب » - على حسب تعبيره - الموجه إلى الأمام فقال : « فمنذ أن احتلت إيطاليا « أثيوبيا » الحبشة سنة ١٩٣٥ أوفد الدوتش موسولينى وفدا برئاسة غاسبرين حاكم اريتريا آنذاك لعقد معاهدة صداقة وتعاون[٣] ، ولكن بين من ؟ بين دولة مستعمرة فاشية ، قوية ، ودولة ضعيفة واهية متخلفة ، فتقدم القاضى على الأريانى ناصحا بقصيدة بقى فى ذاكرتى منها :

بربك يا أمير المؤمنينا ... أعيذك من أذى المستعمرينا
فهم أصل اضطهاد المسلمينا ... وهم أعداؤنا : دنيا ودينا

---

(١) يرجع إلى نص المعاهدتين الإيطالية والسوفيتية مع الإمام بين ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث » .
(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .
(٣) الأصح هو تجديد المعاهدة الإيطالية اليمنية سالفة الذكر .

والمعارض الذى يواجهها ويقف ضد نشوبها ، ثم عرض وجهة نظر الشريعة الإسلامية فى الحروب وأنها نظرت إليها باعتبارها ظاهرة طبيعية ، ولكن وضعت لها شروطا معينة فقال : « فأصلحت هذه الظاهرة الطبيعية إصلاحاً كبيرا ، فوضعت نظاما للحرب سياجه العدل ، وسداه ولحمته النفع العام والاصلاح الشامل ، وحرّمت الحروب التى تثيرها الشهوات والمطامع ، وحفزت العقول إلى السلم والجنوح إليه ما استطاعت ، كما أنها دعت إلى الصراع والصدام إذا صار الحق مهضوما ، والعدل منبوذا ، والكرامة مفقودة ، والفضيلة مهينة ، والأخلاق متسفلة، والطباع مرتكسة ،والشرور متغلبة ، والظلمة متراكمة ، والروابط متفككة[1] » . وأكمل العزب مقالته بالتحدث عن الحـــرب العالمية الثانية ذاتها واكتساح الزحف الألمانى للحكومات والشعوب فى أمد قصير ، ومحاولة فرنسا وانجلترا صد هذا الزحف ، حتى وصل إلى رأى وهو أن هذه الحرب نتيجة إفلاس القوى المادية وعجزها عن حل المشكلات العالمية حلا سلميا ، ثم ناشد الشعوب الإسلامية إلى الرجوع إلى الله للخروج من نكباتهم .

وتابع العزب حديثه عن الحرب فى العدد التالى مباشرة تحت عنوان : « فى عظمة الفتح الإســـلامى وسر الانتصار الألمـانى ، نظرة فى الحرب الأوروباوية » ، تكلم فيها عن توالى أخبار الحرب وأهوالها وشراستها فى أوربا ، وأن هذه الحرب تهدد مدنية العالم ومظاهر حضارته بالدمار والفناء ، ثم عرج إلى الحديث عن طبيعة الفتوحات الإسلاميـة ، أو الثورة الإسلامية على حد تعبيره ، التى هبت من أجل نشر النور والعلم والحق ، والتى استطاعت بفضل مبادئها أن تؤسس امبراطورية مترامية الأطراف

---

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٦ ؛ السنة الثانية ؛ المجلد الثانى ، ربيع الثانى ١٣٥٩هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠م) ص ١٧٢ .

والمعارض الذى يواجهها ويقف ضد نشوبها ، ثم عرض وجهة نظر الشريعة الإسلامية فى الحروب وأنها نظرت إليها باعتبارها ظاهرة طبيعية ، ولكن وضعت لها شروطا معينة فقال : « فأصلحت هذه الظاهرة الطبيعية إصلاحاً كبيرا ، فوضعت نظاما للحرب سياجه العدل ، وسداه ولحمته النفع العام والاصلاح الشامل ، وحرّمت الحروب التى تثيرها الشهوات والمطامع ، وحفزت العقول إلى السلم والجنوح إليه ما استطاعت ، كما أنها دعت إلى الصراع والصدام إذا صار الحق مهضوما ، والعدل منبوذا ، والكرامة مفقودة ، والفضيلة مهينة ، والأخلاق متسفلة، والطباع مرتكسة ،والشرور متغلبة ، والظلمة متراكمة ، والروابط متفككة[١] » . وأكمل العزب مقالته بالتحدث عن الحـــرب العالمية الثانية ذاتها واكتساح الزحف الألمانى للحكومات والشعوب فى أمد قصير ، ومحاولة فرنسا وانجلترا صد هذا الزحف ، حتى وصل إلى رأى وهو أن هذه الحرب نتيجة إفلاس القوى المادية وعجزها عن حل المشكلات العالمية حلا سلميا ، ثم ناشد الشعوب الإسلامية إلى الرجوع إلى الله للخروج من نكباتهم .

وتابع العزب حديثه عن الحرب فى العدد التالى مباشرة تحت عنوان : « فى عظمة الفتح الإســــلامى وسر الانتصار الألمانى ، نظرة فى الحرب الأوروباوية » ، تكلم فيها عن توالى أخبار الحرب وأهوالها وشراستها فى أوربا ، وأن هذه الحرب تهدد مدنية العالم ومظاهر حضارته بالدمار والفناء ، ثم عرج إلى الحديث عن طبيعة الفتوحات الإسلاميـة ، أو الثورة الإسلامية على حد تعبيره ، التى هبت من أجل نشر النور والعلم والحق ، والتى استطاعت بفضل مبادئها أن تؤسس امبراطورية مترامية الأطراف

---

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٦ ؛ السنة الثانية ؛ المجلد الثانى ، ربيع الثانى ١٣٥٩هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠م) ص ١٧٢ .

فى مدة وجيزة، مما يعد لغزا غامضا أمام المفكرين حتى الآن، نظرا لعدم توفر العدد والسلاح فى أيدى العرب الفاتحين حينذاك . وقد رأى العزب أن سر انتصار ألمانيا — عند بداية الحرب — هو موقف دول الحلفاء منها عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ، فرغم أنها أمة ذات حضارة قديمة فقد ظلت ، موتورة موغورة الصدر تضطرم حقدا وضغينة على خصومها الذين أعنتوها وأرهقوها بتحكمهم فى نظامها وحقوقها ، وفرضهم الرقابة على حكوماتها ، واستلابهم ممتلكاتها ، واقتطاعهم جزءا من وطنها ومحاولتهم السيطرة على مستقبلها ، والحيلولة بينها وبين حيويتها ... »[١] ، ولنا عود إلى هذه المقالة عند الحديث عن أسباب توقف المجلة لما بدا فيها من تعاطف مع ألمانيا كما سنرى .

وكيفما كان الأمر فى تغيب المجلة عن الظهور ، فقد كانت مقالة العزب هى آخر المقالات التى نشرت بالحكمة تعالج الحرب - أو الشئون الدولية - معالجة صريحة مباشرة . غير أن أحد المطاع تناول هذا الموضوع فى افتتاحية أحد الأعداد التى كتبها بمناسبة بداية العام الهجرى الجديد (١٣٦٠) ، وقد استهل مقالته بالدعاء إلى الله أن يرحم العالم من ويلات الحرب ويوقف هذه المحنة القاسية ، ثم قال ان العالم ودع العام السابق وهو ملىء بالأوهام والأحزان ، ووصف فى عبارة أدبية ما قاسته البشرية فيه ، كذلك رأيه فى الحرب وأسبابها فقال : « ودعناه ولا هم للعالم غير مراقبة الأحداث ، وتسقط الأخبار ، والاصاخة للمذياع ، وأمم الغرب تسبح فى بحار من الدماء فلا تسمع إلا حشرجة النفوس ، وزلزلة العروش ، وتساقط التيجان ، وقعقعة السيوف ، ودوى القنابل ، وأصوات المدافع ، وانفجار المدمرات ،

---

(٢) عبد الله العزب: الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، جمادى الأولى ١٣٥٩هـ (يونيه / يوليه ١٩٤٠م) ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

وحفيف الطائرات ، وأزيز القذائف ، وهمس الكتائب ، وهمهمة الجحافل ، قد حشرتهم الأطماع ، وحفزتهم الأحقاد ، وأحاطت بهم الخطايا ، وساقتهم لدك معالم حضارتهم التي بلغت منتهى العمران دكاً ... »[١] ، وهو بذلك يقيم الحرب العالمية الثانية بأنها حرب استعمارية تسيطر عليها الأطماع والأحقاد ، وهو ما يتضح بجلاء في باقي نقاط المقالة . وقد أنهى المطاع كلمته بما يتفق مع آراء رجال الحكمة الآخرين الذين يرون أن سبب هذه الصراعات الأليمة ترجع إلى ابتعاد البشرية عن الديانات السماوية وعدم اللجوء إلى شرائعها ، ثم يدعو زعماء المسلمين إلى المحافظة على شعوبهم من الويلات الدائرة فقال : « والمرجو ممن بيده الحول والقوة أن يرحم أمة محمد وأن يحفظها بهذا المعترك الرهيب من سباع الأطماع ، وكواسر الشعوب ، وجوارح الأمم ، ويأخذ بناصيتها إلى الاعتصام بحبـــله المتين ، وهدى سيد المرسلين ...[٢] » ، ويلاحظ أنه قد لمح هنا بصورة خفية إلى خوف اليمنيين من وقوع بلادهم في أيدي الايطاليين ، ويدعو إلى ضرورة المحافظة على استقلال اليمن .

وهكذا يتضح أن « الحكمة » قد :

- شاركت في الاهتمام بالشئون العالمية بقدر ما تسمح به ظروف النشر في إطار العزلة المفروضة على البلاد .

- فزعت لويلات الحرب العالمية الثانية وأهوالها ، مما شدها إلى الإلتفات إليها ومتابعة أخبارها بقدر ما سمحت بها إمكانياتها المحدودة للغاية .

---

(١) أحمد المطاع : الافتتاحية ؛ الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الثالثة ؛ المجلد الثالث ، محرم ١٣٦٠هـ (يناير / فبراير ١٩٤١م) ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع : ص٦٩

- وقفت من الحرب موقفاً مبدئياً غير منحاز بقدر ما تستطيع ، فهاجمت البلدان المتحاربة بغض النظر عن اختلاف عقائدها ومبادئها .

- تبنت قضية الدول الصغرى وحقها فى المحافظة على استقلالها وسيادتها مهما تباينت جنسياتها ودياناتها .

- آمنت بأن الحرب الدائرة حرباً استعمارية ، ألهبتها الاطماع والأحقاد ، ورأت أنه من الضرورى الرجوع إلى الديانات السماوية وشرائعها .

ولقد كان هذا كله تعبيراً عن موقفها من الجانب الدولى .

وهكذا يتضح مما سبق مدى التنوع الذى اغتنت به « الحكمة » ، فظهر أنها كانت مجلة شاملة وليست متخصصة كما ذكرنا ، إذ رأينا كيف أنها تحلت بمختلف الأخبار والموضوعات والإتجاهات والاهتمامات ، مما عكس بصورة جلية صور الحياة والأفكار فى اليمن فى تلك الفترة . كذلك لمسنا بوضوح أن المجلة غلفت محتوياتها المختلفة - من أدب وتاريخ وعلوم حديثة وغيرها، ومن جوانب وطنية وعربية واسلامية ودولية - بغلاف إصلاحى تجديدى عصرى ، مما رفع شأنها ، وشد اهتمام معاصريها من ناحية ، ومن ناحية أخرى أدى فى نفس الوقت إلى توقفها كما سنرى .

مدى نجاح الحكمة :

إن من يتعرض بالدراسة لموضوع الصحافة اليمنية وتطورها يلمس بوضوح فى كتابات البحاث الحاليين وفى أقوال من عاصروا « الحكمة » ، أنها قد أحرزت نجاحاً ملموساً خلال عمرها القصير . فقد قيل أنها : « استطاعت أن تؤثر على الرأى العام اليمنى » ، وأنها بتوقفها : « انتهت الصحافة

الوطنية فى اليمن »[1] . كذلك قيل : « ان الرأى العام اليمنى كان يتابع مواد الحكمة باهتمام كبير ، وأنها بتوقفها تركت فراغاً يصعب ملؤه ، كما أنه - أى التوقف - حدد نهاية الصحافة الوطنية فى اليمن »[2] . ورغم صحة هذين الرأيين ، فإن الاعتراض هنا ينصب على تعبير « الرأى العام اليمنى » ، إذ سبق أن أشرنا إلى أن تأثيرها كان محدوداً بين فئات اجتماعية معينة مثل بعض الشباب من المتعلمين[3] . فمن البديهى - لطبيعة التكوين الاجتماعى وقلة انتشار التعليم حينذاك - أن كان انتشارها : « محصوراً بين الأدباء والمثقفين ، وكان الاشتراك فيها محدوداً ، لذلك كان تأثيرها محدوداً أيضاً »[4] ولا يقلل هذا كله من أن المجلة قد حققت نجاحاً تاماً ، ولكن كان هذا النجاح فى إطار اجتماعى محدود ، وذلك كما يفهم من حديث أحد معاصريها الذى قال : « كتب لهذه المجلة النجاح داخل اليمن ، النجاح الذى لم يسبق له نظير ، وتلقاه الأدباء والمفكرون بكل ترحاب ولهفة »[5] .

ولا يتعارض ما ذكرناه عن نجاح الحكمة مع ما تحدثنا عنه فى بداية البحث من أنه كان لا يطبع من العدد الواحد منها إلا ألف نسخة فقط ، وأن الإمام يحيى كان يجبر موظفيه - كما كان يفعل بالنسبة للإيمان - على الاشتراك فيها ، إذ أن حجم المطبوع منها لا يدل عن حجم قارئيها . فقد كان من

---

(١) عمر الجاوى : الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤م ؛ ص ٦٦ .

(٢) Abdalla El-Zine : Le Yemen, et see Moyen D'information, Tome I, PIOI.

(٣) سبق أن ذكرنا أن الوريث قد اعترف بضيق مجال نجاحها وتأثيرها فى افتتاحية عامها الثانى أثناء حديثه عن ضرورر المثابرة فى إصدارها ، كما ذكرنا أيضاً أن القاضى عبدالله الشماحى ذكر فى كتابه أن تأثيرها كان واضحاً بين الشباب المتعلم .

(٤) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٥) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

المتعارف عليه فى المجتمع اليمنى ـ وخاصة فى تلك الفترة ـ تداول ما يصل إلى أيدى البعض من كتب ومطبوعات بين أكبر عدد ممكن من القراء ، نظراً لضعف القدرة الشرائية ، ولخلو السوق اليمنية منها أيضاً ، كذلك كانت عادة القراءة الجماعية منتشرة بين اليمنيين فى مجالسهم الخاصة[1] ، فكان هذا كله يضاعف من عدد المطلعين على أعداد الحكمة ، المتتبعين لموادها .

ورغم هذا فإن تلك الأيدى والجلسات كانت لا تعنى إلا أعداد محدودة من مثقفى تلك الفترة وخاصة من أبناء المدن اليمنية الكبيرة مثل صنعاء وصعدة وذمار وإب وتعز ، ولا نقول الحديدة لأنها لم تكن لها شأن كبير ـ فى المجال الثقافى على الأقل ـ حتى ذلك الحين . وفى نفس الوقت كانت هذه الأعداد المحدودة توجد فى أماكن متفرقة خارج هذه المدن فى أنحاء اليمن طولا وعرضاً ، ويلاحظ ذلك كل من يتتبع أسماء من حرروا بها ـ خاصة بعد الأعداد الأولى منها أى بعد اشتهارها ووضوح اتجاهاتها واهتماماتها ـ وكل من يحصر أسماء من أرسلوا لها بكلماتهم وقصائدهم من الأدباء والشعراء ، التى عبروا فيها عن ترحيبهم بظهور المجلة وتشجيعهم لها ، والتى نشرتها « الحكمة » فى عدديها الثانى والثالث بصفة خاصة ثم فى أعداد متفرقة بعد ذلك ، ان كل من يفعل ذلك يلاحظ أن التوزيع الجغرافى لهذه الأسماء يشمل

---

(١) تشتهر هذه الجلسات فى اليمن باسم « المتاكى » (أو المداكى حسب التعبير الدارج) ومفردها متكى ، نسبه إلى الوسائد التى « يتكىء » عليها المرء أثناء جلوسه على الأرض ، وينسب المتكى بالتالى إلى المكان نفسه أى إلى تلك القاعات المفروشة بالطريقة العربية والمخصصة لاستقبال الضيوف ولتخزين القات . وكانت هذه الجلسات تشبه الصالونات الأدبية ، إذ كان يتبارى فيها الأدباء والشعراء فى إلقاء الطرائف والقصائد وتبادل المناقشات حول المسائل الهامة ، وبعد مرور بعض الوقت يقرأون فصلا أو فصولا من إحدى الكتب ثم يتناقشون حول ما جاء بها . وكانت مثل هذه الجلسات تمثل غذاء روحياً لأبناء تلك الفترة ، ومن أشهرها متكى السيد حسين عبد القادر عامل صنعاء حينذاك وحتى ثورة ١٩٤٨ . وما زال اليمنيون يتبعون هذه التقاليد — ولكن بنسبة أقل — وخاصة فى أمسيات شهر رمضان .

جميع أنحاء اليمن ، بل قد يتعجب المرء - عند متابعة أماكن هذه الأسماء على إحدى الخرائط اليمنية - من وصول المجلة إلى تلك الأماكن النائية داخل البلاد ، رغم صعوبة المواصلات ووعورة المسالك فى تلك الفترة ، ومن نجاحها فى إثارة الاهتمام هنا وهناك حتى انهالت عليها الكتابات من المحررين والمرحبين على السواء .

ولا حاجة هنا إلى متابعة كلمات الترحيب التى نشرتها الحكمة والإيمان، فربما كانت من الأمور التقليدية التى تصاحب مثل هذه المشروعات فى بدايتها ، وإن دلت دون شك على مدى نجاح المجلة ، وإلى مدى تعطش الحياة الفكرية النامية فى اليمن إلى ما يماثلها ، ولكن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن هذه الكلمات من ناحية كانت تأتيها من خارج البلاد بأقلام يمنية وغير يمنية ، ومن ناحية أخرى كان بعض أصحاب هـــذه الكلمات يبثون فيها ما يأملون أن تحققه « الحكمة » من تطوير فى مجالات الحياة المختلفة .

فمن ناحية ماوصل إلى « الحكمة » من الخارج، نشرت المجلة قصيدة لمحمد صالح المسمرى « عضو البعثة اليمنية بكلية اللغة العربية بالقاهرة » حينذاك ، كما ذكر بجوار اسمه بالمجلة ، نورد بعض أبياتها :

منها : جنحتم إلى الحكمة الناطقة	لجـــامت موفقة صادقة
روت للمعارف آدابها	وأرضى محررها خالقـــه
ومنها : فشعبكم اليـــوم يزهى بكم	ويحمد رب الورى رازقه
لحكمتكم وجهود الشباب	أهدى تحيتى العابقة[1]

---

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٩٥٨هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩م) ، ص ١١٤ — ١١٥ .

ويلاحظ أن هذه هي المرة الأولى التي ظهر فيها اسم «المسمري» بالمجلة ، إذ أصبح فيما بعد من أهم كتابها ، كما كان من ضمن من لاقوا حتفهم بعد فشل ثورة ١٩٤٨ .

كذلك وصلت إلى المجلة قصيدة من محيي الدين الجندي[١] بحمص بسوريا ، جاء فيها :

يا مرحبا بمجــلة	صدرت بصنعاء اليمن
برزت بشيرا للثقافة	في ربى ذاك الوطن
ومنها : أنعم بها من دوحـة	بثمارها تنمو الفطن
لله موجـدها الذي	أحيي المعالم والسنن[٢]

وقد انهالت أيضاً الكلمات الترحيبية من داخل البلاد على الحكمة ، فنشرت في عددها الثاني بعض مقتطفات ما وصلها ، وأغلبها يعبر عن فرحة الجميع بظهور المجلة لأنها ستكون — كما ألمحنا — متنفسا للأفكار النامية حينذاك . وعبر عن ذلك أحد هؤلاء وهو زيد الموشكي فقال بأنه كان يسطر أفكاره : « في أوراق معدودة لكنها لا تبلغ حد النشر والإذاعة إلا على خاصة الإنسان . أما الآن وقد أنشأت مجلة الحكمة اليمانية فان الكاتب منا يتمكن من إذاعة رأيه ونشر أفكاره »[٣] . وقد شاركت جريدة «الإيمان»

(١) يبدو من تشابه هذا الإسم مع إسم الأستاذ عبد النافع الجندي ، المدرس السوري باليمن سالف الذكر . أنهما أخان ، وأن عبد النافع هو الذي أرسل لأخيه نسخة من المجلة — لأنه كان يحرر بها — فرد أخوه بهذه القصيدة .

(٢) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ص ١١٥ .

(٣) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي الحجة ١٣٥٧ هـ (يناير / فبراير ١٩٣٩ م) ص ٥٨ .

فى نشر كلمات الترحيب بالحكمة ، وأعجبنا منها كلمة للقاضى عبد الرحمن ابن محمد بن الحداد « كاتب محكمة ذمار » لأنها نموذجا لما أشرنا إليه ، وهو أن بعض هؤلاء المرحبين كانوا يبثون آمالهم فى تقدم البلاد وتطورها خلال كلمات الترحيب هذه ، فبعد أن قدمت مقتطفات من كلمته ، نشرت القصيدة التى ألحقها بها ، وقد جاء فيها :

سابقوا يا قوم رقوا الوطنـــا ... وانهضوا واستنهضوا أهل الدنى
نوروا الأفكار بالعـــلم ولا ... تطمعوا فى النجح إلا من هنا
كانت الرقيا لنـــا من قبلهم ... ليس نرضى بترك ما كان لنا
هذه آثار قحطان عفت ... وهى ما زالت تروها هنا
نقبوا عنها تروها أفصحت ... عن رخاء كان ممدوح الثنا [1]

نخلص مما سبق أن المجلة قد نجحت نجاحا تاما من حيث الإقبال عليها والتلهف على متابعة موادها ، كذلك يتضح أنها كما سدت فراغا فى الحياة الفكرية ، إذ كان اليمنى فى حاجة إلى مثيلاتها ، فقد كانت فى حد ذاتها استجابة للحياة الفكرية النامية فى تلك الفترة ومعبرة عنها . ويلاحظ أن نجاح المجلة والإقبال عليها والتأثر بها كان فى أوساط ودوائر معينة — وهى المتعلمة المثقفة — وليس على المستوى الجماهيرى الواسع العريض ، أو كما قيل : « الرأى العام اليمنى » . ولا يرجع ماذهبنا إليه إلى ضعف مستوى المجلة العلمى والثقافى ، بل يرجع إلى قلة انتشار التعليم وضعف الوعى حينذاك بين الجماهير اليمنية . وتؤكد الأحداث التاريخية هذا الرأى ، فمن المعروف أن جهل هذه الجماهير وضعف وعيها ونقص توعيتها ، كان هذا كله من بين الأسباب الرئيسية لفشل

---

(١) الإيمان : العدد ١٥٠ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى الحجة ١٣٥٧هـ (يناير/فبراير ١٩٣٩م) ص٣ ، ع٣ ، ٤ .

ثورة ١٩٤٨[١] ، تلك التى نشبت بعد اختفاء الحكمة بسبع سنوات ، والتى كانت المجلة نفسها من العوامل التى مهدت لها وبشرت بمبادئها .

أسباب توقف المجلة :

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل هام ، وهو لماذا توقفت « الحكمة » عن الظهور ؟ ذلك رغم مستواها الثقافى الرفيع كما شاهدنا ، ورغم نجاحها وإقبال المتعلمين عليها ، ورغم اتخاذها الخط الإصلاحى وليس الثورى ، إذ لم تحاول أن تصطدم بالسلطة والأنظمة القائمة بل كانت حذرة متيقظة فى نداءاتها الإصلاحية كما لاحظنا .

وربما يتفرع من هذا السؤال أسئلة عديدة أخرى ، مثل : ماهو الموقف الحقيقى للسلطة القائمة من المجلة ومن محرريها ؟ وإذا كانت هذه السلطة لا ترغب فى وجود المجلة ، فما هى الظروف الواقعية التاريخية التى أجبرتها على الموافقة على صدورها ؟ ثم ماهى الظروف أيضا التى دعت إلى أن تسكت عن توقفها ؟ أو بالأحرى ما هو دورها فى توقف المجلة عن الظهور ؟

ومن هذه التساؤلات أيضا التى تتبادر إلى الذهن : من هم هؤلاء المحررين؟ أى ما هى حقيقتهم الاجتماعية والثقافية ؟ وما هى انتماءاتهم ؟ وماذا يمثلون ؟ وما هى الأهداف التى جمعتهم والأغراض التى رموا إليها ؟ وما هى الأوضاع التاريخية والاجتماعية التى أدت إلى ظهورهم وإلى تحديد موقفهم ؟ وهل كانوا يعبرون عن أفكار واتجاهات سياسية معينة ؟ أو هل كانوا على اتصال بتنظيمات سياسية قائمة ؟ وما هى طبيعة هذه التنظيمات أو التجمعات السياسية ؟ .

وهكذا هناك العديد من التساؤلات التى تطرح نفسها بقوة فى هذا المجال ،

---

(١) عبد الله البردونى : رحلة فى الشعر اليمنى ، ص ١٧٢ .

والتي ربما لانستطيع أن نوفي بعضها حقها في الإجابة والتوضيح نظراً لنقص المادة التاريخية العلمية اللازمة . ورغم هذا سنحاول ـ قدر الاستطاعة وقدر توفر المادة اللازمة ـ الإجابة على هذه التساؤلات ، وتوضيح هذه النقاط .

وربما يكون الموضوع القائم أمامنا الآن هو : كيف توقفت الحكمة عن الظهور ، ولماذا ؟ إذ تعتبر الإجابة على هـــذا التساؤل هي المفتاح الطبيعي للإجابة على باقي التساؤلات كلما أمكن ذلك . وقد تعددت الإجابات حول هذا السؤال الذي طرحته أمام عدد من المعاصرين « للحكمة » ومن المهتمين بها ، فكانت إجاباتهم تكاد أن تكون متشابهة ، وتكاد أن تدور حول محور رئيسي وهو أن السلطة حينذاك لم تصادر المجلة ، ولم تتعمد أن تأخذ موقفاً عنيفاً منها ، بل استغلت وهيأت الظروف الطبيعية لتوقفها ، ثم سكتت عن هـــذا التوقف ، حتى يتناسى المجتمع اليمني في هدوء اختفاء الحكمة عن الصدور . ذلك لأن تلك السلطة لم تكن راضية عنها في حقيقة الأمر ، وكانت تتحين الفرصة لإيقافها ، ولكنها لم ترغب في الاصطدام بها ، بل أخضعتها للأسلوب السياسي المعروف الذي اشتهر به الإمام يحيى ، والذي كان يعتمد على تحين الفرص ، والاعتماد على الزمن ، وعدم الاعتماد على العنف المكشوف ، وذلك للتخلص من معارضيه السياسيين والقضاء على خصومه .

ويكاد أن يكون هناك إجماع بين الإجابات التي تلقيتها حول هـــذا السؤال على أن السبب الرسمي الظاهري لتوقف الحكمة عن الصدور هو قلة الورق باليمن خلال فترة الحرب نظراً لتوقف الاستيراد ـ أو انقطاعه تقريباً ـ نتيجة ظروف الحرب نفسها ، فأصدر الإمام أمره بإيقاف « الإيمان » و « الحكمة » معاً لهذه الظروف الاستثنائية[1] . ولاشك أن هذا

---

(١) من إجابات الصفي أحمد محبوب ، والسيد أحمد بن محمد الشامي وغيرهما .

السبب كان كافياً ومنطقياً للغاية من جانب الإمام وأمام المعاصرين ، غير أن ما يدل على أنه كان للامام موقفاً معيناً من « الحكمة » هو موافقته على إعادة « الإيمان » إلى الظهور بعد قليل ، والسكوت عن عدم عودة الحكمة ، مما يعنى أن الحكمة لاقت حتفها فى صمت وسكون دون صدام أو ضجة ، ومما أدى إلى أن ابتلع « المحررون » الغصة فى هدوء وصمت أيضاً لأنهم لم يستطيعوا مواصلة رسالتهم وجنى ثمار جهودهم ، كما ألمح مشرفها أحمد المطاع – كما ذكرنا – فى افتتاحية السنة الثالثة للمجلة ، وهى السنة التى لم تكتمل لتوقف المجلة فيها.

وهناك سبب آخر ظاهرى أيضاً ردده البعض ، واحتج به الإمام أمام معاصريه ، وهو خوفه – أى الأخير – من أن يظهر انحياز الحكمة إلى أحد الأطراف المتحاربة فى الحرب الثانية[1] ، وخاصة لأن الإمام كان قد أعلن حياد بلاده عند نشوب الحرب . ويبدو أن الإمام قد اعتمد فى ذلك على ما ظهر فى مقال « العزب » الأخير الذى أشرنا إليه أثناء الحديث عن موقف الحكمة من الجانب الدولى ، إذ ألمحنا إلى أن العزب قد تعاطف بعض الشىء مع ألمانيا النازية فى هذا المقال ، فدافع عن إثارتها الحرب بأنها كانت تشعر بأنها « موتورة مهضومة الحقوق منذ هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى » .

غير أنه كانت هناك أسباب أخرى وراء توقف الحكمة ، أو بتعبير أدق وراء سكوت الإمام عن عودتها إلى الظهور ، فقد قيل : « إن الإمام لم يكن راضياً عما يكتب بها تماماً ، بل كان يشعر من خلاله بأن هناك ما يخالف رأيه ، أو هناك تلميح إلى بعض الأوضاع السائدة فى اليمن ، وإلى سياسة الإمام نفسه ، وليست كلها مديح وإشادة بأعماله ، أو مجرد وعظ وإرشاد يتفق مع آرائه ، ولذلك كانت الحكمة تعتبر المدرسة الوطنية الأولى التى ظهرت فى اليمن[2] » . ويؤكد هذا الرأى ما قيل حول تفسير الصدام بين

---

(١) من إجابات الصفى أحمد محبوب .

(٢) نفس المصدر.

الإمام وهيئة التحرير: « بأن الإمام كان يريد أن يكون الاهتمام حول المسائل الدينية مع ملء المجلة بالآيات والحديث مع شرحها والحث عليها ، وليس حول الأمور العصرية مثل الديمقراطية والحياة الاجتماعية وغيرها . وكانت هيئة التحرير تحاول بقدر ما يمكنها أن تصبغ كتاباتها بالصبغة العلمية العصرية ، مع تناول الموضوعات الدينية تناولا حديثا ، والإشارة إلى أعمال السلف الصالح والتأكيد عليها »[١] .

لذلك يصدق القول بأن : « توقفها كان فرصة للامام لإلغائها ، وذلك بالسكوت عن عودتها »[٢] . ومن البديهى أن نقول أنه كان هناك إختلاف فى موقف الإمام من كل من « الجريدة » و « المجلة » تبعا لطبيعة ودور كل منهما كما سبق أن لمسنا ، لذلك قيـــل أن : « عودة الايمان إلى الظهور بعد احتجابها هى كونها الجريدة الرسمية الصادرة من الديوان الملكى ، أما الحكمة فإن عودها سيكلف الامام جهوداً لمراقبتها وتمويلها وهو غير راض عنها ، ولأن السيف عبد الله كان بعيـــداً عن أبيه الامام — حينذاك — فهو فى الحديدة أو فى الخارج »[٣] . والحقيقة أن وجود السيف عبد الله فى صنعاء وزيراً للمعارف قد أفاد كثيراً فى صدور المجلة كما رأينا ، كذلك أفاد كثيراً فى استمرارها لتبنيه لها ولأنه لعب : « دوراً كبيراً فى حماية المحررين من التآمر والوقيعة بهم عند الامام »[٤] . وكان السيف عبد الله قد عين أميراً للواء الحديدة إلى جانب عمله وزيراً للمعارف ، وكانت مشاغله هناك تشده كثيراً بعيداً عن صنعاء . وبالاضافة إلى ذلك ، فقد كان عدد من المحررين البارزين بالمجلة قد غادروا البلاد بعد توقف الحكمة عن الظهور بعدة أشهر

---

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد الشامى .

(٢) من إجابات الأستاذ عبد الله حمران .

(٣) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٤) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

فقط ، إذ فر العنسى والحورش والبراق من اليمن بعد خروجهم من السجن بقليل ، وطرد الأستاذ عبد النافع الجندى من البلاد(١) ، لذلك لم يكن من المتوقع أن يتمكن أحمد المطاع من تحرير المجلة بمفرده وخاصة لأن عبدالله العزب كان قد أبعد من صنعاء عند بداية ظهور الحكمة — نظراً لشك الامام فيه وخوفه من نشاطه السياسى — فعين « قاضيا لناحية وصاب السافل »(٢) ، وهى من النواحى(٣) المعروفة بوعورتها وقسوة الحياة فيها ، وقد مرض عبد الله العزب بها فنقل إلى تعز حيث توفى هنا بعد قليـــل ، وذلك بعد توقف الحكمة بحوالى عام .

وهكذا يتضح أن توقف الحكمة يرجع إلى أسباب بعضها ظاهرية والبعض الآخر خفية ، وأن بعضها يرجع إلى الامام نفسه ، والبعض الآخر يرجع إلى ظروف المحررين ، غير أنه يمكن أن نلخص هـذا كله فى أمرين هامين :

فمن ناحية ، فقد كان الامام يكره مظاهر الحياة الجديدة ، كما كان لا يقبل التطور إلا بالخطوات البطيئة الحذرة حتى اتصفت أعماله فى النهاية بالجمود . ومن ناحية أخرى فقـــد رأى الحكمة — ولو بأشكال ضئيلة خفية — صورة من صور المعارضة ، التى كان قد بدأ يلمسها فى نواحى أخرى متعددة ، والتى كان قد بدأ يتخذ الخطوات الايجابية للقضاء عليها ، ولذلك جميعه تحين الفرصة ليوقف الحكمة عن الظهور .

(١) من اجابات الأستاذ أحمد حسين المرونى .

(٢) الإيمان : العدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ، ع ١ .

(٣) النواحى جمع ناحية وهى إحـدى التقسيمات الإدارية فى اليمن . وهذه التقسيمات هى : المحافظة أو اللواء وينقسم إلى عدة أقضية أو قضوات (مفردها قضـاء) والقضاء ينقسم إلى عدة نواحى ، والناحية تنقسم إلى عدة عزل (ومفردها عزلة) والعزلة تنقسم إلى عدة قرى .

وقد كان من المعروف سلفا موقف الامام يحيى من الصحافة وعدائه لها وعدم إيمانه برسالتها ، فهو لم يوافق على صدور « الايمان » وعلى استمرارها إلا باعتبارها وسيلة الإعلام الوحيدة لديه ، ولأنها كانت لا تخرج إلى القراء إلا بعد أن يراجع بروفاتها بنفسه كما ذكرنا . ويتأكد موقف الإمام صراحة من الصحافة من الحديث الذى أجراه معه الكاتب الرحالة نزيه مؤيد العظم أثناء زيارته لليمن ، وذلك قبل صدور الحكمة بأكثر من عامين ، فقد عبر الإمام فى هذا الحديث الطويل عن استخفافه بدور الصحافة وأثرها فى التوعية والإعلام ، وفى دفاعها عن القضايا الوطنية ، حتى أنه رد على العظم عند إشادته بالصحف المصرية ودورها فى التوعية بقوله : « وهل حققت هذه الجرائد الكثيرة المتقنة لمصر استقلالها » ، ثم أنهى حديثه بالنهوض — تعبيراً عن التبرم — عندما رأى العظم يواصل الحديث عن دور الصحافة المصرية فى الدعاية للقضية الوطنية ونجاحها فى إثارة الرأى العام المصرى والعالمى ضد الانجليز[1] .

أما الناحية الثانية ، وهى أن الحكمة قد ظهرت — رغم كل ما اتخذته من حيطة وحذر — بأنها تحمل مضموناً جديداً عصرياً ، وأنها ترمى إلى أهداف إصلاحية متطورة ، لذلك بدت أمام الإمام بأنها لون من ألوان المعارضة كما سبق أن أشرنا ، فهذا أمر لا خلاف حوله . فما لا شك فيه أن كل من يطالع صفحات المجلة يلمس بوضوح ماذهبنا إليه ، ولا يجد حرجاً أو غضاضة فى أن يضمها فى صف المعارضة ، رغم تغلفها بالطابع الاسلامى وبالدعوة الاصلاحية وغير ذلك كما سبق أن أوضحنا . وبالاضافة إلى ذلك فقد كانت تمثل جزءاً مرحلياً من حركة المعارضة هذه ، فهى منطقيا لم تنبع من فراغ بل سبقتها وعاصرتها صور أخرى سرية تعبر — كما سنفصل فيما بعد — عن سخطها وتذمرها من الحكم القائم ، ولحقتها صور أخرى —

---

(١) نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، ص ٦٤٣ .

أكثر عمقاً وعنفاً ، وهى التى انتهت بثورة عام ١٩٤٨ م . ورغم أنها كانت شكلا علنياً للمعارضة تحكمها ظروف النشر المسموح بها حينذاك ، فقد عبرت رغم هذا عن الاتجاه الذى اتخذته المعارضة — آنذاك — لنفسها ، وذلك كما عبرت الباحثة الروسية المعاصرة بقولها : « ويمكن معرفة الاتجاه الذى اتخذته حركة المعارضة فى اليمن بصفة عامة فى هذه الفترة بالبحث فى مواضيع المقالات المنشورة على صفحات مجلة الحكمة اليمانية »(١) .

مسألة وفاة الوريث :

وكما أن « الحكمة » مثلت شكلا من المعارضة وعبرت عن إتجاهها ، فقد اتخذت بعض عناصر المعارضة القائمة حينذاك من وفاة أحمد عبدالوهاب الوريث وسيلة لمزيد من نشر روح السخط والتذمر ضد الإمام . فقد قيل — ومازال يقال — أن الإمام يحيى قد تخلص من الوريث كرهاً له ، وليضعف من شأن الحكمة ودورها ، إذ طالما سمعت من كثير من الشخصيات المعاصرة والحالية أن الإمام مسئول مسئولية كاملة عن التخلص من الوريث ، كما أن هذا الإتهام يتردد من حين إلى آخر فى بعض الأبحاث المنشورة .

ونظراً لارتباط هذا الموضوع بوضع الحكمة ودورها حينذاك ، ولكثرة ترديده حتى الآن ، فيجدر أن نقف عنده لتوضيح أبعاده ، لنستطيع فى النهاية تحديد موقف المجلة من المعارضة أو اتصالها بها على الأقل ، مما سنتعرض له فيما بعد . فقد جاء فى مقال قريب — وهو يعكس ما زال يتردد هنا وهناك — أن الحكمة « تعرضت لإرهاب السلطة ورقابتها الشديدة ، وتخلص الجلاد يحيى من أحمد عبد الوهاب الوريث الذى كان رأس الحركة الفكرية فى نهاية الثلاثينات بعد أن استطاع أن يوجه خطا وطنياً عن طريق المجلة التى اتسمت فى سنتها الثانية وتولى رئاسة التحرير أحمد المطاع

---

(١) جلوبو فسكايا : حول مسألة قيام بعض التنظيمات السياسية والاجتماعية فى اليمن (ترجمة أبو نشوان) ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ، شوال ١٣٩٢هـ نوفمبر ١٩٧٢م ، ص ٢٠ .

الذى مضى على نفس الخط حتى أغلقت »[١] . وجاء فى رواية أخرى نشرت قريباً أيضاً أن الوريث كان قوى الشخصية معتزاً بنفسه : «لا يعرف المجاملة حتى مع الإمام يحيى ، فهو لاينحنى له ولا يسمح لشفتيه أن تقبلا يد الإمام أو يخاطبه ويطارحه الحديث إلا فى صورة الند للند ، مما جعل ظله ثقيلا على نفس الإمام ، ولكنه كان يتحمله ويجامله ظاهرياً ، ويسعى للتخلص منه . وكان مرتب الوريث الشهرى من أعلى المرتبات فى عهد الإمام يحيى ، إلا أنه لا يسد مطالب الوريث الكثير النفقات فأثقلته الديون ، وكان الإمام يطمعه بأنه سينظر فى شأنها فيستزيد من الديون حتى بلغت حد الألفين (وهو مبلغ كبير فى ذلك العصر) واشتد طلب أربابها للوريث، فيلح الوريث على الإمام بقضائها فيطالب منه تقديم بيانها فينصرف والأمل يراوده ، ثم يعود ببطاقة فيها بيان الديون فيطالعها الإمام ويضعها بين يديه ثم ينصرف عنها إلى أعماله ، وبعد ساعة منح الوريث ثمانية ريالات قائلا له استعن بهذا حتى ننظر فى الأمر ، فيرفض الوريث الثمانية ريالات ويخرج غاضباً متألماً فيصاب بحمى حادة لم تمهله إلا ثلاثة أيام حتى سلبته الحياة ولحق بربه وهو فى التاسعة والعشرين من عمره تاركا المجلة وموجة من الأسى »[٢] .

حقيقة تركت وفاة الوريث وهو فى ميعة الشباب موجة من الأسى كما سنذكر فيما بعد ، ولكن يلاحظ أن هذين النصين لم يؤكدا إتهام الإمام بأنه قتل الوريث ، فالأولى تكتفى بالقاء الإتهام دون تقديم الدليل ، والثانية ـ رغم تفاصيلها وأسلوبها الروائى ـ لا توحى إلا بأن الإمام تسبب فى وفاة الوريث ولكنه لم يقتله .

أما روايات بعض معاصرى الحكمة فهى تلقى مزيداً من الضوء رغم

---

(١) عمر الجاوى: الحكمة (الجديدة) ، العدد٢٦ ، ذى الحجة١٣٩٣هـ، يناير ١٩٧٤م، ص ٦٦ .

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .

منها الوريث ، فلما توفى رحمة الله أطلق الأحرار إشاعة بأن الامام تسبب فى وفاة الوريث »(١)

وهكذا يتضح تعدد الروايات واختلافها فيما بينها حول التفاصيل على الأقل ، وان كانت تتفق حول محور واحد تقريباً ، وهو أنه كان هناك خلاف بين الامام والوريث ، وهذا أمر بديهى بطبيعة الحال لفارق السن ، ولاختلاف الطبائع والآراء والاتجاهات بين الشخصيتين كما هو معروف . ولاشك أن اختلاف الروايات هكذا يضعف بعضها بعضاً ويؤدى إلى التشكك فى أن الإمام تعمد قتل الوريث ، وإن كان هـذا لا ينفى أنه كان يحب أن يتخلص منه لقوة شخصيته ولنشاطه الجم فى تحرير الحكمة ، ولما أبداه من جرأة فى مواقفه وكتاباته على السواء . ولكننا نرى أيضا — من خلال ما يروى إلى الآن عن حنكة الإمام وحذره وعدم تسرعه فى اتخاذ المواقف وخاصة مع خصومه — أنه كان لا يلجأ إلى التخلص من الوريث بهذه السرعة وهو فى تلك المنزلة ، أى بعد أن ارتفع شأنه وذاع صيته من خلال إشرافه على الحكمة وتحريره الغزير بها ، إذ كان يمكنه أن يوقف الوريث عن الكتابة والنشاط العلمى بوجه عام ، ويبعده إلى وظيفة إدارية أو قضائية فى إحدى القرى النائية حتى ينساه — أو يتناساه — الأهالى ، وذلك حتى لايثير تلك الضجه التى أحدثتها وفاة الوريث . وهذا جميعه أيضا لا يقلل من أهمية القول بأن موقف الإمام من الوريث هو الذى تسبب فى وفاة الأخير ، لاتفاق بعض الروايات حول ذلك ، وللصلة بين مرض الوريث وزيارته للإمام ، إذعاد بعد المقابلة حزينامهموما لموقف الإمام منه، مما أدى إلى مرضه الأخير الذى توفى بعده بعدة أيام فقط . وقد نشرت الحكمة فى ثنايا الكلمات الناعية للوريث ما يدل على مرضه واهتمام الإمام

---

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

منها الوريث ، فلما توفى رحمة الله أطلق الأحرار إشاعة بأن الامام تسبب في وفاة الوريث »[١]

وهكذا يتضح تعدد الروايات واختلافها فيما بينها حول التفاصيل على الأقل ، وان كانت تتفق حول محور واحد تقريباً ، وهو أنه كان هناك خلاف بين الامام والوريث ، وهذا أمر بديهي بطبيعة الحال لفارق السن ، ولاختلاف الطبائع والآراء والاتجاهات بين الشخصيتين كما هو معروف . ولاشك أن اختلاف الروايات هكذا يضعف بعضها بعضاً ويؤدى إلى التشكك في أن الإمام تعمد قتل الوريث ، وإن كان هـذا لا ينفي أنه كان يحب أن يتخلص منه لقوة شخصيته ولنشاطه الجم في تحرير المجـلة ، ولمـا أبداه من جرأة في مواقفه وكتاباته على السواء . ولـكننا نرى أيضا — من خلال ما يروى إلى الآن عن حنكة الإمام وحذره وعدم تسرعه في اتخاذ المواقف وخاصة مع خصومه — أنه كان لا يلجأ إلى التخلص من الوريث بهذه السرعة وهو في تلك المنزلة ، أى بعد أن ارتفع شأنه وذاع صيته من خلال إشرافه على الحـكمة وتحريره الغزير بها ، إذ كان يمكنه أن يوقف الوريث عن الـكتابة والنشاط العلمى بوجه عام ، ويبعده إلى وظيفة إدارية أو قضائية في إحدى القرى النائية حتى ينساه — أو يتناساه — الأهالى ، وذلك حتى لا يثير تلك الضجه التى أحدثتها وفاة الوريث . وهذا جميعه أيضا لا يقلل من أهمية القول بأن موقف الإمام من الوريث هو الذى تسبب في وفاة الأخير ، لاتفاق بعض الروايات حول ذلك ، وللصلة بين مرض الوريث وزيارته للإمام ، إذعاد بعد المقابلة حزينامهموما لموقف الإمام منه، ممـا أدى إلى مرضه الأخير الذى توفى بعده بعدة أيام فقط . وقد نشرت الحـكمة في ثنايا الـكلمات الناعية للوريث ما يدل على مرضه واهتمام الإمام

---

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

وسيف الإسلام عبد الله بعلاجه ، ثم اشتراك الأخير فى تشييع جثمانه ، بل وحضور الاجتماعات التقليدية التى تعقب الوفاة ، فقد قيل : «... ولما اعتل اهتم صاحب الجلالة أيده الله بمرضه وبذل جهودا كبرى فى معالجته وأصدر أمره الشريف إلى مهرة الأطباء بمراقبة سير المرض ومكافحته بكل وسيلة ، وكان سمو المولى سيف الإسلام وزير المعارف يتردد لزيارة الفقيد كل يوم ويواصل البحث عن صحته حتى فاضت روحه الطاهرة إلى عالمها ، فسار سموه لتشييع جنازته ورافقه شقيقه المولى سيف الإسلام اسماعيل بن أمير المؤمنين ، كما أن سموه حفظه الله لم يتخلف عن الحضور لتلاوة القرآن الكريم إلى روح الفقيد ثلاث ليال بمسجد الفليحى، وليلة رابع الوفاة بمسجد المدرسة العلمية وهى مسك الختام ... [1] » وقد كرر أحد المطاع هذا المعنى فى كلمته الخاصة أيضا، غير أن هذا كله ليس له دلالة هامة فيما نناقشه إذ نعتبره بمثابة النشرة الرسمية لوفاة الوريث .

نخلص مما سبق أنه لا يمكن تأكيد أن الإمام هو الذى قتل الوريث ، ولكن يمكن القول بأن الإمام هو الذى تسبب فى مرضه الذى أدى إلى وفاته نتيجة موقفه منه وسواء صح هذا الرأى أو أنه جانب الصواب ، فالمهم هنا أن نؤكد ما سبق الإشارة إليه ، وهو أن الوريث كما استطاع أن يمثل شكلا من أشكال المعارضة فى حياته ، فقد استغلت عناصر المعارضة وفاته لتزيد من حدة السخط والتذمر ضد الإمام ، فأطلقت الكثير من «الإشاعات» كما يقال .

ويمكن أن ندرك حدة هذه « الشائعات » وحجم « موجة الأسى » المشار إليها فى إحدى الروايات السابقة ، إذا رجعنا إلى عدد الحكمة الصادر

---

(١) قلم التحرير : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير/مارس ١٩٤٠م) ص ٧٢ .

عقب وفاة الوريث مباشرة ، إذ كان هذا العدد عبارة عن مظاهرة سياسية صاخبة شيعت الوريث إلى مثواه الأخير. فقد ظهر هذا العدد إلى القراء وهو مشحون بأكمله بكلمات وقصائد حزينة دامعة ـ وهى قليل من كثير مما وصل المجلة كما جاء فى كلمة قلم التحرير — تتحدث عن شخصيته ونشأته وعلمه وأدبه ونشاطه فى لجنة التاريخ وفى مجلة الحكمة . وعن آرائه الجريئة ودوره الاصلاحى وفقدان الأمة له فى هذه المرحلة الهامة من حياتها ، مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ذلك الدور الذى خلقه الوريث لنفسه لدى معاصريه فى خلال حياته القصيرة ، وأمام ذلك الأثر الذى حفره الوريث لنفسه « وللحكمة » فى نفوس معاصرية ، بل وفى تاريخ الفكر اليمنى المعاصر .

فباستثناء المقالة الافتتاحية ـ وتتناول بداية العام الهجرى الجديد — والمقالة الأخيرة — وهى حلقة قصيرة من صفحتين فقط من حلقات زيد عنان عن الزراعة ـ فقد كان باقى محتويات عدد الحكمة عبارة عن مقالات صافية وقصائد طوال ترثى الوريث ، بدأها « قلم التحرير » بمقالة بعنوان « الوداع » ، ثم مقالة للسيد أحمد المطاع بعنوان «دمعة محزونوآية وفاء للراحل الكريم » ، ومقالة لزائر (الأستاذ عبد النافع الجندى) بعنوان « دمعة وفاء » ، ثم تلى ذلك مجموعة من القصائد لكل من رئيس الاستئناف حينذاك يحيى بن محمد الاريانى ، وعبد الله العزب ، وعبد الله بن عبدالوهاب الشماحى ، وزيد الموشكى ، ومحمد بن أحمد مطهر ، وعلى بن محمد الزرقه .

وقد أفاض الجميع فى التحدث عن حياة الوريث الخاصة — فقدموا لنا بذلك ترجمة شاملة لحياته ـ ولكن لم ينس الجميع أيضا أن يبرزوا دوره فى الحياة العامة ، وكأنهم يعمقون بذلك أبعاد هذا الدور فى أذهان معاصريهم، ويطالبونهم بالسير على هديه من أجل مصلحة البلاد وتطويرها ، وهذا ما دفعنا إلى القول بأن هذا العدد من الحكمة كان عبارة عن مظاهرة سياسية

لتثبيت الدور الاصلاحي البناء الذى قامت به الحكمة ، ولتأكيد العزم على مواصلته والمناداة به ، أمام معاصريهم من الشباب أو غيرهم من الأجيال القادمة . وقد عبر أحمد المطاع عن هذا بقوله « لقد خسرناه وخسره الوطن ونحن أحوج ما نكون إلى مصلح مثله ، طليقا من أغلال الجمود وكبول الأوهام ، دائم النشاط ، قوى الإرادة ، يمثل الصراحة والاخلاص ، والشجاعة وقوة الإيمان ، والاستمساك بالحق ، والثبات على المبدأ ، ليكوّن من تلامذته وجنوده أفذاذ العلم والأدب ، وأبطال السيف والقلم ، ومشاهير التاريخ ، وقادة الشعوب[1] » . وجاء نفس المعنى فى كلمة نزار فقال : « وأنت أيها الفقيد العزيز سلام عليك من أخ عرف بك طيب الشمائل فعشقها ، وأنس منك الخير للأمة والبلاد فعز عليه نعيك ... سلام عليك من دين حنيف جرى قلمك الغزار فى نشر محامده ومحاسنه ... سلام عليك من عالم اسلامى اتخذته هدف نصائحك ، ومرمى ارشاداتك ... سلام عليك من عالم عربى منى بالنكبات وأنت أحدها ... سلام عليك من شباب حى رسمت لهم الطريق المعبد لكسب الفخار بسيرتك ، وأبنت لهم سبيل الرشاد بخطابك ، وأعلمتهم عن قواهم الكامنة وكفاءتهم للحياة بجدك ونشاطك[2]... » وكرر عبد الله الشماحى هذه المعنى فقال فى قصيدته :

نوابغ الشعب لا يأس يؤخركم	كل المصيبة يأس يوجب الكسلا
فما المصائب إذ تأتى بعائقة	سيرا لمبدئكم فاستأنفوا العملا
واستنهضوا عزمكم وأحيوا معارفكم	فالعزم والعلم بالعليا قد كفلا
ولا تؤخركم فى الشعب هجمته	ما فاز ذو بغية يستصحب العجلا
فالمرء يذهب والآثار باقية	فما الفقيد بآثار له انتقلا

---

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير / مارس ١٩٤٠م) ص ٧٦

(٢) نفس المرجع : ص ٨٣ — ٨٤ .

فتلك «حكمته» فى العرب سائرة   فى ظل من للرقى والدين ما بذلا[1]

ورغم أنه يصعب ذكر كل ما جاء فى هذه المراثى ، فيجدر الإشارة إلى بعض ما جاء فى قصيدة زيد الموشكى :

صاحب «الحكمة» أودى   فاسهرى يا عين وجدا
ومنها : أين ذاك النظر الجا   ئل (الحكمة) سددا
ما الذى أخمد نار الفـ   ـكر منك اليوم حسدا
ما هو المقصود من سكنـ   ـاك فى الرحلة لحدا
كان أولى لك أن تنجـ   ـز للأوطان وعدا
كان أولى لك أن تبـ   ـقى لنا ذخرا معدا
تكشف الظلمة عنا   وتصد الجهل صدا
وتعيد الروح فينا   غضة تنفخ ندا

وبعد أن هاجم «الدهر» و«الموت» وتحدث عن شمائل الوريث وصفاته الحميدة قال :

إنما أبكى على أنفسنا   والعين رمدا
رب أنا فى بلاء   فارحم الأمة تهدا
واعصم القلب ولاطف   أمة تطلب رشدا
وأنلنا منك خيرا   وأهدنا عبدا فعبدا
واجزعنا راحلا لم   يأل فى «الاصلاح» جهدا
الوريث الطيب الطـ   ـاهر أعلا الناس مجدا[2]

---

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير / مارس ١٩٤٠م) ص ٨٨ — ٨٩ .

(٢) نفس المرجع: ص ٨٩ — ٩١ .

عرف طريقه إلى الوجود عقب توقف الحكمة عن الظهور بقليل . فمن المعروف أن أول تجمع حزبي علنى ظهر إلى الوجود هو حزب الأحرار اليمنى الذى كان بزعامة محمد محمود الزبيرى وأحمد محمد نعمان، والذى أعلن عن نفسه عام ١٩٤٤م - أى بعد توقف الحكمة بحوالى ثلاث سنوات — واتخذ عدن مقراً له ليكون بعيدا عن متناول الإمام يحيى ، إذ أن عدن حتى ذلك الوقت كانت تحت السيطرة الانجليزية كما هو المعروف ، وإن كان هذا لا يعنى أن مولد هذا الحزب هو مبدأ التفكير السياسى فى اليمن ، ولكنه كان أول تجمع شعبى منظم[1] ، أو بالأحرى أول تعبير علنى عن الارهاصات السابقة عليه .

أما النشاط السرى فإنه يصعب أن نتعرف على بدايته — وخاصة فى مجال هذا البحث كما أشرنا — لطبيعة هذا النشاط من ناحية ، ولاختلاف الآراء حول بدايته من ناحية أخرى . فقد ذكر القاضى عبد الله الشماحى - صاحب أول محاولة منشورة عن النشاط السياسى فى اليمن حتى ثورة ١٩٦٢م - أن أحمد المطاع قد استطاع أن يشكل جماعة سريه أسماها « هيئة النضال » فى عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) ضم إليها بعض الشخصيات مثل: عبد السلام صبره ومحمد المحلوى والعزى صالح السنيدار وعلى محمد السنيدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحى (أى الكاتب) وعلى الشماحى ومحمد بن أحمد المطاع ومحيى الدين العنسى وأحمد قاسم العنسى ومحمد عكارس ومحمد بن حسين عبد القادر ، وأن هذه الجماعة بعد عدة اجتماعات وضعت لها مخططا محددا سارت عليه[2]، وأنه نتيجة نشاط هذه الهيئة قبض الإمام فى العام التالى مباشرة (١٣٥٥هـ — ١٩٣٦م) على بعض عناصرها مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب والعزى

---

(١) محمد أحمد نعمان : الحركة الوطنية فى اليمن ، ص ٤ .

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن الإنسان والمستقبل ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

عرف طريقه إلى الوجود عقب توقف الحكمة عن الظهور بقليل . فمن المعروف أن أول تجمع حزبى علنى ظهر إلى الوجود هو حزب الأحرار اليمنى الذى كان بزعامة محمد محمود الزبيرى وأحمد محمد نعمان، والذى أعلن عن نفسه عام ١٩٤٤م - أى بعد توقف الحكمة بحوالى ثلاث سنوات — واتخذ عدن مقراً له ليكون بعيدا عن متناول الإمام يحيى ، إذ أن عدن حتى ذلك الوقت كانت تحت السيطرة الانجليزية كما هو المعروف ، وإن كان هذا لا يعنى أن مولد هذا الحزب هو مبدأ التفكير السياسى فى اليمن ، ولكنه كان أول تجمع شعبى منظم[1] ، أو بالأحرى أول تعبير علنى عن الارهاصات السابقة عليه .

أما النشاط السرى فإنه يصعب أن نتعرف على بدايته — وخاصة فى مجال هذا البحث كما أشرنا — لطبيعة هذا النشاط من ناحية ، ولاختلاف الآراء حول بدايته من ناحية أخرى . فقد ذكر القاضى عبد الله الشماحى - صاحب أول محاولة منشورة عن النشاط السياسى فى اليمن حتى ثورة ١٩٦٢م - أن أحمد المطاع قد استطاع أن يشكل جماعة سريه أسماها « هيئة النضال » فى عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) ضم إليها بعض الشخصيات مثل: عبد السلام صبره ومحمد المحلوى والعزى صالح السنيدار وعلى محمد السنيدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحى (أى الكاتب) وعلى الشماحى ومحمد بن أحمد المطاع ومحيى الدين العنسى وأحمد قاسم العنسى ومحمد عكارس ومحمد بن حسين عبد القادر ، وأن هذه الجماعة بعد عدة اجتماعات وضعت لها مخططا محددا سارت عليه[2]، وأنه نتيجة نشاط هذه الهيئة قبض الإمام فى العام التالى مباشرة (١٣٥٥هـ — ١٩٣٦م) على بعض عناصرها مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب والعزى

---

(١) محمد أحمد نعمان : الحركة الوطنية فى اليمن ، ص٤ .

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن الإنسان والمستقبل ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

صالح السنيدار ومحمد المحلوى وعلى الشماحى وأودعهم بسجن غمدان بصنعاء »(١).
غير أن هذا الرأى - عند نشره - لم يجد ارتياحا تاما بين عدد من المعاصرين لتلك الأحداث، لا لأن هؤلاء ينفون وجود نشاط سرى حينذاك، بل لأنهم يعارضون وجود تنظيم يجمع وينظم أفراده تنظيما دقيقا، فقد قيل : «لم تكن يومئذ قد وجدت جمعيات سرية أو تنظيمات بالمفهوم المعاصر للتجمعات السياسية والتنظيمات الثورية ، ولكن مجالس القات والمناسبات فى الأفراح والأحزان كانت أسبابا للتجمع والتفاهم واللقاء »(٢) . والخلاف هنا حول طبيعة النشاط السياسى السرى فقط ، وأنه كان بين جماعات صغيرة من الأصدقاء « والشلل » التى يجمعها السخط والتذمر ، وتتبادل فيما بينها الآراء والأفكار ، بل أيضا الكتب القيمة التى تصل إلى بعضهم من الخارج ، أى كان هؤلاء يلتقون بدافع وحدة الفكر أكثر منه بدافع وحدة التنظيم .
وربما كان هذا صحيحا إلى حد كبير عندما يشتد السخط على السلطة القائمة وينتشر ، إذ تبدأ هذه العناصر فى أن تكتشف بعضها بعضاً ، ثم تنظم نفسها لتكون ذات فعالية أقوى ، وهنا تتكون النواة الأولى للتنظيمات الحزبية ، لهذا يصدق الرأى القائل بأن الإمام هو الذى ساعد على تكوين هذه النواة لإقدامه على اعتقال بعض العناصر التى لمس معارضتها له ، إذ تعرف هؤلاء على بعضهم البعض فى السجون ، بعد أن كانت جهودهم يغلب عليها الطابع الفردى حتى ذلك الوقت ، حتى أن القاضى محمد راغب — الذى كان بمثابة وزير خارجية الإمام وكان من بقايا الأتراك الذين استقروا فى اليمن عند إعلان الاستقلال — حذر الإمام مغبة سياسة الاضطهاد والاعتقال لأنها ستؤدى إلى زيادة السخط والتذمر(٣) .

---

(١) عبد الله الشماحى : اليمن الانسان والحضارة ، ص ١٨٤ .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٣) من إجابات القاضى محمد بن محمد الخالدى .

ودون التوسع فى متابعة النشاط السياسى حينذاك وأسبابه — إذ سيتضح هذا فيما بعد — والتعرف على المعتقلين والاعتقالات وتواريخها ، فانه يمكن ربط هذا كله بتاريخ ظهور الحكمة واختفائها — القول بأنها كانت جزءا من هذا النشاط ، وأن بعض محرريها كان لهم نشاط سياسى إلى جانب تحريرهم فى الحكمة ، مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب ومحى الدين العنسى وزيد الموشكى ، وأنهم جميعا — أى هم والمجلة — كانوا حينذاك عند الخطوات الأولى يتلمسون الطريق لرسم خطوات النشاط السياسى الذى وصل إلى قمته عند قيام ثورة ١٩٤٨م .

وربما يزداد الأمر وضوحا وسهولة إذا تتبعنا التيارات العامة المعارضة للامام يحيى — وأسبابها — منذ توليه الإمامة حتى ظهور مجلة الحكمة ، عوضا عن الوقوف طويلا عند بداية التنظيمات السرية ، إذ من خلال هذه التيارات تظهر أمامنا : أسباب السخط وعناصره ، وما ترتب على هذا من أثر على الحكمة ، ودورها ، وموقفها — أو بالأحرى — صلتها بالمعارضة . ونظرا لصعوبة دراسة حركة المعارضة فى هذا المجال ، فإنه يمكن القول — دون الدخول فى التفاصيل — بأن معارضة الإمام يحيى قد بدأت مع توليه الإمامة (١٣٢٢هـ — ١٩٠٤م) ، إذ كان هناك بعض السادة والعلماء من الملتفين حول الإمام المنصور لا يرون فى ابنه يحيى أنه أهلا لتولى هذا المنصب الكبير — لما له من صفات شخصية منافية مثل البخل — ويرون أن بعضهم أولى به ، وخاصة لأنه كان صغير السن بالنسبة لكثير منهم . غير أن الإمام يحيى حسم البيعة لنفسه بمساعدة شيخ مشايخ قبيلة حاشد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر الذى جمع أصحاب «العقد والحل» فى مكان واحد وحصل منهم على مبايعة الإمام يحيى تحت التهديد والوعيد [١] . وتزايد الهمس عند عقد اتفاقية «دعان» مع القائد التركى أحمد عزت باشا عام ١٩١١م ،

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى كتابنا « تكوين اليمن الحديث » ، الفصل الأول من القسم الثانى .

إذلم يعد حينذاك «القائد المجاهد» أمام الترك ، بل أصبح حليفهم الذى يتقاضى المرتبات منهم . غير أن هذا الهمس كان ينتظر الإمام فى صنعاء نفسها عندما دخلها عقب انسحاب الأتراك من اليمن فى نهاية الحرب العالمية الأولى . ففى صنعاء يلمع اسم «محمد المحلوى» الذى بادر بمهاجمة الإمام وجمع حوله - كما يقال - بعض التلاميذ والمريدين ليتحدث إليهم عن سوءات الإمام وليطلعهم على ما يدور فى العالم الخارجى من تطورات ، حتى أن البعض اعتبره بداية «حركة الرفض» للامام يحيى[١] .

وقد أدت محاولات الإمام لكسر شوكة القبائل ، ولفرض سيطرته على مناطق اليمن المختلفة ، إلى زيادة العناصر الهامسة المتبرمة . غير أن هذا كله لم يكن يتجاوز بعض الأفراد ، وبعض الأسر ، وبعض المشايخ - مثل بعض مشايخ الجنوب وعلى رأسهم الشيخ عبدالوهاب نعمان - وبعض القبائل مثل قبيلة الزرانيق ، ولم يكن هذا كله يمس كثيراً الكتل الجماهيرية ، إذ حرص الإمام على أن يغلف شخصيته بهالة من القداسة الدينية ، تلك التى ظلت حائلا بين «الأفكار العصرية» وبين العمل الجماهيرى حتى قيام ثورة ١٩٤٨م ، إذ من المعروف المتداول أن «القردعى» - أحد أبناء قبيلة مراد وأحد المشتركين فى قتل الإمام يحيى ايذانا بقيام ثورة ١٩٤٨م - قد حصل - بناء على إصراره - على فتوى من السيد حسين الكبسى بشرعية قتل الإمام : مما يدل على مدى القداسة والهيبة التى تملكت قلوب الأهالى حينذاك نحو الإمام يحيى[٢] .

وإذا حاولنا أن نرى كيف تحول الهمس والتبرم إلى سخط وتذمر ، أو بالأحرى كيف اتسع نطاق المعارضة وتحول الهمس إلى حركة ، ومن الشكل الفردى المتناثر إلى الشكل الجماعى المنظم نسبيا ، فيجدر الوقوف عند عام ١٩٣٤م

---

(١) من إجابات الأستاذ محمد عبد الله الفسيل .

(٢) من إجابات القاضى محمد بن محمد الخالدى ، والأستاذ أحمد المروني .

(١٣٥٣ هـ) وأحداثه وآثاره ، وهو العام الذى اعتبرناه فى دراستنا لعهد الإمام يحيى الحد الفاصل بين فترتين متميزتين من حكمه[1] . فنى هذا العام ألحق بالإمام يحيى وبسياسته هزيمتين على حدوده الشمالية والجنوبية ، وانهزمت جيوشه بسرعة فى تهامه أمام الجيوش السعودية ، وتبخرت أحلامه فى توحيد أجزاء اليمن المختلفة تحت سيطرته ، إذ خرجت عقب هاتين الهزيمتين أجزاء واسعة من الأقاليم كان يأمل فى ضمها إلى ممتلكاته . وقد أثارت هزيمته أمام السعوديين الشباب المثقف ، وزاد الشعور بالسخط ضد القادة الحكام ، فاستغل أحمد المطاع هذا كله وكون فى عام ١٩٣٦ م تنظيم هيئة النضال[2] ، التى سبق أن ناقشنا أمرها . وكان الإمام قد شعر بقوة بريطانيا فى الجنوب نتيجة غاراتها الجوية على أقاليمه الجنوبية ، وكان حينذاك فى موقف لا يحسد عليه ، فبينما كان قد أوقف زحفه إلى المناطق المحمية ، كان مشغولا باقامة حدود منظمة نهائية لليمن على الحدود الشمالية . وقد أبدى الإمام نشاطا على هذه الحدود عام ١٩٣٣ م ، مما اعتبره السعوديون اعتداء على الحدود وانتهى الأمر إلى تفجير الحرب فى فبراير ١٩٣٤ . وكان الإمام تحت هذا الضغط من جانب الإنجليز والسعوديين قد فتح باب المفاوضات مع انجلترا ، بعد أن رحب باقتراح أن يقوم الكولونيل رايلى بزيارة صنعاء لبحث موضوع عقد معاهدة بينه وبين انجلترا . وقد طلبت هذه أن يخلى الإمام إمارة الضالع وسلطنة العوذلى التى كانت قواته تحتلها إلى ذلك الحين — قبل إبرام المعاهدة ، فوافق الإمام وتم الانسحاب فى يناير ١٩٣٤ م . وكانت انجلترا ترمى من وراء هذا الشرط — مستفيدة من ظروف الإمام — أن لا يشار إلى مطالب للإمام بالنسبة للمحميات فى المعاهدة المقترحة ، ثم نصت فى المعاهدة ذاتها على بقاء الأوضاع

---

(١) وهى الدراسة التى نشرت تحت عنوان « تكوين اليمن الحديث » اليمن تحت حكم الإمام يحيى ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ .

(٢) Abdallah El Zine : Le Yemen, et ses Moyens D'information, Tome.p 108

كما هى عند تاريخ إبرامها ، طوال مدة سريان هذه المعاهدة وهى أربعين عاماً . أما على الحدود الشمالية فلم تستمر الحرب إلا شهرين فقط ، ثم طلب الإمام الصلح ، وهو الذى تضمنته معاهدة الطائف التى عقدت فى مايو من نفس العام(١) .

وقد أدت هذه الأحداث إلى أن : «انطلقت الألسنة من عقالها لنقد الوضع والجهاز المعتمد عليه الإمام وحكمه»(٢)، إذ دون شك ، اهتزت صورة الإمام فى أعين الأهالى ، ولم يعد : « ذلك الرجل الذى تخفق فوق جبينه ألوية انتصارات سابقة (ضد الأتراك) ، ففى الحرب السعودية — اليمنية انهزم بمجرد الصدمة الأولى ، وضحى بالشىء الكثير فى مقابل لا شىء ، مع أنه أساساً لم يكن قد دخل المعركة الحقيقية بعد(٣) ، ومن المعروف أن سيف الإسلام أحمد كان حينذاك قد حقق انتصاراً فى الجبهة الشمالية أمام الأمير سعود بن عبد العزيز ، وكان يريد أن يواصل الحرب بعد أن استولى على نجران ليقطع خطة الرجعة على الأمير فيصل بن عبد العزيز الذى كان قد وصل بجيوشه فى تهامه إلى الحديدة ، على أن الإمام يحيى أصر على أن يتوقف ابنه عن الحرب ، مما أدى إلى غضب السيف أحمد غضباً شديداً أدى بالتالى — كما يقال — إلى أنه أصيب بالحمى بضعة أيام(٤) .

ولقد أدت أحداث عام ١٩٣٤ م إلى نتيجتين متباينتين لدى طرفين مختلفين :

فمن ناحية الإمام ، حاول أن يقوى قبضته على زمام الأمور ، فعمل على زحزحة الأسر الكبيرة من المناصب العالية ليولى أبناءه بدلا منهم، ورغم أنه

---

(١) Harold Ingrams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutione, pp, 67—68.

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص١٧٦ .

(٣) زيد بن على الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، ص ٥٦ .

(٤) عبد الله الشماحى : نفس المرجع ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

قد بدأ يتخذ بعض الخطوات الإصلاحية القليلة ، إلا أنها كانت لا تتناسب مع حجم الهزيمة حينذاك حتى اتصفت سياسته بأنها سارت على نفس الوتيرة السابقة ، فقد قيل : «وعلى أى فالنظام بسبب من طبيعته الأصلية لم يستطع أن يدرى الأسباب المسئولة عن إخفاقه وظل متمسكا بنفس السياسة»[١] .

أما من ناحية الساخطين، فقد «ابتدأت العناصر المستنيرة وهى قلة تعمل فى سبيل إصلاح سياسى»[٢] ، كما كانت العناصر الساخطة خليطا من عناصر متفرقة — فردية وأسرية وقبلية — كما سيتضح فيما بعد ، جمعت بينهم الرغبة فى الإصلاح وتطوير البلاد واتباع قواعد الإسلام الصحيح ، حتى يمكن تلافى أسباب تلك الهزيمة . ولا شك أن اختلاف هذه العناصر فيما بينها ، وانطلاق كل منها — فى معارضة الإمام — منطلقا خاصاً من وحى مصالحها الذاتية ، هو الذى دفع البعض إلى القول بأنه كان هناك أكثر من اتجاه ظهر على السطح عقب أحداث عام ١٩٣٤[٣] ، ولكننا نرى أنه كان هناك تيار واحد هو المعارضة للأوضاع السائدة التى أدت إلى تلك الهزيمة ، وأن هذه المعارضة كانت ترمى إلى التطوير والإصلاح والعصرية مع إطار إسلامى صحيح ، أما التفاوت فى الاتجاهات الذى يشير إليه البعض ، فهو يرجع إلى اختلاف عناصر التيار أكثر مما يرجع إلى اختلاف اتجاهاته وأهدافه .

لذلك يمكن أن ننتهى إلى القول بأن حركة المعارضة ، التى كانت حينذاك عند نقطة البداية ، والتى كانت تعمل على تلمس الطريق وتحديد الأهداف ، وتضم عناصر شتى ذات مواقف متفاوتة ، كانت حركة المعارضة هذه أشبه ما تكون «بالجبهة الوطنية» أكثر من أن تكون اتجاهاً خاصاً ذا ملامح

---

(١) ، (٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) عبد الله الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٧٦ .

عقائدية وسياسية واقتصادية معينة . وقد ظل هذا التشبه ينطبق على حركة المعارضة حتى قيام ثورة ١٩٤٨م ، مما دفع البعض إلى اعتبار التشكيل الجبهوى هذا سبباً من أسباب فشل هذه الثورة[1] . ولكن مايهم هنا هو أن الحكمة - التى صاحبت البداية والتى تأثرت بطبيعة الأوضاع حولها - قد عكست ما صاحبها خلال عمرها القصير وعبرت عنه خير تعبير . فقـــد أظهرت محتوياتها أبعاد هذه « الجبهة » فرغم ما أبرزناه من الصور الدالة على الاتجاه الإصلاحى المصرى الجديد ، فقد كان هناك اتجاه إسلامى سلفى يدعو إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح ويشيد بأعمال السلف الصالح ، إلى جانب اتجاه ثالث تقليدى متهادن يرى فى مجرد ظهور « المجلة » خطوة إصلاحية كبيرة من قبل الإمام . وبالإضافة إلى ذلك ، فـكما كان ظهور « الحكمة » فى حد ذاتها عملا توفيقياً بين رغبات بعض « المصريين » — كما كان يطلق على الشباب المثقف حينذاك — وبين رغبات الإمام يحيى وسيف الإسلام عبد الله ، كما أوضحنا ، فقد كان تشكيل هيئة إشرافها الرباعية — التى سبق الإشارة إليها — تمثل هذه الرغبات المتعارضة ، ولم يكن من بين أعضائها سوى أحمد الوريث الذى يمثل هؤلاء الشباب . أما باقى هؤلاء المصريين ، فقد كان نشاطهم السياسى قد افتضح لدى الإمام الذى كان قد اعتقل بعضهم وشك فى البعض الآخر ، لذلك أبعدهم عن الإشراف على المجلة ، ولـــــ كانوا قد تمكنوا فيما بعد من التسلل إليها ، فحرروا بها بعد أن خرجوا من المعتقلات ، وبعد أن زاولوا نشاطهم العادى . وإذا أخذنا بالمقياس الذى وضعه أحد المعاصرين ، وهو أنه لم يكن يعلم : « إنه كان لبعض المحررين بالحكمة نشاط سياسى سرى إلا عند إعدام أحمد المطاع بعد فشل ثورة ١٩٤٨م[2] ، فانه يمكن القول بأن الحكمة كانت جزءاً من المعارضة ، وأنها عبرت عن كل

---

(١) عبد الله البردونى : رحلة فى الشعر اليمنى ، ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(٢) من إجابات الصفى أحمد الجرافى .

متناقضات هذه المعارضة - وإن غلب عليها الجانب الإصلاحى - وذلك بدليل أنه عند فشل الثورة - تم اعتقال بعض محرريها ، وإعدام البعض الآخر مثل أحمد المطاع ، وأحمد الحورش ، وأحمد البراق ، ومحمد صالح المسمرى ، ومحيي الدين العنسى ، وزيد الموشكى، أما عبد الله العزب فكان قد توفى قبل قيام الثورة .

عناصر حركة المعارضة :

وعلى أساس العرض الـ ، ينبغى أن نتعرف بصورة سريعة على عناصر المعارضة هذه ، التى انبثقت منها الحكمة، والتى عبرت عنها ، وعلى تعدد عناصر هذه المعارضة وتباينها ، ذلك التباين الذى أدى بنا إلى وصف المعارضة بأنها جبهة وطنية ، والذى لمسنا ملامحه تنعكس على محتويات المجلة . وهنا يجب أن نضع فى الاعتبار أن بعض هذه العناصر كانت قد ظهرت قبل وقوع أحداث عام ١٩٣٤ م وجاءت هذه الأحداث لتوضح ملامحها وتزيد نضجها ، أما البعض الآخر ، فقد كانت الأحداث هى العامل الأساسى فى إبرازها واتخاذها جانب المعارضة . ويلاحظ أيضا أنه بالرغم من أن العناصر المثقفة هى التى تمكنت من الظهور على سطح الحكمة ، فإن هذا لايعنى انفرادها فى الميدان ، فقد كان لهؤلاء اتصال بباقى العناصر . نتيجة وحدة الهدف ، ونتيجة وحدة المصالح المادية ، ونتيجة العلاقات الاجتماعية الوثيقة التى تتسم بها المجتمعات الشرقية بوجه عام . أما هذا الانفراد فهو يرجع فقط إلى طبيعة المجال - أى إلى حاجة التحرير فى المجلة - كما يرجع إلى طبيعة دور الفئات المثقفة - أى الانتلجنسيا - فى مختلف المجتمعات ، هذه الفئات التى تقوم عادة بالتعبير عن التيارات الفكرية الحديثة المتولدة داخل مجتمعاتها ، والتى تستخدم كل وسائل التعبير والنشر المتاحة لتتناول قضايا عصرها ولتؤثر بالتالى فى مجتمعاتها، لذلك فلا نغالى إذا قلنا أن الحكمة

ـ بقدر ما سمحت لها الظروف ـ لعبت دور الطليعة المعلنة حينذاك ، فعبرت عن أوجاع مجتمعها ، كما حاولت أن تؤثر فيه ، وترسم له طريق التقدم والتطور . وفى نفس الوقت ، فإن هذا كله يعبر ـ كما سبق أن أشرنا ـ عن أنه كان وراء الحكمة من الجهود والرجال ، أكثر مما ظهر فيها من آراء وأفكار بل وأسماء .

وأولى هذه العناصر هى فئة المثقفين ، فهى أقرب العناصر إلى «الحكمة» موضوع البحث ، وعلينا أن نتعرف على شخصيتها ونشأتها وتطورها حتى ظهور المجلة . وإزاء صعوبة التعريف بهذه « الفئة » بصورة محدودة دقيقة فى المجتمعات المختلفة ، بالإضافة إلى ندرة المادة التاريخية بالنسبة للمجتمع اليمنى ، فإنه يمكن القول بوجه عام أن أبناء هذه الفئة هم تلاميذ «المعلامات» (أى الكتاتيب فى مصر ومفردها كتّاب) وصحون المساجد فى القرى والمدن « والمدرسة العلمية » ومدرسة « الأيتام » فى صنعاء ، الذين تأثروا بمؤثرات ثقافية متعددة سنشير إليها فيما بعد ، أدت إلى اتساع آفاقهم وزيادة نضجهم . وقد كان يغلب على هذه المؤسسات العلمية الطابع الدينى البحت ، وكانت أهمها هى « المدرسة العلمية » ، إذ كانت بمثابة التعليم العالى فى ذلك الوقت ، وكان خريجوها مؤهلين لتولى المناصب العليا فى البلاد مثل «عمال» و« حكام » (أى قضاة) النواحى والقضوات ، كما كان يغلب على دراستها تعاليم المذهب الزيدى الذى يعتنقه الإمام يحيى - أى السلطة القائمة ـ كما هو معروف ، لذلك كان طلابها يختارون من بين « أولاد الناس » ـ كما كان يقال ـ أى من أبناء العائلات الكبيرة ومن بعض أبناء مشايخ القبائل الذين كان الإمام يحتجزهم لديه « رهائن » لاستتباب الأمور فى البلاد[1] . أما مدرسة « الأيتام » ـ التى أسسها الإمام عام ١٩٢٧ م (١٣٤٦ هـ) ـ فكانت أقل مستوى من المدرسة العلمية من الناحيتين الاجتماعية والعلمية ، إذ كان

---

(١) نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العرب السعيدة ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

التعليم فيها يقتصر على القراءة والكتابة والاملاء والصرف والنحو والقرآن، وكان أغلبية الطلاب بالقسم الداخلى بها ، كان هؤلاء يؤهلون للوظائف الأقل الأهمية ، كما يختار بعضهم للمدرسة الحربية أو المدرسة العلمية[1] . بالإضافة إلى ذلك فكان جامع «زبيد» الكبير يضاهى بالنسبة لأهل المذهب السنى «المدرسة العلمية»، وقد اشتهرت مدينة زبيد فى تاريخ الفكر الإسلامى منذ تأسيسها ، كما يحلو لأهلها أن يطلقوا على جامعهم اسم «جامعة الأشاعر» أو «جامعة زبيد»[2] . وأخيرا فأبناء هذه المدارس الثلاث - الأيتام والعلمية وزبيد - هم نواة الفئة المثقفة فى اليمن بالإضافة إلى أبناء مدارس و«هجر»[3] المدن الكبيرة مثل صعده وشهارة وذمار وإب وتعز .

وإذا صح هذا التعريف بالنواة ، فعلينا - فى حذر لقلة المادة التاريخية - أن نتتبع هذه النواة ، ومصادر تغذيتها ، حتى نقف على ملامحها عند ظهور «الحركة» بقدر المستطاع . ويمكن فى البداية الإشارة إلى عبارة تكشف لنا عن وضع هذه الفئة فى المجتمع المحيط بها ، وكيف كان ينظر إليها حينذاك، فقد قيل :«.. وعن سبيل الحج أولا ، تسربت إلى صنعاء كتب غير صفراء، من دواوين شعر ، أو كتب تاريخ ، أو أبحاث اجتماعية ، فما أن وقعت فى أيدى أولئك الشباب ، الذين يعانون من قسوة الاعتبارات الاجتماعية المتباينة، وضغط المعيشة المنخفضة المقترة ، وسقم المناهج التعليميـــة التقليدية فى الجوامع ، وتزمت المجتمع فى تقييمه لقواعد السلوك المهذب ، حتى كانت منفذا لهذا السخط المختلط فى نفوسهم ، إذ جعلوا التجديد الأدبى هو ميدان المعركة الذى يجتمعون فيه أولا ، وكأنهم لا يعدون أن يكونوا متطلعين للإجادة والتفوق على من عداهم من الأدباء فى الشعر والخطابة ، والكتابة فى التاريخ

(١) نزيه مؤيد العظم : رحلة فى البلاد العربية السعيدة ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمى : جامعة الأشاعر ، زبيد ، ص ٦٦ .

(٣) ومفردها « هجرة » ، وهى المكان الذى يهاجر إليه أحد العلماء للتفرغ للعلم والتعليم ، فيلتف حوله الطلبة والمريدين ، وكانت هـــذه الهجرة بمثابة جامعات محلية طوال التاريخ اليمنى .

و«المقتطف» و «أبولو» ، وأنا أحب القراءة كثيراً»[١] ، ومن المعروف أن السيد عبد الكريم الأمير كان قد تولى رئاسة تحرير جريدة «الإيمان» في تلك الفترة خلفاً للقاضي عبدالكريم مطهر ، وكانت داره حينذاك تعتبر: «منتدى الأدباء والعلماء . . تضج بهم سياسة وأدباً وغناً » ، حتى قيل عنه أنه : «ربما كان الأوحد بين معاصريه الذي يستحق بجدارة لقب أستاذ الجيل ، فله فضل لا يجحد على معظم الشعراء والأدباء المعاصرين»[٢]

وبالإضافة إلى هذا فقد تعددت طرق دخول الكتب إلى اليمن ووصولها إلى أيدي هؤلاء الشباب ، إما مع المسافرين لمدد قصيرة ، أو مع المغتربين العائدين ، أو مع بعض الأفراد والوفود العربية الواصلة إلى اليمن للأغراض المختلفة ، وكان هؤلاء الشباب يتلقون هذه الكتب والمجلات بلهفة شديدة ، ويقبلون على قراءتها برغبة عميقة ، ثم يتبادلونها فيما بينهم في سرية وحذر ، وكأنهم يتبادلون منشورات خطيرة ، وذلك حتى لا يتهمون « بالعصرية » ، وهي التهمة التي كان يقذف بها حينذاك كل مثقف مستنير(٣) .

ونتيجة لهذا فيمكن القول بأن تكوينات هذه «النواة» ـ أي فئة المثقفين ـ ترجع إلى مؤثرات داخلية ، هي الدراسات التقليدية المتوفرة في المؤسسات العلمية المشار إليها ، وإلى مؤثرات خارجية كانت تصل إلى داخل اليمن بطرق شتى . ويتضح هذا كذلك من حديث اثنين ممن ينتمون إلى هـــذه النواة ، أحدهما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الأولى إلى العراق (١٣٥٦/٥٤ هـ = ١٩٣٧/٣٥م) بعد أن تلقى قدراً من التعليم التقليدي داخل البلاد ، والثاني لم يكن قد غادر اليمن حتى تلك الفترة ولكنه تأثر بالمؤثرات الخارجية وتماق

---

(١) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ٧٤ .

(٢) نفس المرجع : ص ٦٧ .

(٣) من إجابات القاضي محمد بن أحمد السياغي .

و«المقتطف» و«أبولو» ، وأنا أحب القراءة كثيراً»[1] ، ومن المعروف أن السيد عبد الكريم الأمير كان قد تولى رئاسة تحرير جريدة «الإيمان» في تلك الفترة خلفاً للقاضي عبدالكريم مطهر ، وكانت داره حينذاك تعتبر: «منتدى الأدباء والعلماء . . تضج بهم سياسة وأدباً وغناً » ، حتى قيل عنه أنه : «ربما كان الأوحد بين معاصريه الذى يستحق بجدارة لقب أستاذ الجيل ، فله فضل لا يجحد على معظم الشعراء والأدباء المعاصرين»[2]

وبالإضافة إلى هذا فقد تعددت طرق دخول الكتب إلى اليمن ووصولها إلى أيدى هؤلاء الشباب ، إما مع المسافرين لمدد قصيرة ، أو مع المغتربين العائدين ، أو مع بعض الأفراد والوفود العربية الواصلة إلى اليمن للأغراض المختلفة ، وكان هؤلاء الشباب يتلقون هذه الكتب والمجلات بلهفة شديدة ، ويقبلون على قراءتها برغبة عميقة ، ثم يتبادلونها فيما بينهم فى سرية وحذر ، وكأنهم يتبادلون منشورات خطيرة ، وذلك حتى لا يتهمون « بالعصرية » ، وهى التهمة التي كان يقذف بها حينذاك كل مثقف مستنير[3] .

ونتيجة لهذا فيمكن القول بأن تكوينات هذه «النواة» ـ أى فئة المثقفين ـ ترجع إلى مؤثرات داخلية ، هى الدراسات التقليدية المتوفرة فى المؤسسات العلمية المشار إليها ، وإلى مؤثرات خارجية كانت تصل إلى داخل اليمن بطرق شتى . ويتضح هذا كذلك من حديث اثنين ممن ينتمون إلى هـــذه النواة ، أحدهما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الأولى إلى العراق (٥٤/١٣٥٦ هـ = ٣٥/١٩٣٧م) بعد أن تلقى قدراً من التعليم التقليدى داخل البلاد ، والثانى لم يكن قد غادر اليمن حتى تلك الفترة ولكنه تأثر بالمؤثرات الخارجية وتعاق

(١) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمني ، ص ٧٤ .

(٢) نفس المرجع : ص ٦٧ .

(٣) من إجابات القاضى محمد بن أحمد السياغى .

بها . فقد ذكر الأول : «كانت الصحف والمجلات والكتب التي تتسرب إلى اليمن بواسطة بعض الوفود أو الحجاج أو العائدين من الاغتراب، وما يصل إلى الإمام وأولاده وحاشيتهم من مبادلة جريدة الإيمان والحكمة، وعودة البعثة التعليمية اليمنية من العراق ، كل ذلك كانت مصادر تثقيفية أثرت في نفوس المحررين ووجهت أساليبهم في الكتابة[١] » . وقد أشار القاضي عبد الرحمن الارياني — رئيس المجلس الجمهوري السابق (٦٧ — ١٩٧٤) — أيضاً إلى المصادر الثقافية في تصريح له إلى مجلة الحكمة (الجديدة) بمناسبة مرور خمس وعشرين عاماً على ذكرى ثورة ١٩٤٨م ، فقال: «على الرغم من فقر المؤثرات الأدبية والفكرية التي أثرت في بلورة الحركة الوطنية إلا أن تلك المؤثرات وبرغم محدوديتها قد لعبت دوراً عميقاً في صياغة الهوية الفكرية للحركة الوطنية ، وبصورة أساسية يمكن الإشارة إلى مصدرين : أولا : كتابة بعض العلماء المتحررين (اليمنيين) أمثال الأمير والوزير والجلال والشوكاني والمقبلي، وكذلك كتابات الأفغاني والكواكبي والإمام محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا . ثانياً : الكتابات الفكرية والأدبية المعاصرة — حينها - والتي كانت تنتشر في بعض الصحف التي تصل إلى اليمن لماما »[٢] .

وإذا كنا قد أشرنا إلى المؤثرات الثقافية العامة ، الداخلية والخارجية كما رأينا ، فهناك مجهودات فردية يجدر ذكرها هنا لما لها من أثر واضح على أبناء ذلك الجيل . فقد أنشأ سيف الإسلام محمد الإبن الثاني للإمام يحيي — مدرسة حديثة في «الحديدة» عندما كان أميراً لها ، وذلك بعد أن عاد من زيارته الطويلة إلى إيطاليا — بناء على دعوتها بعد أن عقدت معاهدتها المعروفة مع الإمام يحيي عام ١٩٢٦م - وتأثره بما شاهده هناك من مظاهر التقدم والحضارة .

---

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٢) الحكمة « الجديدة » : العدد الثامن عشر ، السنة الثانية ، محرم ١٣٩٣ هـ ، فبراير ١٩٧٢م ، ص ٣٩ .

وقد شجع السيف محمد بعض الأساتذة المصريين والسوريين للإقامة لديه للتدريس بهذه المدرسة ، وكان يُدرس بها اللغتين الانجليزية والفرنسية وبعض العلوم الحديثة . وكان السيف محمد قد اشتهر بين مواطنيه حينذاك بحبه للتقدم والإصلاح وبرغبته فى التغيير ، إلا أن الأجل أسرع باختطافه فمات غريقاً أمام شاطىء الحديدة مما أثر على مصير هذه المدرسة(١) . وقد كان لهذه المدرسة أثر كبير على طلابها ، ولمع من بينهم بعض الشخصيات — الذين درسوا ودرّسوا بها — مثل أحمد البراق وأحمد الحورش ، إذ ارتفع شأن كل منهما — كما رأينا — بعد انتقالهما إلى صنعاء عند قيام الحرب السعودية — اليمنية ، ودخول الجيش السعودى إلى الحديدة(٢) .

أما الجهد الفردى الثانى فقد كان أهلياً وليس من قبل أحد المسئولين ، إذ قام به الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد أحمد حيدره ، فأنشأ مدرسة بالتعاون معاً «بالحجرية» ، واقتبسا لبرامجها : « العلوم الجديدة مثل مبادىء الحساب والهندسة والجغرافية والرسم والرياضة البدنية ، وأنشئت بها فرقة كشفية ، وصارت تشجع الطلاب على إقامة الندوات والمحاضرات والمناظرات والخطابة والتمثيليات ، غير أنها لم تعمر طويلا لالتفات الحكومة إليها ، وخوفها من ازدياد نشاطها»(٣). ويلاحظ أن الأستاذ نعمان ممن أكملوا دراستهم فى جامع زبيد ، ثم ذهب إلى «الأزهر» للدراسة به ، كذلك يلاحظ أن إقليم الحجرية كان أقرب مناطق الإمام يحيى قربا إلى عدن والمحميات حينذاك ، لذلك كان تأثير القاهرة وعدن واضحاً فى برامج هذه المدرسة ونشاطها . وقد لعبت المدرسة دورها على خير وجه خلال عمرها القصير ، إذ كانت من بين العوامل

---

(١) من اجابات الأستاذ محمد عبد الولى .

(٢) من اجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) من اجابات الأستاذ محمد عبد الولى .

التى أدت إلى إلهاب الحماس لدى شباب المنطقة نحو تحصيل العلم والتقدم ، حتى أنها أنجبت الكثير من الشباب الواعى المتعلم فى الثلاثينيات من هذا القرن ،(١). كذلك كان من نجاح هذه المدرسة ذهاب اثنين من أبنائها إلى العراق ضمن البعثة العسكرية اليمنية الثانية إلى هناك وهما سلام الرازحى ومحمد عبد الولى ، وكان من حظ الأخير أنه هو الذى ألقى كلمة البعثة فى الاحتفال الذى أعد بصنعاء بمناسبة عودتها من العراق ، ونشرتها له الحكمة فى أحد أعدادها(٢) .

وهكذا فانه إذا كان قد اتضح - بقدر المستطاع - بعض أبعاد المؤثرات الثقافية الداخلية والخارجية ، فانه يجب هنا - لإكمال هذه الأبعاد - التحدث عن البعثات اليمنية إلى العراق ، التى ترددت الإشارة إليها فى أنحاء البحث المختلفة ، والتى كان لها أثرها فى نمو هذه النواة — أى فئة المثقفين — التى نتكلم عنها ، إذ لاشك أن عودة أعضاء هذه البعثات إلى اليمن قد زاد من حجم هذه النواة ، وزاد من نشاطها سواء فى الحياة العامة أو صفحات الحكمة . ولسنا هنا بصدد تناول هذا الموضوع بالتفصيل ، فنتحدث عن دوافع الإمام يحيى لإرسال هذه البعثات إلى العراق ، وعن العوامل التى جعلته يختار العراق بصفة خاصة ، ثم نتناول المقاييس التى وضعها لاختيار أعضاء هذه البعثات ، أو نتحدث عن دراسة هؤلاء العسكرية أو المدنية ، ونتتبع الوظائف التى تولاها كل منهم عند عودته إلى اليمن ، وموقف الإمام منهم ، وتتبعه لنشاطهم واعتقال بعضهم بعد عودتهم بقليل ، وفى النهاية نقف إزاء نشاطهم لنحدد ملامحه ، ولنتعرف على مدى تأثيرهم فى المجتمع اليمنى حينذاك . فبرغم توفر المادة التاريخية الخاصة بهذه النقاط وغيرها نسبياً ، فإن معالجة هذا الموضوع

---

(١) من إجابات الأستاذ محمد عبد الولى .

(٢) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٣٩م) ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

بالتفصيل - ولهذا مجال آخر - يبعدنا عن موضوع « الحكمة » بشكل ما ، لذلك سنحاول أن يتبلور الموضوع حول محورين هامين :

الأول : الإضافة التى أضافها أعضاء هذه البعثات إلى محتويات المجلة ، أو بالأحرى الأثر الذى ظهر على صفحات « الحكمة » عندما بدأ هؤلاء يحررون بها .

الثانى : النشاط العـــام الذى قام به هؤلاء عقب عودتهم من البعثة ، وموقف الإمام من هذا النشاط ، بما فى ذلك ذهابه إلى اعتقال بعضهم بأسباب شتى .

فمن ناحية المحور الأول ، فقد رأينا فى أماكن متعددة خلال البحث ، بروز عدة أسماء على صفحات الحكمة من بين أعضاء هذه البعثات(١) ، وعلى رأسهم محيى الدين العنسى وزيد عنان وأحمد الحورش وأحمد المرونى وحمود الجائفى . كذلك لمسنا أن هؤلاء قد طرقوا موضوعات جديدة ومفاهيم حديثة ، وعالجوا هذا كله بأسلوب عصرى بعيداً عن المحسنات اللفظية التى كانت طاغية على أسلوب الكتابة حتى ذلك الوقت ، وقد تعمدنا

---

(١) يلاحظ أن أعضاء البعثة الأولى هم محيى الدين العنسى (رئيساً) ومحمد عبد الخالق حجر ومحمد عامر وأحمد على الآنسى ومحمد صالح الملفى وأحمد اسحق وعبد الله السلال وأحمد حسين المرونى وأحمد طاهر وحسن العمرى ومحمد مصلح الريدى ، وكانت مدة الدراسة بالعراق عامين (٥٤ / ١٣٥٦ هـ — ٣٥ / ١٩٣٧ م) وكانت دراسة هؤلاء جميعاً دراسة عسكرية . وقد لحقت البعثة الثانية بعد قليل (١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م) وكانت برئاسة الأستاذ زيد بن على عنان ، وقد التحق بعضهم بالدراسات العسكرية وهم : حمود الجائفى وأحمد يحيى الثلايا وسلام الرازحى ومحمد عبد الولى وأحمد الحيمى ، أما البعض الآخر فدرس علوماً مدنية وهم : زيد عنان وعلى الآنسى وعلى محمد رجاء وأحمد الحورش ، ثم ألحق بهم أولاد حسين الحبشى ووضعوا تحت إشراف رئيس البعثة بعد حوالى نصف عام من وصول البعثة الثانية إلى العراق . (من إجابات محمد حجر عضو البعثة الأولى) .

عند الحديث عن محتويات المجلة ، أن نقف إزاء كتاباتهم بالعرض والتحليل لإبراز مظاهر الجديد والعصرية التى ساهموا بها فى المجلة ، والتى أدت إلى إزدياد أهميتها . ولقد رأينا أن الإسهام الرئيسى لهؤلاء هو تزويد المجلة بالموضوعات الجديدة العصرية فطارقوا موضوعات زراعية وصحية وتربوية ونفسية وحربية ووطنية ، وتعرضوا للصور الأدبية الحديثة مثل القصة القصيرة والنقد الأدبى ، ذلك كله بعد أن كان الأدب والتاريخ يغلب على محتويات أعداد الحكمة فى عامها الأول ، لهذا فلا نغالى إذا قلنا أن هؤلاء قد أضافوا الكثير إلى المجلة ، لا من حيث المفهوم والأسلوب فحسب ، بل ومن حيث الموضوعات التى طرقوها أيضاً ، وهذا يرجع دون شك إلى ما تلقوه من معلومات أثناء بعثاتهم ، وإلى تأثرهم بما شاهدوه حولهم هناك(١) .

أما من ناحية المحور الثانى ، أى نشاط أعضاء البعثات فى الحياة العامة ، فقد نشط بعض هؤلاء بشكل ملحوظ لفت إليهم أنظار الإمام يحيى حتى أنه اعتقل بعض الأفراد منهم بعد وصولهم إلى اليمن بقليل ضمن مجموعة مدنية أخرى ، وهؤلاء الأفراد هم أحمد المرونى وعبد الله السلال ومحيي الدين العنسى وأحمد الحورش(٢) . ويقول أحد هؤلاء — وهو عبد الله السلال —

---

(١) روى لنا الأستاذ أحمد المرونى (عضو البعثة الأولى) بعض المواقف الطريفة المضحكة التى واجهها أعضاء البعثة أثناء سفرهم إلى العراق وبعد استقرارهم به ، ومنها مشاهدتهم لأول مرة عرضاً سينمائياً فى عدن أثناء مرورهم بها وهم فى الطريق بحراً إلى العراق ، ووصف مشاعرهم بأنها كانت مزيجاً من الخوف والرهبة والدهشة والإعجاب فى آن واحد ، وهى قصة تشبه تماماً قصة القروى الذى زار مدينة كبيرة لأول مرة وأخذته مظاهر الحضارة بها . ولا شك أن هذه الرواية وغيرها تصور لنا مدى التغيرات النفسية والفكرية التى حدثت داخل هؤلاء الأعضاء وجعلتهم يقارنون بين مشاهداتهم وبين أوضاع بلادهم .

(٢) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمنى ، ص ٧١ .

أنه فوجىء بالقبض عليه والزج به فى السجن ، وهناك علم أنه متهم - مع أصدقائه - بالتحدث مع الضباط والجنود والأصدقاء عن المدنية والحضارة ، وأنهم يخربون الأفكار(١) . ولا شك أن « الصدمة الحضارية » - إن صح هذا التعبير - التى تلقاها هؤلاء خارج البلاد ، كانت ذات تأثير كبير على نفوسهم وأفكارهم ، فبدءوا يطالبون بالأخذ بالتقدم العلمى وبالمخترعات الحديثة لتطوير البلاد ، وبأن تقوم الحكومة بتقديم الخدمات العامة اللازمة للأهالى أسوة بما تقوم به الحكومات فى المجتمعات الأكثر تقدماً(٢) .

وكان من المستحيل منع تسرب « الأفكار العصرية » إلى أذهان هؤلاء الشباب مهما حوصروا ، ومهما بالغ الإمام فى التدقيق فى اختيار عناصر البعثات وفى تحديد نوعيتهم . وكان الإمام بوجه عام لا يختار ضباط الجيش إلا من أبناء الطبقة المتوسطة ، ومن أبناء المشايخ الصغار ، ولا يقبل أن يكونوا من بين أبناء المشايخ الكبار أو من أسر « السادة » ذوى النفوذ الكبير ، ذلك حتى لا يتخذ هؤلاء الجيش وسيلة للمطالبة بالإمامة(٣) .

واشتد حذر الإمام عند اختيار المبعوثين إلى العراق ، فقد جاء فى ترجمة حياة الرئيس الأسبق عبد الله السلال (٦٢/١٩٦٧ م) - عند قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ م - أن سبب اختياره ضمن البعثة الأولى - كذلك باقى الأعضاء - هو عدم انتمائه إلى الطبقة المتميزة من السادة ، ولم يكن ابنا لقبيلة ، أو منتسباً لإحدى الأسر من التجار أو المتعلمين(٤) ، ويتأكد هذا إذا نظرنا إلى أوضاع جميع المبعوثين إلى العراق ، فنجد أنهم من أبناء الأسر المتوسطة أو الفقيرة سواء من السادة أو من غيرهم . ورغم هذا

---

(١) محمد على لقمان ، فاروق محمد لقمان : قصة الثورة اليمنية ، ص ٣٢ .

(٢) Manfred W Wenner : Modern Yemen, 1966, p. 84

(٣) Edgar O'Ballance : The War in the Yemen, p. 41

(٤) Dana Adams Schmidt : Yemen, the Unknown War, p. p. 71—72.

التدقيق - كما رأينا - فلا شك أن هؤلاء الأعضاء قد عادوا من بعثاتهم وهم يحملون شيئاً ما فى نفوسهم - وان اختلف حجم هذا الشيء ونوعه من شخص إلى آخر - وكان لا بد أن يظهر هذا الشيء فى صور مختلفة : اما همس بين الأصدقاء والمعارف ، أو نشاط سرى بين مجموعات معينة معادية للإمام ، أو تحرير مقالات على صفحات « الحكمة » و « الايمان » قدر ما تسمح به ظروف النشر . ومن صور هذا النشاط أيضاً التنقل بين « المناكى » والجلسات الخاصة ، وقص المشاهدات والذكريات التى توحى من طرف خفى إلى نقد الأوضاع القائمة . وكان الكثير فى شوق إلى الاستماع والتعرف على أوضاع العالم الخارجى نظرا للعزلة المفروضة على البلاد حينذاك ، فكانت بعض الشخصيات المعروفة والأسر الكبيرة ترحب فى مجالسها بالعائدين من البعثات ، لا لأشخاصهم ، بل لمعرفة ما وراءهم من روايات[١] .

ويبدو أن الإمام كان يشك فى اتجاهات بعضهم منذ أن كانوا فى العراق ، أو أنه لمس الحماس والآمال التى عادوا بها فأراد أن يقلل منها ، لذلك عمل على تشتيتهم وتفريقهم — عند عودتهم — على الوظائف المختلفة منذ البداية . فقد عمل بعضهم فى ديوان الإمام حتى يكونوا تحت رقابته — أو رقابة السيف أحمد فى تعز - ورغم ذلك ، ولأنه لا يثق بهم كثيرا ، فلم يوكل إليهم وظائف أو أعمال ذات أهمية ، أو تتصل بتخصصاتهم ، لذلك قضى البعض أوقاتهم فى خمول تام ، وبدأ البعض الآخر انضمامهم إلى التنظيمات السرية التى ترمى إلى إصلاح نظام الحكم[٢] ، أما القليل منهم فهو الذى عمل بالجيش . ويلاحظ أن نشاط بعض أعضاء البعثات - السرى والعلنى - بعد عودتهم إلى اليمن ، قد دفع الإمام إلى تغيير رأيه ، فأوقف

---

(١) من اجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٢) Manfred W, Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, p. 84.

إرسال البعثات إلى العراق بعد البعثة الثانية مباشرة ، وبدلا من ذلك استقدم بعثة عسكرية عراقية[١] إلى اليمن لتدريب الجيش . لأنه رأى - من وجهة نظره - أن مراقبة أفراد هذه البعثة والتحكم فى نشاطها أسهل من متابعة نشاط أعضاء البعثات اليمنية العائدين[٢] . ورغم أن هناك من يرى أن البعثة العراقية لم تنجح كثيراً فى رفع كفاءة وتدريب الجيش اليمنى[٣] ، فلاشك أن هذه البعثة قد هزت مفاهيم وأفكار الضباط والجنود اليمنيين الذين تدربوا على أيديهم واحتكوا بهم ، كما أن أحد أعضاء هذه البعثة وهو الرئيس جمال جميل - الذى فضل البقاء فى اليمن بعد عودة البعثة إلى العراق — قد ارتبط بعناصر المعارضة اليمنية ارتباطاً وثيقاً حتى أنه أصبح فيما بعد القائد العسكرى — فى واقع الأمر — لثورة ١٩٤٨م .

وهكذا اتضحت أمامنا الخطوط العامة — لموضوع البعثات اليمنية إلى العراق — التى تهمنا فى دراستنا عن مجلة « الحكمة » ، والتى يظهر منها مدى إسهام بعض أعضاء هذه البعثات فى تحرير المجلة وتطوير موضوعاتها ، ومدى حجم نشاطهم العام الذى أدى إلى اعتقال البعض . ومن ناحية أخرى ، اتضح مدى ارتباط «الحكمة» بهؤلاء ، وكيف أنها كانت المتنفس «الشرعى» — أى المسموح به — لنشاطهم ، مما يؤكد بالتالى أنها كانت جزءاً من المعارضة ، أو أنهما كانا — فى الواقع — جزءان من جسد واحد .

غير أنه يجدر هنا الإشارة إلى صورة أخرى من نشاط فئة المثقفين ،

---

(١) أعضاء هذه البعثة هم : العقيد الركن إسماعيل صفوت (رئيساً) والرئيس محمد حسن (الذى ألف كتاباً عن اليمن بعنوان « قلب اليمن ») والرئيس عبد القادر القاظمى والرئيس جمال جميل « الذى اشترك فى ثورة ١٩٤٨م » والرئيس سيف الدين سعيد . « من إجابات الأستاذ محمد حجر » .

(٢) Manfred W, Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, p, 84,

(٣) Edgar O'Balance : The War in the Yemen, p, 39,

لإكمال الحديث عن هذه الفئة باعتبارها إحدى عناصر المعارضة ، ولمزيد من تحديد موقف « الحكمة » مما يدور حولها ، وخاصة لأننا نكرر القول بأن الحكمة كانت تقوم بواجبها وبدعوتها إلى الإصلاح بقدر ما تسمح به ظروف النشر والتعبير العلني حينذاك ، باعتبار أنها مجلة حكومية ، وتحت إشراف سيف الإسلام عبد الله ومن ورائه الإمام يحيى . والنشاط الذي نريد الإشارة إليه كان خارج مجلة الحكمة ولكنه معاصر لها ، وكان بعضه علنياً والبعض الآخر سرياً . وتمثل النوع الأول في « برنامج جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي قدمه الأستاذ الزبيري إلى الإمام يحيى إثر عودته من القاهرة عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)[١] ، ولكن الإمام رفضه وأحاله إلى لجنة من العلماء برياسة السيد زيد الديلمي . وكان الإمام يحيى قد قبض على محمد الخطيب والزبيري كما سبق أن ذكرنا وأودعهما سجن « الأهنوم » لذلك قال الديلمي بعد أن تدارست اللجنة برنامج الزبيري : « ماذا يريد الإمام يحيى منا أن نفعل ؟ ليس في هذا البرنامج شيء يخالف شريعة الله ، وإذا كان قد استنكره سياسياً فها قد أمر بحبس صاحبه بل ونفاه (أي إلى الأهنوم) فهل يريد أن نقرر ذلك ؟ أم يريد أن نحكم عليه وعلى رفيقه الخطيب بالإعدام »[٢] .

أما النوع الثاني من هذا النشاط فقد كان أصحابه يمارسونه بصورة سرية ، وكان يتمثل في كتابة المنشورات والقصائد الشعرية التي تهاجم الإمام

---

(١) يقع البرنامج في ٣٢ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على مقدمة للأستاذ الزبيري ، ٣٧ مادة تحت عنوان « ماذا نريد أن نفعل » ، وهي جميعها تدور حول ضرورة التمسك بمبادىء الإسلام الصحيح وتدعو إلى تطوير جميع مرافق البلاد من إدارية ومالية وتعليمية وصحية وتجارية وصناعية وزراعية وغير ذلك . وقد وضعه وطبعه في القاهرة أثناء زيارته لها لأول مرة « ١٣٣٨هـ — ١٩٣٩م » هو وبعض الشباب اليمني الموجودين بالقاهرة مثل محمد صالح المسمري وعبد الله بن علي الوزير .

(٢) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ٨٣ .

وسياسته ، وكان الاعتماد على الشعر فى الأغاب لسهولة حفظه وتداوله كما هو معروف . ومن هذا النوع ما قدمه لنا الأستاذ أحمد المعلمى فى مقدمته لكتاب « من الأدب اليمنى » أثناء حديثه عن أستاذه القاضى على بن يحيى الإريانى ، فقد قال : « اشتهر بنصحه شعراً للامام بطريقة مهذبة ، كما أنه كان يقول شعراً نقدياً وثورياً يتناقله تلاميذه ، وينزل بصفة منشورات ، وهو غاية فى التهكم والسخرية ، والجودة ، انه رائد من رواد الفكر ، مكثر فى شعره ، على الرغم من عمره القصير ... وأذكر له أبياتاً من قصيدة طويلة نزلت بصفة منشور قبل الحرب العالمية الثانية . . » ثم أورد جزءاً مما ظل عالقاً فى ذاكرته وقد جاء فيها :

العدل للرحمن من أسمائه ... وبه القيام لأرضه وسمائه
فاجعل عليه أساس ملكك ثابتاً ... فهو الكفيل له بطول بقائه

ومنها :

قد كانت الأتراك أهون يا ترى ... من سيد قد غرنا بدعائه
كم قام فينا خاطباً مستنفراً ... متضرعاً متوسلا ببكائه
ويعد للأتراك بعض مثالب ... قد أصبحت من بعد من سيمائه
فيقول : قد خانوا الإله بظلمهم ... ومحوا من الإنصاف شمس سمائه
وبأنهم جاروا على اليمن الذى ... لم يصرفوا الزكوات فى فقرائه
وبأنهم قد أخروه ، ولم يزل ... فى جهله ، وعنائه وشقائه
حتى إذا تمت ولايته على القـ ... ـطر التعيس بمكره ودهائه
حلت له أفعالهم ، وكأنما ... حل الحرام معلق برضائه
أو جاءه الوحى الشريف بحلها ... والله ما حاباه بكل ولائه(١)

---

(١) أحمد المعلمى : مقدمة كتاب « من الأدب اليمنى » ، ص ٢٠ — ٢١ .

لمسوا فى بعض تصرفات الإمام خروجا على قواعد المذهب الزيدى . وقد بدأ تذمرهم — وهمسهم — منذ وقت مبكر ، أى منذ أن عقد الإمام يحيى معاهدته المعروفة مع إيطاليا عام ١٩٢٦ م (١٣٤٥ هـ) ، وكانت هذه هى المعاهدة الأولى التى يبرمها الإمام مع العالم الخارجى ، فقد حول « الإمامة » إلى « ملك » ، وذلك عندما حرص على أن ينص فيها على لقب « جلالة الملك » إلى جانب لقب الإمامة[1] . وازداد التذمر والهمس عندما بدأت تروج لفكرة ولاية العهد لابنه سيف الإسلام أحمد ، وسكوت الإمام يحيى — على الأقل — عما يروج حوله ، « وهى الحركة التى أثارت ثائرة الأمراء والسادة الذين كان لهم أمل فى الخلافة ، والفقهاء المحافظين »[2] . وموقف الإمام يحيى — سلباً وإيجاباً — من مبايعة ابنه ولياً للعهد كان — ومازال — موضوع مناقشات طويلة ولكن ليس هنا موضع الخوض فيها إذ يحتاج هذا الموضوع بحثاً آخراً . فقد ذكر البعض — ضمن تفاصيل طويلة — قصة النزاع حول ولاية العهد ، وأن الإمام يحيى كلف بعض الشخصيات بالدعوة إلى ولاية العهد لابنه أحمد ، وجمع البيعة له[3] ، وأنه كان مقتنعاً بوراثة العرش حتى يؤدى ذلك إلى الاستقرار ، فبدأ يهيىء سراً المناخ الفكرى والمذهبى لذلك عن طريق بعض الشخصيات الكبيرة المقربة إليه ، حتى يتمكن من إعلان هذه الخطوة الجريئة المخالفة لقواعد المذهب الزيدى[4] . ويردد البعض الآخر أن الإمام يحيى كان أكثر حيطة وحذراً ، فلم يتدخل فى أمر البيعة وترك الأمور تجرى فى أعنتها ، فلم يعرف عنه طوال حياته

---

(١) يرجع إلى نص المعاهدة ضمن ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ » .

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) Harold Ingaams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, p.p. 71 - 72

(٤) Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, p. 89.

لمسوا فى بعض تصرفات الإمام خروجا على قواعد المذهب الزيدى . وقد بدأ تذمرهم — وهمسهم — منذ وقت مبكر ، أى منذ أن عقد الإمام يحيى معاهدته المعروفة مع إيطاليا عام ١٩٢٦ م (١٣٤٥ ﻫ) ، وكانت هذه هى المعاهدة الأولى التى يبرمها الإمام مع العالم الخارجى ، فقد حول «الإمامة» إلى «ملك» ، وذلك عندما حرص على أن ينص فيها على لقب «جلالة الملك» إلى جانب لقب الإمامة[١] . وازداد التذمر والهمس عند ما بدأت تروج لفكرة ولاية العهد لابنه سيف الإسلام أحمد ، وسكوت الإمام يحيى — على الأقل — عما يروج حوله ، «وهى الحركة التى أثارت ثائرة الأمراء والسادة الذين كان لهم أمل فى الخلافة ، والفقهاء المحافظين»[٢] . وموقف الإمام يحيى — سلباً وإيجاباً — من مبايعة ابنه ولياً للعهد كان — ومازال — موضوع مناقشات طويلة ولكن ليس هنا موضع الخوض فيها إذ يحتاج هذا الموضوع بحثاً آخراً ، فقد ذكر البعض — ضمن تفاصيل طويلة — قصة النزاع حول ولاية العهد ، وأن الإمام يحيى كلف بعض الشخصيات بالدعوة إلى ولاية العهد لابنه أحمد ، وجمع البيعة له[٣] ، وأنه كان مقتنعاً بوراثة العرش حتى يؤدى ذلك إلى الاستقرار ، فبدأ يهيىء سراً المناخ الفكرى والمذهبى لذلك عن طريق بعض الشخصيات الكبيرة المقربة إليه ، حتى يتمكن من إعلان هذه الخطوة الجريئة المخالفة لقواعد المذهب الزيدى[٤] . ويردد البعض الآخر أن الإمام يحيى كان أكثر حيطة وحذراً ، فلم يتدخل فى أمر البيعة وترك الأمور تجرى فى أعنتها ، فلم يعرف عنه طوال حياته

---

(١) يرجع إلى نص المعاهدة ضمن ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث ، ١٩٠٤ — ١٩٤٨ » .

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) Harold Ingaams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, p.p. 71 - 72

(٤) Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, p. 89,

أنه استعمل لقب « ولى العهد » فى مخاطباته ومكاتباته إلى ابنه السيف أحمد . وبغض النظر عن اختلاف هذه الروايات ومناقشتها ، فيكفى أن نقول أن التنافس بين الأطراف المختلفة حول ولاية العهد قد زاد من حجم المعارضة وحدتها ، وأدى إلى تزعزع الحكم القائم .

وقد ظهر هذا التنافس — وبالتالى هذا التزعزع — بوضوح عقب أحداث عام ١٩٣٤م (١٣٥٣هـ) المشار إليها ، وبمعنى أدق عندما أراد أن يدعم سيطرته على مقدرات الأمور إثر هذه الأحداث ، واتجاهه إلى تعيين أبنائه فى المناصب الكبيرة بدلا من أفراد بعض الأسر التى يخشى قوتها . وقد بدأ هذه الخطوة بأن أرسل ابنه السيف أحمد إلى تعز لينتزع السلطة تدريجياً من أيدى أميرها السيد على بن عبد الله الوزير ، بعد أن كان قد حكم لواء تعز من قبل الإمام يحيى حوالى عشرين عاماً(١) . وأعقب هذا عزل السيد عبدالله الوزير عن لواء الحديدة وإسناد إمارته إلى ابنه السيف عبدالله إلى جانب وظائفه الأخرى — وهى وزارة المعارف ووزارة الدفاع — كذلك أسند إمارة لواء اب إلى ابنه السيف حسن(٢) ، هذا بالإضافة إلى تعيين بعض أبنائه الآخرين على رأس الوزارات التى أنشأها حينذاك مثل السيف على الذى عين وزيراً للاقتصاد كما رأينا خلال البحث .

ويلاحظ أن بداية خطوة الإمام هذه — أى ذهاب السيف أحمد إلى تعز — صاحبت ظهور مجلة الحكمة إلى الوجود ، وبالتحديد سبقت ظهورها بعدة أشهر فقط ، فقد بدأ السيف أحمد « جولته التفقدية » — كما أطلق عليها حينذاك — والتى انتهت به إلى تعز — بدأها فى خلال عام ١٣٥٧/٥٦ هـ (١٩٣٨م) ، وهو العام الذى صدر فى آخره أول أعداد الحكمة . ويلاحظ

---

(١) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمنى ، ص ٧٠ .

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٨٢ .

أيضاً أن خروج الإمام على بعض قواعد المذهب الزيدى — من وجهة نظر بعض السادة والعلماء كما ذكرنا — قد قربت بين هذه العناصر المحافظة السلفية وبين « العصريين » أى فئة المثقفين ، « فتكونت حينذاك علاقات قوية متينة بين هؤلاء الشباب وبين على الوزير وعبد الله الوزير وزيد الديلمى وغيرهم »[١] .

وبالإضافة إلى هذا فيلاحظ أيضاً أنه قد تكرر الحديث عن مخالفة الإمام يحيى لقواعد المذهب الزيدى مما يدفعنا إلى الإشارة إلى طبيعة هذا المذهب فى إيجاز ، وخاصة أن هذه المخالفات — كما ذكرنا — كانت سبباً فى زيادة حجم المعارضة ، وانضمام عناصر جديدة إليها ضاعفت من شأنها ، نظراً لقوة هذه العناصر المادية والاجتماعية ، ولأنها كانت جزءاً من السلطة الحاكمة إلى أن انسلخت منها . وأهمية الإشارة إلى المذهب هنا ، ليس لأنه مذهب ثلث سكان اليمن ، ولأنه مذهب السلطة الحاكمة حينذاك ، ولكن باعتباره مصدراً هاماً من مصادر الفكر فى البلاد ، ولأنه ذات طبيعة متحررة متفتحة . فهذه الطبيعة « تتميز بسمات خاصة من التفكير السياسى والفكرى ، فهى قد أوجبت الخروج على الظلمة وجوباً دينياً ، فى الوقت الذى أوجبت فيه الاجتهاد وحرمت التقليد ، ودعت إلى تحرير العقل ، واعتبرت الظلم أقصى درجات المنكر ، ووضعت بالمقابل الجهاد أول واجبات المجتمع . ولم تفرق إطلاقاً بين زيديين وغير زيديين ، فالظلم فى نظرهم لا يتجزأ ، ووجوب محاربته لا يتجزأ أيضاً . وأصبح من ثم مبــدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حجر الزاوية فى النظرية الزيدية التى بلغ من شأنها وحيويتها أن أصبح العمل وحده هو محك الإيمان »[٢] . وإلى جانب هـذا

---

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٢) زيد بن على الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، ص ٦٩ .

فقد أفاض أحد أبناء المذهب — من المعاصرين — فى الحديث عنه ليبرز الجوانب الإيجابية المشرقة فيه ، حتى وصل إلى قاعدة نظام رئاسة الدولة ، وكيف أنها لا تحتوى على فكرة وراثة العرش ، وهى الفكرة التى نريد إبرازها هنا باعتبارها إحدى النقاط التى خرج فيها الإمام على قواعـــد المذهب ، فقال: « . ولايتناولها (أى الرياسة) الأبناء من الآباء والأقارب ميراثاً هيناً ليناً ، ولا بوصاية من سلف لخلف ، ولا بولاية عهد ، وإنما هى رئاسة يتناولها الكفء القوى العادل الشجاع المقدام السخى العالم المجتهد السياسى المفكر . . »(١) ، وان كان قد أعاب فى نفس الوقت على الإمام الهادى يحيى بن الحسين ، الذى أدخل المذهب الزيدى إلى اليمن ، بأنه حصر « الإمامة » فى أبناء « فاطمة » ، مخالفاً بذلك القواعد الأصلية التى وضعها الإمام زيد بن على صاحب المذهب .

وهكذا ، فإذا كنا نكتفى بهذا القدر من الحديث عن المذهب الزيدى ، وموقف الزيديين والإمام من قواعده ، وما ترتب على ذلك من نتائج سياسية ، فقد بقى أمامنا الحديث عن عنصر آخر من عناصر المعارضة ، مثّل حجماً كبيراً منها ، وزاد من قوة نشاطها .

وهذا العنصر هم أبناء المناطق الساحلية والجنوبية من اليمن ، أتباع المذهب الشافعى ، لذلك يطلق عليهم الشوافع . وقد سبق أن ذكرنا أن بعض هؤلاء قد أنشأوا لأنفسهم مدرسة حديثة فى منطقة « الحجرية » بجهودهم الشخصية ، كما كان لهم جامعتهم — أو جامعهم — الشهيرة فى زبيد ، وأنه قد برز من بينهم بعض الشخصيات التى احتلت مكانها فى الحياة الثقافية فى الثلاثينات من هذا القرن ، كذلك فى الحياة الاقتصادية والسياسية كما سنرى فيما بعد رغم قلة المادة التاريخية اللازمة . ولا شك أن سياسة الإمام يحيى كانت عاملا

(٣) عبد الله الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٠٢ .

هاماً من العوامل التي أدت إلى انضمام هـــذه الكتل البشرية إلى صفوف المعارضة ، وهي السياسة التي اتصفت بأنها كانت جامدة ومحدودة الأفق .

فمن ناحية ، فهو لم يتخذ من الخطوات ما يقرب « الشوافع » إليـــه ، أو بالأحرى لم يتخذ من الخطوات ما يساعد على احتواء هؤلاء ويجعلهم يشعرون بالانضمام إلى دولته الجديدة ، بل على العكس من ذلك اصطدم ببعض كتلهم في السنوات الأولى من حكمه ، وقبض على بعض رؤسائهم المشهورين وصادر أموالهم وممتلكاتهم . وقد سبق الإشارة إلى محاربته لقبيلة الزرانيق في « تهامه » ، وإلى القبض على عدد من المشايخ في المناطق الجنوبية من اليمن وعلى رأسهم الشيخ عبد الوهاب نعمان . وربما كان للإمام حججه المختلفة في هـذا الصدام — مما لا يتيح المجال هنا إلى ذكرها ومناقشتها — ولكن يلاحظ أن هـــذا كله قد أدى إلى تذمر هؤلاء وسخطهم على حكم الإمام . وبالاضافة إلى هذا — ونتيجة له — فقد كان الامام — من وجهة نظره — لا يثق في موقف الشوافع منه ، لأنه كان يعتقد أنهم كانوا — وبحجة وحدة المذهب بينهم وبين الأتراك — على علاقة طيبة بالحكم التركى . وقد ترتب على هذا أن عين الامام يحيى حكاماً وقادة من أبناء المناطق الشمالية الزيدية في كثير من المناطق الشافعية ، لذلك لم تخلق هـــذه الخطوات كلها حينذاك — من الناحية السياسية — « شعوراً بالوحدة بين الجماعتين الدينيتين الكبيرتين »(١) ، في اليمن ، أي الشوافع والزيود .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان من المعروف أن الامام يحيى يكره وجود أى نفوذ أجنبي في بلاده ، وهذا ما دفعه إلى العزلة والانكماش ، لذلك عمل على التدخل في العلاقات التجارية بين مواطنيه وبين بعض البلاد الأجنبية . ولقد كان من المعروف أيضاً أن « الشوافع » بحكم موقعهم على السواحل ، وفي المناطق الجنوبية القريبة من عدن — مركز النشاط الاقتصادى

(١) Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, p. 86.

حينذاك — كانوا لمدة طويلة شبه محتكرين للتجارة الخارجية اليمنية . لذلك فقد اتخذ الإمام خطوات عدة حتى لا تبقى التجارة الخارجية حكراً فى أيدى الشوافع ، وعين عدداً من الوكلاء من قبله حتى يحد من سيطرة الشوافع ، وعلى مستواهم الاقتصادى ، مما زاد من حدة مرارتهم إزاء الحكم الإمامى . ورغم أنه كان من الصعب الحيلولة بين هؤلاء التجار — الشوافع — وبين اتصالهم بالعالم الخارجى ، فقد ظلت خطوات الإمام مصدر ضيق وتذمر لهم وقد ترتب على هذا العامل الاقتصادى « أن قرر كثير منهم - بطبيعة الحال - تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية التى يعانون منها ، وانضم أغلبهم إلى الجماعات المعارضة فى الخارج ، وساعدوا فى تمويل نشاطها(١) » . وكان بعض هؤلاء التجار قد هاجر إلى عدن وشرق أفريقيا وغيرهما من البلاد ، للعثور على مجالات خارجية لنشاطهم التجارى ، وعندما انتقل جزء من المعارضة اليمنية إلى عدن - بعيدا عن الحكم الإمامى - وأسسوا هناك حزب الأحرار ، عام ١٩٤٤م ، وجدوا من هؤلاء التجار كل مساعدة معنوية ومادية ، لذلك قيل : « وجد المصريون عطفاً فى أوساط المهاجرين خاصة التجار (السابقين) الذين غادروا بلادهم كنتيجة للاحتكار ، والتجار الذين كونوا أنفسهم فى المهجر(٢) » وإزاء هذا كله ، فلا غرابة أن نجد اسم أحد التجار الشوافع الكبار — وهو الخادم غالب — يلمع أثناء أحداث ثورة ١٩٤٨ م ويلقى حتفه عند فشلها(٣) ، تأكيداً لمساهمة قطاع التجار الشوافع فى نشاط المعارضة حينذاك .

وهكذا يتضح أن « الجبهة الوطنية » التى أشرنا إليها ، والتى كانت تتلمس طريقها عند ظهور الحركة ، كانت تجمع بين جنباتها الشافعى إلى جانب

---

(١) Manfred W, Wenner : Modern, Yemen 1918 - 1966, p, 86

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) أحمد بن محمد الشامى « من الأدب اليمنى » ص ٤٠ .

الزيدى ، والسيد إلى جانب القحطانى ، والجنوبى إلى جانب الشمالى ، والتاجر والقبلى إلى جانب المتعلم ، وإن الحكمة كانت جزءاً من هذا الخضم ، كما عبرت عن آماله ورغباته ، وعكست أوضاعه ، ومثلت عناصره .

الحكمة والبريد الأدبى :

غير أنه كما تحدثنا عن وضع الحكمة وسط المعترك السياسى الذى أحاط بها والذى كانت جزءاً منه كما ذكرنا ، فعلينا أن نشير إلى وضع المجلة بين المحاولات الحديثة النامية حينذاك فى المجال الثقافى ، تلك المحاولات التى اعتمدت على الاجتهادات الشخصية ، والتى لم تكن تجد لها متنفساً عاماً — قبل ظهور الحكمة أو بعد اختفائها — غير الاعتماد على النفس ، وعلى التثقيف الذاتى . وما نقصده هنا هو ما عرف فى تاريخ الأدب اليمنى المعاصر باسم « البريد الأدبى » ، أو بمعنى آخر هو تلك المجلات الخطية المحدودة الحجم التى يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم ، للتعرف على آراء بعضهم البعض ، ولتنمية ثقافة كل منهم ، سواء كانوا داخل المدينة الواحدة ، أو كانوا فى عدة مدن مختلفة . ولمزيد من التعرف على هذه الحركة الأدبية الخاصة ، يمكن أن نرجع إلى حديث أحد أبنائها الذين شاركوا فيها ، إذ يقول : « أستطيع أن أقول عن البريد الأدبى أنه كان جريدة أو شبه صحيفة تلتقى فيها الأفكار المستنيرة للتعرف على بعضها ، فكان فيها الخبر السياسى والتعليق عليه فى أضيق الحدود ، كان فيها النقد الأدبى ، كان فيها القصيدة ، كان فيها المقالة ، كذلك المناظرة الأدبية ، فاذكر أنه جرت مناظرة لطيفة حول المقارنة بين شوقى والمتنبى ، فتعصب أحد الكتاب لشوقى واعتبره شاعر العصر ، وأن المتنبى لو عاش فى عصر شوقى لما استطاع أن ينافس شوقى ، وتعصب الرأى الآخر للمتنبى ، وأن مكانه لا يستطيع أحد شغله ، وتبادل الطرفان الحجج والبراهين والاستشهادات ، ثم تم بعد ذلك التوفيق والإصلاح على أن كل منهما شاعر عصره ، وأن كل

الأستاذ أحمد البراق ، وغيرهم كثيرون ، وتلاشت سنة ١٣٧٦ هـ .
(١٩٤٧)»[1] .

ورغم ما يبدو من خلاف بين هذه الروايات ، فإننا لا نرى أنه خلافا عميقاً ، بل على العكس ، فقدأدى إلى مزيد من توضيح الصورة التى كان عليها « البريد الأدبى» ، أما الخلاف فى حد ذاته ، فهو يرجع إلى طبيعة ذلك النشاط ، فهو من ناحية شخصى ومحدود بين جماعات من الأصدقاء ، ومن ناحية أخرى فهو نوع من النشاط الذى لا يمكن بسهولة تحديد سلطته أو حجمه ، لما يحيط ظروف نموه وتطوره ، ولعدم وقوع بقايا من آثاره بين أيدينا . غير أن أهمية هذا الخلاف وأهمية الاشارة إليه ، تتركز فى أنه يؤكد أمامنا أن الحكمة لم تظهر من فراغ ثقافى ، بل كانت ـ كما سبق أن ذكرنا ـ تعبيراً عن نشاط ثقافى سابق لها ، كما أدت بدورها إلى دوامات ثقافية نشيطة فى المجتمع اليمنى التقليدى حينذاك ، استمرت حتى بعد توقف الحكمة نفسها ، وبعبارة أخرى ، فكما كانت « الحكمة » جزء من الخضم السياسى البارز حينذاك ، كما أوضحنا ، فقد كانت أيضا جزءاً من النشاط الثقافى المحيط بها ، وأنها تمكنت خلال عمرها القصير أن تعبر عنه بكل إيجابياته وسلبياته .

الخاتمة :

وأخيراً ، فإنه يمكن القول بأن الحكمة قد حملت على أكتافها كل طبيعة وظروف الفترة التى ظهرت فيها ، فهى كما كانت نتيجة ضغط بعض عناصر المتعلمين والمثقفين وإلحاحهم على إظهارها ، فقـــد كانت أيضاً استجابة لسياسة الامام يحيى وابنه السيف عبد الله ، ولمواقفهما . ومن ناحية أخرى فهى كما كانت متنفساً لجماعة الشباب «العصريين» ومعبرة عن آمالهم وآرائهم الجديدة ، فقد التزمت فى نفس الوقت بظروف وطبيعة المرحلة التى ظهرت

---

(١) أحمد محمد الشامى : قصة الأدب فى اليمن ، ص ٢٨٤ .

الأستاذ أحمد البراق ، وغيرهم كثيرون ، وتلاشت سنة ١٣٧٦ هـ .
(١٩٤٧) »[1] .

ورغم ما يبدو من خلاف بين هذه الروايات ، فإننا لا نرى أنه خلافا عميقاً ، بل على العكس ، فقد أدى إلى مزيد من توضيح الصورة التي كان عليها « البريد الأدبي » ، أما الخلاف في حد ذاته ، فهو يرجع إلى طبيعة ذلك النشاط ، فهو من ناحية شخصي ومحدود بين جماعات من الأصدقاء ، ومن ناحية أخرى فهو نوع من النشاط الذي لا يمكن بسهولة تحديد سلطته أو حجمه ، لما يحيط ظروف نموه وتطوره ، ولعدم وقوع بقايا من آثاره بين أيدينا . غير أن أهمية هذا الخلاف وأهمية الاشارة إليه ، تتركز في أنه يؤكد أمامنا أن الحكمة لم تظهر من فراغ ثقافي ، بل كانت - كما سبق أن ذكرنا - تعبيراً عن نشاط ثقافي سابق لها ، كما أدت بدورها إلى دوامات ثقافية نشيطة في المجتمع اليمني التقليدي حينذاك ، استمرت حتى بعد توقف الحكمة نفسها ، وبعبارة أخرى ، فكما كانت « الحكمة » جزء من الخضم السياسي البارز حينذاك ، كما أوضحنا ، فقد كانت أيضا جزءاً من النشاط الثقافي المحيط بها ، وأنها تمكنت خلال عمرها القصير أن تعبر عنه بكل إيجابياته وسلبياته .

الخاتمة :

وأخيراً ، فإنه يمكن القول بأن الحكمة قد حملت على أكتافها كل طبيعة وظروف الفترة التي ظهرت فيها ، فهي كما كانت نتيجة ضغط بعض عناصر المتعلمين والمثقفين وإلحاحهم على إظهارها ، فقـــد كانت أيضاً استجابة لسياسة الامام يحيى وابنه السيف عبد الله ، ولمواقفهما . ومن ناحية أخرى فهي كما كانت متنفساً لجماعة الشباب « العصريين » ومعبرة عن آمالهم وآرائهم الجديدة ، فقد التزمت في نفس الوقت بظروف وطبيعة المرحلة التي ظهرت

(١) أحمد محمد الشامي : قصة الأدب في اليمن ، ص ٢٨٤ .

فيها . كذلك رأينا أنه رغم الظروف التى أحاطت بالحكمة عند ظهورها ، فقد نبضت محتوياتها بمظاهر «الجديد» و «الاصلاحية» فى المجالات والموضوعات المختلفة ، إذ حاول بعض كتابها أن ينقلوا إلى داخل اليمن بعض مطالعاتهم ومشاهداتهم ، بالاضافة إلى بعض انفعالاتهم وآمالهم فى تطوير الأوضاع والنهوض بها ، كما حاولوا أن يجددوا فى الأدب والتاريخ وغيرهما ، وأن يفسروا العلم تفسيراً حديثاً ، وأن يتعرضوا للنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعرضاً جديداً ، وأن ينادوا بتطوير البلاد وإصلاحها بقدرما تسمح به ظروف البشر حينذاك ، وأن يلمحوا فى حذر وحيطة إلى الأفكار الديمقراطية والحياة الدستورية والشوروية ، وأن يطرقوا مفاهيم العروبة والاسلام والدولية بمفهوم متطور .

ولقد كان هذا الوجه المشرق الذى لمعت به الحكمة خلال عمرها القصير ، من أهم أسباب توقفها عن الصدور ، فقد انغمست المجلة فى الحياتين السياسية والثقافية وعبرت عنها ، أو بتعبير آخر لقد كانت جزءاً منهما أو متصلة بهما على أقل تقدير . وقد رأينا أنه كانت هناك صلة واضحة بين بعض عناصر المعارضة — وبين المجلة ، بل ورأينا أنه كان لهذه العناصر اليد الطولى فى تسيير دفة المجلة وسط الظروف والتيارات التى عاشتها ، ورغم أننا قد عددنا الأسماء ، التى ظهرت بالمجلة ، والتى شاركت فى النشاط السياسى حينذاك حتى اعتقل بعضها وأعدم البعض الآخر عقب فشل ثورة ١٩٤٨ ، فقد ضمت «الحكمة» أسماء أخرى موالية للإمام ومؤيدة وجهة نظره فى الحكم ، كما ضمت كذلك أسماء تبتغى السلامة فى حد ذاتها ، مع بذل بعض الجهد المحدود فى مجـال التقدم والتطوير .

لذلك فانه يمكن أن ننتهى إلى القول بأنه رغم أن الحكمة كانت مجلة حكومية ، وأنها ظهرت وعاشت واختفت فى ظروف صعبة قاسية ، عكست وفرضت — كما رأينا — ملامحهـــا على محتويات المجلة ، فقد استطاعت

« الحكمة أن تعبر عن الاتجاه الجديد النامى فى المجتمع اليمنى فى تلك الفترة ، وأن تمثل الدعوة الاصلاحية المتطورة حينذاك ، وأن تكون جزءاً من التراث اليمنى ـ الفكرى والثقافى ـ المشرق ـ رغم عمرها القصير ـ فى تاريخ اليمن المعاصر .

ولما كان هذا البحث مجرد محاولة للتعريف بمجلة « الحكمة » اليمانية ، وبرسالتها ، وبدورها الاصلاحى ، فانها مازالت تنتظر التفات الباحثين إليها ، للغوص فى جنباتها ، ولكشف المزيد عن طبيعتها .

وفى النهاية ، فسلام إلى « الحكمة » ، وسلام عليها .

مجموعة

المقالات

بقلم

أحمد بن عبد الوهاب الوريث

أحمد بن أحمد المطاع

عبد الله العزب

بسم الله الرحمن الرحيم

الإصـــلاح

حالة العرب قبل الإسلام و بعده ، ماضي المسلمين وحاضرهم
(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى)(١)

— ١ —

(٥) إن أمة من الأمم الضعيفة الصغيرة الجاهلة الفقيرة المنكمشة فى صحاراها المتربة ورمالها المحرقة ، قد أصبحت فى مدة وجيزة من أعظم الأمم قوة ، وأكثرها عدداً ، وأرقاها علماً ، وأوفرها ثروة ، وأوسعها ملكا ، وأبذخها مجداً ، وأقومها أخلاقاً (٦) ، من هذه الأمة التى تبدلت تبدلا ظاهراً ، وتطورت تطوراً مدهشاً ، وقف العقلاء أمامه وقفة المشدوه ، واختلفوا فى تعليله وبيان أسبابه اختلافاً كثيراً ؟ من هذه الأمة الغريبة ، وما هى أسباب تطورها وعوامل نهوضها ؟

أجل إنها الأمة العربية التى كانت قبائل مختلفة وجماعات متباينة ، يقتل بعضها بعضاً ويسلبه أمواله ، تتناحر وتتطاحن تطاحناً شديداً لكلمة نافهة، أو أمر لا يؤبه له ، تغزو القبيلة أختها وتنزل بها من ألوان القتل وأصناف الفتك ما تستطيعه وتقدر عليه تشفياً وانتقاماً أو عدواناً واقتحاماً ، والتى كانت من الغلظة والفظاظة والحمية الجاهلية بحيث تئد أفلاذ أكبادها وتدس بناتها بأيديها فى التراب ، والتى كانت فى الغاية القصوى من الفقر والاملاق بطبيعة أرضها المجدبة الرملية وبعدها عن أسباب الغنى والثروة حتى بلغ بها الحال إلى أن (تشتوى الجلد وتأكل القـــد وتتبلغ بالضب واليربوع)، ولا تعرف من مظاهر النعمة وملاذ العيش شيئاً ، والتى كانت تتخبط من الجهل فى داجيــة غدافية الأهاب ، ومن الأمية فى مهمه قاتم الأجواء ،

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨ / يناير ١٩٣٩م) ص ٥ — ١٠ .

لا تخط حرفاً ولا تقرأ سطراً ، قد انتشرت بينها الوثنية وملكت عليها رشدها وصوابها فتسفلت عقولها وأصبح الرجل منهم يصنع بيده صنما من الحلوى يعبده ما شاءت له نفسه وشاء له الشيطان أن يعبده ، ثم لا يبرح أن يدوى فى أحشائه صوت الجوع فيمد يده إلى صنمه فيأكله ، والتى كانت قد بلغت من فساد الأخلاق وانحطاط الأفكار وتمكن روح الوحشية والإعراض عن كثير من الفضائل الاجتماعية إلى حد أن لا ترضى النساء إلا أن يصبغن ثيابهن بدم القتلى ويأكلن أكبادهم وقلوبهم ، وأن يفشوا فيهم كثير من العادات المنكرة ، وأن يسود فيهم القلق والخوف ، وتنتشر بينهم الفوضى ، وأن تستولى على عقولهم الخرافات والأباطيل ، فيعتقدوا بالهامة والصفر ، وينقادوا لحركات السانح والبارح ، ويستقسموا بالأزلام . والتى كانت فى حالها السياسية (٧) كما هى فى غيرها من الأحوال ، فأطراف الجزيرة العربية واقفة تحت رحمة الاستعمار الأجنبى، إذ يحكم اليمن الحبشة ثم فارس . وإذ تأسست فى الشمال إمارتان صارتا تحت حماية الفرس والرومان . أما أوساط الجزيرة فهى قبائل متحاربة متنافسة تتحفز كل واحدة منها لشن الغارات على جاراتها كما سبق .

هذه هى أحوال الأمة العربية قبيل الإسلام ، فماذا وقع بعد ذلك وما الذى آل إليه أمرها ؟

قام محمد بن عبد الله رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم فنادى فيهم بأعلى صوته داعياً لهم بأمر ربه إلى الإيمان بالله وحده، وإخلاص العبادة له ورفض ما سواه من خلقه .

جاء بتعاليمه ليجتث جذور الوثنية ، ويطهر العقول من الأوهام الفاسدة ، ويوقظ الأفكار من سباتها ، ويوجهها إلى التأمل والتفكر والاعتبار ، ويطلقها من قيودها التى صدتها عن النظر الصحيح . أتى مرشداً إلى الأخلاق الفاضلة والشيم العالية والمزايا الطيبة . أنحى على الاختلافات الحزبية وهدم

أركان العصبية الجنسية والفرقة الجاهلية ، وعلمهم أن المسلمين كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بينهم إلا بطاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامرهما .

بين لهم أن الخير كل الخير فى ائتلاف القلوب واتفاق الأهواء واتحاد الآراء ، وأن الشر كل الشر فى التباين والاختلاف والتشاحن والتباغض . أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والتعارف والتراحم والتعاون على البر والتقوى وإعطاء الحقوق لأربابها .

أمر بالعدل والإحسان ومواساة الفقراء والمساكين واليتامى والبائسين، حض على تحرير الرقاب وتخليص الأفراد والجماعات من الرق والاستعباد ، أمر بالمسارعة فى كل خير ومجانبة كل شر فلا قتل ولا زنى ولا سرقة ولا خمر ولا ميسر ولا غل ولا خداع ولا ظلم ولا ربى ولا عدوان ولا رياء ولا نفاق ولا عداوة ولا شقاق ولا شح ولا بخل ولا نخفخة ولا إسراف . (٨) أمر بأن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة لا طمعاً فى سلب الأمم استقلالها ولكن فى نشر الحق بينهم ، والدفاع عن حماه لا امتصاص لدماء العالم وأمواله ولكن لبث العدل بين أفراده ورفعة مقامه .

قرر أن مناط السعادة فى الدنيا والآخرة هو الأعمال الشخصية التى يجب أن يقوم بها كل فرد ، مشعراً بالعهدة الملقاة على عاتقه ، مدركا لحقيقة مركزه فى المجتمع البشرى ، معتمداً فى نجاحه على ربه ، آخذاً بالأسباب الموصلة إلى مطلبه ، معتقداً أن كل ذلك كاف لإيصاله إلى غاية ما يتوق إليه من السعادة المرجوة فى الدنيا والآخرة ، طالباً بالعمل كل ادر عليه ، وقرر أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وأن كل شيء فى الكون قدراً معيناً وناموساً ضابطاً له ، وأن الأمور كونية لا تسير على الأهواء والاتفاقات ولكن على سنن مدبرة وكيفيات كمة ، علق المسببات بأسبابها ، وأمر بإتيان الأمور من أبوابها والأخذ ابها ونافعها ، ومنع البهرجة الظاهرة والتمسك بالقشور ، وحض على خلاص القلبى والعمل الصالح .

لفت الناس إلى استخدام قوتهم المودعة فيهم إذا أرادوا تحسين شئونهم وإصلاح أحوالهم، نهى عن التكاسل والتواكل والقعود عن العمل النافع فاستعاذ بالله من الهم والحزن والكسل ، حث على طلب كل علم نافع وعظم شأنه ، وصرح بأن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، وندب إلى التعليم والإرشاد والدعوة إلى كل خير ، قرر أن العقل مناط التكليف ومحك التمييز بين الحق والباطل وأنه قسطاس الحكم وميزان الأمور ، ونعى على الآخذين بالظنون والأوهام ، وأوضح خطر الاعتقاد بدون عقل ولا علم .

نادى فى المسلمين أن المسلم أخو المسلم وأن مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه (٩) بعضا ، وأنه لا يتم إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

قرر أن السعادة الأخروية لا تنافى السعادة فى الدنيا ، وأن المدنية والحضارة إذا قصد بهما خير البشر وتسهيل المنافع فى الحياة وإظهار بدايع الوجود فهما مما يدعو إليه ، كما قرر أن أكبر سبب فى بقاء الأمم هو صلاحيها للبقاء بالعلم والعمل ، والأخذ بأسباب الحياة ، لا بتمنى الأمانى الباطلة وإزجاء الآمال السرابية ، وبالجملة أمر بكل خير يفيد الأفراد والجماعات ، ويعود على الانسانية العامة بالاصلاح ، ونهى عن كل شر ، وحمل على فاعليه ، وتوعدهم بما يكبح جماح كل شرير .

بهذه التعاليم القويمة والمبادىء الرشيدة جاء محمد صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن ربه ، فأحدث فى العرب انقلاباً عظيما وتطوراً خطيراً ، رقى مستواهم العقلى إلى درجة عظيمة ، واستبدلوا بالكفر إيماناً ، وبالشرك توحيداً ، وبالجهل علماً ، وبالفساد نظاماً ، وبالهمجية مدنية ، وبالتفرق اتحاداً ، وبالتخاذل تضامناً ، وبالضعف قوة ، وبالفقر غنى .

أصبحت الأمة العربية مجموعة الشمل بعد الشتات ، مهذبة الأخلاق ، بديعة النظام ، شديدة البنيان ، متحدة الأهواء ، عزيزة المنال ، مرهوبة الجانب ، متجهة إلى كل ما يحفظها ويحوطها ويجمع كلمتها وينهض همم أفرادها ، تفادى بأنفسها وأموالها فى سبيل نصرة دينها وحماية وطنها ، أن ينال بشر أو يقصد بضر .

أصبحت تحمل لواء العلم والعزة والمجد والمدنية الصحيحة والحرية الصادقة ، أصبحت بتأثير التعاليم الاسلامية تفهم أن دينها خير الأديان ، وأن العالم حولها فى ضلال ، وأن نبيها صلى الله عليه وسلم هادى الناس جميعاً ، وأنها وارثته فى هداية الأمم ونشر دعوة الاسلام فى العالم كله ، فهبت تدعو إلى الله وتهدى للتى هى أقوم ، وتنشر مبادىء الاسلام لتنقذ المجتمع الانسانى من الفساد ، وجعلت تسرى فى الأمم مسرى البرء فى السقم ، وتفتح بالعدل قلوب من تغلبه على أمره ، وتتحامى أهراق الدماء ، وترفق بالمستضعفين ، وتبث كلمة التوحيد (١٠) بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتصبغ الأمم بصبغتها فى الدين واللغة والأخلاق ، مؤثرة فى كل أحوالها الآخرة على الدنيا ، تسير والنصر قائدها ، والتوفيق حليفها وصاحبها .

عجباً أمة كانت بالأمس متفرقة الكلمة بعيدة عن النظام والتطلع إلى الملك تنهض فتجمع كلمتها ، وتوحد شتاتها ، وتستجمع قواها ، فتتألف دولة متينة القواعد فى داخليتها ، سليمة من عوامل التفرق فى جثمانها ، ثم تندفع إلى الخارج حاملة لواء الحق داعية إلى خير الانسانية وصلاحها ، لا تدعو لتكوين دولة تفتتح البلاد ، وتدوخ الشعوب لتغنى بأفقارها ، وتحيي بإهلاكها ، وتنعم بإنزال البؤس والشقاء عليها ، ولكن للقيام بتأييد الحق وإزهاق الباطل ، ورفع منار الأخلاق ، وإعلاء كلمة الله .

(يتبع)

احمد بن عبد الوهاب

الإصـــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى)[1]

— ٢ —

(٣٣) ذكرنا فى المقال الماضى حالة العرب قبل الإسلام ثم ما طرأ عليهم من التبدل والتطور الكبير بعده وهنا نقول :

إن العرب بعد أن انتشرت فيهم مبادىء الإسلام ، وتشربت قلوبهم تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، هبوا لنشر دعوة الحق بين الأمم ، وهداية الضالين عن طريق الخير وتعميم السلام فى الأرض ، فلم تتجاوز حدود جزيرتها قاصدة البلاد التى تحكمها الفرس والرومان حتى اتسع أمامها مجال الفتح ، وأسرعت تلك الأقطار إلى الانضواء تحت الراية الإسلامية الرحيمة المنقذة لكل أرض تخفق فيها (٣٤) من ويلات شديدة ، ومصاعب عظيمة ، كانت قد ســادت أجواءها وانتشرت فى نواحيها ، إذ كانت تلك الأمم المفتوحة كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام فى وصف حال الناس عند البعثة المحمدية : «مللا متفرقة، وأهواء منتشرة ، وطوائف متشتتة ، بين مشبه لله بخلقه ، أو ملحد فى اسمه ، أو مشير إلى غيره ، ضلالا فى حيرة ، وخابطين فى فتنة ، قد استهوتهم الأهواء واستنزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى فى زلزال من الأمر ، وبلاء من الجهل» ، وكما قال أيضا : «أرسل الرسول على حين فترة من الرسل ، وطول هجمة من الأمم، واعتزام

---

(١) الحكمة . العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى الحجة ١٣٠٧هـ (يناير/ فبراير ١٩٣٩ م) ص ٣٣ — ٤١ .

من الفتن ، وانتشار من الأمور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور ، على حين إصفرار من ورقها ، وأياس من ثمرها ، قد درست منار الهدى ، وظهرت أعلام الردى ، فهى متجهمة لأهلها ، عابسة فى وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ، ودثارها السيف» . هذا مجمل أحوال الأمم المحيطة بالعرب عند نهوض الأمة العربية لإنقاذها وهاك التفصيل :

كان يكتنف جزيرة العرب إذ ذاك أمبراطوريتان عظيمتان :

(١) الأمبراطورية الفارسية التى يمتد سلطانها على أكثر ولايات آسيا.

(٢) الأمبراطورية الرومانية الشرقية التى كانت تملك القسطنطينية وجنوب أوروبا وآسيا الصغرى وسوريا وأفريقيا الشمالية من مصر شرقاً إلى المحيط الأطلانتيكى غرباً . وكانت الأمراض الأخلاقية والاجتماعية والتعصبات الدينية والمجاعات الشديدة والأوبئة المنتشرة والحروب الطاحنة قد فتكت بكل منهما ، إذ ترى قيصر الروم يعدو على البلاد الفارسية ويزحف بجيوشه إليها ، فيقابله كسرى بالمثل ويزحف على الشام ومصر ويسعى فى تخريب أرض قيصر ويحاصر القسطنطينية ست سنوات حتى يموت (٣٥) أكثر أهلها جوعاً ، فيجاوبه قيصر بقتل الرجال فى فارس والنساء والصبيان وسبى الكثير منهم (كان ذلك فى السنة السابعة من الهجرة). وهكذا يضرب كل منهما الآخر ويتكبد الأهوال فى سبيل الإنتقام لنفسه حتى ضج الناس فى فارس من كسرى ومقتوا هرقل فى الروم ، وأصبح كل منهم من المملكتين منهوك القوى قد أهلكت الحروب رجاله ونساءه ، واستنزفت أمواله . هذا إلى الإنقسامات الدينية والاختلافات الحزبية والتعصبات الشديدة التى أفضت بهم إلى التناحر ، فالمجوسية الشائعة فى فارس كانت قد انقسمت على نفسها وتفرقت أحزابها وتسلط مؤابذتها على الناس

وأرهقوهم إرهاقاً شديداً ، مع ما كان بفارس من اليهود والنصارى النسطورية الذين كثيراً ما كان يضحى بهم كسرى إنتقاماً من قيصر الروم . أضف إلى هذا صيرورة الملك ألعوبة فى فارس بيد الصبيان والنساء قبيل الاسلام . ولم تكن مملكة قيصر بأهدأ حالا من فارس، فقد كان الخلاف قائماً على أشده بين النصارى فى مسألة الارادتين والفعلين والطبيعتين من المسيح عليه السلام، وكانت الكنائس يحارب بعضها بعضاً ويسعى لدى الولاة فى القضاء عليه . كما كان الولاة النصارى يضطهدون اليهود وينكلون بهم ، وينحرون منهم مجازر كل آونة فيسكن اليهود إلى سنوح الفرصة ، ثم ينقضون على من يقدرون عليه من النصارى فينزلون بهم أشد العذاب .

ولقد قتل هرقل من اليهود مقتلة عظيمة فى فلسطين لما سول له رهبان « إيليا » ذلك بزعم الانتقام منهم لاعانتهم الفرس عند زحفهم على فلسطين بقتل النصارى وهدم الكنائس . وكان رؤساء الرومان يرهقون رعاياهم أشد إرهاق ، ويعملون على امتصاص أموالهم وتجريدهم عن كل ما تحتويه أيديهم ، كما كان الرهبان والقسس وسائر الرؤساء الروحانيين يتحكمون فى عباد الله ، (٣٦) ويسلبونهم حقوقهم حتى الحقوق الشخصية، فيحظرون عليهم كل حركة إلا بعد تصديق رجال الدين عليها ، ويفصلون بينهم وبين الله سبحانه ، فيزعمون لهم أنه لا يجوز لأحد أن يتوب أو يدعو ربه إلا بوساطتهم وتقديم الرشا لهم ليفتحوا له الباب الموصل له إلى ربه . وبأمثال ذلك ألبسوا الدين غير لباسه ، وصيروه أباطيل ، وأدخلوا فيه الخرافات والأوهام والآراء الفاسدة السخيفة ، فانتشرت فيه البدع والضلالات حتى مزقت ثوبه القشيب .

هكذا كانت أحوال أكبر الممالك فى العالم عند نهوض العرب أشرنا إليه لتعرف كيف أن الفتوحات الاسلامية جاءت رحمة من الله وإنقاذاً لعباده مما كانوا فيه ، فلا جرم وجد سكان البلاد المفتوحة فى العرب أعظم منقذ

لهم من تلك المصاعب الشديدة التي أحاطت بهم . ولا عجب أن نراهم ينسلخون من دينهم ولغتهم ، ويأخذون بدين العرب القويم ولغتهم . ولا عجب إذا ما رأينا العرب يفتحون البلاد ، ويطوون الممالك ، ويتدفقون في العالم تدفق السيل في منحدر ، ويبسطون نفوذهم على بلاد مترامية الأطراف بسرعة مدهشة لم ير التاريخ لها مثيلا . لا غرابة إذ نرى رايتهم المنصورة تتقدم في الغرب فتعبر بحر الزقاق وتمشي في أسبانيا (الأندلس) بخطى واسعة وتطويها طي السجل للكتاب حتى تخترق جبال البيرينة (البرنس) الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا، وتتغلغل في فرنسا حتى نهر لوار شمالا ومدينة بيزنسون شرقاً . ويستولي العرب الذين تخفق على رؤوسهم تلك الراية الموفقة على جميع أسبانيا وما بين نهر لوار ونهر الرون من فرنسا . وهذا الخط يقسم فرنسا إلى قسمين شمالي وجنوبي ، فالجنوبي ملكه المسلمون وضبطوا مدنه وهي (تورس) الواقعة على نهر (لوار) ، وليون أول مدينة في فرنسا بعد باريس و(ماكون) و(شالون) الواقعة على نهر السون و(بون) وسماها (٣٧) العرب بونه و(أوتون) و(ديجون) التي تبعد عن باريس من الجنوب الشرقي بنحو (٢١٥) كيلو مترا و(ناربونه) وكانوا يسمونها أربونه، كما أنهم تقدموا إلى جبال الألب وأطراف سويسرا وجنوب إيطاليا . ولو أنهم مشوا على خطتهم التي ساروا عليها منذ فارقوا جزيرتهم ، لتقدموا حتى وصلوا حدود بولونيا في شرق أوروبا ، ولاخترقوا جبال أيقوس من انكلترا ، ولسهل عليهم عبور نهر الراين المار بألمانيا ، كما سهل عليهم عبور النيل والفرات ، ولكان الأسطول العربي من جهة أخرى قطع نهر التيمس واحتل العرب جزائر بريطانيا ، ولرأينا علماء المسلمين يفسرون القرآن في مدارس أكسفورد ، ويفقهون أفراد أمة الانكليز (كما قال المؤرخ الانكليزي جيبون)[1] . هذا في الغرب أما في الشرق فبعد أن عبر الجيش العربي دجله ،

---

(١) تاريخ الأدب عند الأفرنج والعرب وفيكتور هوجو للخالدي .

وجاز هضبة إيران ، أخذ يسير شرقاً حتى تجاوز نهر جيحون وفتح ما وراءه ، وتقدم حتى بلغ كاشغر وأخذ الجزية من ملك الصين ، فأصبحت راية الاسلام خفاقة من سواحل البحر الأطلنطى حتى بلاد الصين ، ومن جبال القوقاز وما وراءها إلى خط الاستواء وما وراءه . ودخل فى الاسلام أنواع من الأمم : العرب والكلدان والسريان من الجنس (السامى) والمصريون والنوبيون والبربر والسودان من (الجنس الحامى) والترك والتتار من (الجنس الطورانى) والفرس واليونان والأسبان والهنود من (الجنس الآرى)، وأصبحت آيات القرآن الحكيم تتلى فى قرطبة كما تتلى فى سمرقند ،وتقام الصلاة فى تفليس كما تقام فى دارفور ، ويجتمع الهندى والمراكشى والأندلسى والسودانى فى مكة للحج . وصارت راية الاسلام أرفع راية فى العالم كله ، قد أوجدت فى كل بلد ترفرف فى أفقه السعادة والهناء والثروة والنعمة (٣٨) والاطمئنان والأمن والعدل والانصاف والحرية الصحيحة والمساواة بين كل الأفراد فى حقوقهم ، ونشرت العلم والحكمة ، وأنهضت العقول ، ولفتت الأنظار إلى ما انطوى عليه الكون من أسرار ، وطمست معالم البؤس والشقاء أينما حلت .

هنا أمسك القلم عن شرح ما وصلت إليه البلاد الاسلامية من حضارة ، فهو موضوع طويل الذيول ، بعيد الشوط ، قد وضعت لشرحه المجلدات الضخمة ، وأنشأت له الصحف العديدة ، ووفاه الباحثون حقه .

وهنا نتساءل ما الذى كون من أشتات تلك الأمة الضعيفة الفقيرة القليلة ، أمة عظيمة قوية فتحت البلاد شرقاً وغرباً وأصبحت الكلمة العليا لها ، والسمع والطاعة على غيرها ؟ ما الذى قواها وجرأها على اقتحام تلك العقبات الكأداء فى سبيل نشر دينها وتعميم السلام فى الأرض؟ ما الذى ساعدها على تلك الأعمال الكبيرة والفتوحات الجسيمة فى مدة يسيرة مما لم يتأت لفاتح

قط ؟ ما الذى جعل الناس يتلقون هذه بالصدور الرحيبة ويهللون ويكبرون لقدومها عليهم ويدخلون فى دينها أفواجا ؟

ليس الجواب على هذا بعسير ، فقد عرفت مما مضى شطراً من التعاليم الإسلامية ، وعرفت أن العرب تشربت قلوبهم هذه التعاليم القويمة الكافلة لخير الدنيا والآخرة وسعادة الفرد والجماعة ، وأنهم قاموا بها قولا وعملا سراً وجهراً . فهموا مبادىء الدين كما أرادها الله ورسوله وطبقوها على جميع أحوالهم ، ولم يسيئوا فهمها ولا عكسوها بتأويلها وإرجاعها إلى غير ما أراده الشارع الحكيم ، ولا قصروا فى اعمالها وتطبيقها .

لم يتخذوا الدين أداة يتوصلون بها إلى غيرها ، ولا وسيلة يؤخذ بها عند الحاجة إليها ثم ترمى وراء الحائط . لم يأخذوا بالقشور والظواهر ويدعوا اللباب النافع الذى يراد ويقصد ، ولكن (٣٩) أخذوا الدين من ينبوعه : كتاب الله وسنة رسوله الشارحة لأحكامه ، وعملوا بما أخذوا ، فاتخذوا القرآن أستاذهم فى العلم ، وإمامهم فى العمل ، وتمسكوا بلبابه وأصله ، ولم يشوبوه بغيره ، ولم يقلبوا حقائقه الناصعة ، ولم يحيدوا عنه قيد شبر .

بهذا مكن الله لهم فى الأرض ، وبسط نفوذهم على الخلق ، وأتت لهم الدنيا صاغرة طائعة ، وأصبحت لهم الكلمة النافذة لا كلمة الظلم والاستعمار ولكن كلمة الإنصاف والعدالة والعزة والهداية : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

لقد حدثناك عن مجمل كيفية نشوء الإســـلام وارتقائه ، وأشرنا إلى

الأسباب المساعدة على ذلك ، ويجدر بنا الآن أن نحدثك عن انحطاط المسلمين وعوامله فاسمع ما نقول :

بلغ ملك المسلمين أوج المجد ، وبحبوحة السعادة ، ومنتهى نفوذ الكلمة وعظمة السلطان كما عرفت ، ثم أخذ التضعضع والانحطاط وتفاصيل الأجزاء حتى إذا صار جسمه ممزقاً يحكم كل عضو منه حاكم مستقل شرع ظله في التقلص والانكماش ، وأصبحت تطوى أطرافه كما يطوى السجل للكتاب . كانت تخفق على رؤوس المسلمين راية واحدة من أطراف الشرق إلى أقصى الغرب ، فكان للإسلام بذلك قوة كبيرة لا تجهل ، ثم طرأ الانحلال على الجامعة الاسلامية بانفصال بعض البـــلاد عن الانضواء تحت الراية الكبرى ، وظهور دويلات وإمارات في أطراف المملكة ، فانفصلت الأندلس تحت إمارة عبد الرحمن الداخل ، وظهرت إمارة عمان الأباضية في القرن الثاني ، (٤٠) واستقل ابن الأغلب بأفريقية داخلا ، كما فعل ابن زياد في تهامة اليمن ، وانفصلت طبرستان ، واستبد ابن طولون وخلفاؤه بمصر ، وقامت الدول السامية في بخارى ، والطاهرية في خراسان ، والبويهية في فارس ، والحمدانية في الشـــام والجزيرة . وهكذا لم تزل أجزاء المملكة الإسلامية الكبرى تتفكك والدويلات تظهر وتكثر ، فلم تغرب شمس الدولة العباسية حتى كانت مصر والشام بيد المماليك ، وآسيا الصغرى (بلاد الروم) بيد آل عثمان ، ومراكش لبني مرين ، والأندلس والجزائر لبني الأحمر ، وأفريقية لبني حفص ، والمملكة الايرانية وبلاد الهياطلة لأسرة هولاكو التترى ، وكثير من ديار بكر بيد ابراهيم شاه ، ومملكة أذربيجان بيد سليمان شاه ، وخراسان يملكها طغتمر المغولى ، إلى غير ذلك من الإمارات الصغيرة المختلفة في بلاد العرب وغيرها .

في بحر هذه المدة هبت على بلاد الاسلام عاصفتان عظيمتان ، إحداهما من الغرب وهي التي أثارتها الحروب الصليبية المنبعثة عن تعصب أوربا

وجهلها ، فتدفقت جيوش الصليب فى آسيا الصغرى وسوريا وسواحل البحر الأبيض ، وأظهرت من الفظاظة والقسوة ، وارتكبت من الفظائع وأنواع التدمير ، ما شكا منه المنصفون من مؤرخى الافرنج أنفسهم . ودام الجلاد والقتال بين المسلمين وبين بعوث الصليب فى حوض البحر الأبيض قرابة قرنين من سنة ٤٩٠ هـ إلى سنة ٦٧٠ هـ تقريباً ، حين انقطع المدد عن الصليبيين من البحر لانصراف أوربا نحو قتال المسلمين فى أسبانيا .

أما العاصفة الثانية، فهى أفظع أمراً وأشد هولا وأكثر تدميراً وإهلاكاً، عاصفة هبت من الشرق فنسفت المدن الاسلامية نسفاً وقوضت الحضارة العربية ، وأهلكت الحرث والنسل ، وأجرت الدماء سيولا ، وضحت بالملايين من المسلمين ، وأبادت كل ما مرت به من (٤١) أخضر ويابس . ألا وتلك الداهية الكبرى غارات التتر من جبال توران على بلاد الشرق الاسلامى ، بينما المسلمون يدافعون الصليبيين عن الشام ومصر ، ويتألفوا من كتلات صغيرة تصد هجمات الصليب ، إذ بالطاغية المدمر جنكيزخان المغولى، يزحف على رأس جيش جرار (سنة ٦٢٨ هـ) فيكتسح بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان وهرات وقندهار حتى البحر الأسود ، ويخرب العواصم الاسلامية التى كانت زاهية بالعلم ، زاهرة بالحضارة ، ويحرق خزائن الكتب المعدودة بالملايين ، ويقوض مدارس العلم ، ويذبح المسلمين صغاراً وكباراً . رجالا ونساء ، ثم يأتى بعده هولاكو فيفعل كما فعل جنكيز خان ويزيد عليه ، فيتغلغل فى البلاد الاسلامية حتى يصل بغداد ، فيضع السيف فيه ويقتل قريباً من مليون نفس ، ويحرق معظم تلك المدينة الساحرة ، ويستخرج الأموال والتحف بالتعذيب ، ويلقى مئات الألوف من الكتب فى دجلة ، ويقضى على الدولة العباسية القضاء الأخير (سنة ٦٥٦ هـ). وفى أوائل القرن التاسع يجيء تيمورلنك ، فينتحى خطة جنكيز وهولاكو، ويصفى حسابات التدمير والنسف فى العواصم الاسلامية ، ويحكم السيف

والنار فى بغداد وساكنيها (سنة ٨٠٣ هـ) ، ويخرب كل ما مر به من مدن الشام ويدك معالمها ، ويذفف على ما بقى من أهلها .

هاتان عاصفتان زعزعان عصفتا على بلاد الاسلام ، فزلزلتا أركان الحضارة الاسلامية ، وطمستا كثيراً من معالمها ، وضربتا جسم المملكة العربية ضربات قاضية مدمرة . هنالك أخذ ظل الاسلام فى التقلص والانكماش .

(يتبع)

احمد عبد الوهاب الوريث

الإصــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى)(١)

— ٣ —

(٦٥) لم تشرع المملكة الإسلامية فى التفكك والتفاصل حتى أخذ ملك المسلمين فى التقلص والإنكماش ، فرأينا بعض جزائر البحر الأبيض تخرج عن أيدى المسلمين إلى أيدى المسيحيين ، كجزيرة صقلية ، ونرى الأسبانيول والبورتكير بعد أن جمعوا صفوفهم ينقضون على ثغور المسلمين فى شمال أسبانيا وينتزعونها منهم مدينة مدينة ، ويطاردونهم إلى الجنوب حتى كانت المأساة الشديدة والفاجعة العظمى وهى إخراج المسلمين نهائيا من شبه جزيرة الأندلس ، والقضاء على البقية الباقية من ملكهم وإجلاء آخر ملوك بنى الأحمر

---

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم الحرام ١٣٥٨ هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٦٥ — ٦٩ .

(٦٦) بل آخر ملوك المسلمين فى أسبانيا، الأمر الذى قام سنة ٨٩٧(هـ) فرديناند وايزابلا ملكا الأسبانيين ، اللذان نكلا بالمسلمين تنكيلا فظيعا وقسراهم على التنصر وتذرعا إليه بكل وسيلة قاسية تضج منها الإنسانية ، وأذاقا من حافظ على دينه العذاب ألوانا وأشكالا ، وكتب التاريخ طافحة بتفاصيل أخبار هذه الكارثة الكبرى التى فقد بها الإسلام وطنا كبيرا زاهيا بالعلم والحضارة من أعز أوطانه .

قامت للاسلام راية أخرى يحملها آل عثمان فى آسيا الصغرى ويتقدمون بها فى جنوب أوربا حتى يبلغوا أسوار فينا عاصمة النمسا فى القرن الحادى عشر للهجرة ، وتنضوى تحت الراية الاسلامية شبه جزيرة البلقان أو ما يسميه الأتراك بالروم (إيلى) . ولم تزل ترفرف على تلك الولايات الأوربية أعواما طويلة حتى هاج سكانها تدفعهم أوربا إلى القيام على الدولة العثمانية، وتحمسهم وتمدهم بالرجال والأموال فلم تزل تنفصل تلك الولايات عن الراية العثمانية الواحدة تلو الأخرى إلى أن وقع ما سنذكره بعد .

فى أثناء تلك المدة شرع الجشع الاستعمارى يظهر فى أوربا ، وبدأ البرتغاليون والأسبان يوسعون ملكهم ويبسطون نفوذهم على كل ما قدروا على احتلاله من بلاد الشرق (والذى يهمنا بلاد الاسلام) ، فاحتل البرتغال سواحل المغرب الأقصى فى أوائل القرن العاشر ، وجعلوا يعوثون فى البحر الأحمر والخليج العربى وخليج البصره ، فهاجموا عدن والمخا وبعض سواحل حضرموت وعمان والبحرين وبلاد الكويت وجده وكثيرا من سواحل أفريقيا الشرقية ، واحتلوا جنوب الهند وضايقوا المسلمين هناك ، وتلاهم الإنكليز والفرنسيون فتنافسوا على استعمار الهند (بما فيها الممالك الإسلامية) واستعمل كل ما أوتيه من حول وقوة ودهاء فى الاستئثار بالهند حتى خلص أمرها للانكليز (٦٧) .

ولم يكد ينصرم القرن الثالث عشر ويطلع فجر القرن الرابع عشر[1] حتى أصيبت بلاد الاسلام بمصائب جمة ، ونزلت بالعالم الاسلامي كوارث متسلسلة الحلقات قصمت منه الظهر وفككت الأوصال . وكادت أن تقضى على البقية الباقية من سلطانه ومجده ، تألبت دول وتآمرت على انتزاع كثير من بلاد الاسلام، فثارت البلقان فى وجه الدولة العثمانية تطلب انفصالها عنها بمعاضدة بعض الدول الكبرى ، وأخيراً انسلخت الروم (إيلى) عن جسم الدولة بعد أن حكمتها عدة قرون .

وساقت روسيا جيوشها على القوقاس وتركستان وأوساط آسيا المسلمة، وانقضت فرنسا على الجزائر (سنة ١٢٤٥) وضمتها إليها ثم بسطت نفوذها على القطر التونسى ، واحتلت بريطانيا مصر بعد أن احتلت عدن وقبرص وغيرهما من الموانىء والجزر الاسلامية ، فطلبت فرنسا فى مؤتمر الجزيرة الخضراء أن تضم إليها مراكش أجراً على عدم معارضة بريطانيا فى مصر . وفعلا زحفت الجيوش الفرنسية على عاصمة مراكش (سنة ١٣٢٩هـ) وضمتها إلى أمبراطوريتها التى أنشأتها فى شمال أفريقيا على حساب الاسلام ، فلم يرق فى عين إيطاليا أن ترى بريطانيا وفرنسا يقتسمان ممالك أفريقيا الاسلامية ولا يكون لها منه نصيب ، فأرسلت جيوشها لاكتساح طرابلس — برقة (سنة ١٣٣٠هـ) وهاجمت أسبانيا بلاد الريف بمعاضدة فرنسا ، وبذلك ذهب سلطان الاسلام السياسى عن المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ، وأنزلت الدول بالمسلمين هنالك من التعذيب والتنكيل ما يندى لذكره الجبين .

نشبت الحرب العالمية وانتهت بفوز الحلفاء ، وتم إجلاء الأتراك عن سوريا والعراق والحجاز بفضل جهود العرب الذين قاوموا الأتراك فى تلك الأقطار طلبا للاستقلال ، واغترارا بالوعود والمواثيق التى قطعتها لهم دول

---

(١) التاريخ الهجرى هو المقصود هنا .

الحلفاء (٦٨) فلما وضعت الحرب أوزارها قلبت تلك الدول ظهر المجن ، ونكثت عهودها ، وقسمت الغنيمة بينها ، فجعلت سوريا (ماعدا فلسطين وشرق الأردن) تحت الانتداب الفرنسى ، وعبر الأردن والعراق تحت الانتداب البريطانى ، وأرادت بريطانيا أن تجعل من فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ولولا شهامة الشعب العراق ونجدتهم ماتخلص من براثن الانتداب حتى اليوم .

هكذا انقضت دول أوربا على البلاد الاسلامية ، وهكذا تبددت أجزاء المملكة العربية الكبرى . ولقد صبت الدول المستعمرة على المسلمين أسواط العذاب

ما ننس لا ننس ما أصاب إخواننا المسلمين هناك من الضغط وسلب الحرية الدينية وسائر الحقوق الإنسانية ومحاربة الاسلام بكل وسيلة، وطمس معالم الشريعة والاستيلاء على الأوقاف الاسلامية ، وإجبار سلطان المغرب الأقصى (الصورى) على توقيع (الظهير البربرى) القاضى بإلغاء العمل بالشريعة الاسلامية بين البربر المسلمين من عدة قرون وإخراجهم من حظيرة الاسلام .

ولا ننس إزهاق الأرواح البريئة ، وصلب النساء مجردات ، ونزع الأطفال من أيدى آبائهم لينشؤوا فى المدارس المسيحية نشأة غير اسلامية .

هذا ما كان عقب الحرب الكبرى أما اليوم فماذا نسمع فى تلك الأقطار الشقيقة ، ماذا يصيب إخواننا هناك ؟

آه إن الجواب على هذا السؤال (لتأثيره وفظاعة مدلوله) يجعل اللسان يتلجلج ، والقلم ينبو عن القرطاس أسفا وحزنا ... آه إن الخطب شديد ، والفاجع أليم، ففيها الإرهاق والتنكيل والفظائع السود ، وفيها نسف البيوت وتدمير القرى وتقتيل الأبرياء ، وفيها السجن والتعذيب بأساليب وحشية

تفتت لها الأكباد ، وفيها الدس والتدجيل ونكث العهود وإثارة أعداء أوطانهم للقيام فى (٦٩) وجوه المخلصين ، وفيها التصريحات الظالمة ونقض المعاهدات والنكوص على الأعقاب ، وفيها أمم مسلمة تساق إلى الفناء بسلبها مقوماتها العربية الاسلامية وتجنيسها بجنسية غريبة عنها، إلى غير ذلك مما تطالعنا به وسائل النشر والأخبار فى كل وقت ، وفيها سن القوانين المضادة لأسس الدين الاسلامى .

تلك أحوال العالم الاسلامى سردتها فى هذا المقام ، وإن كانت إلى التاريخ أميل وبه ألصق ، ليعرف القـــراء الكرام وبالخصوص إخواننا اليمانيون ما انتهت إليه حال المسلمين من الذل والهوان والتشتت والتفرق ، وما أصيبوا به من فظائع الاستعمار وأهواله وليرجع القارىء الطرف إلى أحوال المسلمين فى صدر الاسلام وما كان لهم من عز عظيم، وملك واسع ، ومجد باذخ ، وكلمة نافذة ، وسطوة مرهوبة ، ويقارن بينها وبين الأحوال الحاضرة ، وليحافظ الذين منّ الله عليهم ببقاء استقلالهم على بلادهم وأمتهم، ويحذروا من نشوب مخالب المستعمر الظالم فى البلاد بأساليبة المعروفة ، ويعملوا على جمع كلمة الأمة والتآلف بين طوائفها وقطع دابر الاختلاف، وتنمية ثروة البلاد بشتى مصادرها ، ومحاربة موجبات الفقر وأسباب التعاسة والشقاء ، ومطاردة الجهالة الضاربة أطنابها كى تكون الأمة كتلة واحدة ، عارفة بواجبها ، مشعرة بمنافعها ومضارها ، قوية تقدر على القيام فى وجه المستعمر البشع ، وتتمكن من دحره وطرده إذا سولت له نفسه الأمارة بالسوء مهاجمة وطنه المستقل، وتمثيل الرواية الاستعمارية فيه كما مثلها فى تلك الأقطار المستعمرة المظلومة ، وليقوموا بواجبهم نحو إخوانهم الواقعين فى شرك الاستعمار وفخه ، ويمدوا إليهم يد المساعدة والتعاون .

يتبع

احمد عبد الوهاب الوريث

الإصـــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو(١)

— ٤ —

(٢٢٥) لقد عرفت بما سبق فى الأعداد الغابرة ما بلغ إليه المسلمون من بسطه فى النفوذ ، وسعة فى السلطان ، وبذوخ فى المجد ، ومكانة لدى الأمم ، وصولة على الأعداء ، وتقدم فى العمران والحضارة ، وسعى فى خير الانسانية العامة ، وهداية للناس أجمعين . كما عرفت ما أصيبوا به أخيراً من تقلص فى الملك، وتقهقر أمام الأعداء ،وذل وهوان، وتضعضع وانحطاط، وعذاب وتنكيل ... أمة وفيرة العدد، واسعة الأقطار (٢٢٦)،مترامية الأطراف، كانت الدول الكبرى تخطب ودادها ، وتتزلف إليها وتسوق نحوها الجزية صاغرة طائعة ، وتعد نفسها جد سعيدة إذا ظفرت منها بنظرة رضى ،أوكلمة طمأنينة ؛ تصبح هذه الأمة على وفرة عددها وسعة بلادها وغنى أراضيها ، ذليلة فى ديارها ، غريبة فى أوطانها ، قد سلبت أموالها ، ووضع عدوها يده على منافعها وخيراتها ، واعتلى عرشها يملى عليها إرادته ، ويحكم فيها بما تشاؤه نفسه، ويدعوه إليه هواه تصبح ممزقة الأوصال،قد اقتطع أعداؤها أملاكها الواسعة ، وتقاسموا شعوبها الكبيرة ، واعتدوا عليها فى أعز الأشياء لديها: دينها القويم الذى به عزت ، وبإتباعها إياه أخضعت العالم كله .

أربعمائة مليون من المسلمين يشغلون الأقطار التى أقاموا بها يوم كانوا ملوك العالم ورسل الرحمة إلى الأمم ، يصبحون اليوم كما ذكرنا، ولم تغنهم قلة

---

(١) الحكمة : العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ (يوليه / أغسطس ١٩٣٩ م) ،ص ٢٢٥ — ٢٣٦ .

وشهوات نفسية ، ونزعات مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعقول متفاوتة فى الادراك إذا خلوا وأنفسهم ، لا جرم يتيهون فى مجاهل الضلال ، ويخبطون فى دياجير الجهل ، ويقعون فى أحابيل الإثرة ومهاوى المصالح المتصادمة ، فيختل نظامهم ، ويفسد مجتمعهم ، فيظهر بصورة غير الصورة التى رأيناه ونراه عليها . لذلك أرسل الله أنبياءه تترى يدعون الناس إلى الهدى ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم ما به يصلح حالهم فى الدنيا ويسعدون فى الآخرى ، وأنزل عليهم كتباً تشرح واجبات الانسان وتقنن له القوانين الضامنة لحفظ مصالح البشر ، وتضع الدساتير المانعة عن أن يعتدى بعضهم على بعض ، وجعل فيهم الحكماء والمفكرين العاملين على خير الانسانية وسعادتها .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتاباً يمتاز على سائر كتب الله بأنه الخطاب الموجه إلى جميع الناس فى كل العصور منذ بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يأذن (٢٢٨) الله بفناء هذا العالم ، وأنه الشارع لدين عام خالد صالح لكل زمن من الأزمنة ،لا يضيق به زمان ولا ينبوا عن تعاليمه مكان . ثم لما لحق محمد صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة عن ربه،خلفه فى نشر قواعد الاسلام والهداية إلى ما جاء به عن الله العلماء ، الذين عرفوا خطر المهمة الملقاة على عواتقهم فقاموا بها كما أراد الله ورسوله،فصلحت أمة الاسلام ودرت عليهم الخيرات، وأصبحوا فى الأرض حكامها العادلين .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أراد الله ألا يكون بعده أنبياء يتعهدون الناس فى فترات مختلفة يسود فيها الضلال، لأن الاسلام دين عام خالد يصلح لجميع عصور البشرية بعد البعثة . وقد عهد خاتم النبيين إلى أمته بتبليغ الشاهد الغائب ، وحض العلماء على أن يبينوه للناس ولا

وشهوات نفسية ، ونزعات مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعقول متفاوتة فى الادراك إذا خلوا وأنفسهم ، لا جرم يتيهون فى مجاهل الضلال ، ويخبطون فى دياجير الجهل ، ويقعون فى أحابيل الإثرة ومهاوى المصالح المتصادمة ، فيختل نظامهم ، ويفسد مجتمعهم ، فيظهر بصورة غير الصورة التى رأيناه ونراه عليها . لذلك أرسل الله أنبيائه تترى يدعون الناس إلى الهدى ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم ما به يصلح حالهم فى الدنيا ويسعدون فى الآخرى ، وأنزل عليهم كتباً تشرح واجبات الانسان وتقنن له القوانين الضامنة لحفظ مصالح البشر ، وتضع الدساتير المانعة عن أن يعتدى بعضهم على بعض ، وجعل فيهم الحكماء والمفكرين العاملين على خير الانسانية وسعادتها .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتاباً يمتاز على سائر كتب الله بأنه الخطاب الموجه إلى جميع الناس فى كل العصور منذ بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يأذن (٢٢٨) الله بفناء هذا العالم ، وأنه الشارع لدين عام خالد صالح لكل زمن من الأزمنة ، لا يضيق به زمان ولا ينبوا عن تعاليمه مكان . ثم لما لحق محمد صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة عن ربه، خلفه فى نشر قواعد الاسلام والهداية إلى ما جاء به عن الله العلماء ، الذين عرفوا خطر المهمة الملقاة على عواتقهم فقاموا بها كما أراد الله ورسوله، فصلحت أمة الاسلام ودرت عليهم الخيرات، وأصبحوا فى الأرض حكامها العادلين .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أراد الله ألا يكون بعده أنبياء يتعهدون الناس فى فترات مختلفة يسود فيها الضلال، لأن الاسلام دين عام خالد يصلح لجميع عصور البشرية بعد البعثة . وقد عهد خاتم النبيين إلى أمته بتبليغ الشاهد الغائب ، وحض العلماء على أن يبينوه للناس ولا

يكتموه ، وأوجب عليهم تجريد أنفسهم للهداية والارشاد ، وأخبر أن الله سيبعث في أمته رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، فكانت العلماء بهذا هم نور الأمة الرافع عنها سدف الظلام ، والمبين لها طرق السعادة والهناء ، وهم مربوها ومهذبوا أخلاقها ، ومطهروها عن جراثيم الفساد ، وهم قادتها السائرون بها إلى كل خير ، فلا محالة أن الأمة مهما كان علماؤها العارفون بخطورة مراكزهم قائمين بواجباتهم على الصفة التي طلبها الله ورسوله منهم ، ولا محالة أنها سعيدة في دينها سعيدة في دنياها سائرة إلى الإمام حاملة للواء العز والمجد ، لأن قادتها يعرفون كيف يقودونها إلى ميادين السعادة ، وكيف يحولون بينها وبين الوقوع في مجاهل الشقاء والسقوط في مهاوى الشر ، كما يعرفون خطر الاخلاء بالواجب وفداحة الخطب إذا تركوها وشأنها ، أو سايروها على ما تحبه وتهواه .

هذا هو حال علماء الاسلام في دور نهوضه ، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الواجبات ، واتبعوا الشهوات ، فتقهقرت راية المسلمين وأصابهم من (٢٢٩) التأخر والانحطاط ما كاد يقضى عليهم قضاء مبرما ، لولا أفذاذ في عصور مختلفة كانت بهم تقوم الحجة ويهون الخطب ، وها نحن نشير إلى أهم خلائق الكثرة من العلماء في القرون الوسطى والأخيرة .

(العلماء وتهافتهم على المال والجاه)

داء عضال ومرض وبيل أصاب كثيرا من العلماء ، فأفسد أخلاقهم كما أفسد علمهم ، وجعلهم جراثيم قتالة انتشرت في الأمة ففتكت بها ، ألا وهو تسرب حب المال والجاه إلى قلوبهم فصيرهم يتهافتون على المناصب الدنيوية ، والدرجات المالية ، ويسعون في سبيل تحصيلها كل طريقة ،

ويركبون إلى ذلك كل صعب وذلول، ويتلاعبون بالعلم والشريعة الاسلامية كيف شاءوا .

كان العلماء فى صدر الإسلام ينفرون عن القضاء والوظائف الحكومية نفورا شديدا ، ويستترون أو يفرون من أوطانهم إذا طلبهم الولاة لتقليد القضاء خوفا على أنفسهم من التقصير فى واجباته ، وبعدا عن تحمل أعبائه الثقيلة التى قد يسوقهم الضعف البشرى إلى عـــدم الاضطلاع بشيء منها ، واشفاقا من مخالطة بعض أمراء السوء الذين ربما تحصل منهم مظلمة فلا يقدرون على إزالتها . وقد يجمع الوالى لديه جماعة من العلماء ويطلب من أحدهم القضاء فيتدافعونه . ويزعم كل واحد منهم أن غيره أقدر منه عليه، كما كانوا مثال الزهد فى المال والجاه ، والبعد عن الكبرياء والتطاول ، ثم أصبحوا لا يدخلون مدرسة ، ولا يجثون أمام شيخ ، ولا يحملون كتابا إلا طمعا فى الحصول على منصة قضاء، أو كرسى رياسة، وإذا ظفرت يد أحدهم بولاية جعلها ذريعة لجمع المال ، وتكديس أكياس السحت، ووسيلة إلى الانتقام من أعدائه ومنافسيه أو مخالفيه فى المذهب ، حقا إنها لضربة قصمت ظهر (٢٣٠) الاسلام وزلزلت عرش الخلافة ، يقول القاضى التنوخى صاحب نشوار المحاضرة[١] : «كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك أيام بنى العباس القضاء ، فان ابن الفرات وضع منه وادخل قوما بالضمانات .

وقل مثل هذا فى رؤساء الطوائف ومدرسى المساجد وخطباء المنابر ».

---

(١) نشوار المحاضرة كتاب أدبى تاريخى للقاضى المحسن بن على التنوخى ، وكثير من الأدباء والمؤرخين يسمون الكتاب نشوان المحاضرة بالنون وهو غلط وإنما هو نشوار المحاضرة بالراء المهملة . والنشوار بالفارسية جرة الحيوانات المجترة وقد استعمله التنوخى بمعنى الحديث الطيب .

فانه لم يبق لأكثرهم غير الحصول على المال والجاه ، والتقرب إلى الملوك والأمراء ، واستجلاب قلوبهم ليمنحوهم رتبة أو لقبا ، أو ينفحوهم ببدرة من الدراهم أو قبضة من الدنانير .

أنا لا أعيب على العلماء مجرد دخولهم فى القضاء ، فانى أعلم أنه أحد الأركين التى تقوم عليها عروش الممالك ، وبه يتم نظام المجتمع ، ومنه تنبثق أنوار العدل مهما ترسم القاضى طريقة الحق . ولكنى أنكر تهافتهم عليه وجعل أكثرهم إياه أحبولة لاصطياد أموال الناس ، وإفسادهم المملكة الاسلامية بفساد أخلاقهم ، وضربهم بأنفسهم للناس مثالا سيئا فى الخروج من قانون الدين الاسلامى ، والرمى بتعاليمه القويمة وراء الحائط ، فى حال أنهم هداية الأمة وارشادها تجاه الضلال من محل الهدى .

ولقد بلغت القحة ببعضهم إلى أن يضع الأحاديث للأمراء ، ويبيح لهم مالا يبيحه الشرع ، ويفتيهم بغير ما يعلمه عن الله تزلفا إليهم ، وتوصلا إلى ما بأيديهم من المال ، وبذلك سقطت مرتبة العلم وزال ما كان للعلماء من العظمة والمكانة والكلمة المسموعة لدى الملوك والعامة .

(٢٣١)ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

العلماء والمداجاة

تكالب العلماء على المال وحرصوا على الجاه ، فاضطروا إلى مداراة الأمراء ، ومداجاة العامة ومسايرتهم على ما تهوى أنفسهم ، فإذا اقترف الأمير مظلمة ، أو ابتدع العامى بدعة ، لم يجسروا أن يصدعوا بالحق ، ويقوموا زيغ الظالم ، ويزجروا المبتدع عن بدعته ، محافظة على كراسيهم ومناصبهم ، واستجلابا لقلوب العامة كى يتهافتوا على أيديهم وأقدامهم لثما

وتقبيلا ، ويسرعوا إليهم بالصدقات والنذور ، فلم يبق أمام الظالم من يزجره ويثير الناس إذا مال عن الصواب ، ولم ير العامى هادياً وموقظاً يهيب به ويأخذ بيده إلى السنن الأقوم ، فتضاءل نور العدل ، ودجى ليل المظالم ، وانتشرت البدع والخرافات ، وسادت على العقول الأوهام والأضاليل .

كان علماء الدين فى عصور الإسلام الذهبية يقفون بالمرصاد ، ويتتبعون سير الأمراء والعامة ، ويمدونهم بالإرشادات النافعة ، ويشددون النكير على من حاد عن طريق الحق ، ويدققون فى تطبيق الأحكام الشرعية حتى على الخلفاء وأكابر الأمراء ، ويتقدمون إليهم بالنصائح غير هائبين ولا وجلين ، ثم صار علماء الرسوم بيد الملوك آلة يتناولون بها ما يشاؤون ، ووقيعة يمسحون بها أدرانهم ، وبوقاً يسمع العامة أصواتهم ، فضلوا وأضلوا وما كانوا مهتدين .

العلماء والجمود

هذا موضوع طويل الذيول ، واسع النطاق ، عظيم الأهمية ، فإن جمود العلماء لا بل المتسمين بالعلماء من أكبر المؤثرات فى تأخر المسلمين ، وانتشار الجهل (٢٣٢) بينهم ، وسقوط مملكتهم الكبرى ، لذلك أرى إرجاء الكلام إلى مقالة أخرى خاصة به ، ولكن لابد لى الآن من كلمة موجزة فيه :

كان علماء الإسلام يأخذون الأحكام من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويفهمونها على الوجه الذى أراده الله ويطبقونها على الحوادث حسبما هداهم إليه الاجتهاد ، ويعرفون سنن الله فى خلقه ، ويأتون الأمور من أبوابها المشروعة ، ويرحبون بكل نافع ، ويعملون لدنياهم كما يعملون لدينهم ، فجمعوا بين خير الدنيا وسعادة الآخرة كما يطلب الدين

الإسلامى ، وكما تدعو إليه شريعة محمد بن عبد الله . ثم أتى من بعدهم جماعات تسموا بالعلماء وما هم بالعلماء ، فدعوا الناس إلى الإعراض عن تفهم القرآن والسنة ، والجأوهم إلى الأخذ بقول بعض المجتهدين ، وتحزب كل فريق لمذهب المجتهد الذى يدعو إليه ، وحرموا الاجتهاد ، وزعموا أن بابه قد انسد ، وحجروا العقول عن النظر والتفكر والبحث الذى لم تخلق إلا له ، وأحدثوا بدعاً وضلالات ينفر عنها الإسلام ، وألصقوا بالدين ما ليس منه ، ونسبوا إلى الشريعة الإسلامية أقاويل يبصق محمد صلى الله عليه وسلم فى وجه قائلها .. بثوا فى الناس روح البطالة والكسل تحت ستار اسم التوكل ، فتقاعست الهمم ، وقلت الأيدى العاملة ، وكثر المتسولون واللصوص .

علموهم الجبن والخور ، والاستسلام للحوادث وإهمال الاستعداد ، والالقاء بالأنفس والأموال والبلاد إلى التهلكة بخديعة التسليم للقضاء والقدر ، وأفهموهم أن ما يظهر من تغير الأحوال وتقهقر أمور المسلمين أمر لا مرد له ولا يمكن تلافيه لأنه من ضروريات آخر الزمان ، سولوا لهم أن العلم ما حوته دفاترهم الضخمة ، ونطقوا به فى دروسهم الجافة ، وما عداه فهو ضلال وكفر ، فعقمت العقول ، وخمدت القرائح ، وصدئت الأفكار ، وانعكست المدارك ، وضعفت الأفهام . (٢٣٣) ، زعموا أن الدين لا يأمر إلا بالاستعداد للآخرة وترقب الموت ، وأنه ينهى عن السعى فى إصلاح الحياة الدنيا ، وضعفت النفوس واستولى عليها الخنوع والذلة ، وأعرضت عن القيام بشئون الدنيا والسعى فى خيراتها من وجوهها المشروعة ، وأهملت الزراعة والتجارة والصناعة ، وانتشر الفقر بين المسلمين وحرموا خير الدنيا ، لا يتمكنون من نشر دينهم وحفظ بلادهم ومدافعة أعدائهم إلا به ، وحظروا على الناس مخالفة ما ورثوه عن أسلافهم وما تلقوه عن آبائهم فى العبادات والفنون والعادات والهيئات ولو كانت لا يوافق عليها العقل ولا يرضاها الشرع ، فصار عندهم كل شىء يألفونه مقدساً ولو كان مضراً

(والمضر كثير) ، ونفروهم عن كل جديد نافع بدعوى أنه بدعة وكل بدعة ضلالة .

وهل أتاك حديث علماء بخارى الذين ذهب أحد تجار بلدهم إلى روسيا فرأى ما عندها من جيوش منظمة ومدافع ضخمة و و ... الخ ، فلما عاد نصح لأمير بخارى بالاستعداد بمثل هـذه المعدات دفعاً للطوارىء ، فاستصوب رأيه وشرع فى تنفيذه فثار عليه العلماء قائلين : هـذه المعدات بدعة لا نعرفها وإدخالها إلى البلاد تشبه بالنصارى ومن تشبه بقوم كان منهم وألجأوا الأمير إلى ترك ما كان شرع فيه ، فلم تمض آونة حتى زحفت روسيا على بخارى وأخذتها غنيمة باردة فكانت هـذه هى النتيجة من علم أولئك العلماء (المباركين) رضى الله عنهم . وكم هناك من أمثلة يضيق عنها النطاق ... جهلوا سنن الله بخلقه وما بينه القرآن والسنة من نظام الكون العجيب ، وربط المسببات بأسبابها ، فأوحوا إلى الناس أنه يمكن الوصول إلى المقاصد طفرة بدون أخذ بالأسباب التى جعلها الله وصلة إليها ، فتراهم ينهون عن التداوى والمعالجة اعتماداً على همهمة شيخ ، أو نفثة صوفى ، وتراهم يقعدون بالناس عن طلب الرزق والسعى فى تحصيله استغناء بقولهم اللهم ارزقنى ، (٢٣٤) قصروا الدين على أعمال جافة لا صلة لها بالقلوب ، وكلمات جوفاء خالية من الإخلاص ، واعتقدوا أنهم بعملهم قد أدوا كل واجب عليهم . وهكذا دخل الجهود فى كل شىء بفضل أصحاب (الفضيلة) علماء الرسوم (أعاد الله علينا من بركاتهم) . لجنوا على الإسلام جناية كبرى ، وجعلوا أعدائه يرمونه بكل سوء ، ويلصقون به ما هو براء عنه احتجاجاً بالمسلمين على الإسلام ، وظناً إنما عليه المسلمون الآن مطابق لما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حرفياً وما ذلك بصحيح .

من مخترعات العصر الحاضر

(علماء مسلمون إسماً متفرنجون فعلا)

من الواجب علينا بعد أن ذكرنا العلماء الجامدين أن نعرج على (العلماء) المتفرنجين الذين هم من عجائب هذا العصر (كالباخرة والطائرة والراديو والتليفون) ، فإن لهم حظاً كبيراً فى الجناية على الإسلام كأولئك الجامدين، فهنالك جماعة تدعو إلى الثورة على تعاليم الإسلام ، وترشد إلى التجرد عن كل صبغة إسلامية ، وتعلق تقدم المسلمين على رفضهم لدينهم وانخلاعهم من جنسيتهم واندماجهم فى جنسية أخرى ، وتشهر الحرب (ولكن فى فى رؤوسها طبعاً) على كل ما هو إسلامى وعربى وتسمه عنوان الجمود والتأخر ...الخ . فحضرات أولئك الدكاترة وأنصاف الدكاترة لا تقل جنايتهم على الإسلام عن جناية الجامدين ، وسنشير فى المستقبل إلى أقوالهم ونرد عليهم ذلك الهذيان .

العلماء وتفريق الكلمة

كان المسلمون جماعة واحدة غير مختلفة أهواؤها ، ولا متناقضة اتجاهاتها، ولا متفرقة قلوبها بفضل علمائها العاملين . وكان ما يحصل بين العلماء من اختلاف فى فروع الدين لا يفضى إلى التحزب والعصبية واختلاف الأهواء وتفرق القلوب، فلما استعمر حب المال والجاه قلوب العلماء ، واحتل عقولهم، ظهرت فيهم المنافسات (٢٣٥) وسادت بينهم المنازعات والخصومات ، فتحزب كل لمذهبه ، ودعا إليه فرقة من الناس ، وتحمل بعض الأمراء على التمذهب به فى مقابلة بث الدعاية له بين العامة . ثم تفاقم الخطب فصار كل فريق يضلل الآخر ويرميه بالزيغ والابتداع ، وأصبح أهل المذهب الغالب

على بلد أو كورة يعدون على من ساكنهم من مخالفى مذهبهم ، وينتقمون منهم بالضرب والنهب والقتل أحياناً ، وبذلك أصبحت الأمة الإسلامية أحزاباً مختلفة ، وفرقاً متباينة (على الضد مما يدعوهم إليه كتابهم) ، يلعن بعضهم بعضا ، ويضلل أحدهم الآخر ويتربص به الدوائر كما سيأتى شرحه ، والفضل فى ذلك كله لعلماء السوء الذين بذروا الاختلاف والتعصب بين المسلمين .

هذا أظهر أسباب تأخر المسلمين المتعلقة بالعلماء ، ولعمر الحق أن العامل الكبير فيما أصاب المسلمين هم علماء السوء الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتخذوا العلم ألعوبة فى أيديهم ، ووصلة إلى الحطام والسحت . ولعمر الحق أن المسئولية العظمى ملقاة على عواتقهم ، فلولا تقصيرهم فى واجباتهم ما تدهور المسلمون ، ولولا تزلفهم إلى الظلمة والأمراء ما افتاتوا على رعاياهم، ولا ركبوا رؤوسهم فى أعمالهم وإداراتهم ، ولولا مداجاة العامة ما ظهرت فى الدين بدعة، ولا أصابت المسلمين فرقة ، ولولا جمودهم ما غاب الجهل على المسلمين ، ولا نزل الفقر ساحتهم ، ولا انتشر فيهم داء الجبن والهلع، ولا تفشى فيهم مرض الكسل والخنوع ، ولا فتكت بهم ميكروبات الغدر والخيانة والغش وعدم الثقة .

ألا قاتل الله الطمع والتهالك على سفاسف الحطام ورذائل العيش ، فكم من فتكة بكر أوقعها بالمسلمين ودينهم على أيدى جيوشه السود لا بل البيض، جيوشه الذى لا تحمل سيفاً ولا سناناً ولا مسدساً ولا بندقية ، إنها تحمل أقلاماً وألسنة تخط وتقول ما يصب على ظهر الدين ضربات ماضية وطعنات نجلاء ، (٢٣٦) عجز عنها بيض الصفائح وطلقات السلاح النارى السريع ... جماعة كانت منبع النور ، ومصدر الهداية ، ومنشأ السعادة ، وملاذ المسلمين عند الشدائد ، ومآزر الدين ، وموئل الشريعة تصبح بأطماعها وجهلها وغرورها ، مبعث الشرور ومحور الشقاء ، ومنبت الفوادح والكوارث .

إنها للمصيبة التى لم تعد لها مصيبة، وأنها للرزية التى لا تلحق بها الرزايا، وأفظع الشرور ما أتى من موضع الخير .

هذا وإنه لا يفوتنى فى هذا المقام أن أنبه القارىء الكريم إلى ماذكرته آنفاً عن جناية علماء الرسوم على الإسلام إشارات إجمالية استدعاها ذكر عوامل انحطاط المسلمين ، وموعدنا للتفصيل والشرح فى الأعداد القابلة إن شاء الله .

يتبع

احمد عبد الوهاب الوريث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو (١)

— ٥ —

(٢٥٧) القسم الثانى : ما يتعلق بالأمة عامة مما أضعف كيانها وأنزلها من علياء سمائها وأبدلها من قوتها ضعفاً ومن غناها فقراً ، ومن عزها ومجدها استكانة وخضوعاً وذلا ... ولا يغرب عن القارىء الكريم أن التدقيق فى تشريح أمراض أمة كبيرة — كالأمة الإسلامية — وافتراء عوامل سقوطها ، واستقصاء المؤثرات (٢٥٨) فى تدهورها وانحطاط درك مستواها ، ومما يتعذر على الباحث ويبعد عن متناول يده . فتلك الأمة الوفيرة العدد ، المترامية الأقطار ، المختلفة الأجناس ، مرت عليها ظروف

---

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨هـ (أغسطس/سبتمبر ١٩٣٩م) ، ص ٢٥٧ - ٢٦٥ .

متباينة ، وأحوال متفاوتة ، وقرون عديدة ، وتعاورتها عوامل لا ينظمها سلك واحد ، وتسلطت عليها مؤثرات جمة اختلفت باختلاف البلدان ، وتلونت بألوان الزمن والأحوال والمجتمعات ، فمن الصعب إذن — إذا لم يكن من المتعذر استقصاء هذه المؤثرات والإحاطة بكل عامل مهما بلغ من الدقة والغموض ، لذلك إنا نقصد عند الكلام على أسباب سقوط الأمة الإسلامية إلى العوامل العامة والمؤثرات الجلية ، ونشرح الأمراض الفتاكة التي أنهكت قوى المسلمين وحلت عزائمهم وأضعفت عقولهم وأجسامهم معاً .

على أن ما خفي من الأسباب وغمض من المؤثرات راجع إلى ماسنذكر ، وناشيء عنه وتابع له في الوجود ، فنحن إذا اقتصرنا على تشريح المؤثرات الكلية لا نكون بعيدين عن توفية الموضوع حقه . والآن فاقعد إليّ أحدثك عن تلك المؤثرات .

١ — الاعراض عن الكتاب والسنة وإدخال ما ليس من الدين فيه

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مصدر التشريع ومأخذ الأحكام الإسلامية ، وهما قانون المسلمين الإلهي الذي لا تغيير في مواده ولا تبديل ، وهما الدستور الضامن لحفظ مصالح البشر ، الكافل لما تطلبه أحوال الفرد والجماعة على اختلاف أزمنتها وأمكنتها .

كان المسلمون الأولون يرجعون إليهما ويستمدون تشريعاتهم منها ، فالعالم يعمل في كل حادثة بما أرشده إليه ودلاه على حكمة نصاً أو إشارة . والعامي يسأل العالم عما يعلمه منها في الحادثة التي تعرض له ، فيقرأ عليه العالم الآية (٢٥٩) القرآنية أو يروي له الأثر النبوي ، أو يعرفه بما استنبط

منهما أو من أحدهما ذاكراً له دلالتهما على الحكم استنبط ، مطبقاً للحكم على الأحوال الاجتماعية العامة بحسب ما تدعو إليه الظروف والأوساط المحيطة ، فكان العالم والعامى معاً لا مرجع لهما غير القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء . ثم تبدلت الحال فأصبحت الأغلبية الساحقة فى المسلمين يعتمدون على أقوال بعض العلماء ، ويقفون عند ما رسمه لهم من يقلدونه ، ويعتقدون أن الحكم السماوى الذى جاء به الدين هو ما فاه به (المقلد) دون غيره . لا يرفعون رأساً لآية ، ولا يلتفتون لحديث صحيح ، مهما كانت دلالته . وغلت كل طائفة فى متبوعها ، فجعلت الحقيقة مقصورة على أقواله فى التحليل والتحريم والإيجاب والنهى . وجمدت على تلك الأقوال كيفما كانت مكانتها من الصحة أو الفساد ، ووضعته فى مرتبة عليا على فراش القداسة الوثير ، وأحاطته بسياج العصمة الذى لا يقتحمه نقد ولا اعتراض ، ولا يشغره خطأ أو خطل . ونزلت نصوصه منزلة نصوص القرآن والسنة ، بل جعلتها أبعد منالا من التأويل والاحتمال ، فالآية القرآنيةَ والحديث النبوى قد يدخلهما تأويل أو يعقبهما ناسخ أومخصص ، أما كلام ذلك العالم فهو النص الجلى الواضح الذى لا يأول . ولا يجوز أن يحيد عنه أحد ولم يقف الأمر عند هذا ، فقد جاء بعض أدعياء العلم فزعم للناس أنه لم يعد أحد بعد القرن الرابع يستطيع أن يأخذ حكما من القرآن أو الحديث وأن لا طريق لتلقى أحكام الإسلام غير تقليد أولئك الأئمة لا غيرهم ، منادياً بملأ فيه أن : (باب الاجتهاد قد انسد فلا وسيلة لكم أيها الناس إلى معرفة الأحكام الشرعية سوى قرع أبواب التقليد) . حينئذ جمدت الأفهام ، وخمدت القرائح ، وانحطت المدارك ، وتسفلت العقول ، وصار القرآن لا يتلى إلا للاستشفاء أو للنفث على التمائم أو إلى (روح فلان) و (على نية فلان) . أما الأمر الذى لأجله أنزل (٢٦٠) وهو هداية الناس إلى الحق باتباع أحكامه وشفاء الصدر من داء الجهل والضلال فشىء لا يخطر على بال قارىء ولا يدور له على خلد . وصارت السنة لا تدرس ، ولا يرحل

إلى أساتذتها الطالبون إلا لتكثير المشايخ وتضخيم الدفاتر وتحصيل الاسناد العالى ... الخ .

ثم جاء أناس ادعوا لأنفسهم أو ادعى لها غيرهم القداسة ، وأسبلوا عليها ثياب العظمة والجلالة ، وابتدعوا فى الدين مالا يجيزه ، وأدخلوا فيه ماليس منه ، وفرضوا على العامة اتباعهم ، واعتناق بدعهم الضالة المضلة ، وأحدثوا بين المسلمين « الطرق الصوفية » التى تلقى على زعمائها ظلا من ظلال الألوهية، وتصبغهم صبغة ربانية ، وتقعدهم فى مقام الإله الخالق الرازق المعطى المانح القادر المطلق على النفع والضر ، وصيرت زواياهم ورباطاتهم أحياء، وقبورهم أمواتاً كعبات تحج وتقصد ، ويصمد إليها فى طلب الحوائج ، ويتمرغ بترابها ، وتلمن احجارها ، ويدعى أصحابها كما يدعى رب العالمين فى جوف الكعبة ، وعند حجرها الأسود .

تلك الطرق المغرية بالبطالة والكسل، الداعية إلى إرواء الشهوة، والشهوة وحدها ، المنطوية جوانبها على الإباحة المطلقة تحت ستار التصوف الكاذب، وهنالك هدموا ركن التوحيد الذى أقامه القرآن ، وأعادوا روح الوثنية من جديد ، فرموا الإسلام بسهم نافذ أصابه من فؤاده فى الصميم .

سدوا على أنفسهم باب الاجتهاد أى أخذ بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، وتطبيق التشريعات المدنية ، أو ما يسمونه بالمعاملات على منهجهما بحسب ما تدعوا إليه الظروف والأحوال الاجتماعية التى من شأنها التطور والتلون بألوان الزمان. وحجروا على كل فرد أن يميل عما ألفوه فى حالاتهم الدينية والخلقية والاجتماعية ، وقاوموا أشد المقاومة من يحدثه نفسه بالخروج على ما اعتادوه ، (٢٦١) والنكير على ما ابتدعوا فى الدين من بدع سيئة . وحاربوا من سمت همته إلى تلقى أحكام الله عن كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ورموه تارة بالضلال والفسق ، وأخرى بالزندقة

والمروق من الدين، وطاردوهم وألقوهم فى أعماق السجون المظلمة و(الزنازن) الضيقة. وما أخبار بن تيمية وابن القيم ومن يماثلهما بخافية على المطلع.

كل ذلك جعل الكثرة من المسلمين تعرض عن كتاب الله وسنة نبيه، وتبعد عن أحكامهما، وتعتقد فى الدين ما ليس منه، الأمر الذى انحطت معه أحوالهم الدينية والاجتماعية، وتلوثت عقولهم بخرافات وأباطيل حملت إليها جرائم قتالة سقطت بها إلى الحضيض الأقتم، وتركتها بحالة:

تصم السميع وتعمى البصير ويسأل من مثلها العافية

٢ — جهل روح الدين

لم يشرع الله العبادات لمنفعة ترجع إليه فهو الغنى الذى ليس بمحتاج، ولكن شرعها — كأحكام المعاملات لمصلحة الناس ومنفعتهم الروحية والمادية، وجعلها مؤدية إلى فوائد دينية ودنيوية، مهما روعيت تلك الوجهة المقصودة بالتشريع. فكان السلف الصالح من المسلمين يفهمون التشريعات على الوجه الذى أراده الله سبحانه، ويرمون بأعمالهم إلى الأغراض التى نصبها الله موجهة إليها. ثم جاء على أحكام الدين زمن صارت تؤدى فيه، كما تؤدى سائر العادات، وأصبحت كالقشور الجوفاء لا لباب بها، أو كالجثة الهامدة لا روح فيها.

ذلك أن الكثرة من المسلمين لا يفهمون الروح العالية والوجهة المقصودة بالتشريع، ويأتون بالأعمال مجردة عنها، فهم إذا صلوا أو حجوا أو ذكروا الله أو قرأوا القرآن إنما يقصدون أداء الأفعال الظاهرة الجافة، لا صلة لها بالقلوب ولا وشيجة تربط بينها وبين ما شرعت له، وهم إذا فعلوها لم تصدر عنهم إلا كما تصدر (٢٦٢) سائر الأعمال الاعتيادية، ففقدت روحها السامية،

وقصرت عن تأدية هاتيك الفوائد العائدة على فاعليها بالصلاح والنجاح .
ولنضرب لك مثالا تقريبياً يدل على ما وراءه .

شرع الله الصلوة فى خمسة أوقات لتكون صلة بين العبد وربه ، يجدد به التوبة إليه ، وتجعله على اتصال متكرر ، وتبعث فيه قوة روحية دائمة ، وجعلها رياضة نفسية يطهر بها القلب من أرجاس المادية ، وتصقله إذا أصدأته المعاصى ، مع ما فيها من رياضة بدنية يستفيد منه الجسم قوة ونشاط، وعلمهم بأدائها فى أوقاتها المحدودة النظام فى العمل واحترام المواعيد . وشرع الجماعة لتكون رمزاً فصيحاً إلى إئتلاف القلوب واجتماعها وتوجهها نحو مقصد واحد ، كتلة الأجسام القائمة فى صفوف الصلوة المجتمعة كأنها بنيان مرصوص . القاصدة إلى عمـــل واحد ، مستقبلة جهة واحدة ، تعبد رباً واحداً ، كما أن الاجتماع فى المسجد يكون سبباً للتعارف والتواصل واستطلاع الأحوال وتبادل الآراء ، فيؤدى مهمة مؤتمر يومى دائم .

هذه نظرة الطائر إلى حكمة تشريع الصلوات الخمس فى أوقات محدودة ، ومنها تعرف شيئاً من فوائد الصلوة الروحية والمادية العائدة على الفرد والمجتمع بالثمرات الجزيلة . فخبرنى بربك عن المدى الشاسع بين جماعتين : إحداهما تؤدى الصلوة فاهمة للوجه الذى أراده الله ، قاصدة إياه فصفت قلوبها ، وتمحض إخلاصها لربها ، وسرت فى أجسامها قوة كهربائية ترفع رؤوسها ، وتنفخ فيها أرواحاً متوثبة نحو المثل الأعلى ، وتقوى عزائمها فتقتحم الأخطار والمخاوف فى سبيل العزة والسيادة ، مجتمعة قلوبها وأهواؤها كما اجتمعت أجسامها بالصلوة . . أما الأخرى فانها لا تدرى من ذلك شيئاً ولا يهمها إلا أن تؤدى ركعات وسجدات جافة لا روح فيها ولا رواء ، وتقول كلمات جوفاء ولا تفقه لها معنى ولا تمرها على (٢٦٣) قرارة نفوسها ، ولا تبعثها من أعماق قلوبها ، ولا تفهم لغة ذلك الرمز الفصيح فى أعمالها ، صور ومظاهر وقشور لا تجدى نفعاً .

حقاً أقول : ان نسبة هـذه الجماعة إلى الأولى كنسبة الميت إلى الحى ، ومنزلة أعمالها من تلك منزلة المـادة الفاسدة من مادة حيوية قوية فعالة . .

وان شئت مثالا آخر فاسمع :

من الوجهات الشرعية الحج ، الذى فرضه الله على المستطيع من عبادة ليكون له مؤتمراً عاماً تمثل فيه جميع الهيئات الإسلامية ، وترد إليه الأجناس المختلفة فى عروقها النسبية وبلدانها ولغاتها وعاداتها .

فتتعارف وتتواصل وتتساءل عن أحوالها ، وتوثق عرى الصلات الدينية وتأتمر فى الأمور العـامة التى تهم جمهرة المسلمين ، وليشخص لهم الوحدة الإسلامية المرموز إليها بوحدة الكعبة ، والمشاعر الحرام التى يقصدونها ويحجون إليها ، وليكون إشارة ناطقة إلى أن الناس أمام ربهم سـواسية لا تفرقة بين العربى والعجمى، والأمير والمأمور ، والسيد والمسود ، والشريف والوضيع ، ولا فضل لأحد إلا بالتقوى ، إلى غير ذلك من الحكم العالية التى فهمها المسلمون الأولون ، فجنوا ثمراتها الشهية ، وجهلها مسلموا القرون الوسطى والأخيرة فحرموا من خيراتها .

ومن الظريف أن أحدثك بحديث يطلعك على مقدار الجهل بفوائد العبادات . قصدت عام حججت ، ونحن بمنى بعض من جمعتنا وإياه تلك البقاع المقدسة ممن يشار إليه بالبنان فى العلم للزيارة والتعرف به . ولمـا استقر بنا المجلس أخذت أتكلم فى موضوع « الحكمة فى شرعية الحج » ، وعددت منها كونه مؤتمراً إسلامياً عاماً ، فخالفنى حضرة العـالم فى ذلك ، وذهب إلى أن الحج ليس بمؤتمر ، واعتمد فى التدليل لنظريته على أنه لو كان مؤتمراً لأتمر فيه حجاج (٢٦٤) المسلمين فى هـذا العصر ، فأجبته قائلا : ياصاحب الـ ... ان التاريخ يحدثنا بأن العرب فى الجاهلية كانت تجعل أيام سوق عكاظ وأيام الحج التى تخلفها مواسم للتعارف بين قبائلها ، وعقد

المعاهدات وإبرام الصلح بين المتحاربين ، وتحمل ديات القتلى . كما تجعل من تلك الأماكن معرضاً أدبياً تعرض فيه القصائد الرنانة ، والخطب المؤثرة ، وتأخذ كل قبيلة ما عند الأخرى من كلمات لطيفة مقبولة ، وتعابير حسنة ، عالية وأساليب جذابة .. الخ ، ثم جاء الإسلام فأكبر من شأن الحج ، وزاد فيه حكما قويمة ، وكان من أولى فوائد ذلك المؤتمر ان تمكن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبليغ جميع القبائل العربية سورة: «برآءة» المشتملة على كثير من القوانين الدينية والحربية بواسطة ممثلى هيئاتها المختلفة القادمين للحج، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون فانهم كانوا يأمرون ولاتهم وأهل الحل والعقد من رجال الأمة بأن يوافوهم إلى الموسم إذا دعت الظروف إلى الإئتمار وتبادل الآراء . وبعد ، فاذا تقول يا حضرة الفاضل فى قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) انك إذا ألقيت نظرة سطحية على هذه الآية الكريمة وجدتها نصاً فى نظريتى ، أما ترك الحجاج الإئتمار، وتقصيرهم فى الواجب فليس من المنطق السليم أن تدلل به على نفى كون الحج مؤتمراً ، وبعبارة أصح على نفى كون الإئتمار من فوائد الحج المقصود . وغير مفهوم أن يكون التقصير فى الشىء دليلا لعدم قصده ، وبرهاناً على نفى شرعيته . وهنا أطرق حضرته وعاد إلى السؤال عن الحال والمآل كما يقولون .

هذان المثالان يا أخى القارىء يظهر أنك على صورة مصغرة لجهل متأخرى المسلمين لروح الدين ، وفوائد التشريعات ، ويجلوان لك مظهراً من مظاهر الأضرار التى حلت بالمسلمين من جراء ذلك . وهنا أستأذنك فى إنهاء الحديث ترفيهاً (٢٦٥) عليك ، وإلى اللقاء فى العدد القادم .

احمد عبد الوهاب الرويث

الاصـــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو (١)

— ٦ —

(٢٨٩) السلام عليك يا أخى القارىء . لقد آن لى أن أحدثك حديث اليوم ... تفضل فاقعد هنا واسمع :

٣ — تصدع وحدة العقائد وظهور الاختلاف المذهبي

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مرقده الأخير والأمة الإسلامية متفقة فى عقائدها الدينية ، غير مختلفة أهواؤها ، ولا متباينة اتجاهاتها ، قد ساد بينها الاتحاد (٢٩٠) والائتلاف فى كل ما يتعلق بالتعاليم الاعتقادية . كما أنها فى التشريعات الفرعية ترجع إلى مصدرها الوحيد ولم يكن الاختلاف الضئيل الذى يحصل بين الصحابة والتابعين وتابعيهم فى بعض المسائل الفقهية يورث شقاقا ، أو يبعث أعداء ، أو يوغر صدرا ، أو يفرق كلمة ، فكانت كثرة المسلمين كتلة واحدة سائرة فى طريق العزة والمجد والسعادة ، حاملة لواء الهداية التى كلفها بحمله منقذ الإنسانية الأعظم صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا أصاب المسلمين ؟ . .

أصابهم ما صدع وحدتهم ، وبدد نظامهم ، وفرق كلمتهم ، وأضرم نار العداوة بينهم .

ماذا أصابهم ؟ ! ..

---

(١) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨هـ «سبتمبر/ أكتوبر ١٩٣٩م » ، ص ٢٨٩ — ٢٩٧ .

كابوس مميت ووباء أصفر انتشر بينهم فغير الأجواء ، وفتك بالأجسام، وتسرب إلى العقول والقلوب، فباعد بينها، وغير اتجاهاتها، وعكس مداركها، وجعل هذه الجماعة تنظر إلى تلك نظرة القلى والشنآن ، وتشعر نحوها بعداء مرّ شديد الفاعلية، وتظهر لها بين جنبيها بغضا وحقدا تلتهب ناره ،وتتمنى لها أعظم مصيبة ونكاية .

اختلفت العقائد الأصولية ، وبعبارة أدق اختلفت وجهات النظر فى بعض مسائل الاعتقاد ، فنشأت الفرق الكلامية ، وتعددت الأحزاب ، وتفرقت الجماعات ، وأخذ كل فريق يجادل الآخر ويناضله ، ويفرض عليه بعنف اعتناق آرائه والرجوع إلى مبادئه فتأججت بذلك نار البغضاء . وكان الساخطون على الاسلام يمدون تلك الاتانين[1] الملتهبة بالحطب الجزل ، وينفخون فيها بملء أفواههم ، أملا (٢٩١) فى القضاء على الإسلام باضرام نار العداوة الجهنمية بين أبنائه . فعلا نجحوا بعض النجاح ، إذ أصبحت كل فرقة من الفرق الكلامية تكفر الأخرى ، وتحكم عليها بالمروق من الدين ، وتتخذ التكفير باللازم مركبا وطيئا تتوصل به إلى النكاية بغيرها ، واشفاء غلة صدرها بابعاده عن حظيرة الدين ، ورميه بكفر التأويل وإجراء أحكام الكفرة الفجرة عليه ، واستباحة قتل الرجال وسبى النساء والأطفال ، وانزال كل كارثة به مهما عظم أمرها وجل خطبها، وحدثت من جراء ذلك مآس فاجعة ، ومعارك دامية ، ووقائع محزنة ، وهذه كتب التاريخ تحدث عن المحنة الشديدة التى قام بها المعتصم والواثق العباسيان ، وعن فتكات محمود بن سبكتين بالمعتزلة باغراء بعض الفقهاء الملازمين لبلاطه ، وعن الثورات التى كانت تقوم بها طوائف الأشعرية والحنابلة والمسماة بالحشوية ،

(١) جمع أتون وهو المحل الذى يوقد فيه .

مصيبة أشدد بها من مصيبة حلت بالمسلمين ، فباعدت بينهم ، وقطعت صلاتهم، وأضعفت قواهم ، وقصرت خطاهم، وسلبتهم كل خير ، وشجعت عليهم أعداءهم ، وصارت موطن ضعف ، وثغرة فى السياج الاسلامى ، يتصور منها الأعداء للتفريق بين المسلمين .

سم زعاف خدر الأعصاب ، وعكس المدارك ، وقلب الأحداق لجعلها ترى الصديق عدوا والعدو صديقا ، وأوجد فى البيئة الإسلامية عقلية مثل عقلية قاضى سجستان الذى كان يمر بمسجد لطائفة غير طائفته المذهبية فيقول : (أما آن لهذه الكنيسة أن تغلق) ثم سعى لدى الولاة حتى أقفل المسجد فعلا . وأمثال ذلك التلميذ الفارسى الأهوج الذى قال كلمته الخبيثة فيما رواه الأستاذ الجوهرى فى تفسيره . قال : حدثنى (دوارد بروان) الإنجليزى المستشرق الشهير أن الحكومة الإنجليزية وكلت إليه أمر البحث فى أمة الإسلام ، أيمكن اتفاقهم أم (٢٩٣) هو محكوم عليهم بالتفرق والإنحلال، قال : فتوجهت إلى بلاد الترك والفرس أيام السلطان عبدالحميد، وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة (لأنه يغلب على الفرس المذهب الاثنى عشرى) وسمعت تلميذا صوفيا يقول : لقد حاربت بسيفى مع الروس ضد الترك ، وأنى أفضل الرومى على التركى لأنه من أهل السنة ... وغير ذلك من الحوادث الجمة التى لو فسحنا لأنفسنا المجال فى سرد شطر منها لطال الشوط ، وملأنا الصحائف العديدة، وها نحن أولاء نرى المستعمرين كل ما حاولوا التفرقة بين المسلمين توطئة لتطبيق برنامجهم الاستعمارى عمدوا إلى الاختلاف المذهبى ، وضربوا على وتره ، وأهابوا بفريق على آخر لأنهم يعلمونه موطن ضعف المسلمين ، وسبب تخاذلهم المفضى إلى استسلامهم وسقوط بلادهم فى يد عدوهم الأزرق من حيث لا يشعرون .

مصيبة أشد بها من مصيبة حلت بالمسلمين ، فباعدت بينهم ، وقطعت صلاتهم ، وأضعفت قواهم ، وقصرت خطاهم ، وسلبتهم كل خير ، وشجعت عليهم أعداءهم ، وصارت موطن ضعف ، وثغرة فى السياج الاسلامى ، يتصور منها الأعداء للتفريق بين المسلمين .

سم زعاف خدر الأعصاب ، وعكس المدارك ، وقلب الأحداق فجعلها ترى الصديق عدوا والعدو صديقا ، وأوجد فى البيئة الإسلامية عقلية مثل عقلية قاضى سجستان الذى كان يمر بمسجد لطائفة غير طائفته المذهبية فيقول : (أما آن لهذه الكنيسة أن تغلق) ثم سعى لدى الولاة حتى أقفل المسجد فعلا . وأمثال ذلك التلميذ الفارسى الأهوج الذى قال كلمته الخبيثة فيما رواه الأستاذ الجوهرى فى تفسيره . قال : حدثنى (دوارد بروان) الإنجليزى المستشرق الشهير أن الحكومة الإنجليزية وكلت إليه أمر البحث فى أمة الإسلام ، أيمكن اتفاقهم أم (٢٩٣) هو محكوم عليهم بالتفرق والإنحلال ، قال : فتوجهت إلى بلاد الترك والفرس أيام السلطان عبدالحميد ، وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة (لأنه يغلب على الفرس المذهب الأثنى عشرى) وسمعت تلميذا صوفيا يقول : لقد حاربت بسيفى مع الروس ضد الترك ، وأنى أفضل الرومى على التركى لأنه من أهل السنة ... وغير ذلك من الحوادث الجمة التى لو فسحنا لأنفسنا المجال فى سرد شطر منها لطال الشوط ، وملأنا الصحائف العديدة ، وها نحن أولاء نرى المستعمرين كل ما حاولوا التفرقة بين المسلمين توطئة لتطبيق برنامجهم الاستعمارى عمدوا إلى الاختلاف المذهبى ، وضربوا على وتره ، وأهابوا بفريق على آخر لأنهم يعلمونه موطن ضعف المسلمين ، وسبب تخاذلهم المفضى إلى استسلامهم وسقوط بلادهم فى يد عدوهم الأزرق من حيث لا يشعرون .

ويحسب قوم فى التعصب رشدهم ... وما أخر الأقوام غير التعصب
وماذل قوم أبرموا وحدة لهم ... وإن لم يكونوا ينتمون إلى أب
ولا أوجسوا من تهدد خيفة ... وإن جاءهم فى هجمة المتأهب

٤ — إهمال مبدأ التضحية بالنفس والمال

لاتسود أمة ولا تستطيع أن تحفظ بعزها وكرامتها إلا إذا جعلت التضحية بالأرواح والأموال فى سبيل المصلحة العامة مادة أساسية فى منهاج سيرها ، وعنصرا حيويا تحافظ عليه كما تحافظ على موارد قوتها الأولية . وأية أمة قصرت فى هذا المبدأ القويم ولم تعطه من الأهمية ما هو جدير به ، لابد أن يتقوض بنيانها (٢٩٤) وينهار صرح مجدها ويحكم عليها بالفناء والموت فناء الحياة الذليلة وموت العيش الخانع .

فما العيش إلا أن نموت أعزة ... وما الموت إلا أن نذل ونكرما

وبين يديك الأمة الإسلامية التى مر عليها دوران مختلفان : دور عزة ورفعة ، ودور خضوع وذلة ، فانك إذا أرسلت طرفك مفتشا فى طيات تاريخها وجدت التضحية - وقد كانت من أجلى صفتها — عاملا فعالا فى تقوية كيانها وبناء سلطانها ومجدها فى دورها الأول ، والفيت إهمالها ذلك المبدأ وتخليها عن تلك الصفة العالية معولا هداما شديد الأثر فى هدم صرح ملكها السامى ، وثل عرشها العظيم فى دورها الأخير .

كان المسلم لايبالى بنفسه تذهب ولا بماله يفنى فى سبيل الله وسبيل مصلحة الإسلام ، يتقدم إلى ميادين الجهاد مسروراً مغتبطا بما تحدثه به نفسه من الاستشهاد والرواح إلى دار الحياة الخالدة ، فيزج بها بين الصوارم والرماح ، ويتلقى كل ما يصيبه بالغبطة والارتياح ، يطلب الموت لنفسه ليحيى الإسلام

ويعز ، ويستعذب التعذيب لتكون كلمة الله هي العليا ، ينفق المال في كل ما من شأنه تشييد أركان الدين وحفظ المصلحة المشتركة بين أبنائه ، ولا يبخل به عن ذلك مهما عظم أمره وضخم مقداره .

وإليك فصلا وجيزاً من خطاب عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذى ألقاه أمام المقوقس — المندوب السامى فى مصر من قبل القيصر - وهو مثال جزئى يصور لك روح التضحية السائدة بين المسلمين الأولين قال : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا الذى تخوفنا به ، بالذى يكسرنا عما نحن به (٢٩٥) وإذا كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما نكون فى قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا أن قدمنا عليه أن قتلنا عن آخرنا كان ذلك أمكن لنا فى رضوانه وجنته، وما شىء أقر لأعيننا وأحب لنا من ذلك ، وأننا منكم حين اذن لعلى إحدى الحسنيين أما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا أن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وأنها أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا . وما من رجل منا إلا ويدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة . وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا ... إلخ . وتأمل تلك الكلمة الخالدة التى كان يقولها البطل الخالد المخزومى لأعدائه : قد جئناكم بقوم يحبون الموت كما يحبون الحياة . واسمع الجندى المسلم الشاعر يعبر عن جند الإسلام تعبيرا صحيحا إذ يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى

ووقائع بدر وأحد والخندق وحنين ومؤته وتبوك والقادسية ونهاوند وأجنادين واليرموك وبلخ (وقعة حاسمة بين قتيبة بن مسلم والتركمان) وشريش (معركة طارق مع الأسبان) والزلاقة (معركة يوسف بن تاشفين

مع الأسبان أيضاً) وغيرها من مواطن انتصار الإسلام ، كل تلك الوقائع صور رائعة من تضحيات المسلمين بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله وسبيل مصلحتهم العامة . وتواريخ الفتوحات مملوءة بأخبار البطولة الإسلامية التى لا تعرف شحاً بالنفس ، ولا بخلا بالمال . وليست تضحيتهم بالنفس والمال مقصورة على القتال فى ميادين الجهاد ، ولكنها كانت فى كل خير يعود على المسلمين بالصالح العام ، وفى سبيل الله الذى دعى العباد إليه سبيل النفع والمصلحة المشتركة . هكذا كان المسلمون فى قرونهم الأولى .

والآن هيا بنا يا أخى القارىء نرجع القهقرى إلى القرون الوسطى فنشاهد مسلميها ونرى سير أحوالهم ، ثم نعود أدراجنا إلى القرون الأخيرة فنفتش عن فضيلة التضحية (٢٩٦) وننظر هل نرى لها فيهم أثراً ... لقد فعلنا ورجعنا بهذه النتيجة المشئومة وهى : أنهم فقدوا روح التضحية ، واستولى على نفوسهم الجبن والهلع ، وتمكن فيهم داء الحرص والبخل .

شحوا بأنفسهم عن بذلها فى سبيل الدين ، فى سبيل نصرة الحق المبين ، فى سبيل حماية أوطانهم ومنع المعتدين عليها ، والمنتهكين لحرماتها ، والقاهرين لأهلها على الذل والاستعباد . . شحوا بها عن تجريدها لخـــدمة القضية الإسلامية الكبرى بما للخدمة الصادقة من وسائل ، فلم يغامروا بها فى العلم النافع ، واقتباس الفنون الحديثة ، واكتشاف أسرار الكون وعجائب الطبيعة ، ثم يعودوا إلى أوطانهم الإسلامية فيقوموا بجلائل الأعمال ، وأفضل الخدمات بنشر معلوماتهم بين اخوانهم ، وتطبيقها فعلا على ما هى وصلة إليه .

بخلوا بأموالهم عن إنفاقها فى سبيل الله ، فلم يتبرعوا بها لإمداد المجاهدين وتسليحهم بأحدث السلاح وتزويدهم بأكمل عدة ، ولم يساعدوا بها المنكوبين ويخففوا بها بعض ما نزل بهم ، ولم يقيموا المستشفيات والملاجىء ودور الأيتام والمقعدين ، ولم يجهزوا بها الأساطيل الضخمة لتحرس ثغور البلاد

الإسلامية فى وقت أصبحت فيـــه القوة البحرية من مقومات حياة الأمم الاستقلالية ، ولم يقيموا بها المدارس العالية والثانوية والكتاتيب الأولية ، فيطاردوا بها الجهل الذى أصبح الداء الدوى فى المسلمين ، ويحاربوا الأمية الضاربة أطنابها فى أقطارهم ، لم يفعلوا كل ذلك على الوجه الذى يضمن استرداد سيادتهم الغابرة .

أهمل المسلمون مبدأ التضحية ، وجهلوا أو تجاهلوا واجبهم نحو الصالح العام، وضنوا بأنفسهم وأموالهم عن بذلها فى سبيل العزة والكرامة ، سبيل الحياة الطيبة والسعادة العامة ، وأصبح كل لا يهمه غير خاصة نفسه ، والعمل على مصلحته (٢٩٧) وتنمية ثروته وتحسين حالته ، غير رافع إلى القضية الكبرى رأساً ، ولا معير للمصلحة العامة أى اهتمام ، فوتعوا فى هوة الشقاء والهون ، وتدحرجوا إلى بؤرة الذل والاستعباد . وهكذا شأن من أضحى إلهه هواه ومصلحته الخاصة محرابه وكعبته : (سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصـــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو[1]

— ٧ —

٥ ــ التخاذل وموت الشعور الأخوى

(٣٥٢) من أهم عوامل تأخر المسلمين مادياً وأدبياً وأسباب تكالب

---

(١) الحكمة : العدد ١٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شوال ١٣٥٨هـ (نوفبر / ديسمبر ١٩٣٩م) ، ص ٣٥٣ — ٣٦٣ .

الأعداء على أوطانهم تخاذلهم واحجامهم عن التناصر وإعراضهم عن مساعدة من نكب من إخوانهم بالأنفس والأموال .

(٣٥٤) فبينما كان المسلمون الأولون إذا انتابت إحدى بلدانهم نائبة ، أو نزلت بجماعة منهم كارثة ، أو هاجم أحد ثغورهم البعيدة عدو ، اعتبروا ذلك فى الصميم من بجموعهم ، وتسابقوا إلى مساعدة المنكوب ، ومدافعة العدو ، وقدموا أرواحهم وأموالهم ثمناً لحماية المصلحة المشتركة ، واستماتوا فى سبيل صد النوائب المهاجمة ، عارفين جد المعرفة بأن البلاد الإسلامية وطن واحد لا مفرق بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، وأن المسلمين جسد واحد : « إذا أصيب عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » فهم لذلك يحمون كل الثغور ، ويدافعون عن أى بلد ، ويحسون إحساساً شديداً بما أصاب أى مسلم . . كانوا يتقاطرون إلى الثغر الحربى أين كان من كل وجهة ، ويرفعون علم الجهاد المقدس فى وجه كل عدو مهما كان جنسه وبلده ، ويضربون النفير العام لإنقاذ أى قطر من أقطارهم ، وتتقاذف أمواج المتطوعين إلى أى ميدان للجهاد ، آخذين بأعنة خيولهم كل ما سمعوا هيعة طاروا إليها فى إحدى أيديهم المصحف وفى الأخرى السيف .

يتسابقون إلى الفتوح كأنهم فوق السروج رواسخ الأطواد
يتراوحون ملاءة الفتح الذى أعلى به الإســلام أى عماد
فمشى الغزاة الفاتحــون ولم يقف بطريقهم فى الخافقين أعادى
واستبطن التاريخ للإسلام من غرر الفتوح إلى الفخار هوادى

بينما كانوا كذلك ، إذ أصبحوا بعد لا يهم أحدهم من أمر الآخر شىء ، ولا يبالى سكان بلد أو قطر بمـا أصاب إخوانهم فى البلد أو القطر الآخر : يسمعون بالكوارث تحل بأبناء دينهم ، وبالخطوب تتوالى عليهم وتعركهم عرك الأديم ، وتدمر الأخضر واليابس فلا تتأثر لهم نفس ، ولا يتحرك

لهم قلب ، ولا يتغير لهم حال ، ولا يحدثون أنفسهم بمديد المساعدة نحو اخوانهم ، ينظرون عدوهم الأجنبي (٣٥٥) عنهم في الدين والجنس يرسل على صقع من الأصقاع الإسلامية خميساً عرمرماً قد جهزه بأحدث السلاح وأضخم المدافع ، وأشد الآلات النارية تدميراً ، فيقتل الرجال والأطفال ، وينتهك الحرم ، وينسف البيوت ، ويهلك الحرث والنسل ، ثم لا يتأثرون لمناظر اخوانهم المحزنة ، ولا تسمح نفوسهم بأى نوع من أنواع النصرة : يضنون بأرواحهم ويبخلون بأموالهم جاهلين أن الدفاع عن اخوانهم دفاع عن أنفسهم وعمل للصالح العام .

وأفظع من ذلك وأنكى ، إنا نرى الأمر يتجاوز التخاذل السلبي إلى سعى بعض المسلمين ضد اخوانهم ، وانضمامهم إلى صفوف الأعداء ، وتجسسهم على بلادهم لمصلحة الأجنبي وإرشاده إلى عوراتها ، وتعبيد الطرق أمامه ، وتذليل الصعوبات التي قد تقف له حجر عثر . وما ذلك الأمر بالخفى ، فمن المسلمين كثير في جنود العدو ، ومن المسلمين سماسرة للإستعمار ، ومن المسلمين مطايا للاحتلال ، ومن المسلمين جواسيس للأجنبي ، ومن المسلمين من يؤيد المستعمر وينصره ويتشدد في مطالبه فوق تشدده (وهنا يجب أن نذكر مارقى فلسطين وخوارج سوريا طبعاً) . لعمر الحق : إن تخاذل المسلمين جر عليهم ويلات شديدة ، وأوقعهم في سلسلة خطوب لا يزالون بها حتى الساعة ، ولا يبرح يوقعهم في الخطوب إذا لم يهبوا من نومهم ويفيقوا من غفلتهم . وإلا فقل لى بربك : أى مانع يصدهم في الحالة الراهنة عن إحياء الجامعة الإسلامية ، واسترداد ماضى مجدهم وغابر سلطانهم ، ومنع كل عدو أن يقوم به الغرب نحو دينهم وأوطانهم .. أى حاجز يحول بينهم وبين رفع النير الاستعمارى الموضوع على عاتق جمهرتهم ! ... أى أمر جعلهم ينظرون إلى مآسى فلسطين وسوريا والمغرب أقصاه وأدناه مكتوفي

الأيدى مقيدى الأرجل ، ورقم عددهم من أضخم الأرقام ، وثروتهم تزيد عن (٢٠٦) المقدار الذى يتمكنون به من العمل ؟

لا شك أنك وكل عاقل يجيب بأن هذا الأمر ، وذياك الحاجز ، وذلك المانع ، هو التخاذل ... التخاذل ... التخاذل ، وكفى .

٦ ـ ضعف الأخلاق وفسادها

متانة أخلاق الأمة : من عوامل نهوضها وأسباب لمعان نجمها فى سماء المجد ، فإذا ضعفت أخلاقها وتسفلت سماتها ، فقدت كل خير كانت تحويه يدها :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

ففساد الأخلاق فساد للحياة الطيبة، ومدعاة للشرور ، ومجلبة للكوارث، بل موت أدبى يقضى على الحياة الحقة ، حياة العزة والنبالة ، حياة الهناء والسعادة :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتمـاً وعويلا

كانت الأمة الإسلامية المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة ، والسجايا الطيبة، والشمائل العالية ، قد تحلت كل طبقاتها بأنبل الصفات التى يجب أن تكون عليها ، واتسمت بالفضائل الرافعة لصاحبها إلى قبة الفلك ، وقبة الشرف والمجد.

ونرى من الواجب أن نشير إشارة سريعة إلى مجمل أخلاق طبقات الأمة فى صدر الإسلام ، ونقابل بينها وبين أخلاقها فى عصور الانحطاط .

فالأمراء والقادة كانوا مثلا عليا فى (١) الشورية ومبادلة أهل الحل والعقد الآراء (٢) وفى الإخلاص للمصلحة المشتركة ، واعتقاد إنما ألقى على عاتقه من الولاية هو لإقامة شريعة الله وإعلاء كلمته ، وتنفيذ أوامره وإصلاح شئون عباده (٣) وفى الشعور بالمسئولية الكبرى حتى يقول أحدهم : لو ذهبت للمسلمين شاة على شاطىء الفرات لكنت المسئول عنها.

(٤) وفى التواضع، وسماحة (٢٥٧) الأخـــلاق، ودمائها، والتحلى بالديمقراطية الخالصة، والبعد عن مظاهر الكبرياء، والانقياد للنصيحة الغالية، والرجوع إلى الحق، فكان الأمير يمشى وحده، ويباشر حوائجه بنفسه، ويلبس المرقعة وفروة الصوف، وينام على التراب بلا حارس، ويصبح ويمسى متردداً على منتديات الرعية ومساجدهم وأسواقهم، فيتصل به الكبير والصغير والقوى والضعيف والرجل والمرأة وكان يقول: وليتكم ولست بخيركم، إنما أنا بشر منكم ولست بخير من أحد منكم، فراعونى فإذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى وإن رأيتمونى زغت فقومونى، ويقول آخر خطيباً: من رأى فى اعوجاجا فليقومه، فيجيبه رجل من عرض الناس، لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فقال الخليفة: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بســـيفه. (٥) العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه، فيستوى فى نظر الأمير الشريف، والوضيع، والقوى والضعيف، ويقف الكل أمام عدله على سواء، ويقول: القوى عندى ضعيف حتى آخذ منه والضعيف عندى قوى حتى آخذ له، وينصف من نفسه ومن خاصته وأحب الناس إليه. (٦) اليقظة الشديدة والعناية بأمر الرعية فكان يتفقد شئونهم عامها وخاصها، ينظر فى قيادة الجيوش ومواقع الحروب وأحوال الجند، كما ينظر فى خاصة أمر العجوز والأرملة واليتيم، ويدور على بيوت المغيبات بالقرطاس والدواة ليكتب لهن إلى أزواجهن المرابطين فى سبيل الله، ويشدد الرقابة على عماله ويحول بينهم وبين ما قد تدعوهم أنفسهم إليه من اعوجاج، ويسمع شكوى أحد الرعية فى عامله فينصفه منه، كما أنه لا يترك الرعية يفتاتون على العمال ويلوثون أعراضهم كذباً وافتراء، يهمه من أمر الواحد ما يهمه من أمر الجماعة. (٧) وضع الأموال العامة فى موضعها وترجيح الصالح العام على غيره. (٨) تشجيع العلماء على تحصيل العـــلم (٢٥٨) ونفع الناس به، ونشره واقتناء كتبه، وتشجيع كل صناعة نافعة، ونثر الأموال وإزجاء البذر

فى سبيل ذلك . (٩) إقامة الأحكام الشرعية والسير على السنن الأقوم ، والخضوع لقوانين الدين ، وطهارة الذيل عن كل ماينافى الشرف والمروءة ويضاد العدالة الدينية ، والعزوف على ما من شأنه أن يحط من مقام الإمارة ، أو يهتك حرمة الولاية ويسود وجهها .

هذا أهم أخلاق الأمراء الفاضلة . أما طبقة العلماء المصلحين فقد أغنانا عن ذكر أخلاقها المقال السالف ... أما السواد الأعظم من الأمة الإسلامية فقد كان ذا صفات نبيلة وأخلاق عالية ، إذ كان يسود بينها الصدق والوفاء والشجاعة والصراحة والأمانة والإخلاص وقوة العزيمة والجد والاعتماد على النفس والصبر والمثابرة ، كل بحسب مايزاوله وباعتبار ماوضعه المجتمع على كاهله من الأعمال . ولا حاجة بنا إلى إرخاء عنان القلم فى شرح هذه الفضائل ، وتفصيل اتصاف الأمة الإسلامية بها فى دور نهوضها ، فالأمر جلى لا يستدعى البيان .

والآن فلنذكر خلائق الكثرة من المسلمين فى دور الانحطاط بادئين بالطبقة الحاكمة .

بينما كان الأمراء فى عصور الإسلام الذهبية يتحلون بتلك الصفات الشريفة والفضائل العالية ، إذ أصبحوا بعد على الضد منها — إلا من رحم ربك — فأصبح الأمير لا يلتفت إلى شورى ، ولا يصغى إلى رأى سديد ، يعمل ما توسوس به نفسه أو يوحيه إليه شياطينه الحافون به ، وغلمانه القائمون على رأسه ، أو الخصيان وطواشية الدور ، وربات الخدور ، وكثيراً ما يسيطر على الملك جارية حسناء ، أو مغنية مجيدة ، أو يأخذ بزمامه غلام محبوب ، أو خصى مقرب ، فيرفع ويخفض ويولى ويعزل ، ويحل ويعقد بحسب هواه وأغراضه ... فقدوا الإخلاص من قلوبهم (٣٥٩) وصاروا

لا يفهمون من معنى الولاية غير كونها وسيلة لإرواء الشهوة ، وتنمية الثروة ، والتمتع بمظاهر الغطرسة والجبروت .

فقدوا الشعور بالمسئولية الملقاة على عواتقهم ، فأصبحوا لا يبالى أحدهم بآلاف من المسلمين تقتل ، وأقطار من بلدانهم تؤخذ ، وأسراب من نسائهم وأطفالهم تؤسر . تسلط داء الكبرياء على رؤوسهم واستولى مرض العناد والإعجاب بالنفس والرأى على قلوبهم ، فبعدوا عن فضيلة الانقياد للنصيحة الغالية . وكان أحدهم يهدد من قال له اتق الله بالقتل ، ويعد نفسه أعلى من أن تنقد أعماله أو يتطرق إليها الخطأ ، ويضعها فوق متناول العقول والأذهان . ويضرب بينه وبين الناس حجاباً كثيفاً لا تخرقه الأوهام ولا تنفذه أشعة الأفكار . ويفرض عليهم أن ينثروا حول اسمه الألقاب الضخمة المعبرة عن منتهى العظمة والعلو ... آثروا الجور على العدل ، والباطل على الحق ، وتهافتوا على مصالح أنفسهم . وأعرضوا عن تفكر شئون رعاياهم . اتخذوا عباد الله خولا ، وأموالهم نهباً مقسما . يعطون من شاءوا ما شاءوا ، ويمنعون أولى الناس العطاء ، ويحملون خاصتهم على رقاب الناس ، ويحكمونهم فى أموالهم وأعراضهم . قد يئس الضعيف من عدلهم ، فترك حقه ضعفاً عن المطالبة وعجزاً عن المقاومة ، وأمن القوى من الانتقام ، فبسط يده على ما امتدت إليه عينه ، أصبحت تجور عمالهم فتضع من الخراج الباهظ ما يحمل الفلاح ينكر ملكه ، ويزعم أن ما بيده هو للرئيس فلان أو للقائد فلان تعززاً بجانبه وفراراً من الظلم إلى حماه . وتأخذ الولاة ضياع بعض الفلاحين اغتصاباً ، فيضطر الفلاح المسكين إلى تسليم ما على ضيعته من الخراج محافظة على بقاء اسم ملكيتها له . يحتجن أحدهم أموال المسلمين وفيئهم ويبددها ذات اليمين وذات الشمال ، وينفقها فى بناء القصور ، واقتناء الضياع والمتنزهات ، وشراء الجوارى والقيان ، وتعمير مجالس اللهو (٣٦٠) والغناء ، وإشادة مسارح الترف والقصف ،

وتوفير ملذات النفس المادية ، وإشباع الشهوة البهيمية ، ويدع فقراء المسلمين يتضورون جوعا ، ويتخذون من أديم الأرض فرشاً ، ويلتحفون أشعة الشمس وتجاليد الظلام عرياً وإعداما . ويترك الجندى بلا رزق فيضطرون إلى إشعال نار الثورة ، والاعتداء على مزارع الفلاحين ، ومخازن التجار ودور المثمرين ... ، ينفق الأموال فى شهوات نفسه ، وملذات أهل قصره ، ويصبح بيت المال خالياً معدماً لا يجد ما ينفقه فى تحصين الثغور وتقوية المصالح وتعزيز قوة الجندية ، فإذا داهمه عدو وجد الأبواب مفتحة ، وطريق إكتساح البلاد معبدة .

أفسدوا الأمة بنكوصهم عن سنة الشريعة المحمدية ، وبعدهم عن الخضوع لقوانينها ، فترى أحدهم لا يبالى بأحكام الدين ولا ينفذها فى خاصة نفسه . ولا يعرج عليها بعمله ، فيتظاهر بالإعراض عن الواجبات الدينية والتهتك ، والانغماس فى الرذائل ، وتعدى حدود المروءة ، وخرق ستار العفة ، فيقتدى به خاصته وحاشيته وتبعهم غيرهم حتى يشمل الأمر غالب رعاياهم فتضعف فيهم روح الدين ، وتفسد أخلاقهم ، ولا خير فى أمة فسد دينها وتسفلت أخلاقها ...

حاربوا العلم والحكمة ، وطاردوا علماء المعقولات ونبغاءها ، وضايقوا المصلحين توهماً أنهم خطر على السلطة ، أو إرضاء لغوغاء العامة وسفلة الجهال ، فكم من حكيم كبير ، وفيلسوف بارع ، ذهب عمله ضحية عربدة الولاة ، أو صخب العامة . ولا يغرب عنا خبر ابن رشد وابن حبان البستى وابن الهيثم وابن الاقليلى الأندلسى وعبد السلام بن عبد القادر الجيلى وغيرهم . ولا ننسى ابن تيميه وابن القيم فى القرن السابع ، وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومحمود حمزة فى فجر القرن الرابع عشر ، وغيرهم ممن لا يساعدنا المقام على ذكره .

(٢٦١) تباعدوا عن بنى دينهم ، ومال كثير منهم إلى الأجنبي ، وطلبوا منه النصرة على إخوانهم ، وركبوا رؤوسهم فى الانتقام من بنى جنسهم ، وآثروا العدو البعيد عنهم جنساً وديناً على إخوانهم ، وانخدعوا بوعود الأجنبى الكاذبة ، وأقواله الزائفة ، التى كشفت لهم الحوادث عن بطلانها ، واتخاذ العدو إياها وسيلة لتدليلهم كما يدلل الجازر الشاة عندما يقودها إلى المذبح . ولطال ما جرت على المسلمين هـــذه الفادحة مصائب شديدة ، وفواجع أليمة ، فما مملكة الأندلس إلا من ضحاياها ، وما كثير من مآسى الحروب الصليبية ومذابح التتر إلا أثر من آثارها . وها نحن نرى فى هذه القرون الأخيرة عدداً كبيراً من ملوك المسلمين وأمرائهم وزعماء شعوبهم ورؤساء قبائلهم ينزعون أيديهم من أيدى إخوانهم ، ويترامون فى أحضان الأجنبى الذى لا يفتأ أن تسنح له الفرصة فيلتهمهم جميعاً ، فيصيحون ويولولون ، ويندمون ولات حين مندم ...

تلك صورة لخلائق القادة والزعماء فى عصور التأخر ... أما دهماء المسلمين فبعد أن كانوا متحلين بتلك الأخلاق الفاضلة انعكس الأمر ، وتسرب الفساد إليهم ، وفقدوا الخلق المتين الذى به عزوا .

ساد بينهم التلون وإخلاف الوعود ، فترى التاجر والصانع والزارع والعامل والجندى والخادم ... الخ يكذب فى حديثه ، ويتلون كالحرباء ، ولا يفى وعد قطعه على نفسه .. يكذب التاجر فى أثمان تجارته ونوعها وقدر ما يفرضه من الربح على المشترى ، ويكذب الصانع فى صنعته ويخلف وعود إنجاز عمله ، ويسوف من يوم إلى آخر ويمل (زبائنه) أو بعبارة يمنية (عملاءه) بكثرة التردد إلى محله بلا جدوى ، ويكذب الزارع فى حاصل الأرض وما يتعلق به ، ويكذب العامل فى عمله ويغش مستأجره ويتهاون بما وكل إليه ، وهكذا قل فى كل ذى مهنة .

(٢٦٢) ساد بينهم الجبن والتقاعس وأحجموا عن المغامرة الجريئة التى كانت تفيدهم كثيراً ، وفقدوا روح الشجاعة والتضحية كما أوضحناه فى فصل سالف .

سادت بينهم المداجاة الممقوتة ، وأصبح كل يرى من أخيه مالا يحسن أن يكون ، فلا يصارحه بالحقيقة ، ولا يلوى على النصيحة الصادقة التى قوامها الصراحة الحقة . كثر فيهم داء الغش والخيانة . فحرموا الثقة التى كان يتمتع بها سلفهم ، والثقة رأس المال للتجارة الرابحة ، وقوام الحياة الاجتماعية والاقتصادية. تسرب إليهم الضعف والخمول فانحلت عزائمهم، وخارت قواهم، واستولى عليهم العجز والكسل ، وآثروا القعود على النهوض. وفضلوا الراحة على العمل ، ووكلوا كليات الأعمال الاقتصادية إلى غيرهم . فأصبحوا عالة عليه فى كل المواد الحيوية. وجعلوا من أوطانهم أسواقاً للأجنبى، يبتز فيها أموالهم، ويجرف ثرواتهم ، ويستغل كنوزهم وخيراتهم ، ويعود بها إلى بلاده فيستخدمها فى وسائل إخضاعهم ليقضى عليهم وعلى ثرواتهم القضاء المبرم .

وفى مثل هذه البوتقة تحلل سائر خلائق الجمهرة من المسلمين فى دور الانحطاط ، ويرحم الله شوقى إذ يقول :

وإذا ما أصاب بنيان قوم ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وهى خلق فإنه وهى أُس

ولقد أحسن الأستاذ محمد رضى الشبيبى فى قوله :

وإذا أراد الله رقدة أمة ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ حتى تضيع أضاعها أخلاقها
ملك الضلال زمامها فإذا حبت ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ أو أمسكت سبب المعالى عاقها
رأت العدالة لا تروق لعينها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فتلمست فى الليل ظلماً راقها
عجلت على البلوى فساقت نفسها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ للموت أو عجل البلاء فساقها
ماعذر طائفة أضاعت مصرها ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ أن لا تضيع شآمها وعراقها
(٣٦٣) برزت وقابلها الزمان بسيفه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ فأطن ساعدها وعرقب ساقها

رحماك اللهم أيقظ أمة الإسلام .

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصـــلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو[1]

— ٨ —

٧ — نزع السلطة الادارية والعسكرية من أيدى العرب وقبض العناصر الغريبة على زمامها

(٦) عرف القارىء الفاضل مما أسلفناه جملة من أسباب تقهقر المسلمين، وهنا نشرح له عاملاً كبيراً من العوامل الهادمة لصرح المجد الإسلامى ، ونعرض عليه بعضاً من الأغلاط التاريخية التى ارتكبها جماعة من ذوى السلطة العليا فى الحكومة الإسلامية ، وبعض مؤسسى الأسر المالكة فيها :

مما لا يحتاج إلى بيان أن الدين الإسلامى قام على أكتاف العرب فى جزيرتهم ، ترعرع وبين ظهرانيهم درج وشب ، ومن أفقهم سطع نوره ، وبزغت شمسه ، فأضاءت المعمورة ، وعرف الناس طريق السعادة . وبدعوتهم وإرشادهم فهمت الأمم الإسلام على وجهه ، فسارعت إلى الدخول فيه أفواجاً ، وبجهادهم وتضحياتهم عز جانبه ، وعظم سلطانه ، وامتنع حماه عن أن تمد إليه يد عدو حقود ، أو منافس عنيد ، وبسيرتهم العادلة ، وأخلاقهم الفاضلة ، ومعرفتهم الروح الإسلامية والتعاليم المحمدية جد المعرفة ، وتطبيقهم إياها على حسب الأحوال والظروف ، قدروا أن

---

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى القعدة ١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ / يناير ١٩٤٠م) ، ص ٥ — ٨ .

يسوسوا الأمم التي حكموها . وتلك السياسة الحكيمة البالغة في النظام والدقة ، وحفظ مصالح من يحكمونه وتأمين أحواله جمعاء شأوا بعيداً ، لم تستطع أن تصل إليه أو تقاربه أعرق الأمم في الحضارة والعلم وأعلمها بالقوانين على اختلاف أوضاعها ، الأمر الذي جعل سكان الأرض المفتوحة يؤثرون أبناء البادية ، وأفلاذ كبد الصحراء القاحلة ، ورعاة الإبل، وأصحاب حمائل السيوف الليفية ، على أبناء بزنطية وإيران وسلائل الرومان والإغريق وأحفاد أفريدون وسلسان ذوي الحضارة والترف والنعمة والرخاء ، وأصحاب الجيوش المنظمة ، والأعتدة الوافرة ، يؤثرون السلطة العربية لأنها عادلة ومنظمة ، يمثلها رجال مخلصون لدينهم ، قادرون على انتهاج الخطة التي وضعها لهم كتابهم ونبيهم ، مترسمون خطى المنقذ الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فتمكنوا من إدارة الأقطار الواسعة ، وأحسنوا سياسة الأمم المختلفة (٧) وضبطوا المملكة الإسلامية ضبطاً محكماً ، وأصلحوا الفاسد ، ورتقوا المفتوق ، وبسطوا فراش الهناءة والراحة لجميع رعيتهم على اختلاف طبقاتها ، ورفعوا اللواء الإسلامي فوق كل لواء ، وقبضوا عليه بأيدي حديدية لا يستطيع أحد مهما عظمت قوته إضعافها ، فعزوا وأعزوا وما كانوا مستضعفين .

كان ذلك يوم أن كانت السلطة الإدارية والعسكرية بأيدي العرب : فمنهم الولاة والقواد ، ومنهم الوزراء والقضاة ، ومنهم الجنود المرابطة في الثغور والعواصم ومنهم ... ومنهم ...

ثم ماذا ؟؟ .

نشأ رجال ذوو مطامع كبيرة ، وأنفس تسمو إلى السيطرة والملك ، وآخرون يطمحون إلى أغراض شخصية خاصة كان يقف أعداؤهم أو

منافسوهم أمامها سداً مانعاً عن الوصول إليها ، فرأى كل أن يحقق مطامعه، ويتوصل إلى أغراضه وأهوائه بالاحتزاز والانتصـــار بالعناصر العربية الأعجمية التى كانت خاضعة للنفوذ العربى الإسلامى ، ومن تلك العناصر من لم يسلم ومنها من هو قريب عهد الإسلام ، ومنها من ينطوى على دغل وخبث نحو الدين الحنيف ، ويحاول كل ما فى وسعه قلب النظام الإسلامى رأساً على عقب ، والقضاء على السلطة العربية قضاء مبرماً . وفعلا اتجهت أنظار أولئك الرجال صوب استفزاز هاتيك العناصر وإثارتها على أعدائهم أو منافسيهم — وهم من العرب طبعاً — وألفوا منها جموعاً كبيرة ، وجيوشاً منظمة ، جعلت تناوىء العرب وتنازعهم السلطة حتى انتزعتها من أيديهم ، وبسطت نفوذها على كل المصالح الدولية فى حكومة الإسلام واستأثرت بها عنهم ، وتحققت أحلام الطامعين والمغرضين زمناً ما ، ولكنها ما عتمت تلك العناصر أن انقلبت ودبت على رؤوسها مطامع شخصية ، وتسرب إلى صدورها حب الاستبداد بالملك ، وهو (٨) الانفراد بالنفوذ ، فعادت حرب على أولئك الذين استفزوها ، وجمعوا شواذها ، وأخذوا بناصرها، ومكنوها من مقاليد الخلافة ، وألقوا إليها أزمة السلطان، عادت حرب عليهم ، وكشرت لهم أنيابها ، وكافأتهم فى أعقابهم « جزاء سنمار » ، وأصبحت خطراً شديداً ليس عليهم فقط ، ولكن عليهم وعلى الدين الإسلامى ، وذلك لأن منها من اعتنق الإسلام عن إيمان وتصديق ولكنه لم يكن عرف الإسلام معرفة صادقة ، ولم يتشرب روحه السامية ، ولم يفهم مبادئه حق الفهم — كما كان العرب — وما برحت تقاليده الأعجمية ومعتقداته الوثنية السالفة مؤثرة فيه حاكمة عليه ، فاعتلى منصة الحكم بجسم إسلامى تسيطر عليه روح أعجمية وثنية ، وهنالك لم يستطع أن يعمل ما يعمله العرب الفاهمون للإسلام ، بل تصرف تصرفا أعجميا وثنيا ينافى

التصرف الإسلامى ويناقضه ، فدخلت فى الإسلام اعتقادات وأوضاع ، وتسربت إليه عادات وخلائق ، تخالف تعاليمه على خط مستقيم كما يقولون .

ومن تلك العناصر من دخل فى الإسلام متظاهراً ، لأنه رأى الملك والسلطان بأيدى المسلمين ، فتذرع إلى تحقيق أطماعه باعتناق الإسلام ، وأخذ يعمل ويحرك الحبائل تحت ستار الإسلام المزعوم حتى إذا ما وجد الجو ملائماً ، والفرصة سانحة ، ظهر بأسراره ، وثار فى وجه الحكومة الإسلامية ، وبعبارة أصح شهر السيف فى وجه الإسلام داعياً إلى محاربته وتقويض دعائمه . وبتصرف أولئك ومحاولة هؤلاء خلقت مشاكل إسلامية كانت غاية فى التعقيد ، وأصيب جسمه بضربات قاسية أضعفت روحه ، وأوقفت سيره ، وكانت أشد المعاول أثراً فى هدم صرحه العالى ، وثل عرشه المجيد .

(للبحث بقية) ا . ب . ع . الوويث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو (١)

— ٨ —

٧ ــ نزع السلطة الادارية والسكرية من أيدى العرب وقبض العناصر الغريبة على زمامها أيضا

« تمام ما قبله »

(٣٢) نعم نشأ أولئك الرجال وعملوا على إضعاف العنصر العربى وسلبه السلطة سعيا فى سبيل مطامعهم ، وتنفيذاً لخططهم ، فارتكبوا أخطاء

(١) الحكمة : العدد ٢ السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م) ، ص ٣٣ — ٣٩ .

كبيرة جاءت (٣٤) بالمعضلات والنكبات المتوالية على الإسلام ، ولنذكر لك أمثلة من ذلك تجلى الموضوع ، وتكمل البحث :

كانت الدولة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين وأيام الحكم الأموى دولة عربية صرفة ، وكان قد انضوى تحت لوائها من العجم أمم كثيرة كانت ذات سلطان وملك قضى عليهما الإسلام ، فنزعت نفوس جماعات منها إلى استعادة ملكها الذاهب ، فشرعت تعمل فى الخفاء ، وتدس العداوة والبغضاء بين العرب ، وتبذر بذور الاختلاف ، وتثير النعرة العصبية بين القبائل ، وتتوصل إلى غايتها بكل وسيلة تحت أسماء مختلفة ، وعلى صـــور شتى ، وبأساليب خفية ، تضلل بها العقول ، وتستر بها نواياها وأهدافها الحقيقية . وكانت تنتهز لذلك كل فرصة تلوح ، وتلون دعاياتها بألوان المناسبات التى تعرض لها ، فما شرع محمد بن على بن عبد الله العباسى يبث دعايته ضـــد الحكومة المروانية التى كانت تمثل السلطة العربية وقتئذ ، حتى تلقت تلك الجماعات رسائله ومنشوراته ودعاته بالترحاب ، وهرعت إلى تأييده والتبشير بمبادئه ، فاعتمد محمد عليها ومنحها ثقته واطمئنانه ، ورأى فى العجم الآريين خير نصير على أعدائه . وأعظم عون على تطبيق بروغرامه السياسى .

مات محمد ، وخلفه ابنه ابراهيم المعروف بالإمام ، فكان أشد من أبيه تعلقا ووثوقا بالعجم ، وأعظم كراهية للعرب . وأن فى وصيته لأبى مسلم الخرسانى الآرى لأوضح دليل على ما ذكرنا فقد قال فيها : (... وانظر إلى هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فى أمره منهم ، ومن كان فى أمره شبهه ، ومن وقع فى نفسك منه شيء ، وإن استطعت أن لاتدع بخراسان لسانا عربيا فافعل فايما غلام بلغ خمسة أشبار وتتهمه فاقتله) .

من هذه الكلمات السود يتضح لك الأساس الذى قامت عليه الدولة (٣٥) العباسية وهو محاربة السلطة العربية ، وهدم كيان العرب والاعتزاز بالعجم

واحلالهم المحل الذى كان يشغله العرب فى حكومة الإسلام ، وإضعاف الروح العربية السائدة فى ذلك العصر . وفى الأخير انتهت تلك المعارك بانتصار العباسيين ، فكان فى مغزاه انتصارا للعجم على العرب ، وأصبح العنصر العجمى متمكنا فى الدولة ، وبمقدار تمكنه كان يتقهقر نفوذ العرب. وفى عهد الرشيد تفاقم الأمر وزاد ، تسلط الآريين على الدولة ، فقبضت الأسرة البرمكية على أعنتها ، ولولا تلافى الرشيد للأمر بالقضاء على البرامكة لأصبحت الدولة فارسية بكل معانى الكلمة ... تولى الأمين الخلافة وتوترت العلاقات بينه بين أخيه المأمون ، ووقف كل منهما نحو أخيه موقف العدو المحارب . وكان المأمون ينزع إلى الفرس وهم يميلون إليه ويدعونه (ابن اختنا) ، فلما توسعت شقة الخلاف بين الأخويين ، وأعلنت الحرب ، وتزاحف الجيشان : الجيش العربى الضعيف القوى يقاتل عن الأمين ، والجيش الآرى يحقق النوايا الفارسية فى صورة الانتصار للمأمون . وبسقوط الأمين وقتله تضاعف النفوذ العجمى ، وزاد خطره ، تضعضعت أركان العرب فتقهقرت أحوالهم أكثر من ذى قبل . ثم جاء دور المعتصم فكانت الغلطة الكبرى ، والفادحة المنكية ، والضربة القاضية ، ذلك أنه ارتآ أن فى استمرار سلطة العرب وبقاء كثير من مصالح الدولة بأيديهم ما يتناقض مع مصلحته وتوطيد دعائم سلطانه ، وأن الخير فى إسناد ما يتولاه العرب إلى غيرهم من الأمم الآرية والطورانية واختمرت هذه الفكرة السوداء فى مخيلته ، فانصرف إلى تنفيذها ، وأخذ يكثر من شراء المماليك الأتراك والفرغانية والأشروسنية حتى حصل لديه منهم جموع جمة ، فألبسهم المناطق وقلدهم السيوف ، وجعلهم جنده الذى يعتمد عليه ، وأسقط العرب من ديوان الجند ، ومنعهم العطاء من العواصم (٣٦) والولايات ، وأصبح جند الخلافة لفيفا من عناصر مختلفة ، كما أن المعتصم فتح للأتراك باب السيطرة على الأمة ، ووكل إليهم تدبير شئون المملكة وإدارة أعمال الولايات ، فلم تمر أزمنة غير طويلة حتى (غدا الدخيل بعد حين أصيلا وسقطت الأصول وقامت بدلا عنها الفروع وآض المصطنع

سيدا مسوداً ورجع العظيم يتعثر فى أذيال الذل) . وأضحت الخلافة العباسية ألعوبة بأيدى الجهلة المتغلبين والمستبدين الطامعين من الأتراك والموالى الأعاجم فمزقوها شر ممزق ، وأقاموا على أنقاضها دولهم كالسامانية والبويهية والغزنوية والسلجوقية وغيرها ، وأقصوا العرب عن الأمر وإدارة الأعمال وصرفوهم عن الوظائف ، كما أنهم حكموا البلاد حكما أعجميا متشبعا بروح الوثنية التى كانوا عليها، فأضعفوا الدين الإسلامى، وألصقوا به ما هو براء منه، وأفسدوا المجتمع الإسلامى على اختلاف طبقاته ، وأدخلوا عليه عادات وخلائق لا يرضاها القرآن ، ولا يقرها محمد صلى الله عليه وسلم .

أضف إلى هذا ، الثورات الموجهة نحو الإسلام التى كان يقوم بها رجال آريون أو طورانيون واجدون على الدين الجديد ، حنقون على خلفائه وملوكه. فقد بدأت فى عهد المنصور العباسى إذ ثار سنباذ الفارسى فى خراسان ثم ظهر فى أيام المهدى الأعور المقنع وأتباعه من الفرس وزعموا أن قوة الله حلت فى آدم ، وانتقلت إلى أبى مسلم ، وأخيرا حلت فى المقنع نفسه ، وألهوه ودافعوا عنه جيوش الحكومة ، وبقوا يردونها ويقاومونها أربع سنين . وفى ولاية المأمون نجم بابك الخرمى بجبال طبرستان ، واستعجل أمره ، وهزم جيوش المأمون مرارا ، وبقى إلى أيام المعتصم الذى أرسل له الجيوش مترادفة ، فهزمها . ثم بعث إليه الافشين أحد قواده الأتراك فحاربه مرات وأخيراً قبض على (٣٧) بابك وقتله المعتصم بعد أن كبده غرامات فادحة . ثم أتى دور طه الأفشين التركى الذى قامت البراهين للمعتصم على كراهته للاسلام ، وإثارته التركمان ضده، وسعيه سراً فى تأسيس امبراطورية طورانية تشاد على أطلال الامبراطورية الإسلامية ، فحكم السيف فى عنقه ... إلى آخر تلك الحملات التى كان الأعاجم يرمون بها إلى هدم كيان الإسلام وتقويض دعائم العرب. ولسنا فى حاجة إلى تتبعها وسردها فى هذه العجالة ، فهى مجهولة عند المطلع على تاريخ تلك العصور .

بهذا يتضح للقارىء ما جره نزع السلطة من يد العرب ، ونقلها إلى العناصر المختلفة على الإسلام من الانحطاط والتدهور ، وما صبه على المجتمع الإسلامى من الانحلال والضعف .

وما ننس لا ننس ما أنتجته تلك الغلطات المرذولة من اضعاف الروح العربية الوثابة ، وإفساد حياة العرب الأدبية . فإنهم بعد أن أبعدوا عن الرياسة والجيش ، وأفقدهم الأعاجم صـــولة الحكم ، أعاضوهم عن ذلك بالاصطناع من جهة الصدقات والاحسان حتى ذابوا فيهم ، وتغلبت على لسانهم الرطانة الأعجمية ، وتسرب إلى نفوسهم الضعف والوهن ، ودب إلى أخلاقهم الفساد (وليس من طبيعة الغالب أن يكف عن المغلوب ـــ حين يتسلط عليه — أو يسعفه بالانفلات من شركه بل يجد فى تمويهه وتمويعه وإذابة ما كان يتحصن به من اباء وخلق كريم) . وقد ظهرت آثار عملية العجم فى أخلاق العرب وآدابهم ، إذ استعاضوا عن أدب القوة ، والفلسفة الواقعية ، والنبرات العالية القوية ، التى كانت تفيض بعزة الفاتح ، وإعجاب الناجح ونشوة المنتصر ، وإن كان فيها نبرات ضعف ونغمات استكانة فهى نغمات الحزب الذى غلب على أمره ، أو المحب الذى برح به الحب وأحرقت (٣٨) جوانحه جذور الوجد ، أما ماعدى هؤلاء ففخر وإعجاب وهجاء فى فى أعلى مراتب القوة ، استعاضوا عن ذلك كله بالرخاوة التى تلازم المرتزقين والمصطنعين عندما يشعرون بالخيبة والانكسار ، فصار أدبهم — وهو ظل الحياة ـــ أدبا ضعيفا . إذا نظرت إليه نظرة استقصاء وجدته بين باك على مصائب الدهر ، ومادح للولاة وذوى الثروات استجداء وطلبا للمال . ومستهتر يصف استهتاره ومجونه وصفا عنيفا . إذا كان يرضى الفن فهو لا يرضى الروح . وكل ذلك أدب مائع خال عن القوة والمتانة . بعيد عن الآداب العربية فى صدر الإسلام وعهد السلطان العربى . وكما سادت الرخاوة على

الأدب . فقد سادت على أخلاق العـــرب . فضعفت وتسفلت واصطبغت بالصبغة الأعجمية .

ولعلك تقول : ماهي الملابسة بين الآداب والأخلاق العربية وبين مجد الإسلام أو انحطاطه ؟ وأية مناسبة بين شرح عوامل تقهقر المسلمين وذكر نتائج تسلط الأعاجم وأثره في أدب العرب وأخلاقهم ؟ .

والجواب أن الأخلاق العالية والأدب القوى يؤثران فى روحية الأمة ويوجهانها توجيها خاصا نحو المجد والعز ، فاذا سفلت أخلاقها وإن ماع أدبها استولى عليها الخنوع والذلة . ومما لا يقبل الشك أن الإسلام قام على أكتاف العرب وبهم عز وانتصر . فاذا أصيب العرب بكارثة فهى فى الصميم من الاسلام .

إذن فالحكم الأعجمى إذ أثر فى أدب العرب وأخلاقهم ذلك الأثر السيء قد أنزل بالإسلام — فى التالى — أضراراً قبيحة الأثر طبعاً .

إن العرب حماة الإسلام ومادته القوية ، إذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت العرب ذل الإسلام ، فلا ضعف الإسلام ولا انكمش ظله إلا من اليوم الذى أذلت فيه العرب ، ولا نهوض للمسلمين بل ولا للشرق الأدنى والمتوسط (٣٩) فى الحال الحاضرة إلا إذا رأينا الأمم العربية تتضامن وتنهض كتلة واحدة للدفاع عن كيانها ومجدها ، وتعمل جادة على الأخذ بوسائل الرقى السريع ومجاراة الأمم الناهضة ، وتكافح فى سبيل إحياء الجامعة الإسلامية كما كانت أولا ، تنصرف إلى تطبيق تعاليم الإسلام فى جميع مناحى حياتها وبذلك تضمن مصلحتها ومصلحة المسلمين بل وبنى الإنسانية أجمعين .

(يتلى)　　　　　　　　　　　　　　　　أحمد بن عبد الوهاب

في سبيل الإصلاح

ماضي المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو[1]

١ — ٩

(٩٧) انتهى شوط قلم زميلنا الفاضل رحمه الله فيما كتبه بهذه المجلة تحت هذا العنوان[2] عند الكلام على عامل كبير من عوامل الضعف والانحطاط كان له أثر (٩٨) كبير في تأخر الأمة الإسلامية وانحطاطها، وذلك هو الإسفاف في الأدب، وتفشي اللكنة والرطانة في لغة العرب، وأشار إلى أن منبع الداء تغلب الأعاجم وسيطرتهم على العرب أيام الحكومة العباسية فما بعدها. وعلة ذلك أن العرب لما فقدت سلطتها السياسية إنماع أدبها، وتغلبت الرطانة الأعجمية على لغتها، فنتج عن هذه المقدمات انحطاط المسلمين وتأخرهم، لأن العرب هم حماة الإسلام ومادته وقادته، فإذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت ذل الإسلام.

ولا شك أن العرب جرثومة الإسلام ودعامته ومصاصه وجوهره وبحبوحته ومعدنه بل سنامه وذروته، وأثافيه وبنيانه، وأن العروبة والإسلام صنوان لا يفترقان، حياة أحدهما مرتهنة بحياة الآخر، لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام، فهما كجناحي

---

(١) الحكمة: العدد ٤، السنة الثانية، المجلد الثاني، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م)، ص ٩٧ — ١٠٢. «هذه المقالة بداية مقالات الإصلاح بقلم أحمد المطاع».

(٢) وقد عثرنا على مقالة تحت عنوان نهضة الإسلام الحاضره سننشرها فيما يأتي إن شاء الله.

الطائر إذا هيض أحدهما انخفض الآخر ، بلغتهم الكريمة نزل القرآن الوحي الإلهي ، وبها نشرت تعاليمه العالية ، ومبادئه القوية بين الأمم المختلفة، والملل المتباينة ، فكانوا مبعث النور وحملة الرسالة ، وناشروا أعلام الحضارة فى العالم بأسره ، وكل مسلم مدين لهم ومحسوب عليهم .

بهم تربعت الأمور أحقابا ، فى ظل سلطان قاهر ، وذرى ملك ثابت ، وعز غالب أخضع لهم من الأمم رقابها فاخترقوا صفوفها ، واختطوا ديارها، وألقت إليهم الممالك أزمة أمرها ، فلاؤوها نوراً وعدلا ، وأوسعوها كمالا وفضلا ، وأسسوا بكل قطر دخلوه ملكا واسعاً وحكما مطاعاً .

خلفوا الأمم الكبرى على أكثر المعمورة ، فقاموا بالأحكام وضعاً وافتراعا ، وأظهروا فى كل جلل زماعا ، حتى أوشكوا أن يعربوا العالم بأجمعه بفضل ما نشروه بلغة القرآن من آداب وثقافة ، وعلوم وحضارة أنارت الأفكار (٩٩) وحولت مجرى الحياة . قال بعض علماء الغرب[١] فى كتاب له سماه « مكان العرب تحت عين الشمس » (قل أن تجد أمة اتسعت لها رقعة من الدنيا بقدر ما اتسعت للعرب ، وقل أن ترى أمة أفاضت على العالم بألوان ثقافتها وبدائع لغتها ما أفاض العرب ، حتى لقد كان من جراء ذلك أن سمى قبيل من الناس بالعرب مع أنهم ليسوا أعرابا من ناحية الجنس لكنهم اقتبسوا العادات والتقاليد العربية ونطقوا باللسان العربى فاعتبرته الناس من ثمة عربا ، وليس كالعرب أمة من الأمم التى تحررت وعملت على إيجاد كيان مستقل لها ، لها ماض منقطع النظير ، وحاضر يدعو إلى العطف والبر ، ومستقبل فسيح رحب) .

هذه لمحات سريعة تشير إلى مكانة العرب من الإسلام ، ومكانة لغتهم الشريفة من القرآن : كتاب الله الذى أنزله هداية للعالمين .

---

(١) إسم هذا العالم رتشارد كوك .

ومنها يتجلى (معنى إذا عزت العرب عز الإسلام) الخبر ، ولكن كيف تسربت الرطانة إلى لغتهم الكريمة ؟ ومتى ظهرت العجمة في أساليبهم المشرقة الرائعة ؟ وما الذى أحال برود آدابهم المفوفة الفضفاضة إلى خلقان مهلهلة بالية ؟ وأدخل في لغتهم المتدفقة بالحياة والقوة والبلاغة وحسن البيان ما دنس صفاءها ، وكدر محياها ، من عبارات ملتوية ، ولغة ركيكة ، وألفاظ سخيفة ميتة ؟! .

حتى كانت تصبح كقدح الراكب في مؤخرة القافلة ، عاجزة عن مجاراة حضارة العصر ، ومخترعات شئون الحياة ، بعد أن كانت لغة الدين والدولة والعلم والأدب والمنطق والفلسفة والاجتماع .

ولم تزل في حمى الإسلام في كنف سهل ومن عزه في منزل خصب
(١٠٠)حتى رمتها الليالي في فرائدها وخر سلطانها ينهار من صبب
وعاثت العجمة الحمقاء ثائرة على ابنة البيد في جيش من الرهب
يقوده كل ولاّغ أخي إحن مضمخ بدماء العرب مختضب
لم يبق فيها بناء غير منتقص من الفصيح وشملا غير منقضب
كأن عدنان لم تملأ بدائعه مسامع الكون من ناء ومقترب
مضت بخير كنوز الأرض جانحة وغابت اللغة الفصحى مع الغيب

وهل يصح أن نقول أن تلك الأمراض الفتاكة انتشرت أوبئتها من تمكن العجم واستيلائهم على مناصب الحكم وقيادة الجيوش أيام الحكومة العباسية فما بعدها كما أشرنا إليه أول هذا المقال ؟؟ أم نقول أن اللغة مثل الحياة ، ومن لازم الحياة الحركة والتغيير ، وإن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل الألسنة والأقلام كان لها أثرها في التصحيف والتغيير والتبديل والتحريف والعجمة واللكنة ، وأن هذه العوامل والمؤثرات لم

تكن وليدة العهد العباسى أو ما بعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والاستيلاء على ممالك العجم فى صدر الإسلام .

وهنا لا بد لنا من إلقاء نظرة إلى الحركة الفكرية المتصلة بتاريخ لغتنا العربية قبل الإسلام إلى أن طغت عناصر الفساد عليها وأحدثت فيها ما تقدم آنفاً .

كانت لغة شمال الجزيرة قبل البعثة تتقدم بخطوات سريعة إلى منصة السيادة العامة على جميع أصقاع جزيرة العرب ، وكانت تستمد قوتها ونشاطها من اللهجات المجاورة لها والبعيدة عنها بعد أن ابتلعت لهجات جنوب الجزيرة وتغذت بها ، كما أنها لم تحجم عن التهام ما اتصل بها من آثار لهجات حكومات (١٠١) شمال الجزيرة وغيرها من الأمم السامية الموغلة فى القدم .

ولم يكن النفوذ السياسى والدينى للدولة الرومانية والفارسية والحبشية المتغلغل فى أعماق البلاد العربية فى أواخر القرن السادس الميلادى مانعاً لتقدم لغة الشمال فى تلك الأنحاء ، ولا اضمحلال الأسر وتفكك الوحدات واختلاف الديانات فى الجزيرة صاداً لها عن الانتشار والاقتباس من البلاد المجاورة أثناء رحلاتهم المشهورة للإتجار أو الغزو والوفادة ، فكانت الأساليب الأعجمية تتسرب إلى العربية بواسطة ذلك الاختلاط .

وقد ظهر أثر هذا الاختلاط جلياً فى شعر عدى بن زيد العبادى شاعر البلاط الكسروى ، وأمية بن أبى الصلت الثقفى وغيرهما من شعراء الجاهلية .

كما أن عدة كلمات فارسية وعبرانية وآرامية ونبطية وحبشية ورومية وكلدانية وسريانية استساغتها لغة الضاد ولا تزال، تلك الكلمات تمت إلى

أصلها الأول بصلة متينة ورباط وثيق ، وقد عنى علماء اللغة من المسلمين وغيرهم بهذه الكلمات وبحثوا عن أصولها ومصادرها ومشتقاتها ، ولا سيما وكثير منها قد نزل به القرآن كما أورده العلامة السيوطى فى كتابه : « الإتقان فى علوم القرآن » وقد نص علماء اللغة على عربية ما ورد من ذلك القبيل وإن كان يرجع إلى أصل غير عربى لأنه صار باستعمال العرب الفصحاء له عربياً : راجع ما كتبوه فى أبحاث التعريب .

وقد أوردنا ما تقدم فى سياق سير اللغة فى مدارج التاريخ ، ولم نقصد أن تلك الأساليب نفسها ساقت اللغة إلى هوة الفناء بل نقول : إنها زادت فى ثروة اللغة ورقيها ، وسنلم بأمراض العجمة التى أفقدت العرب عزهم ، ولاشت قوميتهم ، وتركتهم كالخليط المنبوذ فيما يأتى إن شاء الله تعالى . كما أنا سنوضح (١٠٢) أن القرآن الكريم والسنة الغراء يعتبران من أعظم كنوزها وأن العصر العباسى أيضاً زادها نمواً واتساعاً وأنه بحق يعتبر العصر الذهبى فى تاريخها .

احمد بن احمد المطاع

فى سبيل الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

نهضة الإسلام الحاضرة

(مناشئها وعواملها ، وأقوال علماء الغرب فيها ، ورأينا فى ذلك)[١]

— ١٠ —

(١٢٦) لعلنا بعد كتابة الفصول السابقة قد أظهرنا قراءنا على صورة

---

(١) الحكمة : العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ربيع الأول ١٣٥٩هـ (أبريل/ مايو ١٩٤٠م) ، ص ١٣٦ — ١٤١ .

واضحة للاسلام فى دور نهوضه الأول ، ثم فى دور الانحطاط ، ومثلنا أمامهم عوامل كل من الدورين تمثيلا إجمالياً يشخص لهم — ولا شك — الأسباب التى أدت إلى السقوط ، وقادت العالم الإسلامى إلى الهوة العميقة التى وقع فيها . ومن الواجب علينا — إيفاء بحق البحث وتجلية الحقيقة — أن نشير إلى النهضة الإسلامية الحاضرة . ونتكلم على مؤثراتها وآراء بعض الباحثين فيها .

من الحقائق الملموسة نهوض المسلمين نسبياً وتطور أحوالهم وتبدل مواقفهم عما كانوا عليه فى أوساط القرن الثالث عشر فما قبله من القرون الوسطى ، تلك (١٣٧) القرون التى كان يخيم فيها على المسلمين سبات عميق ، ويحيط بهم جمود مميت ، وتسود بينهم أوهام وأضاليل ، وخرافات وأكاذيب ، تسربت إلى المعتقدات فأفسدتها ، وإلى الأخلاق فأضعفتها ، وإلى النفوس فمسختها ، وإلى العقول فصفدتها وإلى الأفكار فسممتها ، وإلى الأيدى فعطلتها ، وإلى الهمم فخمدتها ، ويسيطر عليها ملوك أنانيون جهلاء لا يعرفون غير السعى وراء الشهوات واللذات وإرضاء النفس المادية الجامحة ، ولا يفهمون من معنى الكرسى الذى يجلسون عليه — دون جدارة — سوى القدرة على تعجيل استحصال ما تدعوهم إليه نفوسهم الأمارة بالسوء من مصالح شخصية سنحت لهم فتهافتوا عليها غير ناظرين إلى ما تنتجه من مسببات ممقوتة ، ولا آبهين لعواقب تكالبهم العائدة على المجتمع الذى يحكمونه — وبالتالى عليهم — بما لا يسر ولا يرضى ، شأن الأطفال الذين لا تتجاوز أبصارهم ما بين أيديهم : فهم يفرحون ويبتهجون بما يحضرهم من ألاعيبهم وملاذهم دون أن يفكروا فيما وراءها من أضرار ومكروهات .

نعم ، كان المجتمع الإسلامى آنئذ كما ذكرنا ، ولكنه أصبح اليوم بحال غيرها ، أصبح يحس بآلامه وآماله ، ويتلمس موضع الداء من جسمه ،

ويرتاد الدواء الآسى فى منتجعاته . أصبح يعمل على تحرير العقل وتحطيم القيود التى أوثقته تلك العصور المتطاولة . وينفض عنه غبار الجمود ، ويكسح منه أدران — التخريف والجهل . أصبح يقدر العلم النافع قدره ، ويعتقد الفوز والنجاح معقودين على الأخذ بأوفر نصيب منه ، أصبح يشعر بحقوقه المسلوبة ومقدساته المغصوبة، وحرماته المنتهكة، وبلاده المستعمرة ،ويؤنب نفسه على تقصيرها فى واجباتها ، وتهاونها بحقوقها ، وتأخرها عن الجرى فى مضمار الحياة وتقاعسها عن مزاحمة الأمم الراقية فى ميادين العز والفلاح، أصبح ينظر (١٣٨) إلى كل ناحية من نواحى حياته ويفكر فى إصلاحها والعمل لما يرفعها إلى المستوى اللائق بها ، فهو بهذا وما شاكله قد انتقل من طور إلى آخر . انتقل من طور الجمود والغفلة ، والكسل والبطالة ، والجهل والتخريف ، والاستسلام والتبلد ، والتقليد والخنوع ، والذله والمهانة ، والاستعباد والتقديس — إلى طور — لا أقول أنه يغايره تماما ، ولكنه يخالفه شيء ما ، ففيه شيء من التحرر العقلى ، والإصلاح الدينى ، والنهوض العلمى ، والرقى الأدبى ، والنشاط العملى ، والتقدم الاقتصادى ، والنظام السياسى ، والشعور القومى ، والاعتزاز الوطنى .

ومن ذا الذى يجهل نزوع كثير من المسلمين إلى تحكيم العقل واعطائه ما جعل الله له من سلطان وهيمنة ، وتجارب الأصوات المنادية من مختلف الأقطار بوجوب الإصلاح الدينى والنظر فيما تركته عصور الانحطاط من مخلفاتها الاعتقادية والاجتماعية ، ورفض ما يضر بالكيان الإسلامى منه .

ومن ذا الذى ينكر تباشير النهضة العلمية والأدبية فى شتى نواحيها ، وهذه أكثرها يكثر فيها العلماء الفطاحل ، والأدباء العباقر ، والخطباء المصاقع والشعراء المقاول ، والمهندسون البارعون ، والأطباء النطاسيون، والفلاسفة النقاريس ، والمفكرين البوافع ، وتحاكى بجامعتها وكلياتها ومجامعها العلمية ومؤلفاتها وصحافتها أجود ما يفخر به الغرب من ذلك .

ومن ذا الذى لا يشعر بالحركة الإسلامية النزاعة إلى التقدم فى كل وجهة من وجهات الحياة، كل ذلك مما لا مجال للاسترابة فيه، وكل ذلك يدل على أن هناك نهضة إسلامية أخذت فى الظهور، ودخلت فى دور الترعرع.

ولكن ما هى الأسباب المؤثرة فى هذه النهضة؟، وماهومنشأالتطورات الحاضرة؟

(١٣٩) لقد شغل البحث فى ذلك — وبالخصوص النهضة السياسية — رجال الفكر فى أوروبا، وأساطين السياسة فى الغرب، واختلفت آراؤهم، وتنوعت أنظارهم باختلاف مناحى التفكير وتنوع وجهات النظر، ونزع بعضهم فى التعليل منزعا غريبا، وانتهج منهجا مضللا يقصدبه التعمية والتمويه أكثر مما يريد منه الاستنتاج والحكم والتوصل إلى الفكرة الصحيحة وماذلك من الغرب بغريب.

أجل، لعمر الله ما ذلك من الغرب بغريب، وما هو من العالم المادى بمستبعد، فلقد برعت أوروبافى تشويه طرق البحث وتلويث وسائط التفكير وأحكمت مناهج التضليل، ونوعت طرق التمويه لتنشر حول الحقائق من الأوهام والأباطيل مايحير الباحث ويضل به فى مباحث وهمية. وغرضها من وراء ذلك تسميم العقول، وتضليل المدارك، وتعمية السبل، حتى لايهتدى طالب الحقيقة إليها، وحتى تقتنع الأمم بأن ما تراه من الحلول للمشاكل الكبرى، وماتضعه لمعالجة المسائل السياسية شرقية أو غربية يجب أن يكون البحث فيه مقيدا بما ترسمه الخطط وما تحدده من المسالك — كما أنها ترمى إلى أن يخلو لها الجوفتتولى رسم مناهج البحث للباحثين، ووضع طرق التفكير وحدود النظر للناظرين. ويكون إليها وحدها ارشاد العقول فى الشرق كما ترشد حكوماته ورجال السياسة فيه، فتستطيع نشر نفوذها على

البلاد وما فيها ويسيطر سلطانها على العقول وما يجول بها ، ولتقطع على الآملين آمالهم ، وتساعد القانطين الآيسين من نهوض أممهم على قنوطهم المضنى ويأسهم المميت توصلا إلى أن يعتقد الفريقان اليأس من النجاح ، ويوقنوا بأن لا أمل فى النهوض ، وإلا رجاء فى الحياة فتخور منهم القوى ، وتنحل العزائم ، ويستولى على نفوسهم الضعف والوهن ، فتسقط البلاد وأهلها بين أيدى المستعمرين ذليلة مستسلمة .

(١٤٠) حقا أقول : أن التمويه والتضليل وقلب الحقائق لم يرج فى عصر من العصور كما راج فى هذا العصر ، وإلا فقل لى بربك : هل سمع التاريخ أودار على خلد الماضى أن حكومة متمدنة تنشىء للتضليل دوائر خاصة ومكاتب ضخمة ، وتخصص ميزانيات كبيرة وأقلاما مختارة وصحفا متعددة ، وكتابا وشعراء وخطباء وفلاسفة ومؤلفين ، وتستخدم له إحدى عجائب العصر ونتيجة من أكبر نتائج العلم : (المذياع) وما إلى ذلك من ما يسمى بمصلحة النشر والدعاية وبعبارة أفرنجية « بروبوغندا » كما أنشأت له حكومة أوروبا المتمدنة ودولها الحاضرة ... ذلك ما لم يره التاريخ ولا سمع به بنو الإنسان ، والغرض من كل ذلك ما عرفناك .

نعم . لقد اضطربت آراء الباحثين الغربيين فى منشأ التطورات التى ترى اليوم فى البلاد الإسلامية ، فمن قائل يقول : أن أسبابها ترجع إلى ما نشره « ويلسون » رئيس الولايات المتحدة الغابر من تعاليمه المدعوة « بمبادىء ويلسون » المتعلقة بحق تقرير المصير وحرية الأمم واستقلالها . ومن ذاهب إلى أن السبب هو ضغط أوربا ومسارعة الساسة فيها إلى العمل على محو الحكومات الإسلامية المستقلة ، وشل الحركات النزاعة إلى الاستقلال

فى كل بلاد الإسلام ، وتعطيل ما كان منها فى بلد إسلامى مستعمر وخاضع لنفوذ أوربا، ويرى القائلون بالرأى الأول أنه يمكن القضاء على تلك الحركة بارضاء الأمم الطامحة إلى الاستقلال ببعض ما تطلبه وتتنازل عن البعض الآخر، بحيث تقسم السياسة مبدأ حرية المصير مع المطالبين به وبذلك تجتث النهضة من أصولها ، كما أن أنصار القول الثانى يذهبون إلى أن أوربا لو تخلت عن سياسة الشدة وعدلت خطتها الارهاقية حيال بلاد الإسلام لقضت على التطورات الحاضرة ، وعطلت مناشىء النهضة .

(١٤١) ونحن لا يسعنا أمام هذه الأقوال الزائفة والأنظار الخاطئة وما ضاهاها إلا السكوت وتركها ترد على نفسها بنفسها ، على أن هناك كتابا غربيين أحرارا أبت لهم هممهم العالية ونفوسهم الحرة إلا الانصاف فى البحث والصدق فى القول والصراحة فى الرأى ، وفى مقدمة هؤلاء الكاتب الأمريكى (لوثروب استودارد) فانه نهج فى بحثه منهجا واضحا، وسلك فى تفكيره مسلكا أداه إلى الحقيقة فى غالب مباحثه ، لا كأولئك الذين أرجعوا النهضة إلى مبادىء ويلسن أو ضغط أوروبا . ولو أنهم نصفوا التاريخ ، وعدلوا فى الحكم ، لعلموا أن للنهضة الإسلامية وبالأحرى كل ناحية من نواحيها أسبابا طبيعية أدت إليها واتصلت بها اتصال الوسيلة بالغاية، وارتبطت بها ارتباط المقدمة بالنتيجة كما هو شأن النهضات العالمية كلها[١] .

أحمد عبد الوهاب الوريث

---

(١) انتهت مقالة السيد العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث رحمه الله وهى التى وعدنا القراء فى العدد الماضى بنشرها .

في سبيل الإصلاح

اللغة وتاريخها(١)

— ١١ —

(١٦١) أشرت فيما سبق إلى أن لغتنا الشريفة العربية تأثرت باتصالها بالأمم المجاورة لها والبعيدة عنها ، وظهر أثر هذا الاتصال في كثير من المفردات وفي قصائد بعض شعراء الجاهلية ، وفي ذلك دلالة كافية على قدم هذه اللغة ومتانتها (١٦٢) ، فإن ما دخل عليها من اللغات السامية واليونانية لم يحدث فيها ما أحدثته في لغات القبائل المجاورة لها قبيل الفتح الإسلامي ، والأمم البعيدة عنها بعد الفتح لسببين ، الأول : قوة اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن مختلف العواطف وأرق الإحساسات ومرونتها وغزارة مادتها ، وفصاحة كلمها ، ولباقة أهلها في التصرف فيها ، وتوسيعهم نطاق نفوذها بالنقل والاشتقاق والمجاز والترادف ونحو ذلك من ضروب البيان وأفانينه ، وبه أصبحت سيدة لغات العالم وأوسعها ، كما أنها أرقى اللغات السامية وأشرفها .

قال ارنست رنان الكاتب الشهير : « من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء (ذى) بدء ، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسلة غنية وأى غنى كاملة بحيث أنها من ذلك العهد إلى يومنا هذا لم يدخل عليها أدنى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها تامة ، ولا أدرى

---

(١) الحكمة : العدد ٦ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الثاني ١٣٥٩هـ (مايو/ يونية ١٩٤٠م) ص ١٦١ — ١٦٨ .

إذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض دون أن تدخل في أطوار وأدوار مختلفة » .

وفى هذا الكلام تجوّز ومجازفة ، فإنه مما لا شك فيه أن هذه اللغة العالية فرع من اللغة السامية الأولى ، بل يعتبرها بعضهم بقية تلك اللغة البكر ، وتاريخ وجود الأولى يرجع إلى ما قبل آلاف السنين ، ومضت على العربية أحقاب متطاولة تتدرج فى معارج الكمال ، وتتناولها ألسنة الفوا نح من أبنائها بالصقل والتهذيب ، والسبك وحسن الاختيار . قال ابن جنى فى الخصائص : (إن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها ، هجم بفكرة على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها ، وعلم أنه لا بد من رفض ما شنع تأليفه نحو : هع ، وقج ، فنفاها عن نفسه) هذا رأى ابن جنى باعتبار أن الواضع دونها ورتب أبوابها ثم لقنها الأعراب أو درسوها (١٦٣) فى ما وضع ، وهو شىء لم ينقل ولا عرف عن الأمة الأمية .

وإنما الذى نقل عنهم أن سكان الحواضر كانوا يرسلون أولادهم إلى البادية ليحذقوا اللغة ، ويحفظوها عن قوم هم أبعد الناس عن النظام العلمى والوضع المدرسى ، وأعرقهم فى الأمية والبداوة ، يظل أحدهم خلف إبله وغنمه يتتبع بها منابت العشب ومهابط القطر مدة عمره ، لا يجمعه بأمثاله ومجاوريه غير أسواقهم العامة : كعكاض (عكاظ) ، وذى المجاز ونحوها ، أو مكة ومنى أيام الموسم ، فيحفظ ما سمع ويختار الأحسن بدل الحسن .

السبب الثانى : فى احتفاظ لغتنا العربية برونقها وصفائها : بعدها عن الحضارة وأمها إلا قليلا ، ومن ذلك القليل تسرب إلى العربية من اللغات الأخرى ما يقارب ألف كلمة جاء منها فى القرآن الكريم نحو مائة كلمة ،

وقد سمى ما جاء من هـذا القبيل معرباً : أى أعطوه حكم العربى لاستعمال العرب الفصحاء له .

وبما أنها كانت تعيش عيشة بدوية فإن حالتها من مقومات الحياة لم تكن تتعدى مطالبها المحدودة الملائمة لحياة الصحراء ، فوصف الخيل والإبل ، والسيوف والرماح ، وموارد الماء ، ومساقط الأنواء ، وذكر الأسفار ، وركوب الأخطار ، وما يتخيله المصحر إذا أقفر ، والبدوى إذا أدلج : من صفات الجن والغيلان والتطلع إلى الصوى والنيران ، والتغنى بالشجاعة والنجدة ، والمروة والعزة ، وإكرام الضيف ، وإعمال السيف ، ونحو ذلك مما يلابس حياة البداوة ويتساوق مع أغراضها ومقاصدها .

ولذا نرى معظم ما قيل أنه منقول عن اللغات الأخرى إنما هو طائفة من المفردات لها علاقة ما بحياتهم الأولى ، وقليل منها تدل على معان عمرانية أو دينية أو ما تنتجه الحضارة من رفاغة عيش ، وصفاء فكرة . أما مصطلحات العلوم (١٦٤) والفنون وقوانين التشريع وغير ذلك من لوازم الحضارة ، فلم تكن بحاجة إليها لأنها لا تمت بصلة ، ولذا بقيت من هذه الناحية فقيرة معدمة بينما تجدها من الناحية الأخرى واسعة الغنى ، عظيمة الثروة ، كثيرة المترادفات ، مفرطة فى تسمية الشىء الواحد بعدة أسماء أفردت فيما بعد بمؤلفات خاصة كمؤلفات : الأصمعى(١) والقالى(٢) وابن خالويه(٣) والفيروزابادى صاحب القاموس وغيرهم .

---

(١) وهى كتاب الأنواء وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الإبل وكتاب الشاء .

(٢) ولأبى على القالى كتاب الإبل ونتاجها وما تصرف منها، وكتاب حلى الإنسان والخيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان .

(٣) لابن خالويه كتاب فى أسماء الأسد وكتاب فى أسماء الحية ولصاحب القاموس الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف .

كما أنها كانت موضع شك ومحل خلاف بين أئمة اللغة وحفاظها ، قال : السيوطى رحمه الله فى المزهر : (ومن الناس من أنكره وأى الترادف »(١) وزعم أن كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات، إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة أوصفة الصفة) وقال ابن فارس بعد التمثيل بالسيف والمهند والحسام : « والذى نقوله فى هذا أن الإسم الواحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى » الخ .

وصفوة القول أن إحتكاك العرب بغيرهم من اختلاف اللهجات ووجود بعض الألفاظ المترادفات والكلمات الأعجمية كما بيناه .

ومن العسير بيان تاريخ اتصال العرب بالأمم التى إقتبست منها بعض الكلمات ، والذى يمكننا تحديده هو الاتصال بالأمة اليونانية، فقد حدث آخر القرن الرابع قبل المسيح عندما استولى الاسكندر المقدونى وخلفاؤه على سورية (١٦٥) وفلسطين ومصر وما بين النهرين ، وهى الأقطار التى كانت تقيم فيها بعض قبائل العرب قبل أن يفتحها الاسكندر ، ومن لغة اليونان نقلت العرب أسطورة اقليدس وترس وديماس ودمقس وزكاة وزنار وغير ذلك ، وكان اتصالهم بالسريان أقدم من هذا التاريخ فان الأمم التى كانت تقطن البلدان المذكورة مع العرب هم السريان ، ومن لغتهم اقتبسوا بعض كلمات من معانى مادية وروحية كمدينة وقرية وبيعة وفرقان وزبرجد واسطوانة وأسقف وناموس واسفنج ونحوه . ويحتمل أن بعض هذه الألفاظ نقلها العرب بواسطة السريان وليست سريانية الأصل ، وانما نقلها عنهم العرب بعد أن أنتقلوا من الوثنية إلى المسيحية . وهذه الأمة هى آرامية الأصل وإنما

---

(١) ومراد من أنكر الترادف تنزيه اللغة عما لا فائدة فيه من تعـــداد الأسماء لمسمى واحد واعتبر الزيادة فضولا وعبثاً يجب أن تنزه اللغة عنه .

سميت بالسريان بعد اعتناقهم المسيحية ، وأصل التسمية يونانية ، وتعتبر الأمة السريانية من أرقى الأمم السامية فى العلوم والآداب والفلسفة .

ويبتدىء الاحتكاك بالرومان من تاريخ استلائهم على سورية وفلسطين سنة ٦٤ ، وقيل سنة ٢٧ ق . م ، فقد كانت الحكومة العربية الغسانية ذات صلات كبرى بالدولة الرومانية ولها بهم علائق دينية وسياسية وعمرانية متينة ، وبواسطة هذه العلائق اقتبسوا كثيراً من العادات والتقاليد الرومانية فى أعيادهم وأزيائهم وكنائسهم وقصورهم وبذخهم وترفهم ، وعلى طراز قصور الرومان فى القسطنطينية كانت قصور الغساسنة بالشام ، وكانت هذه القصور مهوى أفئدة شعراء الحجاز ، ومحط رحال قوافل تجار البلاد العربية ، يؤمونها من جميع أطراف الجزيرة للمدح والوفادة أو الكسب والرقاحة ، ثم ينصرفون إلى بلادهم وقد حفظوا ما وقعت أعينهم عليه أو سمعوه من الأشياء الغريبة وأسمائها . وعلى هذا الأسلوب جرت المناذرة ملوك الحيرة وهم عشيعة فارس ، ومن الضرورى أن يتأثروا (١٦٦) بحضارتهم الفارسية ، وتقتبس منهم الوفود ما تقتبسه من منافسيهم ، وبهذا علل بعضهم انتشار عدة كلمات فارسية ورومانية بين سكان مكة والمدينة وإندماجها فى لغتهم حتى جاء الاسلام وورد بعضها فى القرآن .

وهناك علة أخرى لوجود بعض ألفاظ كلدية وآشورية وفينيقية وآرامية وكنعانية وعبرانية وحبشية فى اللغة العربية وهى الاشتراك فى الوطن ، فقد كانت اللغة السامية الأولى فى عصور موغلة فى القدم لغة واحدة تعيش فى منطقة واحدة هى ما يطلق عليه (المهد الأول للساميين) ، ثم انتشرت قبائل هذه الأسرة وتركت مهدها الأصلى إلى جهات شتى تأثرت لغاتها بطوارىء الأيام وأحوال البيئات والحروب والفتح والاحتلال ، وانفسح مجال هذه المؤثرات حتى تكون لكل أمة لغة مستقلة مع وجود تشابه[1] وتماثل

(١) راجع قاموس اللغات السامية للمؤرخ الشهير المعاصر الدكتور إسرائيل ولفنسون .

تدلان على أنها لهجات تفرعت من دوحة واحدة لا يمكن معرفتها الآن لأنها ذابت وتلاشت منذ قرون كثيرة ، مما وقع لفروعها من بعدها ماعدا لغة القرآن الخالدة زادها الله علوا ، وفرع آخر وهو العبرانية كما سنقرأه بهذه العجالة .

ومن الأدلة الواضحة على قدم العربية ومشابهتها للغات السامية القديمة ماروواه التاريخ عن إبراهيم الخليل عليه السلام لما انتقل من العراق إلى مصر فسوريا فالحجاز ، فإنه تجول فى هذه البلدان وتفاهم مع قطانها ، وكان يدعو إلى دين التوحيد ونبذ الوثنية بلغته ، وفى البلاد العربية ترك ولده وزوجته . قال السيد العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله[1] : « وقد ثبت عند علماء العاديات والآثار القديمة أن عرب الجزيرة قد استعمروا منذ فجر التاريخ بلدان الكلدان ومصر (١٦٧) وغلبت لغتهم فيهما ، وصرح بعضهم بأن الملك حمورابي الذى كان معاصرا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام عربى» ، إلى أن قال : « ومن المعروف فى كتب الحديث والتاريخ العربى أن إبراهيم أسكن ابنه اسماعيل مع أمه هاجر المصرية عليهم السلام فى الوادى الذى بنيت فيه مكة بعد ذلك ، وأن الله سخر لهما جماعة من جرهم سكنوا معهما هنالك ، وأن إبراهيم عليه السلام كان يزورهما وأنه هو وولده اسماعيل بنيا بيت الله المحرم ، ونشرا دين الإسلام فى البلاد العربية ، فيظهر من ذلك أن العربية القديمة هى لغة إبراهيم وهاجر ولغة حمورابى وقومه ولغة قدماء المصريين أو اللغة الغالبة فى ذينك القطرين ، وأنها على ما كان فيها من الدخيل الكلدانى والمصرى كانت قريبة جدا من العربية الجرهمية ، ولذلك كان الذين ساكنوا هاجر من جرهم يفهمون منها وتفهم منهم : وقد ثبت فى صحيح البخارى أن إبراهيم زار اسماعيل مرة فلم يجده ، وتكلم مع امرأته الجرهمية

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ سورة الانعام ص ٥٣٥ .

ولم تعجبه ثم زاره مرة أخرى فلم يجده ، وكانت عنده امرأة أخرى فتكلم معها فأعجبته . وقد ورد أيضا أن لغة اسماعيل كانت أفصح من لغة جرهم فهى أم اللغة المصرية التى فاقت بفصاحتها وبلاغتها سائر اللغات أو اللهجات العربية ثم ارتقت فى عهد قريش من ذريته بما كانوا يقيمونه لها من أسواق المفاخرة فى موسم الحج ، ثم كملت بلاغتها وفصاحتها بنزول القرآن المجيد المعجز للخلق بها » اهـ .

ومن فروع السامية اللغة العبرانية ، وبين العرب واليهود من الاتصال مالا يحتاج إلى إيضاح ، ومن ذلك الاتصال تسرب إلى اللغة العربية بعض كلمات عبرانية ، ويقول الدكتور « ولفنسون » أن العبرانيين اختلطوا اختلاطا كبيرا بالعرب حتى كان لهم تأثير لايستهان به فى تكوين اللغة العربية الشمالية) وقد أبعد النجعة فى هذه الدعوى .

(١٦٨) فقد عرفت أن ابراهيم الكلدانى عليه السلام كان يتكلم باللغة الكلدانية أخت اللغة العربية وأصل اللغة العبرانية ، فظلت العربية سائرة إلى الأمام تقطع أشواطا بعيدة المدى بينما العبرانية تتدهور فى هوة الفناء حتى تلاشت واضمحلت العبرانية الأولى، وحل محلها لغة أخرى خليطا من الفارسية واليونيانية واللغة الآرامية، وقد تغلبت الآرامية وأصبحت ظاهرة ودونت بها تفاسير كتبهم الدينية ، وكان الأحبار يحاربونها بكل قواهم فلم يفلحوا(١) ومن هنا يتضح عجز العبرانية عن حفظ كيانها فضلا عن أن تكون سنادا للغة هى أرقى منها وأمتن ، ووجود بعض كلمات منها فى العربية لا يصح أن يقال أنها أثرت أثرا لا يستهان به فى تكوينها .

أحمد بن احمد المطاع

---

(١) جاء فى التلمود كلمات بليغة فى ذلك منها استعملوا العبرانية واليونانية وأخذوا من الرطانة الآرامية ومنها لا يحادث الإنسان أخاه بلغة أرام ، انتهى نقلا عن تاريخ الدكتور إسرائيل ولفنسون .

فى سـبيل الإصلاح

« تابع لما قبـله(١) »

— ١٢ —

(١٩٣) ومن فروع السامية التى اقتبست منها اللغة المصرية بعض كلمات، لغة جنوب الجزيرة « اليمن » فإن اليمن، وإن كان يصعب على من أراد الكتابة عن ماضيها التوسع فى مجال البحث لغموض تاريخها، قد اشتهرت بكثرة خيراتها (١٩٤) وسعه ثروتها، وخصب تربتها، وعظم تجارتها، وطيب مناخها، واعتدال هوائها.

وحقيق برقعة كهذه أن تتصل بالأمم الأخرى اتصال وثيق، وأن تكون لها علاقات ذات شأن بغيرها لتبادل المنافع المادية والأدبية، وأن تحج إليها الشعوب من كل فج عميق لتستكمل ما فاتها من أسباب الحياة الرافهة، وتلذ بما تشاهده من متع الحضارة ومظاهر النعيم، وكل ذلك قد كان.

فإنه بما لا مرية فيه أن هذه البلاد ذات المجد العريق والمدنية الرائعة والسمعة الطيبة والصيت الذائع والشهرة العالية، كانت من أهم مراكز الحضارة البشرية عند الأمم القديمة، وتاريخ حضارتها موغل فى القدم يتصل بدورة الأفلاك، ولذا جزم أكابر المحققين بأنها « المهد الأول للساميين ».

وليس من غرضنا الإحاطة بما كان لها من المجد فى مطاوى التاريخ

---

(١) الحكمة : العدد ٧، السنة الثانية، المجلد الثانى، جمادى الأولى ١٣٥٩هـ(يونيه/ يوليه ١٩٤٠م) ص ١٩٣ — ١٩٨.

ومجاهل العصور وانما أوردت ما تقدم كبرهان على ما ألمعت إليه أول هذا البحث من، أن لغة الشمال اقتبست من لغة الجنوب لأنها عريقة فى القدم، ولأن الجنوب كانت متحضرة راقية، والأخرى موغلة فى البداوة، إلى آخر ما هنالك من الفوارق والمميزات الحافزة لعرب الشمال على الاتصال بإخوانهم والاستقاء من مناهلهم.

ولطالما كان هذا البحث مثيراً لأفكار الكتاب ومحركا لنشاطهم، لتوسيع دائرة البحث العلمى بالدرس والتنقيب عن آثار ذلك العهد العظيم، واستنطاق نقوش الأعمدة والمدن والقصور والهياكل وكل أثر أثروه فى ربوع الجزيرة. وبهذه الواسطة توصلوا إلى معرفة الفرق بين لهجات العرب فى شمال الجزيرة وجنوبها.

وإن كان من الصعب بل من المتعذر الآن بيان الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب فى العصر الذى كانت فيه لغة الشمال غير لغة الجنوب وتحديد امتداد (١٩٥) نفوذ كل منهما، ولكنه لا يشك أحد قط فى مميزات جنوب الجزيرة باعتبار موقعها الطبيعى وثروتها الأصلية وعمرانها البديع وجمالها الساحر، إلى غير ذلك من الصفات التى أورثت سكانها ملكة الابتكار وعبقرية الإبداع.

ولكثرة منتجاتهم وغنى إقليمهم كانت اليمن سوقاً للبلدان والأمصار التى تجاورها، وكانت قوافل التجار تفد إليها من مصر والشام والحجاز للتبادل التجارى والإنتاج المحلى ونخص بالكلام الحجاز فإن أصحاب الإئلاف الأربعة ويسمون بالمتجزين: أحدهم عبد المطلب كان يؤالف إلى اليمن، ومن قبله المطلب مات باليمن فى إحدى رحلاته إليها.

وكانت قوافل اليمن التجارية أيضاً تمر فى ذهابها وإيابها بمراكز البلاد الشمالية وتشهد أسواق الحجاز ولم تكن الصلات بين البلدين اقتصادية فحسب،

بل هناك صلات كثيرة كانت من أهم عوامل الاختلاط والامتزاج ، منها نزوح بعض قبائل يمنية من مهدها الأصلي ووطنها الأول إلى الشمال، كخزاعة وجرهم إلى مكة، والأوس والخزرج إلى يثرب، وجهينة إلى أطراف الحجاز، وطي إلى نجد ، كما أن قبائل معينية انتقلت من منطقة معين المعروفة الآن بالجوف إلى شمال الحجاز وهضبات طورسينا، وعنهم أخذ سكان تلك البلاد القلم اليمنى وعبادة الأوثان اليمنية .

ومن الضرورى أن تؤثر عوامل الهجرة والجوار والغزو والتجارة فى لغة الأمتين معاً رغماً على ما فى لغتيهما من الإختلاف والتباين ، قال السيوطى فى المزهر : (خرج رجـــل من بنى كلاب أو من سائر بنى عامر بن صعصعة إلى ذى جدن فاطلع إلى سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له (ثب) أى أقعد، فقال: ليعلم الملك إنى سامع مطيع ثم وثب من السطح فقال الملك : ما شأنه فقالوا له : أبيت اللعن إن (١٩٦) الوثب فى كلام نزار الطمر ، فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم من ظفر حمر (أى من أراد أن يقيم بظفار فليتكلم بالحميرية) .

وقد ظهر من الكتابات المطلوسة على الأحجار بالقلم المسند الحميرى أن لغة حمير كانت لغة مستقلة قريبة من اللغة الحبشية « الجعزية » والعربية الشمالية، وبها كلمات كثيرة لا توجد فى العربية الشمالية ولا فى غيرها من اللغات السامية ، ولذلك تعذر على علماء الآثار ترجمة عدة نقوش ترجمة واضحة فاكتفوا باستخلاص معناها بالتقريب .

وتختلف عن العربية الشمالية والحبشية بنهاية الماضى بنون وبصيغة المصدر، وخاصيات أخرى صرفية ونحوية، وعدة خاصياتها تشترك فيها فقط مع العبرانية والآشورية وتشبه فى أخرى اللغة الآرامية[١] .

---

(١) راجع تاريخ اللغات السامية «٢» العالم الإسلامى .

ولاشك أن لغة حمير كانت تعتبر لهجة عربية وان اختلفت عن لغة سائر القبائل فى اصطلاحاتها ومفرداتها وأكثر ألفاظها ، ولا سيما كتاباتهم فإن خطهم المعروف بالمسند حروفه هى الحروف العـــربية ، ومن المؤسف أنه لم يصل إلينا من لغـــة حمير وآدابها إلا ما أسارته الأيام وهو قليل جداً .

على أنه قد نشأ فى جنوب الجزيرة قبل الأسرة الحميرية المذكورة الأسرة المعينية والسبئية والقتبانية وغيرها . وقد انتشرت بعض هذه القبائل فى أنحاء الجزيرة العربية وامتزجت بعناصر مختلفة ، فهل كانت تتكلم باللهجة الحميرية أم كانت لها لغات أخرى ؟ وهنا ننقل لقرائنا ما عثرنا عليه من النصوص التاريخية كجواب عن هذا السؤال .

قال فى تاريخ اللغات السامية نقلا عن المؤرخ « استرابون » اليونانى : وفى الجنوب تبتدىء بلاد العرب السعيدة إلى أن قال: ويقطن فى تلك البلاد شعوب (١٩٧) أربعة أهل معين على شاطىء البحر وتعرف عاصمتهم باسم « قرنا » أو « قرنانا » ، ثم أهل سبأ وعاصمتهم « مارب » ، ثم أهل قتبن ومنطقتهم تمتد إلى الخليج وفيها مدينة ملوكهم المسماة « تمنة » .

ثم أهل حضرموت وعاصمتها « سبتا » وأهل هذه المنطقة ذوو غنى واسع وجاه عظيم وأبنيتها فخمة خصوصاً الهياكل والقصور وعماراتهم تشبه عمارة المصريين .

(٤) نقوش وكتابات :

تعتبر النقوش والكتابات التى كشفها سائحو الإفرنج من الذين جابوا بلاد اليمن أهم كثيراً من المراجع التى ذكرناها ، فإن هـــذه المراجع التى سردناها قد انحصرت على إيراد بعض المعلومات عن الحوادث التاريخية

والأحوال الاقتصادية ، وأما المادة اللغوية التي نقصد إليها في بحثنا هذا فقد سكتت عنها هذه المراجع سكوتاً تاماً .

وجاء في ما نشره المستشرق « اغناطيوس جويدى » في كتابه المسمى : « بالمختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة » ما يأتى : « اعلم أن معرفتنا للسان الذى كان أهل جزيرة العرب الجنوبية يتكلمون به قبـــل الإسلام إنما هى من النقوش ، وكان هذا اللسان يشمل لهجات شتى : أى المعينية والسبئية والقتبانية والارسانية والحضرمية وغيرها : ونحن نعرف أن تلك اللهجات قريبة من اللهجات الحبشية السامية ونعلم أيضاً أن هنالك فرقاً بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية .

أما الشمالية فأشهرها اللغة العربية الفصيحة التي هى لغة القرآن الشريف ولغة التأليف ، ونعلم غير ذلك أن للغة المتكلم بها بين الأمم العربية والمتعربة (١٩٨) لهجات كثيرة فى عصورها القديمة والمتوسطة والحديثة كما حدثنا بذلك النحويون وعلماء اللغة ، فقد رووا لنا كلمات وصيغاً مختلفة كانت مستعملة فى اللهجات القديمة .

ويستدل من كتابات النقوش السبئية والمعينية على أن بينهما مشابهة تامة بخلاف القلم المسندالحميرى فإنه يمتازعليهما بدقة الرسم وسلامة الذوق والميل إلى تصوير مناحى حياة الحميريين العقلية فى بناء القصور والمعابد والأسوار والهياكل والسدود : أى أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة ولهذا سماه علماء المسلمين القلم المسند[١] .

ولغة المعينين كثيرة الشبه باللغة السبئية وحروفها واحدة تقريباً لكنها تختلف عنها اختـــلافاً واضحاً فى ضمير المذكر الغائب فإنه فى المعينية « السين » بدل « الهاء » فى السبئية وسائر اللغات السامية إلا البابلية والحبشية(٢).

---

(١) راجع تاريخ اللغات السامية .　　　(٢) كتاب العالم الإسلامى .

هذا ما عثرنا عليه من النصوص التاريخية فى الفرق بين اللهجات اليمنية فى عصورها الأولى، وذلك مما نقله المستشرقون واستفادوه من مخلفات تلك الأمم المبعثرة فى بطون الأودية وقنن الجبال وتحت أطباق الرغام، وفيما عثروا عليه طرفاً من الخبر لا نبأ عن الحقيقة، فالحقيقة المفصحة عن تفاصيل مجد هذه الأمة الباهر لا تزال فى مرحلتها الأولى.

(للبحث صلة)　　　　احمد بن احمد المطاع

فى سبيل الاصلاح [1]

« اللغة وتاريخها — تابع لما قبله » [2]

— ١٣ —

(٢٢٥) ولم تزل اللهجة الحميرية هى السائدة فى الجنوب إلى أن طغت أمواج الاستعمار الحبشى والفارسى، وعند ذلك فقدت عزتها وسلطانها وتلاشت مقومات حياتها المادية والأدبية، وتزعزت أركان عظمتها، وضعفت عوامل تأثيرها فى لغة الشمال، وأصبحت قابلة التأثر والانفعال تسير بخطوات سريعة إلى النهاية.

على أن قضية الاستعمار إنما كانت (٢٢٦) فى آخر مراحل حياتها، ومن

---

(١) تحت هـذا العنوان نشرنا بادىء ذى بدء كلمة تتعلق باللغة وبيـان الأسباب التى أدخلت عليها العجمة واللكنة فشوهت جمالها وكان الأمل إيقاف اليراع بحدود الإيجاز ولـكنه طال بنا القول فبعدت المسافة بين العنوان وما تحته ولم يرقنى حذف العنوان لغاية قد أعود إليها بالتوضيح فيما بعد.

(٢) الحكمة : العدد ٨، السنة الثانية، المجلد الثانى، جمادى الآخرة ١٣٥٩هـ (يوليه/أغسطس ١٩٤٠م) ص ٢٢٥ — ٢٣١.

البعيد أن نقول بأن الاستعمار هو الذى قضى على لغتها ، فأنه مهما كان شديداً لا يستطيع محو لغة الأمة والسيطرة على عواطفها وأفكارها .

لا جرم ، إن الاستعمار من الأدواء القاتلة الفتاكة ، وأنه يقتل النفوس ويمسخ الأخلاق والنظم والمبادىء ، داء خبيث لا دواء له غير التخلص من نيره والفرار بأقدام « السليك » من أسبابه وعلامته ، وأنه لا يعز سلطان اللغة والآداب ولا يشرف منارها ويطرد رقيها إلا فى ذرى المجد والاستقلال وبحبوحة الخصب والقرار ، وكلما ضعف سلطان الأمة المادى تقلص نفوذها الأدبى ، وتدهورت لغتها ، قضية مسلمة لا يشك فيها أحد .

غير أنا إذا رجعنا إلى مخلفات ذلك العصر وجدنا لغة البلاد هى السائدة رغما عن قسوة الاستعمار وفظاعته[. جاء فيما عثر عليه المستشرق «قلازر» من النقوش المتعلقة بسيل العرم كتابة لأبرهة الحبشى كتبها فيما أصلحه بسد مأرب ونصها : (بقوة الرحمان « رحمانان » ولطفه ورحمته ، وبمسيحه روح القدس ، نقشت هـذه الكتابة على الحجر بأمر أبرهة الوالى من قبل الملك اليكسوس « رامفيس ذى يامان » ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنات وعربهم فى الوعر والسهل » .

كما أن بعض مؤرخى اليمن أورد نص معاهدة دفاعية عقدت بين حكومة الفرس الموجودة إذ ذاك باليمن وبين بعض قبائل اليمن التى لم تخضع المستعمر ، ومحتويات هـذه المعاهدة مكتوبة باللغة العربية أيضا ، وسنأتى عليه فى غير هذا الموضع إن شاء الله . والشواهد على ذلك كثيرة ، وهى مع كثرتها تدل دلالة مخجلة ، على أن اللهجة السائدة فى ذلك الدور انما هى اللهجة الشمالية ومنها تعرف أن الجناية لم تكن جناية الاستعمار فحسب وأن هنالك أسباب(٢٢٧) متنوعة سنشير اليها بايجاز .

فقد كانت الأيام قبل أن تفغر فاغرة الاستعمار قد أوهنت اليمنيين بقوارعها وحدثت حوادث ذات ـــ شأن منها سياسية ، ومنها اقتصادية ، ومنها دينية واجتماعية ، أدت إلى إنحلال الصبغة الأصلية وأوسعت المجال للغة المضرية ، بما فيها من قوة وفتوة .

وليس معنى هذا أن عرب اليمن أخذوا لغة عرب الشمال وتركوا لغتهم أو تناسوها ، وقد عرفت بما أسلفناه أن لغة اليمن الأولى هى لغة عربية وإن اختلفت عن لغة سائر القبائل العربية بما سبقت الاشارة اليه على صفحات هذه المجلة لأنهم أصل العروبة ومنبتها ، ولذا يقال لهم « العرب العرباء » ولغيرهم العرب المستعربة .

ويقال أن يعرب جد هذه القبيلة الأكبر أول من نطق بالعربية ، وإلى عراقتهم في العروبة يشير ابن « ميّاده » بقوله :

لئن كان فى قيس وخندف ألسن	طوال وشعر سائر ليس يقدح
لقد خرق الحى اليمانون قبلهم	بحور كلام تستقى وهى تطفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا	وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضل لايجحدونه	وليس لمخلوق عليهم تبجح

وغاية ما هنالك أنهم مزجوا لغتهم بلغة هى أرق منها وأمتن ، فتذوقوا العذوبة فى أبلغ الألفاظ والجزالة فى أدق الأساليب ، ولما بين اللغتين من تقارب وتماثل سرعان ما اندمجت(١) إحداهما فى الأخرى ، وأصبحت اللغة المضرية صاحبة الحول والطول فى جميع أنحاء الجزيرة العربية .

(١) وقد ترك ذلك الاندماج أثره فى اللغة الغالبة وبقيت عدة كلمات تحمل طابعها الأصلى .

كانت عرب الشمال قد أنشأت منتديات أدبية عامة بسائق الفطرة وطبيعة عيش البداوة وكان أهم هذه (٢٢٨) المنتديات أسواقهم العامة ، وأجلها سوق عكاظ ، وفيه كانت تتبادل الأفكار الأدبية واللغوية. وكانت لهجات عرب الجزيرة تعرض فى منتجات قرائح الشعراء وكلمات الخطباء. ومن جملة المنتظمين فى عداد هذا المجتمع اللغوى العظيم شعراء وخطباء جنوب الجزيرة ، فقد انشأ منها خطباء وشعراء تزدان بفصاحتهم النوادى ، ويفاخر ببلاغتهم وخطبهم وأمثالهم وجوامع كلمهم فى الحواضر والبوادى .

لقد كانت شعراء اليمن ترد ذى المجاز ومجنة وعكاظ ، تماكظ وتفاخر وتتناشد الأشعار لا فرق بينها وبين عرب نجد والحجاز .

ولما أشرقت شمس الرسالة المحمدية وقام سيد العالم أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم ، يتلو القرآن الذى بهر العقول بإعجازه وفصاحة كلمه ، وروعته وبلاغة أساوبه ، لم يصعب على اليمنيين فهم أسراره وعرفان مقاصده ومعانيه ، بعث سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم والعرب فوضى لا جامعة تؤلف بينهم ، ولا قانون يلم شتاتهم ، ولا راية ترفرف على رؤسهم ولا رابطة تربطهم ، سوى وحدة اللغة والاشتراك فى الشعور والأدب ، ولم تكن تلك الوحدة تسير على نمط موصل إلى الاتحاد الكامل حتى جاء الاسلام دين التوحيد :

وقام خير قريش وابن سادتها	يدعو إلى الله فى عزم وفى دأب
بمنطق هاشمى الوشى لو نسجت	منه الأصائل لم تنصل ولم تغب
طابت به أنفس الأيام وابتهجت	ومر دهر ودهر وهى لم تطب
وهزت الراسيات الشم وارتعدت	لهولة الباترات البيض فى القرب
وأصبحت بنت عدنان بنفحته	تيها تجرر من أذيالها القشب
فازت بركن شديد غير منصدع	من البيان وحبل غير مضطرب

وذلك أن اختلاط العرب بسائر (٢٢٩) الأمم وإندماج لهجات متعددة في لغة الشمال أحدثت إختلافاً عظيما في لهجات العرب بحيث أصبحت كل قبيلة ولها لهجة تخالف لهجة القبيلة الأخرى. فكانت لربيعة لهجة، ولتميم وقيس لهجة ولكنانة وهذيل وثقيف وخزاعة، ولفيف من عرب الحجاز - وتهامة لهجة ولقضاعة لهجة، ولليمن أيضا عدة لهجات، ولكنه كتب الفوز للغة قريش وبها نزل القرآن فذابت تلك اللهجات وإندمجت في لغة القرآن ولم يبق منها إلا ثمالة كثمالة الأداوة حفظته بعض القصائد الجاهلية أو الأمثال السائرة وبطون المعاجم اللغوية وكل ذلك غيض من فيض .

وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم كما في حديث « ليس من أمبرامصيام في أمسفر » وغيره ، وصح أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » .

وقد اختلفت آراء العلماء في تفسير السبعة الأحرف فذهب بعضهم فيها أنها سبع لغات كل حرف منها لقبيلة ، ورويت عنهم نصوص في تعيين هذه القبائل ، فقال بعضهم خمس في هوازن ، وإثنتان لسائر العرب ، وقال آخرون لغة لقريش ، ولغة لليمن ، ولغة لجرهم ولغة لهوازن، ولغة لقضاعة ولغة لتميم ، ولغة لطيء .

وقال ابن عباس لغة الكعبين وهما كعب بن عمر وكعب بن لؤى ولبطونهما سبع لغات ، وهناك قول آخر وهو أن المراد بالسبعة الأحرف هي الهمزة والامالة والمد والقصر والتفخيم والكسر ونحو ذلك من اللهجات المختلفة ، والقول الأخير هو الأقرب وعليه القراءات المشهورة ، ولها أمثلة

كثيرة وكلها ترجع (٢٣٠) إلى كيفية نطق قبائل العرب بها ، فقد كانت تختلف أساليبهم فى النطق لبعض الكلمات كاثبات همز وتسهيله ، وبها قرأ نافع بن أبى نعيم فى كلمة النبى فى حال الإفراد والتثنية والجمع كلها باثبات الهمزة، والتسهيل فى أأنذرتهم بمد الأول وإبدال الثانية هاء « رواية قالون » ، أو إشباع حركة أو ضده نحو «فمن أوفى بما عاهد عليه الله» ، والامالة وبها قرأ حمزة بن حبيب وهى قراءة أهل الكوفة فى كل مقصور نحو هدى وفتى ، وشاء وجاء ونحو ذلك من الشواهد التى تقصر هذه العجالة عن إستكمالها . ومن إختلاف اللغات إبدال حرف بمقاربة : كصراط وزراط وسراط وجدف وجدث وثوم وفوم ، وقنة الجبل وقنته ، وساط وشاط (١) وإختلاف فى النطق بالحرف كذيب وذئب ، وييس وبئس وأدكر وأذكر (٢) ، والمعاقبة (٣) بين الواو والياء والمياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق ، وتحيزت وتحوزت ، وتوهت والرجل تيهته ، وماهت الركية تموه وتميه وتماه ، وطال طولك وطال طيلك ، وضاره يضيره .

وقد يحولون الواو ياء ويقولون سريع الأيبة والأوبة ولاته يليته وتبوَّغ الدم وتبيغ (٤) ، وقد تصيح البقل — إذا هاج وتصوح ، وفاحت ريحه تفيح فوحاً وفوحاً ، وقالوا : قليته أقلية وقليته أقلاه فى المضارع وسلوته أسلوه وسليته أسلاه (٥) .

وكانت (٦) بعض العرب تبدل السين تاء فى النطق ويقولون فى الناس النات والأكياس الأكيات قال راجزهم :

(١) يعنى خلط قال كعب بن زهير (لكنها خلة قد سيط من دمها) .
(٢) قرىء بهما قوله تعالى : (فهل من مدكر) .
(٣) لغة حجازية .
(٤) تبوغ الدم بصاحبه غلبه وفى الحديث (إذا تبيغ الدم بصاحبه فليحتجم) .
(٥) لغة طيء
(٦) لغة بنى سعد بن زيد مناه .

يا قبح الله بنى السعـــلات عمرو بن يربوع شرار النات
غـــير أعفاء ولا أكيات

وبعضهم يبدلون الحاء هاء قال (٢٣١) رؤبة بن الحجاج : (لله در الغانيات المده) يعنى المدح ، وقال (براق أصلاد الجبين الأجله) أراد الأجلح وازدشنؤه يقلبون القاف جيماً .

ومن هذا قول العرب جثل بمعنى جزل قال العجاج :
« قرون جثل واراد جزل »

هذه بعض شواهد على اختلاف اللهجات وهى بلا شك تمت بأصل وثيق إلى مادتها الأولى وأصلها القديم .

(البحث صلة) احمد بن احمد المطاع

فى سبيل الإصـــلاح

« اللغة وتاريخها — تابع لما قبله »[1]

— ١٤ —

(٢٥٧) على أنا لو أردنا استكمال كل ما جاء فى هذا الباب لخرجنا عن القصد ولكن حسبنا ما أسلفناه (ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق) . والغاية التى نرمى إليها من وراء هذه الأبحاث هى بيان ما لشئون الحياة الاجتماعيـــة والسياسية والاقتصادية وما الرقى والإنحطاط وما للأزمنة والأمكنة والبيئات أيضاً من أثر فى تكوين اللهجات واختلاف الألسن .

---

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ؛ رجب ١٣٥٩هـ (أغسطس/ سبتمبر ١٩٤٠م) ص ٢٥٧ — ٢٦٤ .

(٢٥٨) وبيان الأدوار التى قطعتها وتدرجت فيها لغتنا الشريفة وما بها من عناصر القوة التى استطاعت بفضلها أن تبنى حضارة ظاهرة وأن تخضع البلاد العربية لسلطانها الأدبى آماداً طويلة : وكيف كانت حالتها أيام الجاهلية وما الذى أدخل العرب الفصحاء فيها من الكلمات الأعجمية ، وكيف أصبحت تلك الكلمات بحسن صيغتهم وضاءة الجبين مشرقة القسمات تتمايل مرحا ، وتميس حبوراً بما أتيح لها من حياة ناضرة ونمو مزدهر فى منابت الشيح والقيصوم ومقاول اللهاميم من أبناء يعرب وعدنان .

ثم ماذا أكسب هذه اللغة الإسلام وكيف استطاعت أن تتحول من مركزها الضيق ومهدها الأول (شمال الجزيرة) فتعم الجزيرة العربية جمعاء ، وتجعل من أبنائها كتلة واحدة تحس بشعور مشترك وعاطفة واحدة لا أثر للتباعد والفوارق فيما بينها . ثم كيف توسعت حدودها الجغرافية إلى أفق متباعد الأرجاء مترامى الأطراف ، يحده من خليج فارس شرقا إلى القاموس المحيط (الأتلانتيكى) غربا ، ومن جبال طورس والأناضول وشواطىء البحر الأبيض شمالا إلى المحيط الهندى وصحارى أواسط أفريقيا جنوبا ، وأن تصبح لغة الملايين من الترك والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم من الأمم المختلفة .

وكيف استطاعت أن ترافق الفتح الإسلامى وتماشيه فى تقدمه وتسايره فى توثبة حتى وصلت بسيره إلى قلب أوربا غرباً بعد أن قاربت سد الصين شرقا، وتفى بجميع مطالب الإنسانية المادية والروحية وما الذى أهلها لزعامة العالم فى جميع مناحى الحياة العقلية والعلمية .

وقد أوضحنا فيما مر العوامل التى كان لها أثرها فى اللغة على اختلافها قبل الإسلام ، وسنشير الآن إلى عوامل رقيها وسموها بعد الإسلام ، فانه

لولا القرآن (٢٥٩) الكريم والنهضة العظيمة التى جاء بها الإسلام لذهبت معالم هذه اللغة من الوجود :

نزل القرآن بالضاد فلو	لم يكن فيها سواه لكفاها
حسبها أن صورت من آيه	معجزات عظمت أن تتناهى

نزل القرآن بلغة الضاد ، قرآناً عربياً غير ذى عوج ، نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين من رب العالمين ليكون للعالمين نذيراً بلسان عربى مبين ، فصدع صلى الله عليه وسلم بأمر ربه وشرع بأم القرى ومن حولها من عرب الجزيرة ، ثم ثنى بالشعوب الأعجمية فكتب عليه الصلاة والسلام لكسرى وقيصر والمقوقس يدعوهم إلى الإسلام ، كتب إليهم بلغته العربية لغـــة القرآن الذى قضى الله أن يوحد بها ألسنة جميع الأمم لتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله تعالى : « وان أمتكم أمة واحدة » الآية .

وليتم الآخاء بين أتباع النبى العربى كما أوجبه الله بقوله :(إنما المؤمنون اخوة) والاعتصام الواجب بحبل الله المتين وكل هذه الأسس المتينة والمبادىء العالية الكريمة لا تتم إلا بمعرفة القرآن ينبوع الهداية والمعارف الإلهية، ومعرفة الكتاب العظيم متوقفة على معرفة اللغة العربية ، ولذا كان لزاماً على كل من أظلته الراية الإسلامية ودان بالدين الحنيف أن يتعلم لغته ، التى هى لغة الكتاب الالهى الذى أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر جميع من أتبعه ودان بدينه أن يعبده وأن يتلو القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة مع التدبر والتأمل فى معانيه[1] ، وهذا ما كان فى صدر الإسلام وما بعده ، فان الأمم التى كانت تعتنق الدين الإسلامى من الأعاجم كانت ترى من الضرورى تعلم اللغة العربية لإقامة شعائر الإسلام

(١) راجع تفسير المنار الجزء السابع سورة الأعراف .

وأهمها الصلاة ، إلى أن ضعف سلطان العرب وتمزقت جامعتهم وأصبحوا كالخليط المنبوذ تنتاشهم سباع الأطماع ، وتداعى عليهم أكلة الأمم كما تداعى الأكلة (٢٦٠) إلى قصعتها ، فوقفت الدعوة إلى الإسلام وضعف العلم بالعربية .

ويفضل الدين الإسلامى والدعوة المحمدية عظم حظ اللغة العربية وزكى نبتها واستوسق أمرها ، حتى ملأت الأرض علمـــاً وأدباً وديناً وسياسة وفلسفة وعمراناً ، وصار من شعائر الإسلام درسها والعلم بآدابها والمحافظة عليها ، قال الثعالبى رحمة الله فى أول كتابه فقه اللغة : (أما بعد فإن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبى العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التى أنزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عنى بها وثابر عليها وصرف همته إليها) .

وقال أيضاً (والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هى أداة العلم ومفتاح الفقه فى الدين) .

ولم يقتصر تأثير القرآن الكريم فى توسيع نطاق اللغة العربية بنشرها بين الأمم المختلفة التى دانت بالإسلام فحسب ، ولكنه زاد فى ثروة اللغة بما أدخل فيها من معان جديدة برزت فى قالب حكيم من اللفظ والتركيب ، ومدلولات دينية لا عهد للعرب بها ، وألفاظ لغوية ضربوا للاستفسار عنها أكباد الإبل وآباط المطى ، ودعتهم إلى حفظ أشعار العـــرب وخطبها وأمثالها ، والإكثار من رواية اللغة كما سنوضحه إن شاء الله .

ولسنا نعنى بهذا أن القرآن جاء بلغة لا تعرفها العرب ، ولا أتى بالشاذ من كلامها والغريب من ألفاظها ، كلا بل هو كما وصفه البارى بقوله : «قرآناً عربياً غير ذى عوج » ما حذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال .

ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة ذوى الارب ، لاعصل فى نظمه، ولا وعث فى أسلوبه ، ولا انطفاء لمصباحه ، ولا مرارة لحلاوته ، لا غرابة فيه ولا تعقيد منسجم (٢٦١) العبارة ، حلو اللفظ ، بليغ الكلم ، مترع بالزخارف البيانية ، والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة والكناية والمجانسة والطباق وغير ذلك فى غير تكلف ولا اختلال ، وبتنوع الأساليب ، يلتزم السجع فى مواطن التبشير والانذار ، والوعظ والإرشاد ، وتارة الازدواج، وآونة يحل الكلام المرسل محلهما بأسلوب يبهر العقول ويخلب الألباب ، ولذلك كان عظيم التأثير على عقول العرب شديد الاستيلاء على مداركهم وأفكارهم .

وكذلك السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، فإن بها مادة غزيرة من المفردات اللغوية والتراكيب الفنية العالية الحاوية لشوارد المعانى وجوامع الكلم . فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف ألسنة العرب ويعلم لغة من بعد عنهم واقترب ، فصيح العبارة ، حلو المنطق ، فى كلامه ترتيل لا فضول فيه ولا تقصير ، يفهمه كل من سمعه كأنما هو درر نظمت ، يتكلم بجوامع الكلم كقوله صلى الله عليه وسلم : (الظلم ظلمات يوم القيامة) ، وقوله : (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقوله : (الطاعة فى المعروف) وقوله : (ان الله يحب الرفق فى الأمر كله) وقوله : (الراحمون يرحمهم الرحمن) ، إلى نحو ذلك من الأحاديث القصار المشتملة على محاسن البيان ، كقوله : (ان من البيان لسحرا) ،(ان الله لا يمل حتى تملوا) ،(كل معروف صدقه) ، (الحرب خدعة)،(حمى الوطيس) ، (مات حتف أنفه) إلى آخر ما جاء فى الباب الدال على أنه صلى الله عليه وسلم كان أفصح من نطق بالضاد. وفى كتب السنة النبوية كنوز من المفردات اللغوية لم تعرف إلا منها . وقد نبه شراح كتب الحديث على ما ورد من هذا القبيل وأفردت بالتأليف «كنهاية ابن الأثير فى غريب الحديث» وغيره .

قلد الفصحى حـلى قدسية فزهاها من حلاها مازهاها
(٢٦٢) وبياناً هاشمياً لو رمى قلل الأجبال لأنهدت قواها
أسهم من كلم مسنونة جاهدت فى الله والله براها
كلما صاح بهـا فى طيبة مستثيراً رددتها لابتـاها

ولإيقاف القراء على مقدار الأثر الذى تركه القرآن الكريم والسنة الغراء فى أذهان العرب وقرائحهم، سنعرض عليهم بعض خطب رجال القرن الأول، وفى مقدماتهم إمام البلغاء، وسيد الفصحاء، مولانا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه، قال عليه السلام: «الحمد لله الذى استخلص الحمد لنفسه، واستوجبه على جميع خلقه، والذى ناصية كل شىء بيده، ومصير كل شىء إليه، القوى فى سلطانه، اللطيف فى جبروته، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، خالق الخلائق بقدرته، ومسخرهم بمشيئته، وفى العهد صادق الوعد، شديد العقاب، جزيل الثواب، أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يعرف كنهه غيره، ويتوكل عليه توكل المستسلم لقدرته، المتبرىء من الحول والقوة إليه، وأشهد شهادة لا يشوبها شك إنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل، وكبره تكبيراً وهو على كل شىء قدير». ومنها:

«وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله بالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، وإلى الحق داعياً، على حين فترة من الرسل، وضلالة من الناس، واختلاف من الأمور، وتنازع من الألسن، حتى تم به الوحى وأنذر به أهل الأرض، أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها العصمة من كل ضلال، والسبيل إلى كل نجاة، فكأنكم بالجثث زايلتها أرواحها، وتضمنتها اجداثها، فلن يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص أجله، (٢٦٣) وإنما دنياكم كفىء الظل أو زاد الراكب، إلخ».

ومن خطبة عليه السلام : « أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وأن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وأن المضمار اليوم والسباق غداً ، ألا وإنكم فى أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله ، قبل حضور أجله ، نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصر فى أيام أمله ، قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، وضره أمله ، ألا فاعملوا لله فى الرغبة ، كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ، ألا وأنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد ، وأن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل » .

ومن خطبة له يوبخ بها أصحابه لتواكلهم عن نصرته :

« أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهن الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم ، تقولون فى المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم حيدى حياد[1] ، ماعزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأباطيل ، دفاع ذى الدين المطول ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ، أما مع أى إمام بعدى تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصرتكم ، فرق الله بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم ، وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرف الدينار بالدرهم » .

هذه من بعض خطب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ، وفيها من قوة (٢٦٤) التعبير ، ومتانة التركيب ، وجزالة اللفظ ، وجودة القول ، وسمو البيان ، ما يشهد بصحة ما ذهبنا إليه آنفاً من تأثر البيان العربى ببلاغة القرآن

---

(١) كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه .

وأساليبه ، وأنك لتجد ذلك الأثر وضاح الجبين فى خطب ورسائل الصحابة ، ومن بعدهم ، كما ستراه قريباً إن شاء الله .

ولا شك أن أعظم مورد للاستشهاد على ما نريد هو كتاب «نهج البلاغة» المجموع من خطب أمير المؤمنين ورسائله ، ولأنه كما قال الشريف الرضى رحمه الله : «يتضمن عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعا فى كلام ، ولا مجموع الأطراف فى كتاب ، إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا .

ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى وفيه عبقة من الكلام النبوى .

للبحث صلة　　　　　　　　　　　　احمد بن أحمد المطاع

فى سبيل الإصلاح

«اللغة وتاريخها — تابع لما قبله»[1]

— ١٥ —

(٢٨٩) ولست بحاجة إلى إطالة القول فى وصف محاسن «كتاب نهج البلاغة» ، وما تضمنه من كنوز الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، وإبداع

(١) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شعبان ١٣٥٩هـ (سبتمبر/ أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .

العبقرية وعجائب النبوغ ، وسمو القول وروائع البيان : وفصاحات ضوء الشمس تذهب باطلاء .

ولا سيما وذلك السفر النفيس الذى به تمت النعمة على الأدب العربى والبيان (٢٩٠) العربى فى متناول كل إنسان فليرجع إليه من شاء .

« وفى العيان غنا عن شاهد الخبر »

ويمكن الجزم بأنه لا يوجد فى تاريخ البلاغة العربية من فجر الإسلام إلى يوم الناس هذا أديب لم يغترف من بحره ، أو لم ينهل من نبعه ، فكل خطيب مصقع ، وكل شاعر مبدع ، وكل كاتب بارع يستمد غذاء بلاغته من ذلك الفيض القدسى .

وإن العارف بأسرار هذه اللغة الشريفة ، الخبير بأساليبها ، العليم بكرائم المعانى وعقائل الألفاظ ، البصير بتحفها النادرة ، ودررها الساحرة ، يشهد شهادة حق لا يشوبها شك بأن ذلك الكلام المروى عن الإمام على عليه السلام مقتبس من مشكاة النبوة ، وأن صلته القوية بالقرآن هى التى أكسبته حسن البيان ، ومتانة التبيان ، وسمت به إلى مرتبة الخلود ، وليس ببعيد على من شب واكتهل فى منزل الوحى ومهبط التنزيل أن يتبحبح عرش البلاغة ، ويملك شوارد الأفكار .

ولعل قائل ممن لم يتيسر له الاطلاع على كلام أمير المؤمنين المدون فى الكتاب المذكور يقول أن كل إنسان إنما يقول على قدر طبعه وسجيته وروحه وطريقته وما تنطوى عليه نفسه ، وأن بين القلب واللسان أواصر روحية ، وصلة عقلية وإنما اللسان ترجمان القلب ، وفى الخطب المختارة من كلامه عليه السلام فى العدد السابق أكبر برهان على أنه كان أبين من

خطب ، وأفصح من تكلم ، بعد سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم من بدو وحضر .

ولكن الروح المشرقة على تلك الخطب روح زهد فى الحياة وتشاؤم منها ، روح تقشف وزهادة لا تجدى الحياة الإنسانية فتيلا لأنهـــا داعية تأخر واستسلام ونحن أحوج ما نكون إلى ما يثير القوة ، ويحث على طلب الرفعة ، وسيادة (٢٩١) الأمم ، وملاحظة الخيرات أنى وجدت ، واستطابة الحيــاة الشريفة ، أياً كان لونها ، والاستمتاع بالملاذ المشروعة مهما تكن ، والجد فى العمل والثبات فى جهاد الحياة وجهادها ، وأنى للزاهد المتقشف المنقطع للعبادة القانع بالتافه اليسير ، الكل على غيره ، إدراك هذه الحقائق .

وهنا سندع الجواب للشريف الرضى ، قال رحمه الله : « ومن عجائبه عليه السلام التى انفرد بها ، وأمن المشاركة فيها ، أن كلامه عليه السلام الوارد فى الزهد والوعظ ، والتذكير والزواجر ، إذا تأمله المتأمل ، وفكر فيه المتفكر ، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ، و نفذ أمره ، وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك أنه من كلام من لا حظ له فى غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ، قد قبع فى كسر بيت ، أو انقطع فى سفح جبل ، لا يسمع إلى حسه ، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتاً سيفه ، فيقط الرقاب ، ويجدل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ، ويقطر مهجا ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد ، وبدل الأبدال ، وهذه من فضائله العجيبة ، التى جمع بها بين الأشداد ، وألف بين الأشتات » .

وربما يقال أن هذا الجواب غير مقنع وإن كان يتضمن لمحة موجزة لأبرز صفات الإمام على عليه السلام ، وأظهر مميزاته ، ويشير إلى أنه المثل الأعلى للانسانية من جميع نواحيها ، وأن شخصيته الفذة كانت ملتقى طائفة من الخصال التى ينكر بعضها بعضاً ، وينفر بعضها من بعض ، فكان كرم الله وجهه ، الزاهد الناسك الورع المتقشف ، وكان البطل الأروع القاتك

الشجاع الذى لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وبشجاعته تضرب الأمثال على مر الأجيال ، كان مهيب المقتبل شديد القوة ، قوى الشكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، وكان عظيم البر(٢٩٢) كريم الأخلاق ، سمح اليدين ، طويل الفكرة ، غزير الدمعة ، طلق المحياه بسام الثغر ، دائم البشاش ، حسن المعاشرة ، لطيف المفاكهة ، حتى عيب (بالدعابة) إلى غير ذلك من الصفات والمحامد التى صارت مسك الصحف وعطر التاريخ .

لانا نريد أن نعرف ولو على جهة الإجمال هل يجد القارىء أو المتأدب فى كلام الإمام ما تصبو إليه النفس ، ويعتلج بالفكر من ضروب القول وأنواع البيان غير ما قرأناه من خطبه القيمة فى الزهد ، وتحقير الدنيا ، وتمجيد الله سبحانه وتعالى ، والثناء على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم وتلك الخطبة الرائعة التى نقد بها أخلاق أصحابه .

وقبل إيرادالبيان المطلوب أقول – وأستميح العفو – إنه لم يخطر ببالى عند إيراد (ما) تقدم من خطب الإمام على كرم الله وجهه ، إنى سأضطر أن أقول كلمة واحدة عن حياة أعظم خليفة ، وأجل إمام ، عرفه تاريخ المسلمين ، ولا أن القلم سيخط حرفاً واحداً حول دليل بلاغته التى عبق منها جو الأدب العربى طيباً مدى أربعة عشر قرناً

لذلك لم أعمد إلى نقل بليغ كلامه ، وروائع خطبه ، كخطبته التى ألقاها بعد تلاوة (ألهاكم التكاثر) ، وخطبته المسماة (بالقاصعة) فى ذم الكبر والاختلاف ، والإشارة إلى بعض أسرار التكاليف ، وخطبة الأشباح وما جاء عنه فى صفة الطاووس ، ونحو ذلك ، لأنى لم أقصد الاستشهاد على بلاغته وعلو قدمه فى الفصاحة ، كما أنى لم أتفنن فى اختيار ما روى عنه فى الأخلاق والسياسة وأصول المدنية، وقواعد العدالة، والعمران، والاجتماع والتاريخ وألوان المعارف ، وصنوف الآداب ، ومختلف العلوم ، لأنى لم

أحدث نفسى بالكتابة عن مواهبه العالية وشخصيته الفذة ومزاياه الباهرة لأن قلمى يقصر عن ذلك المقال .

وإنما أوردت فى ذلك المقام من متوسط كلامه عليـــه السلام بقصد الاستشهاد (٢٩٣) على كيفية سير اللغة العربية ونموها بفضل القرآن .

أما وقد بعدنا بعض البعد عن صميم الموضوع ، وتعرضنا لكتاب « نهج البلاغة » ، فلا مانع من إيراد ما وصفه به العلامة الكبير مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وهو أحد الشراح للكتاب المذكور ، وسأحاول فيما بعد إيقاف اليراع بدائرة الموضوع ، قال فى أثناء خطبته لشرح النهج : « كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح عالية ، فى حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحى إليها رشدها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشف لى الجمل عن وجوه باسرة . وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلا نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالهى ، واتصل بالروح الانسانى ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وآنات كأنى أسمع خطيب الحكمة ينادى بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق

الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرياسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير » اهـ .

(٢٩٤) هذا الثناء وأجدر أن أصاحبه   وقد يدوّم ريق الطامع الأمل

وحسبك هذا الوصف الموجز ، فرب قليل يغنى عن الكثير ، والنهلة الباردة تشهد بعذوبة الغدير (وإنما آفة التبر عدم الناقد) .

وإليك أيها القارىء الكريم أنموذجاً من خطبته التى ألقاها بعد تلاوة (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) قال عليه السلام :

« يا له مراماً ما أبعده ، وزوراً ما أغفله ، وخطراً ما أفظعه ، لقد استخلوا منهم أى مدّكر[1] ، وتناوشوهم[2] من مكان بعيد ، أفبمصارع آبائهم يفتخرون ، أم بعديد الهلكى يتكاثرون ، يرتجعون منهم أجساداً خوت[3] ، وحركات سكنت ، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً ، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة[4] ، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة ، وضربوا منهم فى غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية ، والربوع الخالية ، لقالت ضربوا فى الأرض ضلالا ، وذهبتم فى أعقابهم جهالا ، تطأون فى هامهم ، وتستثبتون[5] فى أجسادهم ، وترتعون فيما لفظوا ، وتسكنون فيما خربوا

---

(١) استخلوهم أى وجدوهم خالين .

(٢) وتناوشوهم تناولوهم .

(٣) خوت سقط بناؤها وخلت من أرواحها .

(٤) أحجى أقرب للحجى أى العقل ، فان موت الآباء دليل الفناء .

(٥) تستثبتون تحاولون إثبات ما تثبتون من الأعمدة والأوتاد فى أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجاً بالأرض .

وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم ، أولئكم سلف غايتكم[1]، وفراط مناهلكم ، الذين كانت لهم مقاوم العز ، وحلبات الفخر ، ملوكاً وسوقاً سلكوا فى بطون البرزخ سبيلا ، سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم ، وشربت (٢٩٥) من دمائهم فأصبحوا فى فجوات[2] قبورهم، جماداً لا ينمون ، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيباً لا ينتظرون ، وشهوداً لا يحضرون، وإنما كانوا جميعاً فتشتتوا، وآلافاً فافترقوا، وما عن طول عهدهم، ولا بعد محلهم ، عميت أخبارهم، وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً ، وبالسمع صمماً ، وبالحركات سكوناً ، فكأنهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات ، جيران لا يتأنسون ، وأحياء لا يتزاورون ، بليت بينهم عرى التعارف ، وانقطعت منهم أسباب الأخاء ... الخ .

وهى طويلة منقطعة النظير فى تصوير عالم الفناء وما وراء هذه الحياة ، ذات روعة وجلال يقصر البلغاء وتعجز الأقلام عن الاحاطة بأسرار جمالها وسمو بلاغتها ، ورصانة تركيبها، ودقة معانيها؛ وعلو مرامها؛ وإنه ليستشف من بيانها طابع القرآن وأسلوبه .

للبحث صلة　　　　　　　　　　　　　　　　أحمد المطاع

---

(١) سلف الغاية السابق إليها والفراط جمع فارط السابق إلى الماء .

(٢) الفجوات جمع فجوة وهى الفرجة والمراد منها شق القبر .

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللغة : تأريخها : تدوينها »[1]

« تابع لما قبله »

— ١٦ —

(٣٥٣) ومن الأدلة على تأثر البيان العربي بالقرآن الكريم أن فطاحل البيان وفرسان البلاغة كانوا يستقبحون الخطب التي لاشيء فيها من القرآن، قال أبو عثمان الجاحظ في كتابة البيان والتبيين : « وعلى أن خطباء السلف الطيب ، وأهل (٣٥٤) البيان من التابعين باحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدىء صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد «البتراء» ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم « الشوهاء » .

وقال عمران بن حطان : « خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن » .

وقد استمر أثر القرآن بيناً في ألسنة رجال القرن الأول والثاني ، وكان الايجاز في البيان صورة مفصحة لحياة المسلمين في الصدر الأول تمثل سرعتهم في الفتح والاستيلاء ، ولكن ذلك الفتح واختلاطهم بالأمم المغلوبة ، ودخول أمم من غير العرب ، أو ممن عربيتهم ضعيفة في الإسلام ، كان من أسباب ظهور اللحن والعجمة في لغة القرآن .

---

(١) الحكمة : العدد ١٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شوال ١٣٥٩ هـ (نوفمبر/ ديسمبر ١٩٤٠م) ص ٣٥٣ — ٣٥٦ .

ولم تكن هذه الظاهرة المشئومة وليدة العصر الأموى ولا العباسى ، بل كانت أعرق فى القدم ولنا أن نعتبرها من أيام فتوح الصحابة رضوان الله عليهم لمملكتى فارس والروم ، وذلك ما حدى بالإمام على كرم الله وجهه إلى وضع قواعد وأسس فن النحو ، قال فى تاريخ الأدباء ما نصه : (وسبب وضع على كرّم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فوجدت فى يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ، فقال إنى تأملت فى كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعنى الأعاجم) فاردت أن أضع (٣٥٥) شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه : ثم ألقى إلى الرقعة وفيها مكتوب الكلام اسم وفعل وحرف ، فالإسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبىء به ، والحرف ما أفاد معنى ، وقال له انح هذا النحو وأضف إليه ماوقع إليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الإسم المبهم) .

قال ثم وضعت بابى العطف والنعت ، ثم بابى التعجب والاستفهام ، إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فكتبتها ماخلا (لكن) فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرنى بضم (لكن) إليها . وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال ما أحسن هذا « النحو » فسمى علم النحو .

هو بلا شك يعد من أروع آثار العقل العربى لما فيه من دقة أسلوب ، ورصانة تركيب ، ولطف إشارة ، وغوص على دقائق العبارات ، ومقدرة على جمع شتات المتفرق منها ، وأن سمو مقاصده تنم عن دقة عقل الذى وضعه ، وأسس قواعده .

ولما امتد سلطان المسلمين ، واتسعت أفياء الفكر الإسلامى باتساع سلطانهم ، وتبسطوا فى حياتهم المادية ، أدى تبسطهم هذا إلى توسعهم فى حياتهم الفكرية ، فهبوا وقد راعهم ما طرأ على لغتهم الشريفة من اللحن والتحريف والدخيل ونحوه ، فشحذوا قرائحهم ، وألفوا المؤلفات الضخمة فى كل ناحية من نواحى الثقافة الإسلامية العربية ليصلحوا بذلك ما فسد .

(٣٥٦) وكان هؤلاء(١) العلماء فرقاً ، كل فرقة يغلب عليها الميل إلى ناحية من نواحى هذه الثقافة ، فالخليل بن أحمد وأبو زيد الأنصارى ، والأصمعى ، وأمثالهم غلب عليهم مفردات اللغة وجمعها والبدء بتبويبها . والمفضل الضبى ، وخلف الأحمر ، وحماد الراوية ، وغيرهم غلب عليهم جمع القصائد والأشعار والأمثال وما إلى ذلك . ومحمد بن اسحق والواقدى وبو مخنف والهيثم بن عدى والمدائنى مالوا إلى تدوين الروايات عن الأحداث التاريخية : كفتوح الشام ، وفتوح العراق ، ووقعة الجمل ، ووقعة صفين ، ونحو ذلك ، وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتبه إلى الملوك والمغازى ، وأسماء المنافقين والوفود ، وابن الكلبى وأمثاله عنوا بالأنساب وما يتبعها من بيوتات ومنافرات ومودات ، وفى أخبار الأوائل من عاد الأولى والآخرة والمعمرين والأصنام والقداح وأيام العرب وأسمارهم الخ .

على أنا إذا نظرنا فى كتاب سيبويه المتوفى سنة (١٦١) أو سنة ١٨٠ كما يقال ، ومذاهب علماء العربية المتقدمين كأبى عمرو والخليل وسيبويه وإضرابهم من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وهشام الضرير من أئمة الكوفيين ، وما بذل كل من الفريقين فى خدمة ذلك الفن ، وجدنا مجهوداً

---

(١) ضحى الاسلام .

عظيما وعملا ناضجاً حتى أن الناظر فيها ليحتار لذلك التقدم المدهش فى مدة وجيزة ، ويعجب بثمار تلك العقول ومبدعاتها ، على أنه لولا القرآن الكريم لم يكن شيئاً من ذلك .

(للبحث صلة)　　　　　　　　　　احمد بن احمد المطاع

فى سبيل الإصلاح

« اللغة وتاريخها : علم النحو وتدوين المعاجم »[1]

— ١٧ —

(٣٣) قلنا فيما سبق أن اللغة العربية زادها القرآن الكريم والسنة الغراء نشاطاً وقوة ، وأن ذلك النشاط الأدبى ظهر بوضوح وجلاء فى كتابة رجال القرن الأول وما بعده ، وأوردنا بعض خطب تمثل الأسلوب الذى جرى عليه بلغاء القرن الأول ، ثم أشرنا إلى الزمن الذى طرأ على اللغة فيه اللحن والعجمة ، وقلنا أن زمن ذلك يتصل بأيام الفتح الإسلامى واختلاط الأمة العربية بغيرها من الأمم (٣٤) ، وذلك ما حدى بالإمام (على كرم الله وجهه) إلى تدوين علم النحو ، وأهاب برجال القرن الثانى وما بعـــده إلى تدوين العلوم على إختلافها ، كل ذلك حرصاً على اللغة الشريفة ، وخدمة للكتاب العزيز .

ونحب قبل المضى فيما ذهبنا إليه أن ننبه القراء إنا لم نقصد بما قلناه أخيراً نقض ماقدمناه على صفحات هذه المجلة ، من أن اللغة مثل الحياة ومن لازم الحياة الحركة والتغيير ، وأن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى الحجة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٤٠/يناير ١٩٤١م) ص٣٣ — ٣٧ .

الألسنة والأقلام كان لها أثرها فى التصحيف والتحريف والعجمة واللكنة، وأن هذه المؤثرات لم تكن وليدة العصر العباسى أو مابعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والإستيلاء على ممالك العجم فى صدر الإسلام . وقد ألممنا إلى تلك الأدوار بما فيه الكفاية ، وغرضنا الآن الإلمام بالمؤثرات التى عرضت لها فيما بعد ،وكما قلنا أن العجمة قديمة الظهور كذلك نقول عن اللحن فإنه يرجع تاريخ ظهوره إلى العصر الجاهلى . نقل الأستاذ البحاثة المعاصر زكى مبارك فى كتابه (النـــثر الفنى) عن كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى قال: والآمدى لا يستبعد اللحن بل يقرر :(أنه لا يكاد يعرى منه أحد من الشعراء المحدثين ، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين ، وأنه قد جاء فى أشعار المتقدمين ما لا يقوم العذر فيه إلا بالتأويلات البعيدة، وأن ماعيب على البحترى من مخالفة المقاييس والبعد عن الصواب قد جاء كثير مثـــله فى أشعار القدماء والأعراب الفصحاء) .

ولا ريب أن العوامل التى واجهت اللغة فى العصر الإسلامى كانت كبيرة التأثير ، عظيمة التطور ، كثيرة الإنتاج ، مختلفة كل الاختلاف عما كانت عليه أيام الجاهلية : منها اتساع رقعة الفتح ، واختلاط العرب بالأمم الأعجمية، ذلك الاختلاط (٣٥) الذى كاد أن يستولى على ثمار القرائح العربية ويفسد أسلوبها العجيب وجمالها الساحر ، ولا سيما فى الحواضر ، بينما كان اتصال العرب فى جاهليتهم بأمم الأعاجم لايتعدى الشئون الاقتصادية وبعض الأحوال السياسية ، فكانت العرب تقتبس بعض الكلمات الأعجمية وتعود إلى باديتها . فلما جاء الإسلام استولت العرب على أكثر مواطن الحضارة ، وواجهتهم حضارة الأمم المغلوبة بمسميات لا تعد ، ومعارف لا تحصى ، لا عهد لهم بها ، فلم يقفوا أمام ما عرض لهم واضطروا إليه وعرفوا حيارى . بل وضعوا له الأسماء على أسلوبهم المعروف فى النقل

والتعريب والاشتقاق(١) ، وكان إلى جانب نهضتهم السياسية والفكرية نهضة دينية ، فكانوا ينشرون الراية الإسلامية والدعوة إلى الدين الإسلامي والعمل بالقرآن والعلم بلغته في جميع أجزاء مملكتهم الجديدة المترامية الأطراف .

وبينما كانت اللغة العربية يتكامل نموها ، ويزداد سموها ، وتسير بخطوات سريعة (٣٦) لتتبوأ مكانتها في أوج الشمس في جميع نواحي المملكة الإسلامية ، إذ بعملية الامتزاج وتأثير الاختلاط ينمو ويتعاظم ، وإذ باللحن يفشو ، والعجمة واللكنة والتصحيف يسود ويتغلب في الحواضر الإسلامية .

وهنالك خاف المسلمون: (أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، واستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشياء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول

---

(١) قال الأستاذ المحقق أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام أن العرب لما تحضروا بعد البداوة وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدل عليها ، وكان ذلك في جميع مرافق الحياة من أدوات الزينة وأنواع المأكولات والملابس وآلات الغناء والدواوين ونظامها ونحو ذلك ، فسلكوا خير طريق يسلك لذلك وهو : أن يتوسعوا في مدلولات الكلمات العربية أحياناً ، ويأخذون الكلمات الأجنبية كما هي أحياناً ، ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحياناً . وكانت اللغة الفارسية منبعاً كبيراً من المنابع التي تستمد منه اللغة العربية وتوسع بها مادتها . حكى الصولي قال حدثنا علي بن الصباح قال سمعت الحسن بن رجاء يقول ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي ، فقال الفارسي ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملككم فما استغنيتم عنا في أعمالكم (ولغتكم) حتى أن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سميناه ما غيرتموه كالاسفيداج والسكباج والدوغباج وأمثاله كثيرة ، كالسكنجبين والجلاب وأمثاله كثيرة : فسكت عنه العربي ، فقال له يحيى بن خالد : قل له : اصبر لنا نملك كما ملككم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها ، لا نحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم .

الأهمية فى هذا الجزء من العالم ، وأنه ليس هناك حاجة إلى الخوف من أن المصالح البريطانية القانونية ستمسها السياسة أو الأعمال الايطالية[1] . ولكن يبدو أن محادثات يناير وتصريح يوليو سنة ١٩٢٧ ، يدلان صراحة على قلق إنجلترا ، وخوفها الناتج من عقد المعاهدة اليمنية لا العكس . فمجرد حرص انجلترا على التفاهم مع إيطاليا على مصالحها فى السواحل العربية ، دليل قوى على أن هذه المعاهدة قد أثارت قلق انجلترا وانتباهها لهذا الخطر الوافد عبر البحر الأحمر ، لذلك سارعت لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتأمين هذا الخطر .

نتائج المعاهدة بالنسبة لايطاليا واليمن :

ولكن ما مدى استفادة إيطاليا من عقد هذه المعاهدة مع الامام ؟ ومامدى استفادة اليمن داخلياً من هذه المعاهدة كذلك ؟ والاجابة على هذين السؤالين ، تحتاج إلى تتبع آثارها على مر التاريخ ، وهذا سيتضح طوال عهد الإمام يحيى . ولكن يمكن الاكتفاء الآن بالإشارة إلى آثار المعاهدة من هاتين الناحيتين .

يبدو أن استفادة إيطاليا من وراء هذه المعاهدة ، كانت لا تتناسب مع أهمية المعاهدة التاريخية باعتبارها أول معاهدة للامام مع دولة أجنبية ، ومع ما كانت إيطاليا تنتظره من ورائها . فقد كانت إيطاليا تعتقد أن اليمن ستكون مستعمرتها الهامة فى شبه الجزيرة — كما كانت أريتريا على الشاطىء الإفريقى — ولكنها لم تلق نجاحاً يذكر فى هذا المجال ، ويرجع هذا إلى عدم ثقة الإمام وخوفه من وجود أى نفوذ أجنبى فى بلاده[2] . فلم يفتح الإمام فى الحقيقة اليمن أمام النفوذ الإيطالى ليتغلغل بالصورة التى أرادتها إيطاليا ، ولم يتح لها الفرصة للقيام بتوسع استعمارى أو استغلالى فى بلاده .

---

(١) Survey of International Affairs, 1928, p. 314,

(٢) Hans Helfritz : The Yemen, p. 125,

فى سبيل الاصلاح

« اللغة وتاريخها : علم النحو وتدوين المعاجم »(١)

— ١٨ —

(٩٨)وكان هم أولئك الرجال حفظ مايسمعونه من كلام العرب الفصحاء الذين لم تفسد سلائقهم بمخالطة الأعاجم وسكنى الأمصار وهم أهل جزيرة العرب ، ولذلك كانوا يتسابقون إلى الأخذ عنهم ، والارتواء من مناهلهم الصافية ، كما فعل أبو زيد الأنصارى وأبو عمرو بن العلاء والأصمعى والكسائى وأمثالهم ، قال أبو زيد فى أول كتابه النوادر :) ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعى من المفضل بن محمد الضبى ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعى من العرب. وسأل الكسائى الخليل بن أحمد من أين علمك هذا، فقال من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائى وأنفد خمس عشرة قنينة حبرا فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ، وأما أبو عمرو بن العلاء، فقد رووا أن كتبه عن العرب الفصحاء (٩٩) ملأت بيتاً له إلى قريب السقف، وتاريخ الأصمعى مملوء بالقصص عن الأعراب فى البادية وما سمع عنهم من لغة وشعر وقصص (١) .

ظلت اللغة العربية تتمتع بجهود أبنائها البررة وتزهو بروائع نثرهم ونظمهم مدة الحكومة الأموية بكمالها ، وكان لملوك بنى أمية عناية كبرى بالأدب العربى وإستماع المسجلات الطريفة، والقصص الأخلاقية، والاصغاء إلى القصائد والأراجيز والأمثال والنوادر والأخبار المأثورة عن أعراب

---

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، صفر ١٣٦٠ هـ (فبراير / مارس ١٩٤١م)، ص٩٨ — ١٠٣ .

(٢) ضحى الإسلام .

البادية . وفى أيامهم أقبل الناس على مدارسة الأدب الجاهلى والاستمتاع بما فيه من بلاغة ومتانة ، ورقة وسلاسة ، وجلال ، وروعة وما شاءت لهم أنفسهم الصافية المتعطشة ، إلى متع الخيال، وسمو الفن، وفخامة المعانى، وطلاوة البيان وعذوبة القول ، ورصانة الأسلوب ، وأريج الابداع ، بعد أن كانوا قد تناسوه حقبة من الزمان ، لاشتغالهم بالفتح والاستيلاء وتأسيس المملكة الإسلامية الواسعة الرقعة ، المترامية الأطراف ، فكأنهم أرادوا أن يرفهوا عن أنفسهم المكدودة بنفائس الأدب القديم ، وعرائس بنات أفكار النابغين المتفوقين .

وبنو مروان لله همو	عدة الفصحى وحراس حماها
رب مأثور لهم ودّ له	صدف اللؤلؤ لو كان شفاها
خطب هُزّها منبرهم	يقذف الهول دراكا من رماها
وقواف سل أبا حرزتها	وسل الأخطل كيف ابتدعاها

وكان للأدباء والشعراء من رعاية الأمويين وعنايتهم وعظيم صلاتهم أكبر عون على حذق اللغة وخدمتها والمنافسة على قيد شواردها والمكاثرة بما أخذوه عن فصحاء البادية ، وعقلاء الأعراب واستظهروه من أخبار الجاهلية وآدابها (١٠٠) حتى أن بعض رجال ذلك العصر كان يعمد إلى الغريب من كلام العرب ويدمجه فى كلامه رغبة فى المبالغة وحبا للظهور ، قال العجاج : كان الكميت والطرماح يسألانى عن الغريب فاخبرهما به ثم أراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير موضعه ، وأنا بدوى أصف ما رأيت فأضعه فى مواضعه .

هذه صورة ولها أمثلة عديدة تدلنا على خطأ بعض الشعراء الذين يحتج بكلامهم فى فهم ما نقلوه عن العرب ، ومن أمثلة خطأ العلماء ما روى ابن الإعرابى قال : «لقينى أبو محاتم ومعه إعرابى ، فقال : جئتكم بهذا الإعرابى لتعرفوا منه كذب الأصمعى ، أليس كان يقول فى بيت عنترة :

شربت بماء الدجرضين فأصبحت　　　　زوراء تنفر عن حياض الديلم

أن الديلم الأعداء لأنهم أعاجم ، والعرب كانوا يعدون جميع الأعاجم أعداءهم ، فسلوا هذا الإعرابي ما معنى الديلم فسألناه ، فقال : حياض بالغور أوردتها إبلى غير مرة ، (١).

ونحن لا نشك فى أن علماء الإسلام ونخص منهم أئمة اللغة رحمهم الله حفاظهم بذلوا من العناية فى النقد والتمحيص والتصحيح والتزييف لما يصل اليهم من الروايات مجهوداً يقف دونها الفكر ، ويندهش لمتاعبها الرجل الجلد الصبور ، وألفوا المؤلفات القيمة فيما وقع من أصحاب اللغة والشعر من التصحيف، لأنهم كانوا يعدون خدمة اللغة خدمة للكتاب والسنة ، وهو كذلك ، قال حبر الأمة عبد الله بن العباس ، رضى الله عنهما : الشعر ديوان العرب فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فألتمسنا معرفة ذلك منه) .

(١٠١) وقد ذهب جماعة من علماء العربية إلى القول بأن الحديث لا يصح الاستناد اليه(٢) فى إثبات ألفاظ اللغة ، ولا فى وضع قواعدها ، وحجتهم أن تدوينه إنما كان فى القرن الثانى ، وقد وقع الإختلاط وظهر اللحن وتسربت العجمة وراء الحديث ، كانوا يجيزون الرواية بالمعنى ، فانتفت الثقة من أن

---

(١) ضحى الإسلام .

(٢) وزعم أبو حيان أنه مذهب المتقدمين والمتأخرين من علماء العربية فقال فى شرح كتاب التسهيل (أن الواضعين لعلم النحو ، المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبى عمرو ، والخليل وسيبويه ، من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء ، وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك (أى لم يحتجوا بالحديث) وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس) راجع ما كتبه الأستاذ المحقق محمد الخضرى حسين فى الجزء الثالث من مجلة المجمع اللغوى .

لفظ الحديث الذى نطق به الراوى هو عين اللفظ الذى نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم . وذهب آخرون إلى الجواز وصحة الاستدلال بالحديث، ولهم على ذلك أدلة وبراهين ليس من غرضنا بسطها وتفصيل أدلة أصحابها، وإنما سقناه كبرهان على ما قلناه آنفاً .

وقد أجملنا الكلام عن العصر الأموى وليس من الصواب ، فأنه يعد بحق من أهم عصور اللغة وأنقاها ، وأحفلها بفرسان البلاغة وأعيان البيان، ولأدب رجاله نفحة طيبة الأريج ، عبقة الرائحة ، وناهيك بعصر من بعض رجاله عبد الحميد الكاتب الذى يضرب ببلاغته المثل حتى قيل: (فتحت الرسائل بعبد الحميد(١)(١٠٢)وختمت بأبن العميد)، وإبن المقفع(٢)علم البلاغة وسلطان البيان ، قال المحبى : « يتيمه إبن المقفع يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها » ، وهى رسالة فى نهاية الحسن، تشتمل على محاسن من الأدب الخ ،وفى: « رسائل البلغاء » من أدبهما الكثير الطيب فليرجع إليها من شاء . ويمتاز أدب ذلك العصر بما يمتاز به أدب القرن الأول من الجودة والمتانة والمحسنات اللفظية ، والجمع بين السجع والترسل ، وحلاوة التعبير ،

(١) عبد الحميد بن يحيى كان أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا ، وهو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل ، اتصل بمروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية وانقطع إليه حتى قتل فى خبر طويل ، قال الأستاذ المحقق زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى: (المعروف أن عبد الحميد بن يحيى هو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية ، ومعنى هذا أنه كانت للعرب تقاليد كتابية) (١٠٢) أضاف إليها عبد الحميد زيادات فنية فى الفواتح والخواتم فهو لم ينشىء فناً جديداً ولكنه أصلح فنا قديماً) الخ .

(٢) عبد الله بن المقفع بن المبارك وسمى والده بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة فى مال احتجنه من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتقفعت يده ، وأصله من خوز مدينة من كور فارس . وكان ابن المقفع مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن على عم السفاح والمنصور وكتب له واختص بخدمته ، وهو أول من اعتنى فى الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية اليونانية إلى العربية ، وله أيضاً عدة كتب ترجمها من الفارسية إلى العربية. قتله المنصور العباسى على يد عامله على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى وسبب قتله غدر المنصور بعمه عبد الله بن على ، وقد رمى ابن المقفع بالزندقة من بعض معاصريه حسداً له وإرضاء للسياسة .

وفصاحة الأسلوب وقلة الغريب ، والميل إلى السهولة مع الرصانة والانسجام، اقتداء بالقرآن الكريم ، ومحاكاة لأساليبه البيانية . ومزاياه العربية العالية.

وإلى القراء بعض خطب الأمويين وخصومهم ، وهي صورة ناطقة بنشاط اللغة وسموها في تلك الأيام ، فمن ذلك هذه الخطبة للخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، وهي تعبر عن أخلاقه وورعه وزهده وتقشفه وميله الشديد للمساواة بين الناس أصدق تعبير .

«أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله (١٠٢) بينكم فيه ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن يخاف اليوم وباع قليلا بكثير وفانيا بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون حتى يردوا إلى خير الوارثين ، ثم أنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه ، وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتهنا بعمله غنياً عما ترك فقيراً إلى ماقدم ، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي فاستغفر الله لي ولكم، وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا إلا سددناه، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ، ولحمتي الذين يلونني حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وايم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا عالماً بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى عن معصيته .

البحث صلة

احمد بن احمد المطاوع

والاطلاع على تكوين نهضاتها من أقدم (١٧٦) عصورها ومشاهدة أجيالها وهي تخرج من الكهوف إلى الصروح ، ومن الأكواخ إلى القصور ، ومن الأودية والغابات إلى المحاكم والكليات ، ومن نقش الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد واستخدام البخار ، فعليه بما خلدته الأيام على صحائف التاريخ .

وإن شاء الرجوع إلى العصور العافية ، والتغلغل في مهاوى القرون السحيقة ، كي يرى الإنسان الأول يزاول أعماله بسائق الفطرة ، ويترصد فريسته في ألفاف الشجر ، وأجواف الحفر ، ويتعقب الطرائد في مخارم الجبال وبطون الأودية ، أيام كان يستوطن الكهوف والغيران ، ويتسلح الحجر ، فليرجع إلى آثار تلك العصور ، (ولكل نبأ مستقر) .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التاريخ ما عرف في جميع أدواره عصراً هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضي والارتواء من مناهل ثقافته ، والتنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها ، والبحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر .

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضي وآثاره ، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم وأمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال ، وتجعل من آثار ذلك الماضي أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية في الصدور وإلهاب نار الحماسة في الرؤوس مستلهمة وحي النبوغ والتقدم من أرواح الآباء والأجداد .

ولذا كان لزاماً على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولا إلى الماضي بدراسة تاريخها ، ومعرفة ما فيه من الحوادث والكوارث ، والوقائع والكوائن وأسباب الصعود والهبوط ، فإن حياة الأمم موصولة ، وحاضرها القريب وليد ماضيها البعيد، ولذا قيل : «إن الأمة التي تهمل ماضيها ولا تعرفه

والاطلاع على تكوين نهضاتها من أقدم (١٧٦) عصورها ومشاهدة أجيالها وهى تخرج من الكهوف إلى الصروح ، ومن الأكواخ إلى القصور ، ومن الأودية والغابات إلى المحاكم والكليات ، ومن نقش الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد واستخدام البخار ، فعليه بما خلدته الأيام على صحائف التاريخ .

وإن شاء الرجوع إلى العصور العافية ، والتغلغل فى مهاوى القرون السحيقة ، كى يرى الإنسان الأول يزاول أعماله بسائق الفطرة ، ويترصد فريسته فى ألفاف الشجر ، وأجواف الحفر ، ويتعقب الطرائد فى مخارم الجبال وبطون الأودية ، أيام كان يستوطن الكهوف والغيران ، ويتسلح الحجر ، فليرجع إلى آثار تلك العصور ، (ولكل نبأ مستقر) .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التاريخ ما عرف فى جميع أدواره عصراً هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضى والارتواء من مناهل ثقافته ، والتنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها ، والبحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر .

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضى وآثاره ، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم وأمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال ، وتجعل من آثار ذلك الماضى أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية فى الصدور وإلهاب نار الحماسة فى الرؤوس مستلهمة وحى النبوغ والتقدم من أرواح الآباء والأجداد .

ولذا كان لزاماً على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولا إلى الماضى بدراسة تاريخها ، ومعرفة ما فيه من الحوادث والكوارث ، والوقائع والكوائن وأسباب الصعود والهبوط ، فإن حياة الأمم موصولة ، وحاضرها القريب وليد ماضيها البعيد ، ولذا قيل : «إن الأمة التى تهمل ماضيها ولا تعرفه

مثل الرجل الذى يفقد ذاكرته »، ويقول علماء الاجتماع وتباريس علم الأخلاق : (إن ماضى الأمة لا يموت أبداً ، ولكنه يكون حياً (١٧٧) تاريخه إلى آلاف السنين يستوحى منه .

فدراسة التاريخ إذاً من ضروريات البقاء ، ومعرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الارتقاء ، ولا سيما إذا كان فى تاريخ الأمة من أعمال المجد والعظمة ما يثير الفتوة ، ويبعث النشاط والقوة فى شرايين الأجسام المنحلة، ويدفع بالأبناء إلى ترسم آثار الآباء ، فإنه يستحيل أن يرضى لنفسه بالذل والمهانة من كان أبوه يعزم العزمة الفاصلة فيملى إرادته على الملوك والجبابرة، ويقول الكلمة فتطفىء الحرب العوان وتشعل ، وإذا ربع كان له السيف والرديني أمنع معقل .

وكيف يجمل بأبناء الأرواع اللهاميم فراجوا الغمم من دانت لسطوتهم الملوك ، وذلت لهيبتهم الأقاليم ، أن يكونوا نَقَداً تنتاشهم سباع الأطماع وهم فى غفلتهم ساهون ، أو تنزل بهم عون الخطوب فيذلون ويسمدون ، و (يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) .

أجل ، إن من يدرس أصول النهضات العالمية يجد فى قرارتها أثراً للتاريخ وضاح الجبين وعوامل وأرواح الآباء مصدر تلك القوة وأساسها المتين ، فلا غرابة إذا رأينا جبابرة العقول ، وفطاحلة الفكر الإنسانى ، تعد التاريخ من أكبر الوسائل لتنمية العقل وتهذيب الشعور ، وبسط النفوذ ، وسعة الملك ، وتضخيم الثروة ، وعظمة الشأن ، ونرى علماء الغرب على اختلاف مشاربهم ، وتنوع معارفهم ، وتباين مباحثهم ، ومناحيهم ، عاكفين فى جامعاتهم السنين الطوال : هذا يدرس أجناس البشر وأصول الشعوب ، ومتى وجد الإنسان على الأرض ، ومدنيته الأولى ، وصفاته وقسمات وجهه إلى آخر ما هنالك .

وذلك مكب على تمثال قديم يرجع (١٧٨) فنـــه وجماله ودقته مبلغ حضارة الأمة التي وجد فيها ، كما أن زميله وضريبه قد شغلته لفظة لغوية في أدب أمة لا يمت إليها بصلة عن كل ما في الوجود ، كل ذلك رغبة في العلم ، ووصلة إلى فهم الشعوب وعاداتها وأخلاقها ، لوسائل كثيرة ، منها : علمية محضة ، ومنها سياسية واقتصادية ونحو ذلك . ومن التواريخ التي أصبحت اليوم تدرس في جامعات الغرب كفن مستقل : تاريخ اليمن القديم وما به من النقوش والآثار والعـــاديات وما خلفه آباء اليمنيين من آداب وثقافة صقلت العقل الإنساني وازدانت بها حضارة البشر في أيامهم ، وهي اليوم كعبة تحج إليها أفئدة النوابغ افتتاناً بروعتها وجلالها ، وترتشف من معينها العقول ويتخذ منها الأقوام درعاً لتوطيد أركانها وتخليد كيانها .

ذلك ما حدا بي إلى تقليب صفحة من صفحات تاريخ هذه الأمة الضخم ، والتنقيب عن بعض فرائد عقدها الثمين ، وإن كان ماضيها كثير الظنون قل أن يفوز الخرّيت منه بما يشفي الأوام ، ويطفي لاعج الغرام ، لما على لياليه الماضية ، وأيامه الخالية ، من غبار الدهور ، وكلا كل العصـور .

وهيهات أن يجد المشتاق بالرسوم العافية ، والأطلال البالية ، ما يجده بمطارحات تفيض النعمة من ثناياها ، وتتسابق الشموس متطاولة من أبراجها وحناياها .

اللهم إلا أن تكون مرابع أنس ، ومراتع سرور ، أقوت عن القطان وفارقها السكان ، ونزح عنها الأخلا ، ولم يبق من أثافيها إلا : (نقط يشك الشاك فيها) ، فإن لها ذكريات لا تقوى يد الحدثان على الدنو من من قدس تذكرها .

وهذه الذكريات إحدى عناصر التاريخ ومميزات هذا الإنسان ، فهو لا يقنع بما هو آت ، ولا يسأم الوقوف أمام المخبآت: غاص أعماق البحار، وركب متون الأخطار ، واستنطق الجماد ، وعزى (١٧٩) اللانهاية بقوة فكره ، وحاول أن يفجع الغد فى مخبآت سره رغبة فى الاطلاع ، وهياماً بالرواية والسماع ثم هو مع هذا : (دائم الحنين إلى سالف خال والبكاء على دارس بال) ، لا يقف عند غاية الأوهام بما خلفها ، وساقته الفطرة إلى استكشاف ما وراءها ، فلا غرو أن أصبح علم التاريخ من مشتهيات النفوس وأغراضها ، وشئون الحياة ولوازمها .

(يتبع) احمد بن احمد المطاع

فى التاريخ اليمنى

اليمن فى مدارج التاريخ

التاريخ وفوائده[1]

— ٢ —

(٢٠٤) وإذا كان من طبع الإنسان وغريزته الحنين إلى الفائت المندثر، والالتفات إلى أطلال الأحبة ، والوقوف بآثارهم الدوارس ، والاعتزاز بتقاليده وماضيه ومجده وتاريخه ، وما كان لأجداده من سجايا ومفاخر، وعادات ومآثر .

فأخلق بأبناء من ملكوا الخافقين ، وبسطوا سلطانهم على العالمين ، أن يعتزوا بتاريخهم ، ويفاخروا بماضيهم ، ويكاثروا بنوابغهم وأبطالهم

---

(١) الحكمة : العدد ٧ ، المجلد الثانى ، السنة الثانية ، جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ (يونية / يولية ١٩٤٠م)، ص ٢٠٤ - ٢١٠ .

الذين تساقطت تحت أقدامهم عروش الفاتحين ، وملكوا الأمور على من كان يملكها فى أطراف الأرضين .

وأن يقفوا وقفات كبرى لا كاوث أزار أو كحل عقال ، بل وقوف جميل فى عراص بثينة ، أو وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمة ، بآثار أسلافهم الغر حيث كانوا يتناغمون ويتسامرون وينثرون طرائف الحكمة وروائع الكلم ، بأن يعرجوا بأطلال ماضيهم المجيد لينظروا أبدع ثمرة تركها الإنسان ، وأجمل نتاج للعبقرية والنبوغ ، وأسمى حضارة عرفها التاريخ .

وبهذا الالتفات وذلك الوقوف ما يوقظ الهمم ، ويهيب بالأبناء إلى متابعة الآباء ، ويشوارد الأنفس إلى سواء السبيل ، ليقرنوا شرفهم التليد بمجدهم الطريف كما قيل :

(٢٠٥) إنا وإن كرمت أوائلنا   لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا   تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

ولا بدع لحفظ مناقب الآباء والاعتداد بآثارهم الصالحة من أكبر العوامل المثيرة لعزة النفس ويقظة الوجدان وسمو الغاية ، وقديماً كانت العرب تفاخر بأمجادها وآبائها فى أنديتها وأسواقها ومجتمعاتها ومواسم حجها ، قال تعالى : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرى » .

وكل شعب يحمل أمانة التاريخ ، وتجرى فى عروقه مناعة دم شريف ، وتدور فى رأسه ذكريات الماضى ، لا يطمئن إلى حياة لا تصله بماضيه : « فإن من فاته حسب نفسه لا ينفعه حسب أبيه » .

والتاريخ كما قلنا هو سجل الحياة ، والصورة الفنية للعصور الغوابر ،

وحقق آمال المنبت الحائر ، وقد طمحت به النفس إلى ذرى المجد وسنام المفاخر ، وحفزته غريزته البشرية إلى معرفة تراثه من الأكابر ، ومشاهدة معرض الوجود الحاشر .

منه يستلهم وحى النبوغ ، ومن أرواح أبنائه وآثارهم يستملى روحاً تسمو به إلى أبعد شأو كتب له فى الحياة ، بعزيمة أمضى من القضاء ، وصدر أوسع من الفضاء ، وشجاعة فى الله يكلؤها الحجى .

وأحر ، بمن عرف الماضى ، وأفنى القرون ، وساير ركب الزمان ، أن تسمو نفسه وتتهذب مداركه ، وتلطف شمائله ، وتتحرك مشاعره ، وتحفزه المؤثرات الحرة إلى مطمح الإنسانية ومثلها العالية : (وأن لا يكون كمستمع اللدم يسمع الناعى ويحضر الباكى ثم لا يعتبر ، وإنما البصير من سمع فتفكر ، ونظر فأبصر ، وانتفع بالعبر ، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة فى المهاوى ، والضلال فى المغاوى) .

فإن التاريخ هو الشاهد العدل ، والرقيب العتيد ، والمراقب المشرف على أعمال (٢٠٦) الأمم وما جرياتها لا تفوته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يترك حسـنة ولا سيئة إلا أتى عليها ونقلها ، يرمى فيقرطس ، ويضرب الحز ويقطع المفصل .

من عادة التـاريخ ملء قضائه عـدل وملء كنانتيـه سهام

هذا وللتاريخ من الفوائد غير ما مر من تهذيب الأخلاق ، وإيجاد الشعور القومى ، وإذكاء نيران العواطف الكامنة فى القلوب ، وتوحيد كلمة الأمة وصهرها فى بوتقة واحدة ، وجعلها كتلة لا تتجزى ولا تتفرق ، يقودها المجد إلى ميادين العظمة ، وسعة السلطان ، وبسطة النفوذ ، ويزجيها الإخلاص والحرص على كنوز تراثها وتقاليدها إلى المحل اللائق بها تحت

الشمس ، وتوازرها فى سيرها نحو الغاية حرارة عقيدة شب عليها الصغير ، وورثها بجموع الأمة عن أسلافه ، وغير ذلك من خلال الكمال .

مقام لا ينكر فى خدمة الكتاب العزيز والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، فهو عمدة المفسر لمعرفة الناسخ والمنسوخ وغيره من الأسباب المتوقفة على نتائجها ، وهو دليل المحدث ، ومعلم الفقيه ، به تعرف الآجال وحلولها ، والأخبار وناقلوها ، قال سفيان الثورى رحمه الله : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » ، وقال حماد بن زيد : « لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ » .

وبمقدار ما يستفيد منه الملك لإصلاح رعيته ، والسياسى لمهمته ، والفاتح لغايته ، والاجتماعى لعمله ، والمزارع لحاجته ، يستفيد منه القاضى والمرشد والمعلم والمحدث وغيرهم من جميع الأصناف فى جميع الشئون ، فله بكل مقام مقال :

لا تقل دارها بشرقى نجد	كل نجد للعامرية دار
ولها دمنة على كل رسم	وعلى كل دمنة آثار

(٢٠٧) (التاريخ لغة واصطلاحاً وكيف يجب أن يكتب)

قال المقريزى رحمه الله فى خططه : «التأريخ كلمة فارسية أصلها (ماروز) ثم عربت ، قال محمد بن يوسف البلخى فى كتابة مفاتيح العلوم : « وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به » ، وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج : « تأريخ كل شىء آخره ، وهو فى الوقت غايته ، يقال فلان تاريخ قومه أى إليه ينتهى شرفهم ، ويقال ورخت الكتاب توريخا ، وأرخته تأريخا ، الأولى لغة تميم والثانية لغة قيس .

وقال الأستاذ العلامة محمد كرد على فى كتابه خطط الشام ، قال العلامة

والترولية ، وما الى ذلك من الحوادث الطبيعية كطول الأمطار ، وفيضان الأنهار ، وأخبار الزلزال والبراكين ونحو ذلك .

ولعل ذلك الداء سرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التى معناها التوقيت ، ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) ومعناها الرواية والتحقيق لكانت طريقتهم فيها أخال غير ما كان .

ولم تذل هوة البعد عن الحقائق والغرض الأصلى من كتابة التاريخ تقسع حتى أصبح سلطانه منهار الجرف ، منقض الدعائم لطول ما عبثت به أحداث الزمان وأحداث الإنسان فى عصور الوهم وأزمنة الانحطاط ، وصار أسوأ من الأدب حظاً ، وأنحس منـــه طالعاً ، تتلاعب به أدمغة العجائز وألسنة القصاصين والممخرقين والمخرفين ، محشوة أسفاره بالخرافات والأكاذيب إلا النادر القليل .

وسواء فى ذلك من عنى بتاريخ قرن أو حكومة أو قطر ، أو من اشتغل بالتاريخ العام ، وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ « كحاطب ليل » ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تكأة له فى سيره المغلوط ، فاشتبهت عليه المخارج والموالج ، واختلط لديه الحابل بالنابل ، فجمع الغث والسمين ، ومزج الممكن (٢٠٩) بالمستحيل ، وليت الخطب وقف عند هذا المرض القتال ، والداء العضال ، وهو مزج الصحيح بالسقيم ، وخلط الجائز بالمستحيل ، ومجانبة النقد وعدم التمحيص ، ولكنه تعداه إلى ما هو أدهى وأمر ، وأسوأ حالا مما مر ، وذلك ما أشار إليه الأستاذ المعاصر محمد كرد على بقوله : « كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قويين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق » . وقال العلامة الفيلسوف إمام المؤرخين ، واضع علم الاجتماع عبدالرحمن ابن خلدون(١)

---

(١) هو المفكر الإسلامى العظيم له طريقة لم يسبق إليها فى فلسفة الاجتماع والتاريخ .

والدولية ، وما الى ذلك من الحوادث الطبيعية كطول الأمطار ، وفيضان الأنهار ، وأخبار الزلزال والبراكين ونحو ذلك .

ولعل ذلك الداء سرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التى معناها التوقيت ، ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) ومعناها الرواية والتحقيق لكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان .

ولم تذل هوة البعد عن الحقائق والغرض الأصلى من كتابة التاريخ تتسع حتى أصبح سلطانه منهار الجرف ، منقض الدعائم لطول ما عبثت به أحداث الزمان وأحداث الإنسان فى عصور الوهم وأزمنة الانحطاط ، وصار أسوأ من الأدب حظاً ، وأنحس منـــه طالعاً ، تتلاعب به أدمغة العجائز وألسنة القصاصين والمخرقين والخرفين ، محشوة أسفاره بالخرافات والأكاذيب إلا النادر القليل .

وسواء فى ذلك من عنى بتاريخ قرن أو حكومة أو قطر ، أو من اشتغل بالتاريخ العام ، وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ « كحاطب ليل » ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تكأة له فى سيره المغلوط ، فاشتبهت عليه المخارج والموالج ، واختلط لديه الحابل بالنابل ، فجمع الغث والسمين ، ومزج الممكن (٢٠٩) بالمستحيل ، وليت الخطب وقف عند هذا المرض القتال ، والداء العضال ، وهو مزج الصحيح بالسقيم ، وخلط الجائز بالمستحيل ، ومجانبة النقد وعدم التمحيص ، ولكنه تعداه إلى ما هو أدهى وأمر ، وأسوأ حالا مما مر ، وذلك ما أشار إليه الأستاذ المعاصر محمد كرد على بقوله : « كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قويين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق » . وقال العلامة الفيلسوف إمام المؤرخين ، واضع علم الاجتماع عبدالرحمن ابن خلدون(١)

---

(١) هو المفكر الإسلامى العظيم له طريقة لم يسبق إليها فى فلسفة الاجتماع والتاريخ .

فى التـــاريخ اليمنى

اليمن فى مدارج التاريخ

التـاريخ وفوائده[1]

— ٣ —

(٢٦٤) وإذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبرى وابن الأثير والمسعودى (٢٦٥) وابن خلدون فى تأريخه دون المقـــدمة وأضرابهم ، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم وجلاله ، ولمسنا روح البحث والتحقيق والاستقصاء والانقطاع للعمل والشهوة العلمية لذاتها بارزة ومائلة .

ولكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ، ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوافدين من الأمراء والملوك ، وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافلة بالمعنى المراد من التأريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها .

ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير : « ولكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها » . وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث وما جرى فى السنين من الأحداث ، فجمعوا فى مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجاً بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر المتنوعة .

---

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثـانى ، رجب ١٣٥٩ ه (أغسطس/سبتمبر ١٩٤٠م) ، ص ٢٦٤ — ٢٦٩ .

فى التـــاريخ اليمنى

اليمن فى مدارج التاريخ

التـاريخ وفوائده[1]

— ٣ —

(٢٦٤) وإذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبرى وابن الأثير والمسعودى (٢٦٥) وابن خلدون فى تأريخه دون المقـــدمة وأضرابهم ، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم وجلاله ، ولمسنا روح البحث والتحقيق والاستقصاء والانقطاع للعمل والشهوة العلمية لذاتها بارزة ومائلة .

ولكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ، ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوافدين من الأمراء والملوك ، وما يتْبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافلة بالمعنى المراد من التأريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها .

ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير : « ولكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها » . وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث وما جرى فى السنين من الأحداث ، فجمعوا فى مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجاً بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال ، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر المتنوعة .

---

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثـانى ، رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس/ سبتمبر ١٩٤٠م) ، ص ٢٦٤ — ٢٦٩ .

واستمر الحال على ذلك آماداً متطاولة ، وطرق التأليف فى هذا الفن متشابهة حتى ظهر إمام المؤرخين عبدالرحمن بن خلدون رحمه الله فىالقرن الثامنالهجرى فعنى بالتاريخ عناية خاصة واعتبره جزءاً من الفلسفة ولكن هذا الجزء ينبغى ألا يعنى بشىء سوى تقرير الحوادث والعمل على كشف ما بينها من اقتران الشىء بسببه على أساس النقد البرىء من التشيع والهوى .

وأكبر قواعد البحث التأريخى هى أن الحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول(١) .

(٢٦٦) وقد أطال فى مقدمته الكلام على هذه المباحث ، وأثبت فيها القوانين العامة والأسس الأولية للمقايسة والتمييز وذلك بالإمكان ، والمقايسة والاستحالة ، فمقارنة الماضى بالحاضر تعطينا قانون التشابه ، وقياس الأخبار على أصول العادة ، وطبيعة العمران يعلمنا قانون الإمكان والاستحالة .

ومن المؤسف أن هذا الفيلسوف الاجتماعى العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ لتأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية ، وظلت آثاره أنفاً لم يمط عنها اللثام إلى أن شرع الغرب فى النهوض .

أما من تقدمه من مؤرخى المسلمين فإنه بالرغم عن مقدرتهم العالية ، وملكتهم الكتابية ، ونزاهة مقاصدهم ، واتساع الفكر الإسلامى العربى وحريته فى أيامهم ، نجدهم فيما نقلوه عن غيرهم قد تجنبوا النقد أو تهيبوه تقديساً للرواية أو لعلة أخرى ، وقليل منهم من أتى بشىء جديد ، أما ما يتعلق بأزمنتهم فلم يبعدوا عن الأسلوب المذكور أولا .

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة فى الإسلام ومقدمة ابن خلدون

على أن بعضهم قد تأثر بالنزعات الدينية والعصبية القومية والمذاهب السياسية إلى أمد بعيد فظهرت مؤلفاتهم فى ثوب شفاف ينم عما تحته من سلطان الهوى وحكم العاطفة .

كما أن بعضهم لم يتورع عن خـــدمة الأغراض السياسية والمقاصد الشخصية ، وجعل البحث التاريخى شبكة لصيده ، ومطية لنزوات روحه ، ولا سيما أيام كانت السياسة تركض وراء الألسنة القوية ، والأقلام السليطة لتستفيد من نصرتها ، وتعتز بشهرتها ، ليتم لها احتكار السلطة فى أشخاص القائمين بها ، وصرف البلاد والعباد عن التفكير المثمر والعمل النافع ، إلى ما يعود بالمجد الأجوف والخير المزعوم ، وقد سجل التاريخ من أعمال الفريقين ما يندى منه الجبين .

وصفوة القول أن هذا الفن لم يوله أربابه (٢٦٧) الأكفاء حقه من العناية كسائر الفنون: « ولم يمحصوا أخبارهم الموروثة تمحيصاً دقيقاً ، ومع هذا فقد كان الكثيرون يعولون عليها تعويلهم على المشاهدة ، وكانوا يرجحونها على حكم العقل لأنه قد يسهل أن يسلم بنتائج غير صحيحة » .

وكان بين المؤرخين دائماً قوم يذكرون مختلف الروايات من غير تشيع ، وكان آخرون مع ما أظهروا من مراعاة لمطالب الحاضر لايترددون فى الحكم على الماضى أحكاماً يتفاوت حظها من الصحة ، وكثيراً ما يسهل على الإنسان أن يصيب فى حكمه على الحوادث الماضية أكثر مما يسهل عليه الحكم على شئون العصر الذى يعيش فيه »[1] .

وقد أنتج الفكر العربى عند ما استبحر فى العمران ، واتسع نفوذه ، وازدادت معارفه قسما من أقسام التاريخ تفنن فيه تفنناً يفوق الوصف ، وبلغ فيه مبلغاً من الإتقان لا يدرك شأوه ، واستعمل فيه النقد والتمحيص إلى أبعد حدوده وذلك فن التراجم .

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة فى الإسلام .

واهتمامهم الكبير بالبلدان وضبط أسماء المدن والقرى والجبال والأنهار والأودية والطرق والمسافات ومحطات البريد ، وتكبدهم الرحلات الشاقة والأسفار الطويلة في سبيل البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستأهل التخليد والتسجيل ، وتأليفهم في ذلك المؤلفات النفيسة الممتعة ككتاب الجاحظ عن البلدان ، ومعجم ياقوت الرومى الحموى ، وصفة للجزيرة العربية للهمدانى اليمنى ، ورسالة فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب ابن إسحق الكندى ، وجغرافية عبد الله بن خرداذبة ، والمقدسى ، ومحمد بن رسته ، وأمثالهم

(٢٦٩) كما أن إليهم يرجع الفضل أيضاً فى تخطيط الخرائط . ووضع التقارير الضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم .

وأقدم أثر عربى عثر عليه فى تخطيط الخرائط كتاب أبى زيد البلخى ، أحد تلامذة الفيلسوف الكندى ، عنى فيه بوجه خاص بالخرائط ، فصور العراق فى زمانه سنة ٣٠٩ هـ بخريطة جعلها ياقوت الحموى دليله فى رحلته كما نوه به فى كتابه : إرشاد الأريب .

وكذلك فعل الشريف محمد الادريسى فى كتابه : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، وهو من أجل الكتب الجغرافية وأنفسها ، وبه خريطة للبلاد المصرية وكان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثانى) ملك صقلية ونابلى منتصف القرن السادس .

والمستبصر فى تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز واليمن فى أيامه ، وذكر طرقها وتاريخ اختطاطها ، ومقدار المسافات إليها .

ومن أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير أحمد بن فضلان سفير المقتدر العباسى فى بلاط ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية وعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم بأسلوب ممتع أورده ياقوت فى معجمه .

واهتمامهم الكبير بالبلدان وضبط أسماء المدن والقرى والجبال والأنهار والأودية والطرق والمسافات ومحطات البريد ، وتكبدهم الرحلات الشاقة والأسفار الطويلة فى سبيل البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستأهل التخليدوالتسجيل ، وتأليفهم فى ذلك المؤلفات النفيسة الممتعة ككتاب الجاحظ عن البلدان ، ومعجم ياقوت الرومى الحموى ، وصفة للجزيرة العربية للهمدانى اليمنى ، ورسالة فيلسوف العرب أبويوسف يعقوب ابن إسحق الكندى ، وجغرافية عبد الله بن خرداذبة ، والمقدسى ، ومحمد بن رسته ، وأمثالهم

(٢٦٩) كما أن إليهم يرجع الفضل أيضاً فى تخطيط الخرائط . ووضع التقارير الضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم .

وأقدم أثر عربى عثر عليه فى تخطيط الخرائط كتاب أبى زيد البلخى ، أحد تلامذة الفيلسوف الكندى ، عنى فيه بوجه خاص بالخرائط ، فصور العراق فى زمانه سنة ٣٠٩ هـ بخريطة جعلها ياقوت الحموى دليله فى رحلته كما نوه به فى كتابه : إرشاد الأريب .

وكذلك فعل الشريف محمدالادريسى فى كتابه :نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، وهومن أجل الكتب الجغرافية وأنفسها ، وبه خريطة للبلاد المصرية وكان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثانى) ملك صقلية ونابلى منتصف القرن السادس .

والمستبصر فى تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز واليمن فى أيامه ، وذكر طرقها وتاريخ اختطاطها ، ومقدار المسافات إليها .

ومن أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير أحمد بن فضلان سفير المقتدر العباسى فى بلاط ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية وعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم بأسلوب ممتع أورده ياقوت فى معجمه.

وتقرير إبراهيم بن يعقوب أحد تجار المغرب عن رحلته إلى أوربا وألمانيا، وأبو دلف مسعر بن مهلهل عن الهند وتركستان وأبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى عن الهند أيضاً .

والقاضى الحسن بن أحمد الحيمى الصنعانى ، سفير الإمام المتوكل على الله إسمعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد ، إلى ملك الحبشة وصف فيه حالة البلاد الطبيعية والسياسية وبلاط ملك الحبشة ، وما كان يحتوى عليه من دسائس الرؤساء والقواد ونحو ذلك .

يتبع   **السيد أحمد المطاع**

فى التاريخ اليمنى

اليمن فى مدارج التاريخ[1]

— ٤ —

(٢٩٥) تلك نظرة إجمالية وكلمة عامة عن المصادر التاريخية العربية كان إيرادها (٢٩٦) لبيان ما يعترض الباحث أو المؤرخ من عقبات فى تاريخنا القديم على جهة الإجمال ، وفى المثال ما يغنى اللبيب ، وذلك كله والمصادر التاريخية للأمة أو البلدة التى يريد البحث عن أحوالها متوفرة، والمراجع التى يستنبط من منابعها بحوثه ، ويستقى من مناهلها نصوصه غنية ، والطرق الموصلة إلى الغاية معبدة أو قريبة[2] .

---

[1] الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شعبان ١٣٥٩ هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٢٩٥ — ٣٠١ .

(٢) وما أصدق ما قال الكاتب الكبير الأمير شكيب أرسلان فى مقدمة كتابه تاريخ غزوات العرب فى هذا الشأن ، ولا ينبئك مثل خبير ، قال : « ولعمرى أن هذا التاريخ المجيد وإن سقته سيول المحابر ، واخضرت له أعواد المنابر ، وسبقت فيه تآليف استولى أصحابها على الأمد اخراجا ، ولمعت فيه كتب لو لاحت لكانت بروجا ، ولو نضدت لكانت أبراجا ، لاتزال فيه نواقص بادية العوار ، ومعالم طامسة الآثار ، ومظان متوارية غامضة ، ومعلومات قاعدة غير ناهضة تحتاج إلى همم بعيدة من الأفواج الآتية ليثيروا من دفائنها ، ومعارف واسعة عند السلائل المقبلة لينثلوا من كنائنها » .

ولكن قل لى بربك أيها القارىء ماذا يقول الباحث المفكر المنصف الخبير بمشاق البحث ومتاعب الطلب ، إذا وقف أمام التاريخ اليمنى وأبحاثه الغامضة وفصوله المبعثرة بين مئات المجلدات وآلاف الصفحات ؟ وبماذا يحكم إذا عرف أن طريق البحث متعرجة ملتوية ذات أدغال وسلسلة جبال وعرة المسالك ، وأن السالك فيها لعلى قلت إلا ما وقى الله ؟ .

لا شك أنه يعذر الكاتب فى تقصيره ، ويرضى منه بميسوره ، ويوسعه العذر ، ويقابله بمزيد الشكر ، وأيم الله إنه لشىء عسير « يضل فيه الخريت ، ويحار فيه الحكيم » . وقديماً اضطربت أفكار المؤرخين فى أمره ، كما احتار من بعدهم فى قصصه وأخباره ، فنى سبيل الله ما يلاقى الباحث فى تاريخ اليمن .

غير أنه لما كان من الواجب المحتم على كل فرد وهبه الله حظاً من العلم ، ونصيباً من الادراك ، وقسطاً من المعرفة (٢٩٧) القيام بواجب الشكر ، وشكر كل نعمة بحسبها ، وكنت ممن أفنى السنين الطوال ، وشغل فراغ أيامه منذ الحداثة إلى زمن الكهولة . فى البحث والتنقيب والدرس والتنقير عن علم التاريخ ، وما بصحائفه من عبر وعظات ، ومن بين تلك الأسفار ما يخص اليمن المبارك ، «مجر عوالينا ومجرى السوابق» ، أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذلت الوسع ، واستفرغت الجهد فى جمع الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستقراء النصوص ، وتتبع الأدلة حسب الإمكان . وقد راعيت أمانة النقل ، وواجب العلم فيما احتججت به من كلام الغير ، وأبحت القراء من عقلى ونفسى ما أبحتهم من عقول ونفوس من نقلت عنهم ، فلم أكتف بنقل ما قالوه وجادت به عقولهم من دون أن أبدى رأيى ، ولا سيما فيما تضاربت عنده الأفكار ، واختلفت فيه الروايات ، فإنى لم أقف هنالك وقوف المشدود الحيران ، بل نقدت ومحصت بقدر ما أستطيع ، (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) ، ومن الله أستمد التوفيق ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

وسأبتدى بذكر حضارة اليمن وأقوال المؤرخين فى ذلك .

(اليمن مهد الحضارة البشرية)

اليمن الخضراء أو اليمن السعيد[1] ذات المروج الخضراء ، والسهول الممرعة، والهضبات الخصبة ، والجبال الشاهقة ، والينابيع الفياضة، والأنهار المتدفقة ، والأسداد المحكمة ، والآثار الخالدة ، مشرق شمس الحضارة ، ومطلع (٢٩٨) فلاك المدينة ، مركز النبوغ ومعهد الثقافة ، مهد الإنسان الأول (٢) ، وأقدم بلدان المعمورة رقياً، وأروعها مدنية ، وأعظمها عمرانا ، تحت سمائها الصافية وعلى أديمها المنبت ، وفي مروجها النضرة مرحت أبطال الحروب ، وعباقرة الفنون ، ومهرة الرسامين ، ونوابغ الصناع ، وتركوا من نتاج عبقريتهم وآثار نبوغهم معاول الدهر ، وفل شباة القرون .

ولم تزل بعض تلك الآثار جاثمه كالخلود ، تمثل لرأيها أجيالا من ملوك حمير وسبأ ومعين والأذواء ، وينشد لسان حالها قبل سؤالها :

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

وما عليك أيها الباحث إلا أن تقف قليلاً بطلولهم الدوارس، ورسومهم الطوامس ، بمعين ، وبراقش، والحمراء ، وصرواح ، وسبأ، وناعط، وظفار ، وينون وغمدان كي تناجيك آثارهم ، وتخبرك مآثرهم من نقوشهم المطلوسة على الأحجار ، وبقية أطلالهم الثابتة على كر الأعصار ، أنهم أساتذة العالم في تلك العصور ، فان بقية ما أسارته الأيام من القصور والهياكل والمدن والمعابد

---

(١) قال المؤرخ المعاصر الدكتور إسرائيل ولفنسون : « يعتقد جلازر أن كلمة العرب السعيدة عن اليمن إنما هي ترجمة حرفية لكلمة اليمن باليونانية لأنها مأخوذة من اليمن والبركة ، لا كما يعتقد المستشرقون أن هذا اللفظ من اختراعات اليونان ، هذه ملاحظة دقيقة وتعارض النظرية التي تقول بأن كلمة اليمن تعني ناحيـة اليمين ، كما أن بلاد الشام من ناحية الشمال » .

(٢) عن ابن قتيبة في كتاب المعارف .

لا يزال قريباً مما كان ، والكثير منها سطا عليه الزمان ، فلم يبق منه غير العنوان .

طلل عند دمنة عند رسم　　ككتاب محا البلا عنوانه
من رآها يقول هذى ملوك الـ　　ـدهر هذا وقارهم والرزانه
وبقيا هياكل وقصـــور　　بين أخذ البلى ودفع المتانه

ثم تندس ذلك القلم المسمارى والخط الهيروغلوفى وردد الطرف فى آثار الأمم التى نالت حظها الكامل من الحضارة فى تلك القرون ، تجد المشابهة الكاملة ، والمشاكلة التامة ، شبه الماء (٢٩٩) بالماء والغراب بالغراب ، وحينئذ لا يسعك إلا الجزم بوحدة الأصل والتسليم بما قضت به أساطين البحث ورجال التاريخ وعلماء الاجتماع وغواة الآثار من أن تلك الأنوار التى أنارت الشرق والغرب قبس من هذه النار ، فإذا عرفت ذلك فما عليك أن تنشد بملء فيك .

الملك فيك وفى بنيك وانه　　حق من الآباء للأحفاد
وأمانة التاريخ فى أعناقهم　　من عهد بابل يوم نهضة عاد
وذوى حمورابى وآل سميذع　　وبنى معين وحمـــير وأياد

وفيما تكاثفت عليه ظلمات الأعصار ، وطمرته أتربة النسيان ، وغمرته سوافى الزمان ، وزوابع الطغيان ، ولم يبق منه غير (نوء مثل خط بالقلم) . من ذلك الماضى المشرق ، والشرف المؤثل ، والفخر التالد ، وما يشبع رغبات الباحثين ، ويسد فراغ الخزائن ، ويسدى إلى التاريخ والإنسانية أعظم منه .

فما لا شك فيـــه أن اليمن كانت لها حضارة موغلة فى إثباج الماضى ، وأنها سبقت مدنية الإغريق والرومان فى تشييدالصروح والقصور والمعابد وتجميلها بالزخارف والنقوش والتهاويل ، وان سبأ ومأرب كانتا محط رحال النوابغ ، ومثابة لرجال الفنون كالبنائين والحفارين والمصورين ، وان فن

العمران بها كان قد سبق زمن (أقليدس) أستاذ الهندسة الأكبر كما يستفاد ذلك من أطلالها التي تدل بنقوشها أنها كانت قبل أن يعرف العالم أقليدس[1] .

كانت اليمن وعرف وجودها قبل أن تشاد بيوت النيران ، ومعاقل الأوثان ، وبيع الصلبان ، وأديار الكهان ، قبل أن يبني خوفو[2] هرمه العظيم (٣٠٠) ، ويؤسس سرجون[3] الأول دعائم ملكه بالبحر المتوسط وجزر اليونان ، ويخرج موسى ببني إسرائيل من أرض الفراعنة : كانت شريعة «حمورابي»[4] أول شريعة عرفها البشر ونظام سنة الإنسان ، واليمن تنظر إليه بعين الإعجاب لأنه فرع من دوحتها العظيمة ، وغصن من شجرتها الباسقة ، وذلك قبل أن ينشر بوذا[5] تعاليمه على ضفاف الكانج بقرون .

نقل المؤرخ الشهير استرابون اليوناني أن الإسكندر الكبير كان قد اختط خطة قبل موته ، قصاراها أنه يريد نقل عاصمة ملكه من الهند إلى اليمن ، وذلك يدل على ما كان لهذه القطعة المباركة من مكانة في نفس ذلك الفاتح العظيم ، وقديماً أطلق عليها الرومان والفرس واليونان اليمن السعيدة ، والجزيرة الخضراء ، ووصفها مؤرخوهم بما يعجز القلم عن وصفه .

عرفت اليمن وعرفت حضارتها الرائعة وعمرانها الزاخر ، وعلومها

---

(١) اقليدس أبو الهندسة ومؤسس مذهب البحث العلمي وإليه يرجع الفضل في جعل عصر سيده بطليموس ســـوتر ، عصر تفوق رياضي عظيم ، وبطليموس هو مؤسس دولة البطالسة في مصر بعد الاسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

(٢) خوفو من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدنية .

(٣) سرجون الأول الآشوري أول من أسس ملكا سامياً كبيراً في أرض بابل سنة ٢٨٠٠ ق ـ م . وامتد نفوذه إلى البحر الأبيض المتوسط وانتقل إلى الجزر اليونانية ، وسيأتي الكلام على الآشوريين عند ذكر الهجرات القديمة .

(٤) من الأسرة الكنعانية التي ملكت بابل بعد الآشوريين حوالي سنة ٢٣٠٠ ق . م .

(٥) ظهر بوذا في القرن الحادي عشر قبل الميــلاد ، وقيل إنه كان عايشاً في القرن السادس أو السابع قبل المسيح .

ذكرنا قبل ذلك عند استعراض علاقات الملك حسين مع باقى أمراء الجزيرة العربية ، أن علاقته مع الإمام كانت طيبة بالنسبة لعلاقاته مع باقى الأمراء . فقد كان يعترف له بالإمامة ، ويكره توسع الإدريسى فى تهامة ، ولكنه كان يرى أن نفوذ الإمام لا يمتد إلا إلى الطوائف والجهات الزيدية فقط . وقد حدث فى أواخر سنة ١٩٢١ وأوائل سنة ١٩٢٢ بعض التقارب، فيذكر الجرافى أنه : « فى سنة ١٣٤٠ هـ بعث ملك الحجاز الشريف حسين بن على مندوباً إلى الإمام وهو رئيس الأشراف بمكة ، فنزل ضيفاً على الإمام، ولما أزمع الرحيل رأى الإمام أن يوفد معه بعض أصحابه رداً للزيارة ، وأرسل معهم قصيدة أنشأها السيد العلامة الأديب يحيى بن على الذارى ، وهى تحث على الوفاق بين الأمة العربية » [1] . بل ويذكر أمين الريحانى نص معاهدة حررت فى صنعاء فى ١٨ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ (أوائل يولية سنة ١٩٢٢ م) بين الشريف حسين والإمام يحيى وكان قسطنطين ينى [2] هو الذى عمل على إتمامها [3] . وقد عاد قسطنطين ينى بالمعاهدة إلى الملك حسين ليعرضها عليه ، ولكن يبدو أنه لم يتم توقيع المعاهدة ، وأنها كانت غير نافذة المفعول لما تلا ذلك من أحداث داخل الجزيرة العربية أدت إلى القضاء على دولة الملك حسين .

ويجب أن نلاحظ أن سبب هذا التقارب هو انتماء البيتين الحاكمين فى مكة وصنعاء ، إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا مما أدى أيضاً إلى التقارب بين الإمام يحيى والعراق فيما بعد . وقد نظمت هذه المعاهدة « المأمولة » ، العلاقات بين الطرفين وقربت بينهما ، ودعت إلى التعاون والسلام بين البلدين . وهناك مادة خاصة بالتعاون فى حالة وجود عدوان

---

(١) الجرافى : المقتطف من تاريخ اليمن ، ص ٢٢٦ .

(٢) زميل الريحانى فى رحلته إلى صنعاء ومبعوث الملك حسين إلى الإمام وأحد ضباط جيشه ، وله قصيدة فى ذم القات ومضغه أرسلها للامام يحيى .

(٣) أمين الريحانى : ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ٢١٠ — ٢١٤ .

فى التـــاريخ اليمنى

اليمن فى مدارج التاريخ(١)

« تابع ما قبـله »

— ٥ —

(٣٢٨) فاليمن إذن مهد الديانات ووطن الأساطير ، عانقت الصابئية الأولى ، واحتضنت المجوسية ، كما حمت الوثنية وتغلغلت فى جنباتها اليهودية ، وربت فيها المسيحية : دحرت الرومان ، وقهرت الغزاة ، ولفظت الأحباش ، وهضمت الفرس ، وخرجت من معارك الدهر وصراع القرون عربية إسلامية « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه » .

فانها لم تلبث الوثنية أن خنست ، كما تخاذات المسيحية ، وانكمشت اليهودية ، كما تراجعت المجوسية ، وأصبحت هذه القطعة المباركة وزر الأمن ، ومعتصم السعادة ، منبع الحكمة ، ومقر الإيمان ، والمحل الذى منه يأتى نفس الرحمن ، كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم القائل : (الإيمان يمان والحكمة يمنية) ، هكذا صح عن سيد ولد آدم رجل العالم صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً ، قبل عصر البخار والكهرباء واستنطاق الجماد ، وحل الرموز وقراءة النقوش ، ومعرفة الآثار ، قبل أن يعثر كريستوف كلمب على أمريكا (٣٢٩) بألف سنة قال سيد قريش « الحكمة يمانية » .

وهناك طوت سجل الماضى ، وقامت بحمل راية الفتح الإسلامى ،

الحكمة : العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رمضان ١٣٥٩ هـ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٤٠م) ص ٣٢٨ — ٣٣٣ .

فأنجبت من أبطال الحروب ، وكبار القواد ، وأفذاذ الحكماء ، ونوابغ الشعراء ، ومشاهير العلماء ، عداد نجوم السماء .

شهد الخلائق أنها لنجيبة   بدليل من ولدت من النجباء

هب رجال اليمن لنشر راية التوحيد خفافاً وثقالا ، واحتملوا أبناءهم وأزواجهم ونزحوا إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام ، وهنالك فى أرض الهجرة دافعوا دفاع الأبطال ، واقتحموا الأهوال ، وصابروا وصبروا وقاتلوا حتى ظفروا باحدى الحسنيين[١] .

بعد أن ملؤا العالم قديماً ، وأخذوا إمرة الأرض اغتصاباً ، واستولوا على الممالك أحقاباً ، وتسلموا زمام الحياة المادية والمعنوية دفعاً وانتزاعاً ، بما لهم من صفاء العقول ، ومضاء العزيمة ، وشدة البأس ، وعظمة المجد ، وكرم الأعراق ، فقد كانوا أعجوبة الحياة بكل مظاهرها ، ولله علامة اليمن نشوان بن سعيد حيث يقول :

قومى الذين تملكوا وتمكنوا   فى الأرض قبل تمكن الاسكندر
الخاتمون لسد يأجوج الذى   لا يستطاع لردمه من مظهر
والضاربون الهام فى يوم الوغى   بين الصوارم والقنا المتكسر
ولكم لحميركم وكم من مفخر   باق إلى ميعاد يوم المحشر

لاشك أن أهل اليمن بلغوا مبلغاً (٣٣٠) عظيما فى الملك ، واتسع نفوذهم ، فشملت معارفهم وحضارتهم كل ما استولوا عليه من الأقاليم

---

(١) خرجت الموجة الأخيرة اليمنية لفتح مملكتى فارس والروم فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قال الواقدى لن أبا بكر قال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لذا أقبلت حمير ومعها نسائها وأولادها فابشروا بنصر الله على أهل الشرك ، قال نعم .

والبلدان ، لأنهم وصلوا إلى ما لم تصل إليه مدارك الأمم فى تلك العصور كما تدل عليه آثارهم .

ولا سيما بمدينة سبأ الشهيرة ، ومأرب حيث كانت أعظم مدينة فى ذلك الزمن ، فيها من المعابد والقصور والحدائق وأنواع طرف المدنية ما يشهد لها بالسبق ، ولأطلالها اليوم من العظمة والجلال ما تتضاءل أمامه عظمة المدائن ، ويصغر بجانبه ملك كسرى وقيصر ، وحسبك ما وصفها به القرآن الكريم قال تعالى : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) .

وقوله تعالى حاكيا عن هدهد سليمان عليه السلام فى وصفه عرش بلقيس وملكها : (إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم) .

قال العلامة شكيب أرسلان : « على أن مؤرخى الافرنج يعترفون بأن فى كتب مؤرخى الإسلام عن مدينة سبأ القديمة والأدوار التى تلتها تنطبق أشد الانطباق على الكتابات المنقوشة فى الحجر وعلى المنابع اليونانية والرومانية ، وكلها تفيد أن مدينة سبأ كانت راقية جداً ، وأرقى من المدنيات العربية الأخرى ، فالمبانى القديمة الدائرة من آثار سبأ ، والنقوش والتماثيل وبقايا الأعمدة والهياكل والقصور والأسوار والأبراج وسدود المياه ، مما شاهده سياح الأفرنج بأعينهم ، يطابق أشد المطابقة الأوصاف التى وصف بها اليونان والرومان تلك الآثار المدهشة ولا يجدون فيها مبالغة ، كما أنه عندما ينظر السائح إلى تلك الآثار لا يعود متعجبا مما جاء عنها فى كتب الإسلام ، مما كان يظنه من أساطير الأولين . وحسبك بما ذكره الهمدانى من قصر (٢٢١) غمدان وغيره من قصور سبأ مثل قصر سلحين وبينون ، وما ذكره من عظمة سد مأرب ، وما كتبه مؤرخو اليونان والرومان عن فخامة تلك القصور وهاتيك الأسداد والقلاع ، فهو مطابق المحسوس المشهود بالعيان » اهـ

وقد جاء وصف مدينة سبأ عن كثير من قدماء المؤرخين غير العرب قال « أغاثرسيدس » : أنه كان يوجد فى سبأ كل شىء يجلب السعادة لبنى آدم ، وغير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان والمر والقرفة ، وكانوا يطبخون مأكولاتهم بالأخشاب ذات الروائح الذكية ، إلى أن قال : دعائم بيوتهم تلمع بالذهب والفضة ، وأبوابهم من العاج مزينة بالجواهر وباطنها يشبه خارجها ، إلى آخر كلامه الذى يدل على أنهم وصلوا إلى مالم تصل إليه حضارة نيويرك وباريس ولندن اليـــوم ولا روما وأثينا وبيزنطة والاسكندرية فى العصور الغابرة » .

ونقل جرجى زيدان عن استرابون الرحالة اليونانى ، أن مأرب كانت فى زمانه مدينة عجيبة ، سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة ، وفيها من الآنية الثمينة المزخرفة ما يبهر العقول . وقال المستشرق (نيولد نيكلسون) الانقليزى فى كتابه تاريخ العرب الأدبى : سبأ تستعمل غلطا إذا قصد بها كل بلاد اليمن على حين لم تكن سوى أقليم منها ، وان كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والأقاليم التى ورد ذكرها فى كتابات الاغريق والرومان القدامى ، ومهما بولغ فى عظمتها وثراها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجارى ممتاز قبل ظهور المسيح بعدة قرون .

وجاء فى الانسيكلوبيدية الاسلامية (دائرة المعارف) انه لا مبالغة فيما نقلوه من أن أبواب منازل سبأ وجدرانها وسقوفها وأعمدتها كان منها الكثير (٣٢ب) مموها بالذهب والفضة ، مرصعاً بالحجارة الكريمة ، وأن آنيتهم كانت مصوغة من أنفس المعادن ، وهذا ما ذكره الهمدانى والمسعودى وغيرهما من مؤرخى العرب ، وما أيدته الكتابات الصخرية نفسها فيما ترويه عن المقادم العظيمة من الذهب والفضة ونفائس الأحجار ، وقد وجد كثير

من المسكوكات السبئية ومن الحلى تؤيد أيضاً روايات الرواة من كل قبيل » اهـ[١] .

وقد علل بعض الباحثين وجود المدنيات بعلل شتى ، منها طيب المناخ ، وكثرة المياه أو المعادن ، ومنهم من يعزوها إلى غرائز اختصت بها بعض الأجناس البشرية ، وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض ، وكل ذلك متوفر فى هذه البلاد وأهليها .

فمن الذى يجهل ذكاء أهل اليمن الفطرى ، ونبوغهم العجيب ونشاطهم ، وما فى طباعهم من الوجدان ، ونفوسهم من الحماسة ، وتلك بلا شك من أكبر عوامل النبوغ والتقدم . وفى تاريخهم الغابر كنوز لا تقدر بثمن محفوفة بسياج جلاله العلم ، وطرازه القوة ، وأسراره الذكاء والفطنة ، فكل حجر أقيم ، وكل تمثال نحت ، وكل نقش خلد ، هو صفحة الخلود ، أما من غمرت عبقريتهم أتربة النسيان ، وطمست معالم خلودهم حوادث الأيام ، فلم تتصل بسمع التاريخ فهم أكثر .

وأما خصب التربة ، وبركة الأرض ، وكثرة الإنبات ، وجودة الهواء ، واعتدال الطقس فأشهر من نار على علم . قال بعض المؤرخين[٢] : أن مأرب كانت فى بهاء ، مشاهدها الطبيعية على شاكلة مدينة دمشق ، يجرى فى وسطها نهر عظيم تجتمع (٢٣٢) إليه المياه المنحدرة من أعالى الجبال ، فيتألف من هذه السيول الجائشة بحر شديد الاغتلام ، يفيض مرة فى العام على المراعى والحقول فلا يذر فيها حسنا ، ولا يستبقى من روائعها روعة ، وبذلك

---

(١) تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون .

(٢) هو الأستاذ المعاصر معروف الأرناؤود فى كتابه سيد قريش .

أصبحت مرتاداً للملوك والأمراء، يرتادونه فى فصل الصيف القائظ للترفيه عن أنفسهم ، وفى قوله تعالى : (بلدة طيبة ورب غفور) ما لا يحتاج إلى مزيد .

يتبع السيد أحمد المطاع

فى التاريخ اليمنى

« اليمن فى مدارج التاريخ »[1]

— ٦ —

(٣٧) ألمعنا فيما سبق من أعداد (الحكمة) إلى عظمة اليمن التاريخية ، وما قيل فى حضارتها القديمة، ونقلنا ما جاء فى وصف تلك المدينة عن قدماء المؤرخين من غير العرب كاليونان والرومان والفرس ونحوهم وكلهم أدلة متظافرة على تقدم المخترعين لتلك المدنية فى الآداب والمعارف وتعمقهم فى أسرار الطبيعة وما خفى من أمرها ، وبذلك يسهل الحكم بأن اليمن مهد الحضارة ، وأن مدنيتها من أقدم ما عرفه التاريخ .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله فى مقدمته عند الكلام عن العرب وبعدهم عن الصنائع لتوغلهم فى البداوة ما لفظه ، وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلى أنهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى أمم كثيرة منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود(٣٨)والعمالقة وحمير ومن بعدهم من التبابعة والأذواء الخ .

---

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلدالثالث ، ذى الحجة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٤٠/يناير ١٩٤١م) ص ٣٧—٤٣ .

وقد لحظ هذه الحقائق كتاب التاريخ العربى الإسلامى كالمسعودى فى كتابه مروج الذهب ، وابن هشام فى كتابه المسمى بالتيجان ، والهمدانى فى الإكليل ، وغيرهم ممن كتبوا عن التاريخ القديم ، كل أولئك قص علينا من أخبار حمير ، وعظمة ملكهم ، وسعة ما استولوا عليه من الأقاليم والأمم كالصين والهند والترك والبربر ونحوهم ما يدعو إلى الدهشة والارتياب . وإليك مارواه نشوان بن سعيد الحميرى للربيع بن ضبع الفزارى فى كتابه شمس العلوم ، عند الكلام على ظفار ، قال : وللربيع بن ضبع :

وقل فى ظفار يوم كانت وأهلها	يدينون قهراً شرقها والمغاربا
لهم دانت الدنيا جميعاً بأسرها	يؤدى إليهم خرجها الروم دائبا
وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله	زهاء وتشييداً يحاذى الكواكبا
وأرباب بينون وأرباب ناعط	خلا ملكهم منهم فأصبح عازبا
ومأرب إذ كانت وأرباب مأرب	توافى جباء الصين بالخرج مأربا
فمن ذا يرجى الملك من بعد حمير	ويأمن تكرار الردى والنوائبا
أولئك مأوى للنعيم كفاهم	ولكن وجدنا الخير للشر صاحبا

وقد أبطل هذه الروايات ابن خلدون فى مقدمته ، وعدها من أغلاط المؤرخين ، وأطال فى نقد كل رواية جاءت بغزو حمير لأمم الشرق أو الغرب ، وعلل امتناع ذلك بعلل جغرافية وأخرى إدارية وسياسية ، ولكنه وقع فيما أنكره على غيره ، ولا أقول كما قال فيه بعض المستشرقين من أنه قليل الثبات على وتيرة واحدة ، وإليك ماقاله فى نقد أقوال المؤرخين أولا ، قال : (ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى أخبار التبابعة وملوك اليمن وجزيرة العرب من أنهم كانوا (٣٩) يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقيا والبربر من بلاد المغرب وأن افريقش بن قيس بن صيفى من أعاظم ملوكهم الأول ، وكان بعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل ، غزا أفريقيا

وأثخن فى البربر ، وأنه الذى سماهم بهذا الإسم حين سمع رطانتهم ، وماقال : ما هذه البربرة الخ .

ثم ذكر رواية المسعودى أيضاً من أن ذا الأذعار من ملوكهم غزا المغرب ودوخه ، إلى أن قال :«وكذلك يقولون فى تبع الآخر من أنه ملك الموصل وأذربيجان ، ولقى الترك وهزمهم ، وأثخن، ثم غزاهم ثانية وثالثة ، وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والصغد والصين.» إلى أن قال :«وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريقة فى الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة : وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وكرسيهم صنعاء، وجزيرة العرب ، يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها ، فبحر الهند من الجنوب ، وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق ، وبحر السويس الهابط منه إلى السويس كما تراه فى مصـــور الجغرافيا ، فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس ، والمسلك هنالك ما بين بحر السويس والبحر الشامى قدر مرحلتين فما دونهما ، ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله ، هذا ممتنع فى العادة ، وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام ، والقبط بمصر ، ثم ملك العمالقة مصر ، وملك بنو إسرائيل الشام ، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ، ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال الخ».

وهو كلام ظاهر البطلان منقوض ، ولا حاجة إلى بيان غلطاته والتنبيه عليها ، وسرد الروايات التاريخية المناهضة لها ، ولا سيما وقد نقضها هو ، وأورد هذه الأخبار مستدلا بها فى عدة مباحث ، منها عند الكلام على الأمم المتوحشة ، وسعة ماتملك (٤٠) مستشهداً بحمير ، وكيف كانوا يخطون من اليمن إلى المغرب مرة ، وإلى العراق والهند أخرى ، وأن ذلك لم يكن لغير العرب من الأمم . وقال فى صفحة ١٥٥ عند الكلام على طبائع الدولة

فى أدوارها الخمسة : «واعتبر ذلك بجوائز ابن ذى يزن لوفد قريش ، كيف أعطاهم من أرطال الذهب والفضة والأعبد والوصائف عشراً عشراً ، ومن كرش العنبر واحدة ، وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب ، وإنما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس ، وإنما حمله على ذلك نفسه بما كان لقومه من التبابعة من الملك فى الأرض والغلب على الأمم فى العراقين والهند والمغرب » وقال فى موضع آخر : « وقد كان الخط العربى بالغاً مبالغة من الإحكام والإتقان والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها دولة آل المنذر ، نسبا التبابعة فى العصبية ، المجددين لملك العرب بأرض العراق ، انتهى» .

وعلى كل تقدير فإن أجل ما كتب فى هذا الباب وأقربه إلى الحقيقة ، ما كتبه نشوان بن سعيد الحميرى ، والحسن بن أحمد يعقوب الهمدانى ، وهما من فحول رجال اليمن وأعيانها ، غير أنه من المؤسف بل الموجع أن معظم ما كتبوه سطت عليه أيدى الزمان ، ونوائب الأيام ، وكثير من ذلك خرج من اليمن ولاذ بخزائن الغرب ، لاذ ببرلين ولندن وروما والاسكريال ، وما بقى منه باليمن انكمش بخزائن العظماء ، وانحصر فى ظلمات البيوت ينادم الفيران والأرضة ، مع أن مؤلفاتهما لا تخلو من المبالغة والمجازفة فى كثير من الأخبار ، وذلك لبعد ما بينهم وبين من كتبوا عنهم من القرون الطوال ، فقد نقلوا ما سمعوه وفيما كتبوه طرفاً من الخبر لا نباء عن الحقيقة . وزيادة على تقادم العهد ، ميلهم العظيم إلى المجد السالف والتغنى بمفاخر الآباء والأجداد إلى درجة التعصب ، وهو ما حال بينهم وبين نقد بعض (٤١) الأخبار المبالغ فيها ، مع أن تلك الأخبار ليست كذباً ، ولا يصح إهمال ما جاء فيه ، نوع من الغلو ، قال الأمير شكيب أرسلان : « جاء فى الانسيكلوبيدية الإسلامية » دائرة المعارف : « أنه لم يوجد بين

كتاب العرب من جاء بتاريخ حقيق عن اليمن ، وبمعلومات مؤسسة على قواعد متينة ، مثل الهمدانى ، فقد كان هذا الرجل يمانياً مولوداً فى صنعاء ، فحمله حب وطنه ، والإعجاب بقومه ، على تأليف كتاب الأكليل الذى ذكر فيه تاريخ اليمن ، ووصف العاديات التى هى فى الجزء الثامن من الأكليل ، كان نشره مع ترجمة ألمانية الدكتور « مولر » ، وقد أخذ من الجزء العاشر معلومات تكمل ما ورد فى كتاب الهمدانى الآخر المسمى بصفة جزيرة العرب ، وقد كان فى كتاب الهمدانى قصص أشبه بالأساطير نقلها الهمدانى على علاتها إلا اننا برغم ذلك هو الكتاب العربى الوحيد الذى يفهم منه القارىء ما ليمن ومن أهل اليمن وفيه تفاصيل عن أنساب اليمن وطبائع أهلها ، وعن مواقع مدنها ، وعن قصورها وحصونها ، لا توجد فى كتب الإفرنج برغم تدقيقاتهم ، وكذلك فى إكليل الهمدانى عن سبأ وعن سيل العرم ما لا يتم تاريخ اليمن إلا به ، وقد ذهب مولر أن الكتابات الحجرية لا تكفى لجلاء وتاريخ سبأ ومعين وبلاد اليمن » .

وبالرغم على ما دونه الهمدانى وغيره ، وما عثر عليه المستشرقون من النقوش وكشفوه من الآثار ووجدوه من المسكوكات ، فان تاريخ أولئك الأقوام لا يزال فى مرحلته الأولى ، وطريق الدراسة مهما أمعن فيها المتوغل ، وتقليب الصفحات وان استغرقت أيام الحياة ، لا تسد الحاجة ولا تروى الغلة لما هنالك من مجاهل لا تهتدى الأفكار إلى مهيعها ، والحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار والتفهم لأسرارها ، وأظن الوقت قد حان للفوز بهذا الفخر العظيم ، فمن الخليق بتاج ذلك المجد الباهر ياترى؟ الأمل وطيد فى همم رجال الجد ، ذوى الغايات البعيدة ، والمراتب الكبيرة ، (٤٢) والنفوس العالية ، والضمائر الحية ، وما ذلك عليهم بعزيز .

إذن فما الحيلة ؟ وكيف السبيل الآن إلى معرفة ما لابد منه للمؤرخ ليعرف الحاضر حق العرفان ، لأنه لا يعرف بغير الماضى لما يستنتجه من المباحث التى تدرجت فيها الأمة وأدوار الانتقالات التى مرت عليها

نظرة فى الأدب

وكيف يكتب [1]

— ١ —

(٧٩) الأدب كلمة طال ما حلل الكاتبون مدلولها ومعناها ، وبحثوا بجد عن مواضع استعمالها ومنزلتها فى الأساليب العربية الصحيحة، وقد أداهم البحث والتنقير ، و هداهم الافتراء والتنقيب ، إلى أن هذه الكلمة وردت كثيراً فى الاستعمال الصحيح بمعنى الظارف ، وبمعنى التهذيب ، فيقال أدب إذا ظرف ، وتأدب إذا تهذب، ومنه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »الحديث الشريف ، وقول الشاعر العربى :

وأدبته حتى إذا ما تركته   أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

وقوله :

« أبعد شيئ يبغى عندى الأدباء » .

ثم نقلت هذه الكلمة واستعملت فى العلوم والمعارف أو مايستطرف منها ، وتوسعوا فى التصرف بهذه الكلمة ، فأوردوها فى محاورتهم وكتاباتهم بمعنى اللائق والمرضى من الحركات ، كما قال : أدب الدرس ، وأدب القضاء ، وأدب الجندية، واشتهر إطلاق كلمة الأدب على المنثور والمنظوم على الطريقة العربية الفصحاء . وعلم الأدب هو العلم الباحث عما يعصم من الخطأ فى الكلام

---

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٧٩ — ٨٢ .

نظرة فى الأدب

وكيف يكتب (1)

— ١ —

(٧٩) الأدب كلمة طال ما حلل الكاتبون مدلولها ومعناها ، وبحثوا بجد عن مواضع استعمالها ومنزلتها فى الأساليب العربية الصحيحة، وقد أداهم البحث والتنقير ، و هداهم الافتراء والتنقيب ، إلى أن هذه الكلمة وردت كثيراً فى الاستعمال الصحيح بمعنى الظارف ، وبمعنى التهذيب ، فيقال أدب إذا ظرف ، وتأدب إذا تهذب، ومنه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »الحديث الشريف ، وقول الشاعر العربى :

وأدبته حتى إذا ما تركته أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

وقوله :

« أبعد شيبى يبغى عندى الأدباء » .

ثم نقلت هذه الكلمة واستعملت فى العلوم والمعارف أو مايستطرف منها ، وتوسعوا فى التصرف بهذه الكلمة ، فأوردوها فى محاورتهم وكتاباتهم بمعنى اللائق والمرضى من الحركات ، كما قال : أدب الدرس ، وأدب القضاء ، وأدب الجندية، واشتهر إطلاق كلمة الأدب على المنثور والمنظوم على الطريقة العربية الفصحاء . وعلم الأدب هو العلم الباحث عما يعصم من الخطأ فى الكلام

---

(1) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٧٩ — ٨٢ .

العربي وأساليبه ومناهجه . ولا غرض لنا في سرد ما قاله أئمة اللغة وأساطين البيان وعلماء المنظوم والمنثور في هذه الكلمة ، وإنما نريد أن نقول أن الأدب بمعنى المنثور والمنظوم، وهما طريقتا الترسل وقرض الشعر ، قد لهج به المتأخرون كثيراً ، وصار الأديب من (٨٠) يجيد الصناعتين ، أو يدعى الإجادة فيهما ، فيمنحه من لا دراية له بأسرار هذه الصناعة العالية الكبيرة هذا اللقب جرياً على المألوف في الطباع ، من المواربة والمداجاة في تبادل الكلام والكتابة ، حتى قضى على طريقة الفحص ومنهج البحث وأسلوب التمحيص وفضيلة وضع الأشياء في مواضعها ، فاستنسر البغاث ، وانتفخ الهر ليسمع حروف كلمة الأسد تضاف إليه وينسب إليها ، ولشد ما منى الأدب بهذه المجازفة والتخليط فانحطت قيمته ، وذوى غصنه الرطيب ، وفاض ماؤه النمير ، وأدجى نهاره المنير ، فلا ترى إلا هزلا وهزالا ، وورماً وانتفاخا ، والحقيقة مهضومة مدروسة في طيات صخب الصاخب وإسفاف الكاتب .

حقاً إن الأدب بهذا المعنى الأخير هو ظل الحياة الاجتماعية يمتد بامتدادها ويتقلص بتقلصها ، وعلاقته بها كعلاقة الروح بالجسد ، والنور بالشمس ، وأنك إذا أردت أن تشاهد أصدق صورة للحياة الاجتماعية فعليك بإرسال الطرف إلى طروس الأدب وصفحاته فهنالك ترى الحياة بألوانها ومخادعها، وجدها وهزلها، ومساويها ومحاسنها، هنالك ترى القلوب وعزماتها ، والنفوس ورغباتها ، والعقول وآياتها ، والأفكار ومجادلاتها ، هنالك ترى ضوضاء الحياة ، وصخب الاجتماع ، وكفاح المجدين ، وعبث اللاعبين ، وصرخات المنكوبين ، وأنات المهضومين، وتعلات الأمل، ومرارة اليأس ، وشكاوى المحبين . وصلف المحبوبين .

الأدب مرآة صافية تمثل خطرات الأفكار ، وجلاجل الصدور ، واشتباك السلسلة البشرية في الشئون الاجتماعية ، ترى فيها حماسة رجالات

الجد تلتهب ، ودعايات أرباب المبادىء تتلون ، وكفاح أولى السلطات يستمر ، ترى المدح والذم، والحكمة والنسيب، والاستجداء والاستعطاف، والتقريع والتوبيخ ، والتأديب والتهذيب .

(٨١) وإن أردت أيها القارىء زيادة فى البحث ، وبسطة فى القول ، فاعلم أن الأدب طال ما بنى وأشاد ، وهدم وأباد ، وقلب الوضع ، وعكس الأمر ، وكثيراً ما أذل ووضع ، وأعز ورفع ، كم أطاح من رؤوس ، وأخمد من نفوس ، وكأين من أديب غير بأدبه سير التاريخ ، ومنار الحقيقة ، وصوى الطريقة . ولا أذهب بك بعيداً إذا قلت لك أن الأدب منزلته من الواقع منزلة الحياة من الحى ، وأن الحياة متأثرة به كما هو متأثر بها .

وها هنا نمسك عنان القلم وننتقل إلى طريقة التأليف والكتابة فى الأدب . وليس بعازب على الأديب أن جهوداً عظمى قد اطلعت بكتابة الأدب العربى من أفراد ، رفعوا من شأن الأدب ، وأعلوا مستواه ، فاستعاد الأدب مكانته اللائقة به . وعرف الناس قيمة الأدب ونسبته من الحياة ، ونسبة الحياة منه . ولكن أولئك الكتاب على عظم شأنهم ، وخطر أقدارهم واتساع معارفهم ، وثقوب أفكارهم ، وجليل أعمالهم ، لم يعرجوا يوماً ما إلى الأدب اليمنى ، ولم يعرجوا إلى مغانيه وربوعه ، فيرسموا لعشاق الأدب صورة ناضرة يتمتع بها ، ويضعوا مثالا يحتذيه الكاتب والباحث ، ويرفعوا مناراً يستضاء بأشعته ، فيمشى الكاتبون فى أضوائهم على سلامة من العثرات والارتطام .

وبهذا فالكتابة فى الأدب اليمنى تتطلب مقدرة بيانية ، وملكة فى الأدب غير متزعزعة ولا مضطربة ، وعرفاناً بجيد القول وهزيله ، وغثه وسمينه ، واضطلاعاً بأساليب الرقة والفخامة ، وعلماً بمواقع الإسهاب المفخم، والايجاز المفهم ، ودراية بمواقع الكلام ، وكيف يرسم ، وما يجب فى الوضع من اتساق وارتباط ، واشتباك واتصال ، ليكون عادلا فيما يحكم . ومنصفا

وقد تبع هذا التفاوت الطبيعي التباين في العمران ، فبينما أنت في حاضره حافلة بالترف وغضارة العيش ، وزاهية بألوان الحياة وزخارف الحضر ، إذ بك في بادية منتبذة في زاوية مرعبة ، لا يعرف أهلها إلا ثغاء الشاة ، ومواء القطط ، ورغاء البعير ، يعيش الواحد منهم ولم ينفذ بصره إلى ما وراء الجبل التي احتجب وراءها ، وربخ في أحشائها ، وترعرع في سفوحها . وقد كان لهذا التفاوت في الطبيعة والعمران أثره الذي لا يجهل ، ونتيجتها التي لا تتخلف في الأخلاق والمواهب ، ومن له دراية بعلم السنن ، وإلمامة بطبائع العمران يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين بين منازع الفريقين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم . لقد كان هذا المعنى مرتكزاً في أفكار القوم ، متأصلا في طباعهم ، اهتدوا إليه بما أوتوه من صفاء القرائح ، وصادق الذكاء ، ولطافة الادراك ، على رغم أنهم ما درسوا علم النفس ، ولا جثوا بين أيدي الأســاتذة ولا ضمتهم كلية ، ولا هذبتهم مدرسة ، ولكن قوة الاحساس ، والبراءة من الكزازة والجفاوة ، وبلادة الطبع ، وغلظ القلب ، دلهم على ما نطقت به ألسنتهم . ولقد كان سكان البادية يرون أن الشمم والاباء وصلابة العود ، وطهارة الضمير ، وعلو الهمم ، وعظم النفوس ، ومتانة العزائم ، من مواهبهم التي لم تبعد أطناب الخيام ، (١٤٨) ومسارح الآرام ، ولقد افتخر مفتخرهم ، فقال :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية تــرانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراســاً حسانا

وقال آخر :

الموقدون بنجــد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر

وقال مادح منهم :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسمر

وقد تبع هذا التفاوت الطبيعي التباين في العمران ، فبينما أنت في حاضرة حافلة بالترف وغضارة العيش ، وزاهية بألوان الحياة وزخارف الحضر ، إذ بك في بادية منتبذة في زاوية مرعبة ، لا يعرف أهلها إلا ثغاء الشاة ، ومواء القطط ، ورغاء البعير ، يعيش الواحد منهم ولم ينفذ بصره إلى ماوراء الجبل التي احتجب وراءها ، وربع في أحشائها ، وترعرع في سفوحها . وقد كان لهذا التفاوت في الطبيعة والعمران أثره الذي لا يجهل ، ونتيجتها التي لا تتخلف في الأخلاق والمواهب ، ومن له دراية بعلم السنن ، وإلمامة بطبائع العمران يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين بين منازع الفريقين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم . لقد كان هذا المعنى مرتكزاً في أفكار القوم ، متأصلا في طباعهم ، اهتدوا إليه بما أوتوه من صفاء القرائح ، وصادق الذكاء ، ولطافة الادراك ، على رغم أنهم ما درسوا علم النفس ، ولا جثوا بين أيدي الأســـاتذة ولا ضمتهم كلية ، ولا هذبتهم مدرسة ، ولكن قوة الاحساس ، والبراءة من الكزازة والجفاوة ، وبلادة الطبــع ، وغلظ القلب ، دلهم على ما نطقت به ألسنتهم . ولقد كان سكان البادية يرون أن الشمم والاباء وصلابة العود ، وطهارة الضمير ، وعلو الهمم ، وعظم النفوس ، ومتانة العزائم ، من مواهبهم التي لم تبعد أطناب الخيام ، (١٤٨) ومسارح الآرام ، ولقد افتخر مفتخرهم ، فقال :

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية تــــرانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا ... قنا سلباً وأفراســـاً حسانا

وقال آخر :

الموقدون بنجــــد نار بادية ... لا يحضرون وفقد العز في الحضر

وقال مادح منهم :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والسمر

ولعمرى أن أبناء البادية ، وأحلاس الصحارى، على حق فيما يتعصبون له ، فكثيراً ما كانت الحياة فى مراتع الظبا ومنابت الشيح، حياة طهر وعفاف، وعزة وسهولة ، رغبات النفوس فيها محصورة، ومطامع الآمال فيها محدودة، وحاجات العيش ميسورة ، ودواعى الهناءة موفورة تحت ظل السماء الصافية، وفوق أفواف الطبيعة الزاهية ، يألفون الصراحة ، ويمجدون الصرامة ، ربأوا بأخلاقهم عن التحول فى مستنقعات الخنوع والذالة ، وآثروا المنايا على الدنيا ، وحاربوا الخنا ، وتعالوا عما يمس كرامة نفوسهم الآبية، ويلطخ أعراضهم النقية .

وقد سبق لنا فى المقال السابق أن الأدب متأثر بالحياة كما هى متأثرة به، وأن العلاقة بينهما محكمة العرى ، شديدة الالتحام ، وأنه مرآة ترتسم فيها صور الحياة وألوانها ومظاهرها وما يحيط بها من حبور وغم، وخسارة وغنم، لا جرم لقد حكمنا بتفاوت الحياة فى الجزيرة العربية، وتعدد ألوانها، واختلاف مظاهرها ، وأن منها المشرق المتلألىء ، والعابث الكامد ، والروض الأنف، والموضع الصفصاف ، إن الأدب فيها يتفاوت ، وإن أساليبه فى جنباتها تختلف وتتنوع تراكيبه إذ الأدب أثر من آثار الحياة ولشد ما تكون به الألفة والالتحام والارتباط بين المؤثر والأثر .وقد حاول بعض المتأخرين أن (١٤٩) يكشف القناع عن هذا الموضوع ويزحزح أستاره ويصرح عن الزبد فلم يأت بشىء يذكر .

وقد حدثتنا كتب الأدب عن آداب الأمة العربية فى جاهليتها، وامتلأت بطون المؤلفات الضخمة ببنات أفكار أولئك الأعراب القحاح، والشعراء الخناذيذ ، والفحول المصاقيع . ولقد تناول أدبهم شتى المشادة التى كانت تشغلهم فى صبحهم ومسيهم، وغدوهم ورواحهم ، من جرّ غارات ، وصدام جماعات ، وبث مفاخر ، وتعداد مآثر ، ووصف دقيق يصور لك القبائل

فى حلها وترحالها ، وما يجرى بينها من أحداث ، وما أولعت به من سباق، وقنص وحماسة ، ونخر وتسابق ، وتغالب وتشاتم ، وتعايب وترحال يطوى البيد ، ويزلف البعيد ، على خوص كأشباح الحنايا ، ضمر لاتفتر تسير عنقا وترد الماء خمساً . وتناولوا فى أدبهم أحاديث القلوب ، ومناجات الضمائر ، وشرحوا أسرار الحب ، وأفاضوا فى تقديس الجمال من قلوب استولى عليها الوله ، واستحوذ على شغافها سلطان الحسن ، وأذعنوا لحكم الحب الذى لامعقب لحكمه ، فأكثروا من التشبيب بالغانيات ، والهيام وراء الظباء الفاتنات .

ولا تنس ما ازدان به أدبهم من الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والحكم الرصينة ، والكلمات المتينة، وما امتاز به أدب الجم الغفير منهم من بهاء القول ، وسمو الأسلوب، ونبل المقصد ، وجدة الابداع ، وحلاوة الفخامة ، وطلاوة الجزالة . ولقد مر مايزيد على خمسة عشر قرناً وأدبهم مشرق الديباجة غض ناظر بهى ، ومتلألىء مضىء ، دان جناه ، وعلى طرف الثمام قطوفه يستشهد به الأديب ، ويتمثل به اللبيب ، فيقرطس سهمه ، ويبلغ من السامع مالا يبلغه السحر وإن لطف ، أنظر إلى عنترة وهو يقول :

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ترى فيه عجبا من علو الأسلوب ، وقوة التركيب ، ودقة الوصف والإجادة فى (١٥٠) البيان عن خلقه الذى سما به عن مزاحمة من يتهافتون على السلب ، وانظر إلى زهير وهو يقول :

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ويقول أيضاً :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

والتفت إلى امرء القيس الكندى وقد غادر مرابع أنسه ولهوه ابتغاء درك الثأر من قتله أبيه، تسمعه وهو يشجع رفيقه وقد شجاه النأى ، وروعة الفراق ، وأرعبه مضض الغربة ، فذرفت عيناه بالدموع ، وأميره الكندى يخاطبه ، فيقول :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك ويحك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

هنا النفس الكبيرة ، والعزمة الجبارة ، القوة التى تستسهل الصعب ، وتندفع فى كل غمرة ، وإن شئت فانظر إلى أعشى همدان ، وهو يهجو الحرث بن وعله ، وقد حرمه جدواه :

أتيت حريثا زائرا لجنابة فكان حريث عن عطائى جامدا
إذا ما رأى ذا حاجة فكأنما يرى أسدا فى بيته وأساودا

لها بقية عبد الله العزب

نظرة فى الأدب العربى القديم

وحظ اليمن منه(١)

— ٣ —

(١٧١) هكذا كان أدب القوم فى جاهليتهم ، ألفاظا كريمة ، ومعانى شريفة ، وأساليب رشيقة ، تتصل بالقلب ، وتلتحم باللب فتؤثر فيه تأثير الغيث فى الأرض الجدب . وقلما تجد فى القطعة الكبيرة من كلامهم ألفاظا مسخوطة ، أو معانى مدخولة على كثرة افتتانهم فى الكلام ، وحمل بعضه

---

(١) الحكمة : العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثانى ١٣٥٨ هـ (مايو/يونيه ١٩٣٩م) ص١٧١ — ١٧٥ .

على بعض ، واشتقاق بعضه من بعض . وقد يعجب الناظر فى أدبهم ماشاء أن يعجب حينما يقرأ الكثير الطيب من أشعارهم فيجده لينا عذبا ، وسائغاً سهلا ، ليس فيه مايعلو على متناول الإفهام أو مايبعد عن مستوى المدارك : أنظر إلى كلام المنخل اليشكرى فى كلمته المشهورة التى يقول فيها :

إن كنت عاذلتى فسيرى　　نحو العـــراق ولا تحورى

وقوله فيها :

ولقـــد دخلت على الفتا　　ة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحســـناء تر　　فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتهـا فتـدافعت　　مشى القطـاة إلى الغدير
ولثمتهـــا فتنفست　　كتنفس الظبى الغرير
فدنت وقالت يا منـــخل ما بجسمك من حرور
ما شفت جسمى غير حبّـك فاهدئى عنى وسيرى

إلى قوله :

يا هند من لمتيم　　يا هند للعانى الأسير

(١٧٢) انظر إلى هذا الكلام تراه قد أخذ بعضه بأعناق بعض ، والتحم أسلوبه ، وتلألأت كلماته ، وأشرقت ديباجته ، وقويت لحمته وسداه ، ودنى إلى الفهم ، واقترب من الإدراك حتى ليخيل إليك أن فى استطاعة كل أحد أن ينسج على منواله ، ويصوغ مثل سبكه ، ولكن الخبير بالقول ، العليم بمحاسنه ، والعارف بمزاياه ، الناقد لمعايبه ، المضطلع بمواضع العلو والاسفاف ، البصير بتأليف الكلام وترصيفه وتحبيره وتنسيقه ، يعرف أن هذا يكاد يمتنع على كثير من الفحول الخناذيذ .

ولا يذهبن بك الوهم إلى أن هذه الخصائص البينة فى أدب القوم لم تتناول إلا النسيب ، ولم تتجاوز أماكن التشبيب ، فأدبهم مشرق الديباجة ، متين الأسلوب ، رائع الوصف ، جميل الرصف ، بهى القول ، جميل الوضع ، محكم النسج بلا تفرقة بين الأبواب ، ولا تزييل بين موضوعات الخطاب .

وإذا أردت زيادة فى البرهان ، وإمعانا فى التبيان ، فقف قليلا على قصائد عدى بن زيد العبادى التى عاتب النعمان بن المنذر بها ، وقد سجنه بعد أن أخلص له الولاء ، وأسلف له الجميل ، وسعى جد السعى فى توطيد دعائم عرش النعمان ، وقضى على كل نغمة ضده فى قصور آل كسرى بالمدائن ، وما كان جزاؤه من النعمان إلا الغلظة السوداء والتنكر الفظيع ، فلبس له جلد النمر ، وزجه فى السجن ، وغيبه فى قرار مخافة أن يتصل به أحد ينمى خبره إلى الملك الفارسى . وسنضع مثالا واحداً من عتابه للنعمان من زوايا السجن لتعرف به مدى ارتفاع الأدب العربى فى عصوره الأولى ، قال من قصيدة له :

وتقول العداة أودى عدى   وعدى بسخط رب أسير

أيها الشامت المعير بالدهـــر   أأنت المبرء الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيـــام   بل أنت جاهل مغرور

(١٧٣) أن يصيبنى بعض الهنات فلا وا   ن ضعيف ولا أكب عثور

كقصير إذ لم يجد غير أن جـ   دع أشرافه لمكر قصير

من رأيت المنون خلد أم من   ذا عليه من أن يضام خفير

لا تؤآتيك أن صحوت وإن أجهـــد فى العارضين منك القتير

يوم لا ينفع الرواغ ولا يقـــدم إلا المشيح النحرير

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر   وان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال يما غبطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

وقد نقل بعض رواة الأدب أن ابن عباس كان كثيرا ما يستنشد قصيدة عدى بن زيد هذه ، فإذا سمعها هز لها رأسه ، ولعمرى أنها جديرة بهز رأس حبر الأمة لها .

وحسبنا أن نقول أن اللغة العربية كانت قد انقادت وأذعنت واطردت واستوت فى هذه الجزيرة ، وبلغت شأوا هو نتيجة عصور طوال ، ثم ترعرعت فيها وتطورت ونشأت وتقدمت ، إذ لا يعقل أن يكون هذا الأدب الغض ، والقول النضر (١٧٤) للغة ناشئة فى مهدها ، كما أنه لا يكون للغة رمست فى لحدها .

على أنا لا ندعى أن كلام القوم ، أجمع أكتع ، كان فى طبقة واحدة ، وفى مستوى واحد ، فكلام الناس طبقات ، كما أن الناس فى أنفسهم طبقات ، قال إمام الأدباء عمرو بن بحر الجاحظ : « فمن الكلام الجزل والسخيف ، والمليح والحسن ، والقبيح والسمج ، والخفيف والثقيل ، وكله عربى ، وبكل قد تكلموا ، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا ، فإن زعم زاعم أنه لم يكن فى كلامهم تفاضل ، ولا بينهم فى ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العى والبكى ،

والحصر والمفحم ، والخطل والمسهب ، والمتشـــدق والمتفيهق ، والمهماز والثرثار ، والمكثار والهماز ، ولم ذكروا الهجر والهذر ، والهذيان والتخليط ، ، إلى آخر ما سرده ، وأنت تراه قد عدد عيوب الكلام ، وألم بسيآته ، وأبان أنهم كانوا أولى بصائر يهتدون بها إلى النقد ، فإن رأوا شيئاً بهرجوه ، وإن رأوا حسناً هشوا إليه وأكرموه » . وقال أبو العباس المبرد : « من كلام العرب الاختصار المفهم ، والأطناب المفخم ، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ فيقع فى كلام أحـــدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره ، وسترتا من شينه ، وإن شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح فى الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ، ولكن يغتفر السيء للحسن ، والبعيد للقريب » أ هـ .

والشوط بطين فى تحليل الأدب الجاهلى تحليلا دقيقاً كاملا ، بيد أنا بجتزء هنا بهذه الكلمة ، ونمسك عنان القلم ، ونعرج على ما وعدنا به من تبيان حظ اليمن من الأدب الجاهلى . ولا يضطرنا الموضوع إلى الإسهاب بعد ما أسلفنا فى صـــدر هذا المقال من تفاوت حال الجزيرة العربية فى جغرافيتها ، وتبع ذلك التفاوت التباين الشاسع (١٧٥) فى عمرانها وطبيعة حياتها ، واستتبع ذلك التفاوت فى الأخلاق والمنازع ، والخواطر والعواطف والأدب كما أسلفنا مرآة تمثل الحياة وصورها ، أو أثر لها متأثر بها . وقد كان اليمن فى تلك العصور البائدة متمتعاً بمدنية لا تزال آثارها موضع إعجاب الناظرين ، وقبلة أنظار الرواد من المستكشفين ، على قلة ما عثروا عليه وظفروا به من النقوش الدقيقة ، والآثار الرصينة ، والتماثيل الثميـــنة ، والرسوم الساحرة ، والآيات الباهرة ، الناطقة بعظمة كانت ضاربة أطنابها فى طول بلاد معين وسبأ وحمير والأذواء وعرضها .

(لهـا بقية) عبد الله العزب

نظرة فى الأدب العربى القديم

وحظ اليمن منه(١)

— ٤ —

(٢٦٥) وقد عرف جنوب الجزيرة العربيـة شعوباً وأمماً بادت وفنيت وانقطعت أخبارها ودرست آثارها ، وقد أخبرنا القرآن الكريم الذى هو أصح مصدر يعول عليـه فى أنباء الأمم البـائدة ، والشعوب الغابرة ، بأن عاد الأولى ، التى كانت منتشرة فى أرض الأحقاف فى مشرق اليمن ، كانت ذات سطوة وجبروت وقوة مرهوبة الجانب ، وإنها كانت مشغوفة ببناء المصانع المتينة ، والمعاقل الحصينة ، شديدة الولوع بمباهج الحياة ، وزخارف العيش ، فاتخذت الحـدائق الخضراء ، والجنات الأنيقة ، وأجرت العيون الدافقـة ، واقتنت الأنعام الوافرة ، وأن الزمن لان لها حتى عظمت ثروتها ، وتوافر عـدد أبنائها ، وتمكنت من رفع البروج المشمخرة على قنن الشـامخات ، وحسبنا أن نذكر دليلا واحداً على ما أدعيناه ، فقد ورد فى سورة الشعراء ما حكى الله ، وهو الصادق القول ، عن هود حين أرسله إلى هذا المجتمع المفتون بقوته وطيب حياته ، ليهيب بهم إلى صالح العمل ، وكريم الأخلاق ، وليردعهم عن الإمعـان فى رذائل الترف ، وأثيم الشهوات ، وليـقلل من سورة طغيانهم وجبروتهم ، ويذكرهم بما أوتوه من غضارة عيش ، ورفاهية حياة ، وشدة قوة ، فقال : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم (٢٦٦) بطشتم جبـارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمـدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) . وقـد

---

(١) الحـكمة : العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨هـ (أغسطس/سبتمبر ١٩٣٩م) ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .

هلكت عاد وفنيت فى مساكنها أرض الأحقاف ، ونشأت عاد الثانية ، وتطور الزمن ، وتبدلت الأحوال ، وعاشت أمم من بعدهم وبادت لا يعلمها إلا الله . لقد حاول بعض المشغوفين باستكشاف التاريخ القديم أن يتكلم عن الأخلاط السامية التى انتشرت فى جنوب الجزيرة وغيره فاستند إلى نقوش أبرزها الاقتراء والبحث فى الأطلال البالية ، والخرايب الدائرة ، وبعد محاولة كبرى لحل أسرارها ، وتفهم حروف كلماتها ، عثروا على على شيء ضئيل ينطق بما كان لتلك الأمم البائدة من عناية دقيقة بالفنون الجميلة ولكنهم ظلموها ، أو ظلموا أفهامهم بدعواهم الفارغة أنهم قد تمكنوا بها من تحليل ذلك التاريخ الموغل فى القدم ، وأنهم قد فهموا العلائق اللاتى كانت بين الشعوب المتجاورة ، وعرفوا قوانين حكوماتهم ، وأسماء ملوكهم ، ومبلغ ارتفاع ثرواتهم ، وتجاوزوا هذا فتكلموا عن فنون لغتهم ، من صرف ونحو ، ومشوا على هذه الخطة التى هى عبارة عن افتراض وتحكم وتخرصات إلى آخر حدود القول . واسترخى رسن السخف ببعض أولئك الكاتبين ، فتكلم على الكلمات التى تسربت من لغة شعب إلى لغة شعب آخر ، وغير هذا من الهذر والهجر ، فإذا ما وزن كلامهم بميزان التمحيص ، وغربل غربلة صادقة ، خرج كله نفاية ، ومالت كفته على رغم ما فيه من التناقض والتباين ، ولا ننكر فضل كثير من الباحثين وراء حقائق التاريخ وشدهم الرحال إلى مواطن النقوش والآثار فى الشرق ، وأنهم قد استطاعوا بجهودهم الجبارة كشف كثير من الخبايا ، وإنما الذى ننكره استرسال طائفة منهم وأتباع لهم من غيرهم ، ظنوا أنهم لمسوا السماء بأيد لم يفارقها الشلل ، وداروا مع الفلك بأرجل لم تعرف غير القزل ، فحشروا أشياء يستغرب ذوو الفهم عند دراستها صدورها من رجالات (٢٦٧) العلم والبحث ، ويعجب اللبيب ما شاء عندما يراهم يفندون الأساطير التى رواها من قبلهم ، والخرافات التى أضيفت إلى التاريخ ، وكيف تسيل أقلامهم وتندفع اندفاع

السيل الآتى ، ثم لا يلبث إلا قليلا ، فإذا هم قد جاءوا شيئاً إذا فوق الخرافة والأسطورة بمراتب ، ظانين أن التاريخ بالتخرص والتحكم وهو فوق ما يظنون . وقد جرنا إلى هـذا البحث ، وإن كان له موضع غير هذا ، ما أسلفناه من أن الأدب أثر للحياة ممثل لها ، وإن العلاقة بينهم شديدة الالتحام قوية الشأن فالأمة التى ترسخ قدمها فى الحضارة ، وتتأصل فى الغضارة، وتتمتع بنصيب كبير من رفاهة العيش والرخاء ، وتعرف بالقوة والثراء ، لا جرم يكون أدبها عالياً ذا بهجة ورواء . ولا نريد بهذا أن نثبت « لعاد » أدباً عالياً إثباتاً قطعياً ، فهذا مالا ندعيه ولا نعلمه ، وإنما الذى نريد أن نقوله هو أن اليمن قد اتسم بالعمران ، وعرف بالتقدم فى كثير من الفنون فى أزمنة لا يستطيع كاتب أن يتكلم عنها بأكثر مما يقولون من أنها عصور قديمة باد أهلها وآثارهم ، وانقطعت الصلات بينها وبين ما خلفها ، ولم يعرف من أمرها غير التافه النذر ، ولولا ما جاء فى الكتب السماوية ، وأصدقها القرآن الكريم ، من قصص سيق للعبرة ، وجىء به للتذكرة ، لما اهتدى أحد إلى أسمائها ، ولا شىء من أخبارها . وهذا العصر هو الذى يطلق على أبنائه لفظ العرب البائدة ، وهو الذى ننكر على المتخرصين وأهل الافتراض من رجالات التاريخ استرسالهم فى تفاصيل أحواله ، وتبيان دقيق أنبائه . والكلام على الأدب يضطرنا إلى الالمام بكثير من المباحث التاريخية التى يستبين بها كثير من مظاهر الحياة ومجاليها، إذ الكلام على الأدب لا يتم على الصفة الكاملة إلا بالتعرض لما يتصل به ويلابسه ، لتعرف عوامل رقيه وانحطاطه ، ويتبين وجه الارتباط والالتحام بين الأدب والحياة . وإذا كان الأديب إنما يصور عواطفه ، وخوالج نفسه ، وخطرات فكره (٢٦٨) فهاته الخوالج والخطرات إنما تمدها الطبيعة لصفائها وتجهمها ، وتغذيها الحياة بمباهجها ومساءتها ، وتؤثر فيها المناظر والمشاهد من رياض وغياض ، وجنات وعيون ، وجبال شامخات،

وصحارى مترامية ، وأودية سحيقة ، وأطيار تصدح ، وأمواه تخر ، وأرواح تهب ، وأشجار تحف ، وسحب تتراكم وتتبدد . هذه هي المعاني التي تقضيها الطبيعة وتوحيها إلى قلب الأديب ، فتجرى على لسانه ، فيسلس القول ، وينقاد له الصعب الجامح من أوابده وشوارده ، كما تمده الحياة وما فيها من مسرات ومساءات ، وآمال وآلام ، ومباهج ومفاتن ، ومظاهر وروايع ، ترهف الشعور ، وتحيي العاطفة ، وتقوى الملكة ، وتطلق اللسان ، وهــذا لا يعرف جد المعرفة إلا بالتعريج على كثير من زوايا التاريخ الاجتماعي ، ودراسة كل ما له علاقة بالأدب دراسة عميقة ليتمكن كاتب الأدب من إخراج صورة غير مشوهة ولا خداج وقد كاد الاتفاق ينعقد على ما كان لليمن في زمن حكومتي سبأ وحمير من حضارة وعمران ساحق كان لهما بلاريب أعظم أثر في أدب الأمتين ، وسنلم بخلاصة وجيزة لنتمكن بها من فهم الأدب وتطوره ، وننتقل بعد ذلك إلى إثبات بعض ما وصل إلينا من أدب العرب في اليمن قبل الإسلام ، مع التعرض لمــا يحيط بالأدب ويتصل به ويؤثر فيه ، متوخين قصد الطريق لئلا نتنكب الحقيقة في ما نطلب ونروم ، ونلتمس معذرة الناظرين في ما نكتب ، فذلك مبلغ ما لدينا ، وحسب المقل أن يجود بمــا عنده ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق بمــا آتاه الله .

(لها بقية) عبد الله العزب

نظرة فى الأدب العربى القديم

وحظ اليمن منه[1]

— ٥ —

(٢٩٧) إنا إذا بحثنا عن الأدب ومناشئه، ونظرنا بدقة وتأمل إلى عوامله ومصادره، اضطرنا البحث وألجأنا الموضوع إلى إرسال الطرف إلى زوايا التاريخ الاجتماعى والاقتصادى، والتنقيب عن الكفل الذى نالته الأمة التى نبحث عن أدبها من الأمرين معاً، لما ثبت من أن الأدب هو ظل الحياة وأثر لها، وأن الرابطة بينهما شديدة الالتحام لا تنفصم عروتها ولا يرث حبلها، وإذا كان الأديب إنما يصور بأدبه خوالج نفسه وخطرات فكره، والمعانى التى تعتلج فى وجدانه، فتلك الخوالج والخطرات والمعانى منشؤها ما يحيط به من مظاهر الحياة ومناظر الطبيعة، وما يفاجئه فى صبحه ومسيه من أحداث المجتمع الذى يروح ويغدو فى جنباته، ويرتع فى نواحيه ومنتدياته، وحوادث المجتمعات اللاتى يزخر آذيها، وتهب أعاصيرها، وتتكاثف غيومها، هى التى توحى إلى الأديب ما تتحلى به الطروس، وتبتهج به النفوس، فيستمد من فيض ورآه غيض مترامى الأكناف، تنفجر عيونه وتجرى ينابيعه، فلا يدركه الأكداء ولا يلتوى عليه القول. ومناظر (٢٩٨) اليمن الطبيعية أخاذة بالنفوس تستهوى اللب، ولا سيما فى الزمن الذى ينزل فيه الودق من صيف وخريف، فترى الجبال الشاهقة، والأودية السحيقة، والنواحى المترامية الأطراف، قد اهتزت وربت وأخذت زخرفها وازينت، وبرزت فى حلة قشيبة من مختلف النبات، وجميل الأزهار، ووريق الأعشاب. كما أن قسماً كبيراً من اليمن سهول

---

(١) الحكمة: العدد ١٠، السنة الأولى، المجلد الأول، شعبان ١٣٥٨هـ (سبتمبر/أكتوبر ١٩٣٩م) ص ٢٩٧ — ٣٠٣.

متسعة ، كلها حقول زراعية جيدة التربة ، ينمو فيها الزرع ، ويزكو فيها النبت ، هذه السهول الفيحاء والجبال المتسلسلة هى التى ضربت بسهم صائب فى العمران والتقدم الزراعى والإنتاج الاقتصادى فى العصور التى تصرمت وخلت منذ آلاف السنين . وقد أثبتنا بالدليل القاطع ما كان فى اليمن من قوة ورخاء ونعمة وثراء زمن عاد الأولى بما لا مجال للاستزادة فيه ، ويقول المؤرخون أن عاد الثانية انتشرت فى طول البلاد وعرضها ، بعد مهلك عاد الأولى ، التى ساءت مصائرها لطغيانها واغترارها ، فأصبحت صرعى كأنها أعجاز نخل خاوية ، وقد ذكر الجاحظ فى كتابة البيان والتبيين بعد أن جاء بقطعة شعرية لإبنة وثيمة ترثى أباها وثيمة بن عثمان ، وجاء فى قولها فى صفة والدها :

والدافع الخصم الألـــد إذا تفوضح فى الخصـــومة
بلسان لقمان بن عا د وفصل خطبته الحكيمة
ألجمتهم بعـــد التدا فع والتجاذب فى الحكومة

قال : « إن العرب كانت تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ، ولقيم ابن لقمان ، فى النباهة والقدر ، وفى العلم والحكم ، وفى اللسان والحلم ، وهذا غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقول المفسرون) . هكذا قال الجاحظ وفيه دلالة أن أخبار عاد الثانية ، ومنهم لقمان ولقيم ، اتصلت أنباؤها بمن بعدها وتناقلت الألسنة أدبها وعلمها وحكمها ، وعرف من بعدها شأنها وجلالها ، وقد قال الجاحظ (٢٩٩) بعد سياقة الأول ما لفظه : (وقد قال الأول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان) :

قومى أصبحينى فما صيغ الفتى حجرا لكن رهينة أحجار وأرماس
قومى أصبحينى فان الدهر ذو غير أفنى لقيما وأفنى آل مرماس

اليوم خمر ويبدو فى غد خبر   والدهر من بين إنعام وإبآس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفقا   لا يصحب الهم قرع السن بالكاس

وقال أبو الطمحان القينى « شاعر جاهلى وأدرك الإسلام » :

إن الزمان ولا تفنى عجائبه   فيه تقطع إلاف وأقران
أمست بنو القين أفراقاً موزعة   كأنهم من بقايا حى لقمان

قال : وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة ، والقرون السالفة ، ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون ، ثم قال بعد كلام له عن ثمود ، وقال المسيب بن على (من شعراء الجاهلية المقلين جيد الشعر محكم القول) فى ذكر لقمان :

وإليك أعملت المطية من   سهل العراق وأنت بالقفر
أنت الرئيس إذا همو نزلوا   وتوجهوا كالأسد والنمر
لو كنت من شىء سوى بشر   كنت المنور ليلة القدر
ولأنت أجود بالعطاء من الـ   ـريان لما جاد بالقطر
ولأنت أشجع من أسامة إذ   نقع الصراخ ولج فى الذعر
ولأنت أبين حين تنطق من   لقمان لما عى بالأمر

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى :

واخاف قسأ ليتنى ولو أننى   واعيى على لقمان حكم التدبر
فان تسائلينا كيف نحن فاننا   عصافير من هذا الأنام المسحر

(٣٠٠) وقد يقف المتأمل عند قوله :

ولانت أبين حين تنطق من   لقمان لما عى بالأمر

ويستثني عن القضية التى عى بها هذا الرجل الذى تناقلت العرب أنباء نباهته وعلمه ودرايته ، وقد جاء الجاحظ بالقضية التى أعيى الحكيم أمرها ، وسننقلها ونضعها أمام القـراء ليروا آراءهم فى حظها من الصحة قال : (ولإرتفاع قدره وعظم شأنه قال النمر بن تولب) :

لقيم بن لقمان من أختــه ... فكان ابن أخت له وابنما
ليـالى حمق فاستحصنت ... عليـه فغر بهـا مظلما
فغر بهـا رجـل محـكم ... فجاءت بها رجلا محكما

وذلك أن أخت لقمان قالت لإمرأة لقمان إنى إمرأة محمقة ، ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا فى ليـلة طهرى فهى لى ليلتك ، ففعلت فباتت فى بيت امرأة لقمان ، فوقع عليهـا فأحبلها بلقيم ، فلذلك قال النمر بن تولب ما قال ، (والمرأة إذا ولدت الحمق فهى محمقة) هكذا يقول الجاحظ . وقد ورد ذكر لقمان وأحياء عربية بائدة فى شعر سلمى بن ربيعة الذى يقول فيه :

إن شـأوآ ونشـوة ... وخبب البـازل الأمون
يجشمها المـرء فى الهوى ... مسـافة الغـائط البطين
والبيض يرفلن كالدمى ... فى الريط والذهب المصون
والكـثر والخفض آمنـآ ... وشرع المزهـر الحنـون
من لذة العيش والفـتى ... للدهر والدهر ذو فنـون
والعسر كاليسر والغـنى ... كالعـدم والحى للمنون
أهلكن طسما وبعـده ... غذى بهم وذا جدون
(٣٠١) وأهل جاش ومأرب ... وحى لقمان والتقـون

وهذا الشاعر جاهلى ، ويستفاد مما ذكره الجاحظ أن لقمان كان ذا أدب بارع وحكمة فائقة ، حتى ضربت به الأمثال ، وتناقلت الألسنة نبأ كياسته وتفوقه وهذا ما تزداد إثباته فى بحثنا . هذا على إنا لم نستطع الوقوف على شيء من أدب تلك الأحياء البائدة ، بيد أن ما كان عليه جنوب الجزيرة من خصب وترف يقتضى أن يكون للطوائف المنتشرة فى سهوله وجباله أدب يصور العواطف والإحساسات التى هى قعيدة القلوب ، وحليفة المدارك ، وقرينة النفوس ، لقد ذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن اليمن نال حظاً كبيراً من العمران زمن الحكومة المعينية ، مستفيداً لهذا من النقوش اللاتى كان العثور عليها فى الأطلال المتهدمة فى مشرق اليمن ومعين ، لا تزال أطلالها ورسومها تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد إلى يوم الناس هذا فى الجوف فى مشرق اليمن ، وقد ترامى نبأ الثروة التى كانت ضاربة أطنابها فى اليمن حتى اتصل بمسامع الرومان فى شرق أوربا ، لحفز الجشع والهلع تلك الدولة الرومانية إلى بعث قائد عسكرى على حملة ذات عدد وعدد لإحتلال اليمن. وقد خابت تلك الحملة وفشلت بعد أن وطئت أرض نجران فى شمال اليمن ، ويذكر أن سبب فشل الحملة وباء جارف قضى عليهم ، كما يذكر آخرون أن الحكومة المعينية صمدت لهم وقاومتهم ، وهذه الحكومة المعينية يذكر بعض رجالات التاريخ أنها جاءت من أرض بابل فاحتلتها وحكمتها ، ويرجح الفحول الرأى الأخير . وقد خلف معين فى اليمن الخضراء سبأ التى اشتهرت بحب الزراعة والتجارة ، فبنت السدود المتوافرة ، وأحييت السهول المترامية ، حتى صار لهم جنتان فى اليمين والشمال ، وصارت بلدانهم آية يشار إليها . وكانت (٣٠٢) تتاجر بمحصولات البلاد فتحمل الأطياب والمنسوجات والمصنوعات إلى الهند ، وإلى ما يجاور الخليج الفارسى ، ونشطت فانتشرت تجارتها فى أفريقيا بعد أن غمرت سوريا وما يجاورها ، وبلغ اليمن شأواً بعيداً فى عهد هذه الحكومة ، ونال من الحضارة والترف ورغد المعيشة ما جعل رجال اليونان والرومان يتحدثون عنـــه فى مؤلفاتهم التاريخية ،

ويشيدون بذكره . وبعد أن قطعت هذه الحكومة قروناً متطاولة يرجح كثيرون أنها ستمائة سنة ، خلفها فى الحكم حمير ومن رجالات حمير التبابعة المشهورون بالفتوحات والغلب ، وكانوا أولى نفوذ وعظمة وجلال وعنجهية لامجال للاسترابة فيها ، وفى عهدهم بنيت المصانع المتينة ، والمعاقل الحصينة ، وزخرت الثروات ، وتأنق الناس فى المبانى ، وتقدمت الفنون . ومن ينظر نظرة واحدة إلى ما يبدو بين آونة وأخرى فى الخرائب الحميرية من رسوم وتماثيل ، يعرف جد المعرفة أن تلك الأمة كانت قد بلغت مستوى عالياً فى العلوم والآداب ، فإنه وإن كان أدبهم الناطق قد ضاع وأخنت عليه الليالى ، فأدبهم الصامت ، وهو الرسوم الساحرة والتماثيل الدقيقة ، باق ينطق بما كان هنالك من ذوق وفن ، وليس الشعر إلا تصويراً ناطقاً كما أن التصوير شعر صامت . على أنه يمكننا تدعيم ما ذهبنا إليه ، بأنه ليس من المعقول أن يعج سيل الحضارة فى البلاد ، ولا يكون لها أدب عال مشرق الديباجة ، يصور عواطفها ، وجلاجل صدور أبنائها ، وينطق بما كان للقوم من حصافة عقل ، وجودة رأى ، وصدق إدراك . وقد أخبرنا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بأن ملكة سبأ (بلقيس) جمعت الملأ من قومها عندما وافاها بريد سليمان (النبى الإسرائيلى والملك المشهور) فاستشارتهم ، فأجابوا بلسان واحدة أن عندهم قوة وبأساً شديداً ، مذكرين لها بأن من كان كذلك فليس بجدير أن يفرق ويخاف ، فالقوة والبأس يمكنانه من صد كل(٣٠٢) غارة ، ولكنها لم تغتر ، ولم تسارع إلى إرسال القوة ، بل عمدت إلى الحكمة والسياسة ، فأرسلت وفدها بالهدية الفخمة ، إلى آخر ما هنالك من أنباء تدل على عقول حصيفة ، ورجاحة كاملة ، أفلا يكون لأولئك القوم أدب ؟ لقد كان لهم كل شىء .

(لها بقية)　　　　　　　　　　عبد الله العزب

فى الأدب اليمنى

« نظرة فى الأدب العربى القديم وحظ اليمن منه »

(تابع ما قبله)(١)

— ٦ —

(١٠٢) على أن هنا عاملا قويا من عوامل الأدب ليس من الحكمة فى شىء إغفاله وطيه ، والإضراب عن ذكره صفحا ، وذلك هو الدين ، فإنه مافتىء من أقوى عوامل الأدب وأشدها تأثيرا فى صبغته ولونه ، فالدين بمظاهره وصوره ، يلهب العواطف ، ويحيى الأفئدة ، ويرهف الشعور ، ويهز الوجدان ، ويبعث فى النفس معانى تمدها قوة غيبية هائلة ، يستشعرها الفكر فيمتلىء روعة ونشاطاً ، فينال الأدب من الصور الدينية ثروة لا يستهان بها ، ولاسيما وأكثر الأديان التى دان بها البشر قديماً كانت تنظر إلى جهة العاطفة ، وتتجه إليها ، ولا تعير العقل أى اهتمام أو أية عناية . وكيفما كان الدين فإنه يمد الأدب ويغذيه ، إذ الأدب إنما يعول على الخوالج النفسية ، والنزعات الفكرية ، والعوامل الملتهبة ، ولا شىء مثل الدين فى فى إثارة هذه العوامل وتقويتها حتى أن الديانات اللاتى غلبت عليها الوثنية ، وسترها سلطان المادة ، وطغى عليها لج المظاهر الجوفاء ، لم تعبس فى وجه الأدب، ولم توصد أبوابها أمامه ، فإنها وإن غلب فيها جانب المادة والصورة، (١٠٣) لم تزل معينا للأدب لم ينضب ، وموردا لم يدركه الصرى . وعلى رغم اهتمامها بالصور وتعلقها بخيوط القشور ، فقد استقادت للسلطة الغيبية ، وخضعت لتيارها الهامل . وكان أتباع تلكم الديانات إذا عظموا الشمس أو أى كوكب من اللامعة الباهرة ، أو ألهوا النار ، أو عبدوا التماثيل المنحوتة وعكفوا عليها ،

---

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، صفر ١٣٥٩هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠م) ص ١٠٢ — ١٠٧ .

فهم إنما يعتبرونها مظاهر قوية ، وقوى هائلة تتمثل فيها القوة الغيبية التى يخضع لها الروح وينزع إليها ، ويجأر إلى سلطانها ، تدنيهم منها ، وتزلفهم إلى مواطنها .

ولقد اشتد هيام النفوس بهذه المظاهر العظمى ، والآيات الكبرى زمن بساطة العقول وسذاجتها قبل أن تهذبها الحوادث ، وتربيها العبر ، وتهديها المثلات ، وتنير أمامها سبل الرشاد والسعادة . واليمن قد كان منذ زمن موغل فى القدم ، مليئا بالهيا كل الدينية الفخمة المشحونة بالتماثيل الفخمة ، والأنصاب الدقيقة ، كما أنه فى حقبة من تاريخه القديم كان مشغوفا بعبادة الشمس وتأليه إشراقها ونورها المنبثق فى هذه العوالم اللاتى لا يأتى عليها العد .

هذا النور الذى يمد الأحياء من حيوانات ونباتات بجوهرة القوى المتدفق ، فتنمو وتربو وتتدرج فى مراتب وجودها وكمالها ، متغذية به مستمدة منه قواها ليتم لها درك ماقدر لها وهديت إليه . ولقد كانت الملكة المشهورة (بلقيس السبأية) ممن يدين بهذا اللون من الديانات ، كما أن قومها لم يكونوا أحسن حالا منها ، وما عتم أن وافاها بريد سليمان داعياً لها ولقومها إلى الإسلام دين الله الحق ، ودين جميع المرسلين بهداية الأمم . وقد هدتها حصافتها ورجاحتها وحنكتها السياسية إلى مهاداة سليمان ، ثم إلى الوفادة إليه ، ثم إلى اعتناق دينه وعقيدته . ويقرر التاريخ الصحيح أنها عادت مع قومها الذين رافقوها فى سفرتها إلى الشام إلى عقر (١٠٤) دارها باليمن بالدين الجديد ، مبتهجة به ، مغتبطة ، آبت وقد أسلمت (مع سليمان لله رب العالمين) .

وحينئذ عرف اليمن لونا من الديانات لم يكن قد عرفه من قبل ، وهذا فى نظرى مبدأ دخول الديانة الموسوية وانتشارها فى اليمن ، ولا أدرى

أسبقت إلى هذا الرأى أم لا ؟ ومستند هذا الرأى أصح ما يمكن الاعتماد عليه ، إذ الرأى القائل بأن الدين الموسوى دخل اليمن على أيدى الحبرين القادمين من أقاصى الحجاز إلى اليمن مرافقين لأحد تبابعة اليمن لا يعتمد على برهان بين ، وليس هناك وثائق تاريخية صحيحة تشهد له على أن غموض تاريخ اليمن القديم ، ووفور تناقض ماروى عنه ، وبقاء النقوش الأثرية تحت آكام التراب ، وأكداس الأطلال ، مما يبعث على الارتياب فى التفاصيل التى تضاف إلى تاريخ اليمن القديم ، ولتسجيل القرآن الكريم الذى هو خاتمة الكتب السماوية وأصحها قصة بلقيس ، واتساع صدورها لدين سليمان ، الذى هو الدين الحق ، أمكننا أن نعلن هذا الرأى . ولنا أن نعرج على الرأى القائل بأن الحكومات اللاتى تواردت على اليمن فى قديمه ثلاث ، هن : معين ، وسبأ ، وحمير ، وأن سبأ حكمت اليمن قبل الحميريين الذين منهم التبابعة المشهورين ، فإذن يكون دخول الديانة الموسوية إلى اليمن زمن بلقيس السبأية سابقاً لزمن الملك الحميرى الذى يقول الرواة عنه أنه جاء بالحبرين من الحجاز على أثر غزوة قام بها فى الشمال .

ولقد مرت حقبة تاريخية على اليمن تزاحمت فيها الوثنية بجميع مظاهرها والديانة الموسوية والمسيحية والمجوسية ، وتصارعت فى أرجائه وجنباته وتهاتر أبناء هذه الديانات وتجاذبوا ، وحرص كل فريق على أن يكتسب الموقعة ليتم له السلطان السياسى ، فيتمكن من نشر دينه وآرائه . وهذا البحث وإن (١٠٥) لم يكن من واجب الباحث فى الأدب أن يعرج عليه ، ويعوج إليه ، غير أن العلاقة التى قررناها بين الأدب والدين ، وشدة الالتحام والارتباط بين المؤثر والأثر ، هو ما دعانا إلى الإلمامة القصيرة بهذا الموضوع الخطير .

وإذا كنا قد قررنا فى مقالاتنا السابقة أن الأدب هو ظل الحياة ، يتقلص بتقلصها ويمتد بامتدادها وسبوغها ، فالدين مازال أعظم جانب فى حياة

المجتمعات البشرية . وقد فشل من أراد التخلص منه ، والفرار من سلطانه قديما وحديثا ، فليس من السداد أن نجهل أو نتجاهل صلة الأدب بالدين وترافقهما ، وسيرهما جنباً لجنب .

على أنا قد وعدنا بأن سوف نوافى القراء الكرام بمباحث من التاريخ الاجتماعى، لها مساس بالأدب ، وله بها اتصال وارتباط، مع عدم الابتعاد عن دائرة الموضوع الذى نكتب فيه ونبحث عنه .

وقد يرد علينا بعد تقريرنا بالأدلة المتوافرة اللاتى أتينا بها فى مقالاتنا السابقة ، أن اليمن نال حظاً وافراً من الأدب فى عصوره الأولى ، كما نال كفلا كبيراً من الحضارة من جميع مناحيها، يرد علينا أنا قد أبعدنا النجعة ، وأغربنا فى الاستدلال ، وادعينا ما لا يتقبله الواقع ، فأين أدب الأحياء البائدة ؟ وأين آداب معين وسبأ وحمير ، وبأية لهجة كانوا ينطقون ؟ وكيف تحاول تدعيم إثبات أدب يمنى قديم ؟ وهذه المقررات العلمية تنادى بأن القلم المعروف بالمسند قد كان أداة الكتابة فى الأوساط اليمنية فى أكثر عصوره الأولى .

ونحو هذا من القول الذى يذهب إليه الفكر من أول وهلة ، ومن السهل الهين أن نجيب على كل هذه الأسئلة بأن من أمعن فى دراسة ما أسلفناه من القول تبين له جليا أنا لم ندع وجود ذلك الأدب بأيدينا ، وفى الأسفار اللاتى نقلبها صباحا ومساء . وما أوردناه من (١٠٦) الأدلة التى سردها الجاحظ رحمه الله على ما اشتهر به لقيمة ولقمان ، أو عاد الثانية بالعلم والحكمة والأدب ، لايدل على أن أدبهم وصل إليه ، وإنما يستنتج منه استنتاجاً صحيحا أن تلك الأمة البائدة كان لها أدب وعلم ، وأنها بادت وباد أدبها وعلمها ، وبقى ذكرها وذكر أدبها وعلمها يتداول ويذكر وتضرب

به الأمثال، وشتان بين الدعويين ، دعوى وجود الأدب وتخليده ، ودعوى أن تلك الأمم كان لها أدب مشرق الديباجة ، بهى الطلعة ، أخذت عليه الأيام كما أخذت على جميع مخلفاتها الزاهية الساحرة . بقيت الذكريات ، ذكريات الأمرين معا ، والناس على ذكرة الفائت الفانى أشد منهم على ذكره الموجود الباقى لما فى النفوس من طبيعة الحنين إلى ما نأى عنها أو فاتها .

وقد أشرنا قبلا إلى أنه إذا كان الأدب الناطق لتلك الأمم قد ذهب أدراج الرياح ، ودخل خبر كان ، فإن أدبهم الصامت من نقوش وتماثيل أبدعها وحى الإلهام والفن مايزال ماثلا إلى يوم الناس هذا ، وأما التشكيك بالكتابة ونوعها فأيا ما كان نوع رسم الكتابة لديهم ، سواء المسند أو غيره ، فإن ذلك لا ينقض ما ادعيناه ، فقد كان القلم المعروف بالكوفى هو أداة إثبات الأدب العربى ، وأداة إثبات العلوم الإسلامية على إختلافها فى القرون الأولى ، كما تطور شكلها وخرج من صيغته إلى هذه الصيغة التى بين أيدينا . وهذا التطور وهذا الخروج لا يقدح فى الأدب والعلم الذين كانا فى ذلك الزمن الزاهر ، فالرسم الكتابى شيء ، والأدب والعلم شيء آخر والنسبة بينهم كنسبة الظل إلى الشجرة . وقد نعالج هذا الموضوع بتفاصيل طويلة فى فرصة أخرى إن شاء الله ، ونبادر إلى أن نعد القراء الكرام بأنا سنضع أمام أعينهم فى العدد القادم وما يتلوه ، ما وصل إلينا من أدب اليمنيين قبل (١٠٧) الإسلام ، مستمدين ذلك من أمهات كتب الأدب ومصادره الصحيحة ليكون لديهم أدباً لأسلافهم ، رائعاً مؤنقاً ، يفتق من ألسنتهم ويقوم منها إذا هم تأثروه واتخذوه نبراساً ومناراً لهم فيما يهوونه من تقويم ألسنتهم ، وتنمية ملكتهم ، وتوسيع معارفهم ، وهم إذا حققوا هذا الأمل فإنما يحسنون إلى أنفسهم ، وينصحون لها ولوطنهم ولأسلافهم ، بل للعلم والأدب .

ومن العار أن يكون لنا تراث خالد فنتعمد إهماله وإغفاله ، ولا نشهده ونشيد بذكره، فأسلافنا الأولون قد تركوا لنا ثروة من العلم والأدب يجب علينا أن نقدرها حق قدرها ، وأن لا نتقاعس ونتواكل فنسيء إلى أنفسنا ووطننا ، فنصبح موضع هزؤ الهازيء ، ونقد الناقد ، فأولئك الأسلاف هم الذين عناهم إمام الأدب الكبير أبو بكر بن دريد رحمه الله في قصيدته المشهورة ، إذ يقول :

ألم تر ما أدت إلينا وسيرت	على قدم الأيام عاد وجرهم
هم اقتضبوا الأمثال صعباً قيادها	فذل لهم منها الشريس الشمشم
وقالوا الهوى يقظان والعقل راقد	وذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم
ومما جرى كالرسم في الدهر قولهم	على نفسه يجني الجهول ويجرم
وكالنار في يبس الهشيم مقالهم	ألا إن أصل العود من حيث يقطم
فقد سيروا مالا يسير مثله	فصيح على وجه الزمان وأعجم

(لها بقية) عبد الله العزب

في الأدب اليمني

نظرة في الأدب العربي القديم وحظ اليمن منه(١)

(تابع ما قبله)

— ٧ —

(١٤١) وعدنا في مقالنا السابق قراء هذه المجلة ، أن نضع بين أيديهم أمثلة من أدب اليمنيين في أطوار الجاهلية ، ولا يفوتنا أن نذكر القراء

---

(١) الحكمة : العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الأول ١٣٥٩هـ (أبريل/ مايو ١٩٤٠م) ص ١٤١ — ١٤٥ .

الكرام بأن أدب (١٤٢) اليمنيين قبل الإسلام هو على غرار الآداب العربية المعروفة آنذاك فى جميع أصقاع الجزيرة ، فالبصير الحاذق بعرفان أسرار الكلام ومواقعه ومغازيه ومناحيه ، يعرف جد المعرفة أن القوم كانوا ينتهجون مناهج فى القول يتخيرون فيها الألفاظ الجزلة ، والمعانى الكريمة ، وكان كلامهم يتراوح بين الطول والقصر ، وكانوا يعدون للقول عدته من التروى وإجالة الفكرة واعتيام أحاسن الكلمات . وكانوا يستنزلون المعانى اللاتى يودعونها أجواف تلك الكلمات اللاتى يرمون بها فى محافلهم ومنتدياتهم وفى مباراتهم ومحاوراتهم ، ولا يتوهمن أحد أن عامة القوم ودهماتهم كانوا على شاكلة واحدة ، وفى المرتبة المذكورة ، فالتفوق والنبوغ والعبقرية ليست أشياء تذال وتغتصب ، وإنما هى مواهب يمتاز بها أفراد من كل جيل ، وفى كل زمن ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ويسرنا أن نعيد القول بأن ما خلدته الدفاتر على كر العصور ، واختلاف الجديدين من آثار الأدباء فى اليمن قبل الإسلام ، لا يخرج عن الدائرة التى كانت أغراض الأدب منحصرة فيها فى ذلك العهد القديم . فمن وصف دقيق لما كانت تقع عليه أبصارهم من مظاهر حياتهم ، إلى غزل رقيق يصورون به خلجات قلوبهم ، ونزعات نفوسهم ، إلى تفاخر بتعداد المآثر ، وتكثير المفاخر ، إلى حكم يرمون بها فى مطاوى أقوالهم ، إلى أمثال سائرة ، وأبيات نادرة ، إلى كلمات توجه إلى مَرْزَءٍ ، أو منكوب ليتأسى ويسلو ، وكان ولوع القوم بالفخامة والجزالة فى خطبهم وأشعارهم بالغاً أشده حتى أنك لتظفر بثروة عظيمة من مواد الكلمات العربية إذا ظفرت بكتاب فى آداب القوم . ويمكننى أن أقطع للقراء الكرام بأن ما سيقع بين أيديهم مما نختاره ، لا يتعدى المصادر المشهود لها بالصحة والإتقان ، ولأصحابها بالتقدم فى الأدب والرسوخ فى صناعته (١٤٣) وعلو الكعب فى روايته ، أمثال : الجاحظ والمبرد وأبى على القالى وابن الكلبى رحمهم الله ، وهؤلاء

هم نجوم الأدب العربي وأئمته . وعلى أضواء ما كتبوه مشت القرون المتطاولة من بعدهم إلى يوم الناس هذا . فكم من متعب نفسه حاول اللحاق بهم فأكدى ، وكأين من خريت ارتاد أن يستورى مثل زنادهم فأكبى ، فهم أمراء البيان ، وأعلام الأدب بلا تردد ولا استرابة . فمن أدباء اليمن قبل الإسلام عمرو بن براقة الهمدانى من صعاليك العرب ، ومن مشهورى عدآئها ، وكان شاعراً مجيداً ، وكان من الشجاعة والفروسية على الجانب المخوف ، وكان بينه وبين السليك بن السلكة. وتأبط شراً ، صداقة متينة ، وصلة قوية . قال أبو على حدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال حدثنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبي ، قال : أغار رجل من مراد يقال له حريم ، على ابل عمرو بن براقة الهمدانى وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو إلى سليمى وكانت بنت سيدهم ، وعن رأيها كانوا يصدرون ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : والخفو والوميض والشفق كالاحريض والقلة والحضيض أن حريماً لمنيع الحيز ، سيد مزيز ، ذو معقل حريز ، غير أنى أرى الهمة منه ستظفر بعثرة بطيئة الجبرة ، فأغر ولا تنكع ، فأغار عمرو ، فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورجع حريم ، فقال عمرو :

تقول سليمى لا تعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليل من جل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
غموض إذا عض الكريهة لم يدع له طمعاً طوع اليمين ملازم
ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخلى المسالم
إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه وصاح من الإفراط يوم جواثم
(١٤٤) ومال بأصحاب الكرى غالياته فانى على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا يأخذونها مراغمة مادام للسيف قائم

تحالف أقوام على ليسلموا ... وجروا على الحرب إذ أنا سالم
أنا اليوم أدعى للهوادة بعدما ... أجيل على الحى المذاكى الصلادم
فان حريماً إن رجى أن أردها ... ويذهب مالى يا إبنة القيل حالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما ... وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
متى تطلب المال الممنّع بالقنى ... تعش ماجداً أو تخترمك المخارم
وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم ... فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
فلاصلح حتى تقذع الخيل بالقنى ... وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم
ولا أمن حتى تغشم الحرب جهرة ... بميدة يوماً والحروب غواشم
أمستبطىء عمرو بن نعمان غارتى ... وما يشبه اليقظان من هو نائم
إذا جر مولانا علينا جريرة ... صبرنا لها أنا كرام دعائم
وننصر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروم عليه وجارم

وقد وقع فى هذه القطعة الأدبية بعض كلمات تحتاج إلى التفسير والبيان وتتميما للفائدة ننبه عليها : فالخفو : اللمعان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفو ، والأحريض : حجارة النورة ، والحيز : الناحية ، ومزيز : فاضل من قولهم . هذا أمز من هذا أى أفضل منه ، والحة : القدر ، وتنكع : تردع قال نكعته إذا ردعته ، والمكفهر : المتراكب الظلمة ، والأفراط : الآكام وهى الجبال الصغار وإحداها فرط ، والهوادة الصلح والسكون ، والصلادم : وأحدها صلدم وهو الشديد الصلب ، وتقذع تكف ، والغشم : أشد الظلم .

هذا ما قاله أبو على رحمه الله ، وهذه الأبيات كما يراها القارىء عالية الأسلوب ، رصينة التركيب ، لها جزالة بهية ، وفخامة أنيقة ، تصور لك نفس قائلها المتمردة الشرهة بالإغارة والحروب عن الإذالة والامتهان .

يتبع ... عبد الله العزب

فى الأدب اليمنى

نظرة فى الأدب العربى القديم وحظ اليمن منه[1]

(تابع ما قبله)

— ٨ —

(٢٣١) ومن شعراء اليمن قبل الإسلام عبد يغوث بن وقاص الحارثى، كان سيد بنى الحارث وفارسهم وقائدهم فى يوم الكلاب الثانى وفيه أسر وقتل ، وكان من الشعراء الأمجاد ، والأبطال المغاوير ، ليس بهيابة وإن أعضل الخطب ، ولا نا كل إذا خيم الكرب ، جرىء الجنان ، ذاق اللسان حتى فى ساعة الهول الذى يقطع أعشار القلوب ، وتهلع له النفوس ، قال أبو عثمان الجاحظ رحمه الله : (وليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية) أ هـ . ولما أسره بنى تيم قال لهم : (يا بنى تيم اقتلونى قتلة كريمة ، اسقونى (٢٣٢) الخمر ودعونى أنح على نفسى) فسقوه الخمر وقطعوا له عرقاً فجعل يشرب والدم ينزف ، وهو يقول : (ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا) الخ الأبيات الآتية . وهذه القطعة الشعرية من عيون الشعر العربى الجاهلى ، وغرر مبدعاته ، إذ تلمس فيها اعتزاز الشاعر الأسير المحاط بالموت بنفسه الأبية ، وشمائله الكريمة ، ذاكراً ما كان يسديه إلى قومه من أياد بيضاء ، ويصنع لهم من معروف ، ويؤثرهم على نفسه . ولقد حاطهم ووقاهم ونافح عنهم

---

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، جمادى الآخرة ١٣٥٩ هـ (يولية / أغسطس ١٩٤٠م) ص ٢٣١ — ٢٣٥ .

فياراكبا أما عرضت فبلغن ... نداماى من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكلاب ملامة ... صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة ... ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكننى أحمى زمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
أحقا عباد الله أن لست سامعا ... نشيد الرعاء المعزب بين المتاليا
وتضحك منى شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا
وظل نساء الحى حولى ركدا ... يراودن منى ما تريد نسائيا
وقد علمت عرسى مليكة أننى ... أنا الليث معديا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجذور ومعمل المطى ... وامضى حيث لا حى ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتى ... وأصدع بين القينتين ردائيا
وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفى وقد أنحوا على العواليا
(٢٣٤) كأنى لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

هذا ما رواه أبو على فى ذيل الأمالى ، وتسهيلا لرواد الأدب وطالبيه ، نتكلم على ما يفتقر إلى بيان وتفسير الكلمات لغوية وردت فى هذه الأبيات لكى لا يتجشم القارىء عناء البحث والتنقيب وراء معانيها فقوله وما لومى أخى من شماليا أى من خلق وهو واحد الشمايل ، وقوله أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا أسماء رجال بيان لنداماى وقيس أراد به قيس بن معدى كرب

فياراكبا أما عرضت فبلغن ندامای من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكلاب ملامة صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكننى أحمى زمار أبيكم وكان الرماح يختطفن المحاميا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
أحقا عباد الله أن لست سامعا نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا
وظل نساء الحى حولى ركدا يراودن منى ما تريد نسائيا
وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث معديا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجذور ومعمل المطى وامضى حيث لا حى ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتى وأصدع بين القينتين ردائيا
وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا على العواليا
(٢٣٤) كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

هذا ما رواه أبو على فى ذيل الأمالى ، وتسهيلا لرواد الأدب وطالبيه ، نتكلم على ما يفتقر إلى بيان وتفسير الكلمات لغوية وردت فى هذه الأبيات لكى لا يتجشم القارىء عناء البحث والتنقيب وراء معانيها فقوله وما لومى أخى من شماليا أى من خلق وهو واحد الشمايل ، وقوله أبا كرب والأيهمين كليهما وقيسا أسماء رجال بيان لندامای وقيس أراد به قيس بن معدى كرب

أبو الأشعث ابن قيس ، وقوله الموالیا أراد بهم هنا الحلفاء ، وقوله نبذة فى صفة فرسه أى مرتفعة الخلق ، ومنه نهد ثدى الجارية إذا ارتفع ، والحوّ من الخيل التى تضرب للخضرة ، وتواليا أى توابع لها ، والذمار ما يجب حفظه ، وقوله قد شدوا لسانى بنسعة مثل لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد افعلوا بى خيراً ينطلق لسانى بشكركم ، واسجحوا أى يسروا ، والبوآء السواء ، والمعزب المتنحى ، والمتالى التى نتج بعضها وبق بعض واحدتها متلية ، والشرب جمع شارب ، واصدع أى أشق ، والقينة الأمة مغنية كانت أوغير مغنية ، وشمصها بالصاد والسين لغتان ومعناهما واحد ، والعادية القوم يعدون ، وسوم الجراد انتشاره فى المرعى ، وقوله وزعتها أى كففتها ، والعواليا أراد بها رؤوس الرماح ، وقوله ولم أسبأ الزق السبآء اشتراء الخمر .

ومن صور الأدب اليمنى الجاهلى ما قاله بعض أهل اليمن لذى رعين يعزيه يوم مات أخوه ، قال أبو على رحمه الله وحدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة وحدثنا ، قال حدثنى أيضاً السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن الكلبى ، ولفظاهما متفقان غير أن أبا عبيدة قال لبعض ملوك اليمن (٢٣٥) وقال ابن الكلبى لذى رعين ، قال مات أخ لذى رعين فعزاه بعض أهل اليمن ،فقال «إن الخلق للخالق ، والشكر للمنعم، والتسليم للقادر ، ولابد مما هو كائن ، وقد حل ما لا يدفع ، ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك وستتركه ، فما الجزع عما لابد منه ، وما الطمع فى ما لا يرجى ، وما الحيلة فى ما سينقل عنك أو تنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ، فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا فى غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغير ، فاعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ، هل رد أحدا منهم إلى ثقة من درك ،

واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف ، فأفق والمرجع قريب ، واعلم إنما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر ، فان نسيت الصبر ، فلا تغفل عن الشكر » .

وهذا الكلام الآخذ بعضه بحجزة بعض كما تراه رصانة ونخامة ، وقوة تركيب ، وجزالة لفظ ، وكرائم معانى ، وفرائد لآلى ولعمر الحق إن هذا هو الكلام الممتع البهيج ، المتلألىء إشراقاً ، المتضوع عبيراً ، الآخذ بالنفوس ، المستولى على موضع الإدراك ، ومثل هذا الكلام إذا أتى بعد الروية ، وأعمال الفكرة ، وطول الأناة ، لتخير أحاسن الكلمات لكرائم المعانى ، فهو بلا ريب موضع إعجاب وإكبار ، فكيف به إذا سال عفواً بلا تعمل ورمى به بدون ريث ولا تأمل .

(يتبــــع) عبد الله العزب

فى الادب اليمنى

نظرة فى الأدب العربى القديم وحظ اليمن منه(١)

تابع ما قبــــله

— ٩ —

(٢٧٠) ومن أمثــلة الأدب العربى اليمنى فى عصوره القديمة حديث الرواد الذين أرسلتهم مذحج ، ووصفهم الأرض لقومهم بعد رجوعهم ، قال أبو على رحمه الله ، وحدثنا أبو بكر ، قال حدثنا السكن بن سعيد عن

(١) الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس/ سبتمبر ، ١٩٤٠م) ، ص ٢٧٠ — ٢٧٤ .

محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من بني الحارث بن كعب ، قالوا : أجدبت بلاد مذحج فأرسلوا رواداً من كل بطن رجلا. فبعثت بنو زبيد رائدا وبعثت النخع رائداً، وبعثت جعفي رائداً ، فلما رجع الرواد قيل لرائد بني زبيد ما وراءك، قال : رأيت أرضاً موشمة البقاع، ناتحة النقاع ، مستحلسة الغيطان، ضاحكة القريان، واعدة وأحر بوفائها، راضية أرضها عن سمائها. وقيل لرائد جعفي ما وراءك ، قال : رأيت أرضاً جمعت السماء أقطارها ، فأمرعت أصبارها ، وديثت أوعارها ، فبطنانها غمقة ، وظهرانها غدقة ، ورياضها مستوسقة ، ورقاقها رائخ ، وواطئها سائخ ، وماشيها مسرور ، ومصرمها محسور. وقيل للنخعي ما وراءك فقال مداحي سيل، وزهاء ليل، وغيل يواصي غيلا، قد ارتوت أجرازها، ودمث عزازها ، والتبدت أقوازها ، فرائدها أنق وراعيها سنق ، فلا قضض ولا رمض ، عازبها لا يفزع وواردها لا ينكع. فاختاروا مراد النخعي .

وإلى القارىء تبيناً موجزاً لمعاني الكلمات اللاتي انتظمت في سلك هذه الفقرات (٢٧١) الرائعة ، فقوله موشمة البقاع ، أي بادنبتها يقال أوشمت الأرض إذا بدا فيها نبت ، وناتحه واشحة ، والمستحلسة الأرض التي غطاها نبتها ، والقريان مجاري الماء وأحدها قرى . وواعدة تعد تمام نبتها وخير وأحر أخلق والسماء المطر هاهنا، وامرعت اعشبت وطال نباتها ، والأصـ اواحي الوادي ما علا منه ، وديثت ليئت ، والأوعار جمع وعر وهو الغلـ والخشونة ، والبطنان جمع بطن وهو ما غمض من الأرض ، وغمقة ندى مع ثقل ووخامة ، ومنه الحديث أن الأردن أرض غمقة وأن الجابية أرض نزهة ، والظهران جمع ظهر وهو ما ارتفع يسيراً، وغدقة كثيرة البلل والماء ، ومستوسقة منتظمة ، والرقاق الأرض اللينة من غير رمل ، ورائخ مفرط اللين ، وقوله وواطئها سائخ أي تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، والماشي صاحب الماشية والمصرم المقل ، ومداحي مفاعل من دحوته إذا بسطته

ومنه قول الله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها . وقوله وزها ليل فالزها الشخص وأراد بذلك شدة الخضرة، والغيل الماء الجارى، ويواصى يواصل، والأجراز جمع جرز وهى التى لم يصبها المطر ، ودمث لين، والعزاز الصلب السريع السيل ، والأقواز جمع قوز وهو نقى يستدير كالهلال ، وانق معجب بالمرعى ، والسنق البشم ، والقضض الحصى الصغار يريد أن النبات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قضضاً ،والرمض أن يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، والعازب الذى يعزب بابله ، وينكع يمنع ، اهـ .

ومن أمثلة الأدب اليمنى حديث بعض مقاول حمير مع ابنيه وما دار بينه وبينهما من المساءلة حين كبرت سنه قال أبو على رحمة الله : وحدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا الاشناندانى عن التوزى عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلا قال:كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد (٢٧٢) برعا فى الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفنا دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو،وكان الأكبر أخبرنى عن أحب الرجال إليك وأكرمهم عليك ، قال:السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسى الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد . قال ما تقول ياربيعة ، قال : ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه،قال :ومن يكون بعد هذا ، قال:السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضال الحليم ، القمقام الزعيم الذى إن هم فعل ، وان سئل بذل . قال أخبرنى ياعمرو بأبغض الرجال إليك ، قال : البرم اللئيم ، المستخذى الخصيم ، المبطان النهيم ، العى البكم ، الذى ان سئل منع ، وان هدد خضع ، وان طلب خشع . قال ما تقول ياربيعة ، قال غيره أبغض إلى منه ، قال ومن هو : قال النؤوم الكذوب ، الفاحش الغضوب، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام . قال أخبرنى ياعمرو أى النساء أحب إليك ، قال : الهركولة اللفاء ، الممكورة الجيداء

التى يشفى السقيم كلامها، ويبرى الوصب المامها ، التى إن أحسنت إليهـــا شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعتبتها أعتبت، الفاترة الطرف، الطفلة الكف ، العميمة الردف . قال ما تقول ياربيعة ، قال : نعت فأحسن وغيرها أحب إلى منها ، قال ومن هى قال : الفتانة العينين، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرداح الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام، الجما العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام . قال فأى النساء أبغض إليك ياعمرو ، قال :القتاتة الكذوب، الظاهرة العيوب الطوافة الهبوب، العابثة القطوب، السبابة الوثوب، التى ائتمنها زوجها خانته، وإن لان لها أهانته ، وإن أرضاها أغضبته ، وإن أطاعها عصته . قال ماتقول ياربيعة قال بئس والله المرأة ذكر، وغيرها أبغض إلى منها قال: وأيتهن التى هى(٢٧٣) أبغض إليك من هذه قال: السليطة اللسان، المؤذية للجيران الناطقة بالبهتان، التى وجهها عابث، وزوجها من خيرها آيس، التى إن عاتبها زوجها وترته وإن ناطقها انتهرته. قال ربيعة وغيرها أبغض إلى منها قال ومن هى قال: التى شقى صاحبها، وخزى خاطبها، وافتضح أقاربها، قال: ومن صاحبها قال: مثلها فى خصالها كأنها لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها قال فصفه لى قال : الكفور غير الشكور، اللئيم الفجور، العبوس الكالح، الحرون الجامح ، الراضى بالهوان المختال المنان ، الضعيف الجنان الجعد البنان ، القئول غير الفعول ، الملول غير الوصول، الذى لايرع عن المحارم، ولا يرتدع عن المظالم، ثم قال أخبرنى ياعمرو أى العيش ألذ ، قال: عيش فى كرامة، ونعيم وسلامة، واغتباق مدامة، قال ماتقول ياربيعة قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب إلى منه قال وما هو قال : عيش فى أمن ونعيم، وعز وغنى عميم، فى ظل نجاح، وسلامة مساء وصباح، وغيره أحب إلى منه قال وما هو قال: غنى دائم ، وعيش سالم، وظل ناعم . هذا وقد ارتأيت طى بقية التساؤل الذى جرى بين الأب وابنيه اكتفاء بما رسمه اليراع فى هذه الكلمة، وإلا فقد استرسل الأب فى إلقائه على ابنيه مبتلياً لقرائحهما ممتحناً لإفهامهما فاحصاً عن مبلغ إدراكهما، ولقد سألهما عن الخيل ومايحب

منها وما يبغض ، وعن السيوف جيـــدها ورديئها ، وعن الرماح ومحاسنها ومساويها .

وهما فى كل ذلك يجريان على غرار مارأيت حتى قال لهما انصرفا الآن طاب لى الموت .

وأهيب بالقارىء ليتذكر ما قلناه فى مقالاتنا السابقة عند الكلام على تحليل الأدب ومناقشته، ليستيقن جلياً أن ما قلناه هناك من أن الأدب مرآة ترتسم عليها صـور الحياة المتعددة الألوان ، وان الأديب يستوحى أدبه من البيئة التى يعيش فيها والوسط التى يكدح فيه ، والطبيعة التى يقع عليها بصره فى صبحه ومسيه (٢٧٤) هو ماينطق به ما بين أيدينا من أمثلة الأدب ورواياته. ولا نتجشم عناء إقامة البراهين بعد أن سردنا ما عرفه القراء فى مقالاتنا القريبة فإنه إذا حلل تحليلا صادقاً ووزن بميزان الفهم والنظر وجد بلا امتراء أدباً رائعاً صافى اللون مشرق الديباجة يصف لك مظهراً من مظاهر الطبيعة، وينتقل بك بين مروجها الخضراء وجناتها الأنيقة بكلمات رشيقة وأساليب قوية ، ثم تجد فيه ما يبهرك من قوة الأسلوب وروعة البيان وصدق الإدراك ودقيق النقد للأخلاق الملتوية والإعجاب بالشمائل الكريمة، وجودة الوصف ومتانة الوصف ، كما ترى ذلك ملموساً فى ما زين به جيد هـــذا المقال من الحوار الممتع .

(يتبـع)

عبد الله العزب

[illegible] العالم الكبير [illegible] الصبحية [illegible]

[illegible] وقد نشرت [illegible]

[illegible] الأكبر [illegible]

[illegible] الحديث

[illegible]

[illegible] الموضوع [illegible] الدكتور

[illegible]

[illegible] الموجودة

الموجود [illegible]

[illegible] الأعلى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

علوم [illegible]

أساتذته

تتلمذ لأستاذنا المرحوم [illegible] والأزهري [illegible]

[illegible] وقرأ على أستاذنا المرحوم [illegible] من التفسير والحديث وتفسير [illegible]

في الأحكام [illegible] وأبرز مشايخه [illegible] الشيخ عبد الوهاب [illegible] الحديث [illegible]

وعلوم الدراية والتفسير والمنطق وعلوم [illegible] والفقه والمصطلح والفروض وغير ذلك وقد أجازه

[illegible] إجازة عامة [illegible]

[illegible] وأجازه إجازة

عامة في المنقول والمعقول .

[illegible] الرجل

الذي يطلب العلم [illegible] الحديث

والحديث [illegible]

[illegible]

وخطيب وكاتب وفقيه وأديب [illegible]

[illegible]

[illegible] في أول نشأته تلميذاً لأستاذ [illegible] ولما [illegible] ثم أستاذاً

قديراً [illegible] شاملة قائمة على أصول من الواقع [illegible] والطموح إلى [illegible] وإلى

انتشال هذا الشعب من حمأة التأخر والجمود إلى أن يماشي سائر الشعوب الأخرى لذلك آثر التحول

من ذمار إلى [illegible] هنا ليلتقي هنالك بمجموعة [illegible] من رجال الفكر وليشع [illegible]

[illegible] .

ولكن [illegible] السيف عبد الرحمن [illegible] الحكم كان [illegible]

[illegible] التي أغرته [illegible] وينشئ شعباً ويكون شباباً طامحاً وفي آخر جلسة معه [illegible]

[illegible] وصل القاضي عبد الله بن محمد الحيزري رحمه الله وكان يسمي الوريث . أحمد بن أبي دؤاد

[illegible] من قرنه إلى قدمه . ومما قال له القاضي عبد الله لا حاجة لطلوعك هنا فإنك

هنا بذمار يتخرج على يديك جيل من الشباب يكون فيهم أمل البلاد وسعادتها .

أجابه الوريث هنا [illegible] وهناك من [illegible] روحي واتجاهي [illegible] لهذا الشعب [illegible]

قال الحيزري [illegible] لا تسلم الأعمال قال الوريث في سبيل وطني لا أبالي

قال الحيزري السلام على شهيد [illegible]

هذه صورة ضئيلة ملخصة بالنصوص عن حياة استاذنا اليمني الكبير [illegible] أحمد الوريث

[illegible] استجابة للطلب ولكن لدي رسائل [illegible] وربما تجدون

بعضها لدى [illegible] وتقبلوا أعمق وأطيب تحياتي واحترامي

علي بن حمود الديلمي

٢٢ [illegible]

نموذج لإحدى المحاولات لجمع مادة وافية خاصة بترجمة حياة أحمد عبد الوهاب الوريث ، وهذه صورة خطاب من أحد تلاميذه وهو علي بن حمود الديلمي

يُؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

الحكمة اليمانية

الايمان يمان والحكمة يمانية « حديث شريف »

العدد ١ السنة الاولى — مجلة علمية جامعة شهرية — ذي القعدة سنة ١٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على ما أنعمت علينا به من سوابغ النعم ونشكرك على ما منحتنا من فضيلة العلم والعرفان . وأتحت لنا من وسائل التعارف والتواصل واسباب التثقيف والارشاد وذرائع التعلم والدعوة الى الخير . ونسألك ان تسدد خطانا في الطريق التي اردنا سلوكها واعتزمنا انتهاجها ونرجو منك ان توفقنا الى الغاية التي نقصدها وان تقينا من عثرات اللسان وتهافت الكلام

ونصلي ونسلم على رسولك محمد الذي بعثته الى خلقك على حين اطباق جهل في الامم وفساد في الاخلاق وتخبط في مهامه الضلال وتشتت [illegible] العقائد فهدى الناس الى الحق والرشد والى طريق مستقيم واخرج الامة من الظلمات الى النور ومن ظلمات الشرك والضلال الى نور التوحيد والهدى وطهرهم من ارجاس الوثنية ورذايا الاخلاق وباطل العقائد والقديم من حروب اكلت النفوس واهلكت الاموال وشتتت ما كان فصلّ اللهم عليه وعلى آله واصحابه الذين نقلوا الشريعة في ثوب جديد واظهروها في كامل زينتها وبهجتها

لا يجهل كل ذي معرفة بالصحافة الصحيحة من اثر عظيم في الامم التي كانت رهينة الجهل وقيد التأخر واسيرة الافكار البالية واذيال [illegible] الكاذبة

صورة الصفحة الأولى من العدد الأول من مجلة الحكمة



العدد ١٠ السنة الاولى — شعبان المعظم سنة [illegible]

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

الحكمة اليمانية

الإيمان يمان - والحكمة يمانية

مجلة علمية جامعة شهرية

ثمن النسخة ربع [illegible] في العاصمة

بدل الاشتراك

في داخل القطر ثلاثة ريالات وربع

في خارج القطر نصف جنيه انكليزي

يراجع في كل امور المجلة

ادارة المجلة

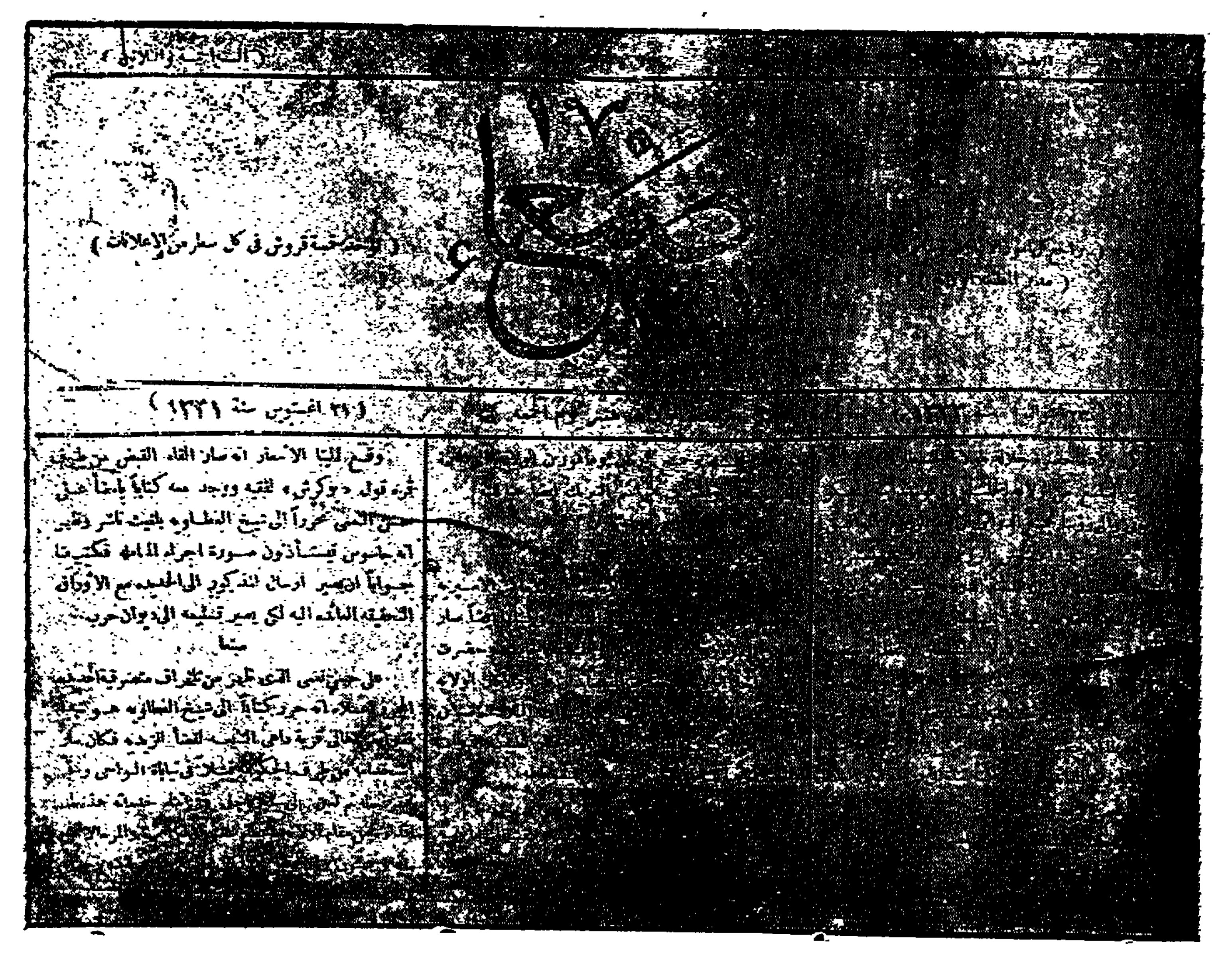
بصنعاء اليمن

طبعت بمطبعة وزارة المعارف [illegible] : عاصمة اليمن

صورة الغلاف الخارجي لاحد اعداد الحكمة



صورة العدد [illegible] من جريدة الايمان



(... قروش فى كل سطر من الإعلانات)

(٢٩ اغستوس سنة ١٣٣١)

وقع لدينا الأخبار انه صار القاء القبض [illegible] وجد معه كتاباً [illegible] الى شيخ [illegible] تيستأذون [illegible] التذكور الى [illegible] الاوراق [illegible] الى [illegible]

[illegible]

صورة أحد أعداد جريدة صنعاء (الوجه العربي)



صورة أحد أعداد جريدة صنعاء (الوجه التركي)

المراجع

(أ) الدوريات

— مجلة «الحكمة» اليمانية، صنعاء:

جميع الأعداد الثمانية والعشرين، وهي شهرية.

صدر العدد الأول في ذي القعدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ٣٨/يناير ١٩٣٩م)

وصدر العدد الأخير في صفر ١٣٦٠ هـ (فبراير/مارس ١٩٤١ م)

— مجلة الحكمة (الجديدة)، عدن:

— العدد ١٦، السنة الثانية، شوال ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م، ص ١٧-٢٣.
(الينا جلوبو فسكايا: حول مسألة قيام بعض التنظيمات السياسية والاجتماعية في اليمن، ترجمة أبو نشوان).

— العدد ١٨، السنة الثانية، محرم ١٣٩٣هـ، فبراير ١٩٧٣م، ص ٣٦-٣٩.
(القاضي عبدالرحمن الإرياني يتحدث عن ثورة ١٩٤٨: أجرى المقابلة صالح دحان).

— العدد ٢٦، ذوالحجة ١٣٩٣ هـ، يناير ١٩٧٤ م، ص ٦١ - ٨٠.
(عمر الجاوي: نشأة الصحافة اليمنية وتطورها حتى ١٩٤٨ م).

— جريدة الإيمان، صنعاء:

— العدد ١٣٦، السنة الثانية عشرة، شوال ١٣٥٦ هـ (نوفمبر/ديسمبر ١٩٣٧م)

— العدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى القعـــدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨/يناير ١٩٣٩م) .

— العدد ١٥٠ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى الحجة ١٣٥٧ هـ (ينـاير / فبراير ١٩٣٩ م) .

(ب) الـكتب العربية

— أحمد محمد الشامى :

— من الأدب اليمنى، نقد وتاريخ، بيروت،دار الشروق ، ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م ، ص ٣٧٥ .

— قصة الأدب فى اليمن ، بيروت ، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٥ م — ١٣٨٥ هـ ، ط ١ ، ص ٤٨٨ .

— زيد بن على الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١ ، ص ٢٢٤ .

— عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمى : جامعة الأشاعر (زبيد) ، صنعاء ، الشركة اليمنية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ، ص٧٢ .

— عبد الغنى الرافعى : اليمن ظاهرها وباطنها ، القاهرة ، مجـــلة الرابطة العربية ، د . ت ، ص ٦٤ .

— عبد الله البردونى : رحـلة فى الشعر اليمنى ، قديمه وحديثه ، القـاهرة ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٥٤ .

— عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، القاهرة ، دار الهنا للطباعة ، ١٩٧٢م ، ص ٣٦٨ .

— على بن على صبره : الملحمة الشعبية ، الدم وأغصان الزيتون ، تعز ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت ، ص ١٨٣ .

— محمد أحمد نعمان : الأطراف المعنية فى اليمن ، عدن ، مؤسسة الصبان ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٤ .

— الحركة الوطنية فى اليمن : عدن، الاتحاد اليمنى، مطبعة الجماهير ، ١٩٥٩م ، ص ٤٣ .

— محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، القاهرة ، الاتحاد اليمنى ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٦ .

— محمد على لقمان ، فاروق محمد لقمان ، قصة الثورة اليمنية ، عدن ، دار فتاة الجزيرة ، د . ت . ، ص ١٤١ .

— محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، د . ت . ، ص ٧٠٤ .

— محمد مختار باشا (اللـــواء) : التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٣١١ هـ (١٨٩٤/٣ م) ، ط ١ ، ص ٧٥٢ .

— نزيه مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، القاهرة ، مطبعة الحلبى ، د . ت . ، ص ٣٥٠ .

— هلال ناجى : شعراء اليمن المعاصرون ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٩٦٦ م ، ط ١ ، ص ٢٥١ .

(جـ) الكتب الأجنبية

— Abdallah Yahia El Zine : Le Yemen, Et Ses D ınformation, Etude Historique, Politique, Juridique, Sociale Et Critique, 1972—1974, Tome I,2, p 211, 412.

— Dana Adams Schmidt : Yemen, The Unknown War New York Holt, 1968, First Published, p. 316.

— Edgar O'Ballance : The War in the Yemen, London, Faber and Faber, 1971, p. 218

— Harold Ingrams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London , Jhon Murray, 1963, p. 164.

— Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918—1966, U. S. A., The Johns Hopkins Press, 1968, Second Printing, p. 257.

(د .) المقابلات الشخصية

(الأسماء الواردة هنا مرتبة حسب الحروف)
(الأبجدية وبدون ألقاب)[1]

١ ـ أحمد بن أحمد الجرافى : تلقى العلم على شيوخه ... وشارك فى أحداث اليمن قبيل الاستقلال، وعقب الحرب العالمية الأولى تولى الأحكام فى المقام، ثم عين عاملا لآنسى مدة طويلة ، ثم وزيراً للعدل فى العهد الإمامى .

ـ أحمد حسين المرونى : من مواليد ١٩٢٠ م ، التحق بمدرسة الأيتام ١٩٢٧ ، ثم عين عضواً بالبعثة التعليمية الأولى إلى العراق والتحق بالكلية الحربية هناك ، وعاد إلى صنعاء ليلحق بالجيش اليمنى ، ثم عين بعد قليل بوزارة المواصلات ، اعتقل لأول مرة فى صنعاء عام ١٩٣٨ ، ثم فى ١٩٤١ مع مجموعة كبيرة بتهمة نشر أفكار عصرية واتصاله ببعض الأحرار الذين عرفوا بمعارضة الإمام والدعوة إلى الإصلاح . اشترك فى حركة ١٩٤٨م، واعتقل عند فشلها وسجن بحجة مدة سبع سنوات ، وأطلق سراحه عند قيام حركة الثلايا عام ١٩٥٥ م . ولظروف سياسية اضطر إلى الهرب إلى عدن وبقى بها حوالى عامين ، وعقب ثورة ١٩٦٢ تسلم إدارة الإذاعة ، ثم

---

(١) . لم أستطع الحصول على تراجم جميع هؤلاء الأخوة بأقلامهم لعدة ظروف خارجة عن الإرادة كما ذكرت فى المقدمة ، وذلك حتى آخر مرحلة من مراحل الطبع ، ولهذا اعتمدت فى جمع كثير من المعلومات على جهودى الخاصة أثناء وجودى بصنعاء ، وعلى جهود بعض الأخوة اليمنيين ، حتى أن الأخ الصديق زيد محمد حجر أرسل لى بالبريد بعض هذه التراجم إلى القاهرة ، لذلك فانى أعتذر مقدماً عن الخطأ والتقصير بالنسبة للبعض ، وعن الاختصار والإيجاز بالنسبة للبعض الآخر . وكان الغرض من وراء الحصول على تراجم هؤلاء بأقلام أصحابها هو أن تكون وافية صحيحة من ناحية ، وحتى نقف على تراجم بعض رجالات اليمن الحاليين ، وحتى يتضح أمامنا تنوع هذه التراجم واختلافها فيما بينها مما أعطى للبحث عمقه واتساع آفاقه .

وزيراً للإعلام فوزيراً للتربية والتعليم فسفيراً فى العراق إلى ١٩٧٤ ، وحالياً عين مديراً لمركز الدراسات اليمنية ، وهو شاعر أديب .

٣ ـ أحمد عبدالرحمن محبوب : من مواليد صنعاء فى ٣ رجب ١٣٢٧ هـ ، تلقى العلم على شيوخه ... وأكمل حفظ القرآن وهو فى الحادية عشرة من عمره ، تقلب فى الوظائف الدينية ودرس فى المدرسة العلمية بصنعاء ، وحالياً انتخب رئيساً للجمعية العلمية بصنعاء ، وكان له نشاط بالحركة الاصلاحية وسجن فى حجة سبع سنوات عقب فشل ثورة ١٩٤٨ .

٤ ـ أحمد عبد الرحمن المعلمى : من مواليد عتمة فى ١٩١٧ م ، وتلقى تعليمه الأولى بها ، ثم انتقل إلى اريان التى كانت مزدهرة بالعلوم الدينية حينذاك ، ومنها إلى صنعاء حيث التحق بالمدرسة العلمية . وبعد التخرج عين كاتباً بإحدى المحاكم الشرعية ثم سجن للمرة الأولى فى حجة عام ١٩٤٤م لمدة عام ونصف لاشتراكه فى جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى اب ، والمرة الثانية فى سجن حجة أيضاً بعد فشل ثورة ١٩٤٨م واستمر به سبع سنوات . وقد فر إلى عدن عقب حركة الثلايا عام ١٩٥٥ م ، ومنها إلى كينيا ثم إلى القاهرة . وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عاد إلى اليمن حيث عين وزيراً مفوضاً بالقاهرة حتى عام ١٩٦٥ ، ثم سفيراً فى بغداد ، فسفيراً فى أثيوبيا حتى عام ١٩٧٥ حيث أعيد إلى الديوان العام لوزارة الخارجية مديراً عاماً لإدارة الشئون الفنية والثقافية ، وهو شاعر وأديب .

٥ ـ أحمد محمد داعر : تخرج فى كلية الآداب (قسم التاريخ) بجامعة صنعاء عام ١٩٧٥ م ، ثم عين مديراً لمكتب وزير الاقتصاد .

٦ ـ أحمد بن محمد الشامى : من مواليد العشرينات فى هذا القرن (الميلادى) وتلقى علومه بالمدرسة العلمية بصنعاء ، واضطر إلى الهرب إلى عدن بعض الوقت عام ١٩٤٤ ، وعند عودته إليها شارك فى معارضة الإمام يحيى ، وقبض

عليه عقب ثورة ١٩٤٨ وسجن فى حجة ثم أطلق سراحه عام ١٩٥٥ ، وعين قائماً بالأعمال فى القاهرة ثم وزيراً فى الاتحاد بين مصر واليمن ، ثم عضواً فى مجلس رياسة الجمهورية ، فسفيراً فى لندن ، وهو شاعر وأديب ، وله عدة مؤلفات عن الأدب اليمنى ، كذلك عدة دواوين شعرية .

٧ — أحمد بن محمد عبد الله الوزير : من مواليد بيت السيد ببنى حشيش فى رجب ١٣٣٥ هـ حيث تلقى تعليمه الأولى بها ، ثم انتقل إلى تعز ليكون مع أميرها عمه السيد على الوزير ، وهناك أكمل دراسته الدينية والعلمية على يد عدة من علماء اليمن ، ثم عين كاتباً أول فى ديوان عمه ، وانتقل معه إلى إمارة لواء المحويت ، ثم عين عاملا لناحية شبام كوكبان ، وعند فشل ثورة ١٩٤٨ قبض عليه وسيق الى سجن حجه ، وبعد الإفراج عنه عين فى الهيئة الشرعية المشاركة لمحكمة الاستئناف ، كما عمل بوزارة المعارف ، وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عين مديراً للمدرسة العلمية بصنعاء ، وعند إلغائها عين عضواً بالمحكمة الاستئنافية العليا .

٨ — زيد بن على عنان : ولد بصنعاء فى عام ١٣٢٦ هـ ، ودرس بالمدرسة التركية بصنعاء قبيل الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب درس القرآن والعلوم الدينية فى الكتاتيب ثم الجامع الكبير فى صنعاء ، واشتغل فترة فى سوق البز (القماش) لدى أحد التجار ثم استقل بحانوت فى نفس السوق . والتحق بالكلية العسكرية بصنعاء لمدة خمس سنوات ، ثم عمل بالجيش مدة أربع سنوات حتى اختير على رأس البعثة الثانية إلى العراق ، وهناك التحق بدار المعلمين وعاد إلى اليمن ليعمل فى التدريس ثم اختير مشرفاً على البعثة الأمريكية للتنقيب عن الآثار فى مأرب عام ١٩٥١ م ، كما عمل رئيساً للبعثات الثقافية فى القاهرة عام ١٩٥٤ م ثم سكرتيراً ومستشاراً للشئون الثقافية فى اتحاد الدول العربية فى القاهرة ، ثم سكرتيراً أول فى السفارة اليمنية بالعراق. وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عين مديراً عاماً لوزارة المعارف ، ثم رئيساً للجنة

جمع الكتب المصادرة من قصور الإمام وغيره ، وحالياً يشغل وظيفة وكيل الهيئة العامة للآثار ودور الكتب .

٩ - عبد الله حمران : من مواليد ٥ صفر ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م) فى محل الصوبات فى الحيمة الداخلية من أعمال صنعاء ، وفى عام ١٩٥٠ م التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء ، وفى أوائل ١٩٥٦م التحق بالإذاعة عقب افتتاحها بشهرين ، وعند فصله منها فى عام ١٩٥٩ عمل بوزارة الأشغال حتى أعيد إلى الإذاعة قبيل ثورة ١٩٦٢م بمدة أشهر وعند اندلاعها عين مديراً للاذاعة، ثم نقل الأشغال ثانية وتولى رئاسة تحرير جريدة الثورة، ثم سكرتيراً أول فى المفوضية اليمنية بالخرطوم ، ثم مديراً عاماً للاذاعة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وعضواً فى المجلس الوطنى عام ١٩٦٩ ، ثم وزير للأعلام فى يناير ١٩٧٠م، ثم وزيراً لشئون الرئاسة ورئيسا للمجلس الأعلى للشباب والرياضة ، ثم وزير للدولة وممثلا شخصيا لرئيس المجلس الجمهورى ومسئولا عن الحوار بين شطرى اليمن لإعادة الوحدة . وبعد حركة ١٣ يونيه ١٩٧٤ عين وزيراً للدولة وممثلا شخصيا لرئيس مجلس القيادة ، ومسئولا عن الحوار بين شطرى اليمن أيضا ، كما انتخب رئيساً لهيئة التعاون الأهلى لتطوير الحيمتين .

١٠ - على محمد الزرقه : بدأ دراسته الأولى بالمدرسة التركية بصنعاء قبيل الحرب العالمية الأولى ، ثم عمل بالمطبعة منذ عهد الإمام يحيى وإلى الآن ، وثقافته مثل أغلب ثقافة أبناء جيله ثقافة ذاتية .

١١ - محمد أحمد السياغى : من علماء اليمن ، واشترك فى الحركة الوطنية منذ بدايتها ، وسجن مرتان ، الأولى فى سجن غمدان بصنعاء فى عهد الإمام يحيى ، والثانيــــة فى سجن حجة عقب فشل ثورة ١٩٤٨ م ، وبعد ثورة ١٩٦٢ م تولى عدة مناصب هامة كان آخرها عضوية مجلس الشورى .

١٢ - محمد عبد الخالق حجر : من مواليد وادى السر ببنى حشيش ،

وبعد انتقاله مع والده إلى صنعاء فى سن مبكرة التحق بمدرسة الأيتام ، ثم بالمدرسة المتوسطة ، واختير عضواً بالبعثة العسكرية الأولى إلى العراق ، وبعد عودته ألحق برياسة الأركان بالجيش اليمنى ، ومنذ ذلك الوقت وهو يتدرج فى المناصب العسكرية المختلفة حتى عين مندوباً دائماً باللجنة العسكرية بجامعة الدول العربية عام ١٩٥٤م ، وقضى بهذا المنصب سبع سنوات . وبعد ثورة ١٩٦٢ عين مديراً للشعبة العسكرية بالحديدة ثم رئيساً لهيئة الرقابة والتفتيش بالقيادة العامة . ويشغل حالياً رئيساً لهيئة تدقيق الرديات بالدائرة المالية بالقيادة العامة .

١٣ ـ محمد عبد الله الشامى : أنهى دراسته الثانوية فى مصر ، ودراسته الجامعية فى إيطاليا حتى حصل من هناك على درجة الماجستير فى العلوم الاجتماعية ، ويشغل حالياً وظيفة مدير المراسم بوزارة الخارجية ، وهو يجيد عدة لغات .

١٤ ـ محمد عبد الله الفسيل : من مواليد صنعاء عام ١٩٢٦ م ، تلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة الأيتام ، ثم التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء ، كما اعتمد على التثقيف الذاتى كما هو الحال مع بقية المتعلمين والمثقفين اليمنيين من أبناء جيله . فر إلى عدن عام ١٩٤٧م ثم عاد مع العائدين عند قيام ثورة ١٩٤٨م ، وعقب فشلها قبض عليه وسجن فى حجة حتى عام ١٩٥٥م حيث اضطر إلى الهرب ثانية إلى عدن ، ثم ألقى القبض عليه فى جدة وسيق إلى سجن حجة ثانية حتى تمكن من الفرار منه عام ١٩٦١ وذهب إلى عدن ، ثم تسلل إلى داخل البلاد قبيل قيام ثورة ١٩٦٢م ، وبعد نشوبها تولى عدة مناصب هامة منها وزيراً مفوضاً فى موسكو وسفيراً فى برلين ، وأخيراً عين بعض الوقت مستشاراً لرئيس مجلس القيادة .

١٦ ـ محمد بن محمد الخالدى : من قضاة آنس ، وبعد أن تلقى تعليمه

الأولى التحق بالمدرسة الحربية التي كانت النظم التركية حتى ذلك الوقت ، كما درس بالمدرسة العلمية بصنعاء . قبض عليه فى وقت مبكر فى عهد الإمام يحيى ، ثم نفاه إلى سجن وشحه حيث قضى هناك أربع سنوات تمكن بعدها من الفرار واللجوء إلى سيف الإسلام أحمد فى تعز فعفى عنه . وقد عين وزيراً فى اتحاد الدول العربية بين مصر واليمن ، كما تولى عدة مناصب هامة بعد قيام ثورة ١٩٦٢ سواء فى داخل اليمن أو خارجه .

١٥ - محمد عبد الولى الذبحانى : من مواليد ١٩١٨م بقرية ذا الأقيان ذبحان بقضاء الحجرية ، تلقى دراسته الأولية بالقرية ثم بجامع زبيد ، وعند افتتاح المدرسة الأهلية بالتربة بالحجرية فى ١٩٣٢ م تحت إدارة وإشراف الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ أحمد حيدرة التحق بها ، وفى ١٩٣٤م استدعى إلى صنعاء ضمن بعض الطلبة وألحق بالمدرسة العلمية بها ، ثم اختير عضواً بالبعثة اليمنية إلى العراق وألحق بالكلية الحربية ببغداد ، وتخرج فيها عام ١٩٣٩ ، وعاد إلى بلاده ليعمل فى الجيش اليمنى حتى قيام ثورة ١٩٤٨ فقبض عليه وأبعد من الجيش . وعند قيام ثورة ١٩٦٢م أعيد إلى الجيش وتولى به عدة مناصب هامة ، ثم عين وزيراً للداخلية عام ١٩٦٨ وفى عام ١٩٧١ عين عضواً بمجلس الشورى ، ثم عين فى ١٩٧٦ مستشاراً لوزارة المواصلات.

فهرس الاعلام[1]

(١) هذا الفهرس خاص بالأسماء التى وردت بالدراسة فقط .

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(ى)

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٤٧٦٩

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١

طبع بالمطبعة الفنية ـ ت : ٣٩١١٨٦٢